



المقري

مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية

laboratoire des études linguistique théorique et pratique

مجلة المقري

للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية

مجلة علمية أكاديمية مُحكمة - نصف سنوية

الإيداع القانوني : ديسمبر 2017

ISSN 2602-6201

العدد الثالث

ديسمبر
2018

العدد
3



مجلة المقري



العدد
3



المقري

laboratoire des études linguistique
théorique et pratique

REVUE

EL MAKARI

pour les études linguistique théorique et pratique

revue scientifique semestrielle

dépot légal : décembre 2017

ISSN 2602-6201

troisième édition

décember
2018

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د. كمال بداري - مدير الجامعة

مسؤول النشر

د قويدر شنان - مدير المخبر

رئيس التحرير

د/ سليمان بوراس

هيئة التحرير

الجامعة	الأستاذ
جامعة محمد بوضياف المسيلة	الدكتور صالح غيلوس
جامعة محمد بوضياف المسيلة	الدكتور الربيع بوجلال
جامعة محمد بوضياف المسيلة	الدكتور عز الدين عماري
جامعة محمد بوضياف المسيلة	الدكتور خالد وهاب

الهيئة العلمية والاستشارية

الجامعة	الأستاذ	الجامعة	الأستاذ
جامعة آل البيت	زيد خليل القرالة	جامعة غزة	حسين عمر حسين دراوشة
جامعة بغداد	مرتضى جبار كاظم	جامعة القاهرة	عزة شبل الو العلا
جامعة المسيلة	مصطفى بشير قط	جامعة المسيلة	محمد زهار
جامعة المسيلة	محمد بن صالح	جامعة بسكرة	الأمين ملاوي
جامعة بسكرة	نعيمة سعدية	جامعة أدرار	مولاي إدريس بن خويا
جامعة المسيلة	اسماعيل سعدي	جامعة المسيلة	أحمد لعويجي
جامعة المسيلة	بلخير ارفيس	جامعة بسكرة	باديس لهويمل
م ج بريكة	بلعيد خليل صلاح الدين	جامعة المسيلة	براهم سمير
جامعة المسيلة	بوجلال الربيع	جامعة المسيلة	بلقاسم جياب
جامعة الجلفة	بوشيبة بوبكر	جامعة بالمسيلة	بوزيد رحمون
جامعة الشلف	جلول دواحي عبد القادر	جامعة الشلف	بن الدين بخولة
جامعة المسيلة	جلول دقي	جامعة المدية	محمد مكي
جامعة بومرداس	رضا زلاقي	جامعة تبسة	ربيعة برياق
جامعة المسيلة	صالح غيلوس	جامعة تبسة	شرفي لخميسي
جامعة المسيلة	عبد القادر قصابوي	جامعة قالمة	عبد الرحمان جودي
جامعة المسيلة	عز الدين عماري	جامعة تيارت	عدة قادة
جامعة الجلفة	علي بن فتاشة	جامعة المسيلة	عزوز ختيم
م ج بريكة	عمار لعويجي	جامعة قالمة	عمار بعداش
جامعة المسيلة	محمد بوعلالوي	جامعة بومرداس	فتيحة شفيري
م ع أ مستغانم	زينب لوت	جامعة المسيلة	مراد قفي
جامعة بسكرة	نور الهدي حسيني	جامعة المسيلة	مصطفى بن عطية
		جامعة المسيلة	واسيني بن عبد الله

المراسلات: مدير المجلة العلمية- المقرري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية

جامعة المسيلة - ص، ب 166 : طريق إشبيليا- المسيلة مخبر الدراسات اللغوية النظرية

والتطبيقية 28001 -الجزائر .الفاكس: 5559630 (213)

revue.elmakari@gmail.com

تنسيق وترتيب: الأستاذ جمال شلباب

حقوق النشر والطبع لجامعة المسيلة

○ شروط النشر وقواعد التمهليل

المجلة العلمية المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، مجلة علمية محكمة ، متخصصة بالدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، لها شروط محددة للنشر كباقي المجالات العملية الدولية والوطنية، يجب على الباحثين الراغبين في نشر بحوثهم الالتزام بها وهي:

أصالة العمل المقدم للنشر، بأن يكون أصيلا غير مستل من بحث ولا منشور في أي مجلة.

- يتراوح حجم البحث بين (10) و (20) صفحة بما في ذلك المراجع والملاحق.

- يتبع كل عمل بملخص بالانجليزية في حوالي 400 كلمة .

- يكتب المقال بخط برنامج (WORD) وبخط (Simplified Arabic) حجم (14) للمتن و(12) للمهامش.

- كل العبارات أو الأسماء الواردة باللاتينية في البحث تكتب بخط Times New Roman حجم 10 .

- تكتب الآيات القرآنية كتابة عادية وتوضع بين قوسين مزهرين.

- الأشكال الواردة في المقال تكون على شكل صورة حتى لا تتغير من جراء التعديل.

- التهميشات تكون إجباريا آلية لا يدوية حتى يمكن للمنضد التعامل وفق ذلك.

- ترد المراجع والهوامش في آخر صفحة من البحث.

- التقيد بمنهجية البحث العلمي، وإرفاق المقال بالبيبلوغرافيا وقائمة المراجع مرتبة أبجديا.

- تعرض البحوث الواردة على الخبرة العلمية.

- للمجلة حق رفض نشر المقال، أو طلب تعديله بناء على تقارير المحكمين.

- المقالات التي تنشر تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

- لا ترد المقالات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ترسل الأعمال إلى العنوان التالي: revue.elmakari@gmail.com

كلمة رئيس التحرير:

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة والسلام على رسوله الكريم، أما

بعد:

فهاهو العدد الثالث من مجلتنا الفتية المقري المتخصصة في الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية التي يصدرها مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، وقد شمل مجموعة من المقالات العلمية الهادفة ذات الصلة بالدرس اللغوي النظري والتطبيقي، وقد تنوعت الأقلام الباحثة فيها بين المحلي الجزائري والعالمي العربي، وما هذا إلا دليل على تفتح المشرفين عليها على المعرفة العلمية أنى كانت .

وإننا إذ نصدر هذا العدد فإننا نهيب بالباحثين ذوي التخصص اللساني النظري والتطبيقي سواء منهم الذين يشتغلون على اللسان العربي أو على اللغات الغربية أن يسهموا في إثراء الأعداد القادمة التي تصدر دوريا بحول الله.

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نتوجه بجزيل شكرنا لكل الأساتذة الخبراء الذين تفاعلوا معنا في تحكيم مقالات هذا العدد، سواء من داخل الجزائر أو من خارجها، كما لا ننسى رجال الظل والخفاء الذين سهروا على تنسيق الأعمال وإخراجها في الشكل الذي يليق بمقام أساتذتنا الباحثين، فلهم منّا جزيل الشكر والامتنان.

الدكتور سليمان بوراس

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع والباحث	رقم
13-1	ما بعد الجملة: النص أم الخطاب؟ بلخير ارفيس جامعة المسيلة	1
34-14	ضبط العربية المنطوقة ضبطاً صحيحاً في المعاجم الإلكترونية الناطقة في إطار منظومة موحدة بين الواقع والمأمول د. إبراهيم إسماعيل المصري وزارة التعليم العالي الفلسطيني	2
45-35	الانحراف الأسلوبي ودوره في التحليل النصي د. بن الدين بخولة جامعة الشلف	3
57-46	إشكالات ترجمة الشعر في ضوء نظرية التلقي دوبالة عائشة باحنة في الدكتوراه جامعة وهران 1 / الجزائر	4
77-58	اللسانيات: قراءة في المصطلح والمفهوم والمنطلقات د. رايح بن خوية جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	5
99-78	دور الترجمة والمعالجة الآلية للغة في صناعة المعاجم و ضبط المصطلح أ/ شواقري مريم جامعة أحمد بن بلة 01- وهران الجزائر	6
114-100	تناسبُ المكُونات والأغراض الشعرية في شعر أحمد مطر: مقارنة أسلوبية الدكتور: عامر الجراح جامعة ماردين أرتوكلو تركيا	7
125-115	مفهوم النظرية في اللسانيات د/ شنان قويدر جامعة محمد بوضياف- المسيلة	8
137-126	الحجاج الحكائي في معلقة النابغة الذبياني د/ صباح غرايبيبة جامعة قسنطينة 1-الجزائر	9
158-138	دور النحو العربي في تدريس وفهم نظام اللغة العربية نظرية ابن خلدون أنموذجا د/ ياسين بغورة جامعة محمد البشير الإبراهيمي-برج بوعريريج	10
169-159	المسرح المدرسي ودوره في بناء شخصية التلاميذ د/ سليمان بوراس أ / جمال شلّاب جامعة محمد بوضياف المسيلة	11
182-170	البَيَانُ الْقُرْآنِيُّ وَالْإِعْجَازُ الرَّبَّانِيُّ دراسة في كتاب "لمسات بيانية" لصالح فاضل السامرائي أ. فاتح مرزوق، جامعة مولود معمري تيزي-وزو	12
198-183	حجاجية الاستعارة في الفكر العربي من الإرهافات البلاغية إلى النظرية الفلسفية أ.البشير عزوزي جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	13
212--199	في نقد النحو العربي - بحث في النشأة والتطور- د/ عزالدين عماري جامعة محمد بوضياف / المسيلة.	14
244-213	خلاف النحاة في أسلوب الشرط جمعاً ودراسةً د/ محمد إبراهيم محمد بخيت جامعة المدينة العالمية بماليزيا	15

256-245	قراءة في مناهج الجيل الثاني د/ لعويجي أحمد (كتاب السنة الأولى متوسط أنموذجا) جامعة محمد بوضياف - المسيلة-	16
268-257	استدعاء الشخصيات الإسلامية في قصيدة "تقرير سري جدًا" لنزار قبّاني د/ عبد القادر بعداني. د/ إسماعيل زغودة جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.	17
286-269	ظاهرة الإدغام في تفسير "أضواء البيان" لمحمد الأمين الشنقيطي. د/ جلول دواجي عبد القادر جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف	18
298-287	التوليدية التحويلية مرحلة التأسيس د. الربيع بوجلال جامعة محمد بوضياف المسيلة	19

ما بعد الجملة: النص أم الخطاب؟

د/ بلخير ارفيس

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

Refidel2@yahoo.fr

الملخص

يسعى هذا المقال إلى البحث في قضية مصطلحية أكثر منها منهجية، وتتعلق بما استحدث من مفاهيم ما بعد الجملة في درس اللسان الحديث، فإذا كان الجزم بقصور لسانيات الجملة عن إدراك اللغة وفهم بنيتها، كان لزاما على الباحثين من ذوي الاختصاص التفتيح في زوايا أخرى قد تقدم مقترحات عملية لتجاوز ذلك المأزق. وكان أن ظهر ما يعرف بلسانيات النص أو علم النص وتحليل الخطاب. ومن هذا المنطلق ينبغي علينا أن نقوم بدراسة لمدلولات هذين المصطلحين لنتبين الحدود الممنوحة للدارسين في استعمال كل منهما.

وانطلاقا من هذا الأمر فإن محاور هذه المداخلة لن تتجاوز الطبيعة المفاهيمية لكليهما.

Summary:

This article seeks to examine a terminological issue rather than methodological, it related to what was developed post-sentence concepts in the lesson of modern linguistics. if there was an assertion that the linguistics of phrase is unable to understand the language and its structure, it would be necessary for researchers to explore in other angles that may present Practical proposals to overcome that impasse.

As a result, it appeared the linguistics of the text or the science of the text and analysis of the discourse.

Consequently, we should study the meanings of these terms in order to show the limits given in their use..

Based on this, the themes of this article will not exceed the conceptual nature of both

أ- النص:

جاء في لسان العرب أن " النص رفعك الشيء ، نص الحديث ينصه نصا: رفعه . وكل ما أظهر فقد نص ، وقال عمرو بن دينار : ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري ، أي أرفع وأسند له ... ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليه العروس لترى ، ونص كل شيء، منتهاه " فكل المعاني وغيرها تشترك في معنى واحد وهو الظهور والعلو والرفعة"¹ كما ارتبط النص بالقرآن والسنة وهو يدل على ما دل ظاهر لفظها عليه من أحكام"²

اصطلاحاً: هناك اختلاف شديد بين الباحثين في إعطاء مفهوم مشترك للنص، تصل في بعض الأحيان حد التناقض؛ ويرجع ذلك إلى طبيعة نظر كل واحد إلى النص في حد ذاته. ونظراً لتعدد تعريفاته واختلافها؛ لم يكن من بد سوى محاولة تصنيفها، وفق معايير يختارها الباحث تتوافق وطبيعة دراسته.

ومن هنا فإننا نحاول سرد تلك التعريفات وفق معياري البنية أو التركيب والدلالة. فمن التعريفات التي اهتمت بتركيب النص نجد ما يلي:

يشير رولان بارت إلى أن النص هو جسم مدرك بالحاسة البصرية، وهو يرتبط بالكتابة، أي برسم الحروف، ولو أنه يبقى تخطيطاً، فهو إحياء بالكلام وتشابك النسيج.³ والكتابة هي السمة الأساسية للنص عنده؛ فالكتابة ضمانة للشيء المكتوب، وصيانة له؛ وذلك باكتسابه صفة الاستمرارية، فالنص يقف في وجه الزمن والنسيان.⁴

ويعرف سعد مصلوح النص بقوله: "أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيله".⁵

والملاحظ على هذه التعريفات قصر نظرها، وعدم دقتها؛ كونها قد نزحت إلى توسيع مفهوم الجملة، بدل من النظر إلى النص كبناء مستقل، رغم كون الجملة أحد أجزائه، وهو ما يذهب إليه دييوغراندي حين يقول: "إننا لا نستطيع أن نتناول النصوص من خلال وصفها بأنها وحدات أكبر من الجمل، أو بأنها جمل متوالية في سياق؛ ذلك بأن الخاصية الأولى للنصوص من باب أولى هي كونها ترد في الاتصال، ولرما يأتي أحد النصوص على صورة كلمة واحدة، أو جملة واحدة، أو مجموعة من الأجزاء، أو خليط من البنيات السطحية، ويترتب على ذلك أن توسيع نطاق دراسات الجملة لتشمل النصوص لا بد أن يفقد النصوص عدداً من الأمور الحيوية، وأن يسبب مشكلات عملية خطيرة".⁶

ومن التعريفات التي اهتمت بدلالة النص نجد ما يلي:

يعرف شميت schmidt النص بقوله: كل تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي، في إطار عملية اتصالية، محدد من جملة المضمون ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها، أي يحقق إمكانية قدرة إنجازية جلية.⁷

وهو بهذا قد ركز على الجانب الاتصالي في مفهومه هذا.

أما بتوفي petofi فالنص عنده يستعمل: "للإشارة إلى موضوع سيميوطيقي، يحفظ على شريط مسجل أو شريط فيديو، ويوافق اثنان من أبناء اللغة المقدمة على الأقل على أن الموضوع المقدم هو نص".⁸ ويظهر من تعريفه أنه قد ركز على المتلقي في تحديده طبيعة النص.

أما هالداي ورقية حسن فيعتبران النص وحده دلالية، بعبارة أخرى، فهو ليس وحدة شكل، بل وحدة معنى، وفي هذا يقولان " نحن نستطيع تحديد النص بطريقة مبسطة بالقول إنه اللغة الوظيفية ، ونعني بالوظيفية؛ اللغة التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في بعض السياقات ، والنص أساسا وحدة دلالية"⁹ ومن التعريفات التي جمعت بين التركيب والدلالة نذكر الآتي:

جوليا كرسنيفا: النص عندها " جهاز عبر لغوي يعيد توزيع اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية ، مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة في الأقوال السابقة والمتزامنة معها ، والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية " ¹⁰

أما فاينريش فيحدده بأنه " تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل " وأما ترابط الأجزاء وتماسكها يضيف فاينريش مصطلحين هامين هما " الوحدة الكلية " و " التماسك الدلالي"¹¹

أما فان ديك ففي محاولته تحديد مفهوم للنص نجده يربط تحليله بالأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية أي بالجوانب الدلالية والتداولية والتركيبية ، ولهذا عنون مؤلفه بالنص والسياق وهو عنده:نتاج لفعل ولعملية إنتاج من جهة، وأساس لأفعال، وعمليات تلق واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل من جهة أخرى وهذه العمليات التواصلية الأدبية تقع في عدة سياقات تداولية ومعرفية وتاريخية تحدد الممارسات النصية، وتحدد بوساطتها، وهي تعرض بحسب جماعات المشاركين، وأدوارهم وقواعد الاستراتيجيات التي تنظم ممارساتهم النصية.¹²

وقد استقى فكرته هذه من عديد الملاحظات المنهجية والتطبيقات العملية لهذا العلم خصوصا في ابتعاده عن المعيارية التي تركت أثارا بالغة حالت دون التمكن من القفزة النوعية له . ودون التعليق على كل هذه التعريفات، فإنه ينبغي أن نقر بأن هذا التعداد والتنوع مرجعه إلى طبيعة النظريات ومنطلقاتها . والاختلاف حول حدود النص وطبيعة الاهتمامات والتوجهات وتباين المناهج والآراء .

ويتبادر للوهلة الأولى أن موضوع هذا العلم هو النص . مهما اختلفت أنواعه وتعددت، ولكن حقيقة الأمر أن كل نص يفرض في مرحلة ما منهاجا خاصا تفرضه طبيعة الرؤيا التي يتم من خلالها النظر إليه؛ ثم في وجهات النظر إليه وتحليله، وكيفية توظيفه واستخلاص النتائج منه.

أما القفزة النوعية التي أحدثها درس اللغوي الحديث، فكانت بانتقاله من نحو الجملة إلى نحو النص، كرد فعل على الفجوات التي خلفتها الدراسات اللسانية بوقوفها عند المستويات الثلاث لدراسة الجملة (الصوتية، المعجمية، النحوية) . ولم يكن هذا الانتقال توسعا كميا، بقدر ما كان اتساعا نوعيا في محاولته اجتلاب عناصر فوق جمالية، تمكن من تحقيق مجموعة الوظائف .

ب- الخطاب

يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات الحيوية التي اتسمت بالشيوع والازدهار في العديد من الدراسات والبحوث الإنسانية المعاصرة ، إذ طفق يتداول من المنتصف الثاني للقرن العشرين، وقد تجلى استعماله بصفة خاصة في مجالات الأدب والفلسفة وكذا في الدراسات الألسنية الحديثة التي تأثرت بها نظرية الأدب والنقد الأدبي مع ظهور البنيوية في أواخر الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، غير أن هذا المصطلح قد تشعب

وتعددت مسالكه ومفاهيمه غير المتناهية، فاختلقت بذلك دلالاته، والتبست مع مصطلحات أخرى كمصطلح النص ، ولعل مناط الاختلاف في تحديد المعنى وإحداثه قد تولد باختلاف الفهم وتطوراته لدى الباحثين في النظر إليه ومن ثم فإنه - أي الخطاب- قد استولى على قسط وافر من العناية والدراسة وذلك باعتباره " نمطا من الإنتاج الدال فهو يحتل موقفا محددًا في التاريخ ويشغل علما بذاته"13

وأما مفهومه اللغوي فقد ورد في المعاجم العربية في مادة "خطب" وهي تحليل إلى عدة معاني منها:

- الشأن أو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة سواء صغر الأمر أو عظم فيقال: خطب، وخطوب وقيل: هو سبب الأمر، يقال ما خطبك؟ أي ما أمرك، وتقول: هذا خطب جليل وخطب يسير"14
- المواجهة بالكلام15 أو مراجعة الكلام16.

- والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة، والخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر. والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام. وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان17.

وقد ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم بصيغ متعددة منها صيغة الفعل في قوله تعالى: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) 18 ، والمصدر في قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا)19، وفي قوله تعالى عن داود عليه السلام: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ)20، فقد عدّ "الرازي" صفة فصل الخطاب من الصفات التي أعطها الله لداود معتبرا إياها من علامات حصول قدرة الإدراك والشعور التي يمتاز بها الإنسان على أجسام العالم الأخرى، بيد أن الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير. وبهذا التفسير تتضح أهمية الفروق الفردية التي تتفاوت من مرسل إلى مرسل آخر، أما الأمدي" فقد عرّف الخطاب تعريفاً بيّناً بعد أن وعى بأن التعريف هو المنطلق لمعرفة الأحكام الشرعية ، إذ يرى أنه "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"21.

وهذا يعني أنه توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب.

لعل هذه التحديدات ذات الطابع المعجمي تتوافق إلى حد ما مع أحد المفاهيم الاصطلاحية الحديثة في كون الخطاب هو: "الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين والصيغة التي نتلقى بها أفكارهم

... إن الخطاب يتجاوز هذا المفهوم الضيق ليدل على ما يصدر من الكلام أو إشارة أو إبداع فني، وهو ما يمكن أن يشكل صيغة التفاعل بين طرفين أو أكثر في عملية التلّفظ أحدهما يرسل الكلام والآخر يتلقاه22.

إن الخطاب إذا مجموعة من العبارات لها قوة مؤسّساتية؛ أي لها تأثير عميق على الطريقة التي يفكر بها الأشخاص، وعلى الكيفية التي يسلكونها23.

ولا بد أن نشير إلى أن مفهوم "الخطاب" مستعمل في الفلسفة الكلاسيكية؛ حيث يقابل المعرفة الخطابية عن طريق تسلسل أسباب المعرفة الحدسية، وكانت قيمته إذ ذاك قريبة من اللوغوس (logos) 24 اليوناني، وفي اللسانيات أشاعه "ق. قيوم" وشهد انتشاراً فائق السرعة مع أقول نجم البنيوية وصعود التيارات التداولية25.

ويندرج "الخطاب" ضمن سلسلة من المقابلات الكلاسيكية منها:

- خطاب مقابل جملة: يمثل الخطاب وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة وهذا هو المعنى الذي يقصده "زليغ هاريس" عندما يتحدث عن تحليل الخطاب.

- خطاب مقابل لسان: قال غاردينار (1932-1989): "إن التمييز بين كلام أو خطاب أو لسان اقترحه لأول مرة "فرديناند دوسوسير" ودقّته أنا"، لكن يمكن أن نوجّه "الخطاب" نحو بعد اجتماعي أو بالأحرى نحو بعد ذهني، ويختار "غردينار" الإتجاه الأول فالخطاب "هو الاستعمال بين الناس لعلامات صوتية مركبة لتبليغ رغباتهم أو آرائهم في الأشياء".

و"اللسان" طبقاً لتعريفه بأنه نسق يشترك فيه أعضاء مجموعة لسانية يقابل "الخطاب" باعتباره استعمالاً محدود لهذا النسق.

- خطاب مقابل نص: الخطاب يتصور باعتباره إقحاما لنص في مقامه (ظروف إنتاجه وتقبله) 26.

- خطاب مقابل ملفوظ: هذا التمييز القريب جدا من التمييز السابق يسمح بالمقابلة بين طريقتي نظر إلى الوحدات المتجاوزة للجملة. باعتبارها وحدة لسانية (ملفوظ) وباعتبارها أثر فعل تواصل محدد اجتماعيا وتاريخيا وهذه المقابلة هي التي اعتمدت من جهة أخرى لإسناد وجهة نظر خصوصية إلى تحليل الخطاب "إن إلقاء نظرة على نص من حيث هيكلته (في اللسان) يجعل منه ملفوظا" والدراسة اللسانية لظروف إنتاج هذا النص تجعل منه خطابا27.

كما نجد تعريف اميل بنفنيست والذي اعتبر "الخطاب هو كل مقول يفترض متكلما ومستمعا تكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما"28 مدخلا في الحساب الطبيعية التواصلية والأثير.

وأما هاريس فقد اعتبر الخطاب "مجموعة من الجمل لها معنى"29. وبذلك يعد أول من تكلم عن تحليل الخطاب في الوقت الذي كان أعظم اهتمام لعلم اللغة بالجملة المفردة، وبهذا يكون أول من اعتبر

الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني ، محاولا تدارك النقص الذي ساد نحو الجملة، إذ انتقده من جهتين:

1- اعتماده في عملية الوصف والتحليل على الجمل والعلاقات بين وحدات الجملة الواحدة؛ فوسع دائرة الوصف إلى ما هو خارج الجملة، معتمدا في ذلك على الخطاب.

2- تحامله على قضية الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي وهو ما يحول آليا على سوء الفهم إن لم نقل عدمه؛ ومن هنا، فقد اعتمد أمرين:

أ- تجاوز الجملة إلى النص.

ب- الربط بين اللغة والموقف الثقافي، وفي هذا يقول " يمكن أن تتصور تحليل الخطاب انطلاقا من ضربين من المسائل هما في الحقيقة أمران مترابطان ، أما الأول فيتمثل في مواصلة الدراسة اللسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في الوقت نفسه، وأما الثاني فيتعلق بين الثقافة واللغة"³⁰

ومن هذين المنطلقين، فقد فتح هاريس الباب على مصراعيه لدراسة الظاهرة اللغوية في أبعادها النفسية والاجتماعية والفنية والإعلامية من جهة، والتأكيد على النص وحدة دلالية تساهم الجمل في بناء هذه الوحدة، ولعل لهذه الفكرة ما يسندها فسوسير يعتبر " محاولة تحديدها من هذه الوجهة فيه كثير من الإجحاف لما سيترتب عنه من عزل لها عن النظام الذي تنتمي إليه ، لأنه لايمكننا بأية حال من الأحوال الانطلاق من الكلمات للوصول إلى النظام بل على العكس من ذلك ، يتوجب علينا النظر إلى النظام ككل متكامل ، ومنه نستطيع الوصول من خلال التحليل إلى العناصر المكونة له " ³¹، ومن هذا اكتسب علم النص شرعيته من خلال طرحه للجانبين الدلالي والمقامي، وفي هذا يقول سعد مصلوح " إن الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس الاجترار والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى... كان الاتجاه إلى نحو النص أمرا متوقعا واتجاها أكثر اتساقا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث " ³² ، ويفسر رائد علم النص فان ذلك هذا الأمر بقوله " ففي كل الأثناء السابقة على نحو النص وصف للأبنية اللغوية ، ولكنه لم يعن بالجوانب الدلالية عناية كافية، مما جعل علماء النص يرون أن البحث الشكلي للأبنية اللغوية ما يزال مقتصرًا على وصف الجملة ؛بينما يتضح من يوم إلى آخر جوانب كثيرة لهذه الأبنية وبخاصة الجوانب الدلالية ولا يمكن أن يوصف إلا في إطار واسع لنحو أو نحو النص " ³³

وباعتماد الجانبين الدلالي والمقامي، برزت الوظيفة الاجتماعية إلى السطح، فأصبح محور اللسانيات النصية هو البحث عن الطرق الكفيلة التي تكفل للنصوص تأدية وظيفتها المرتبطة أساسا بتحقيق التفاعل الإنساني . إنه لا يمكن تحقيق هذا إلا من خلال تحليل البني النصية، واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى انسجام النصوص، والكشف على أغراضها، وفي هذا الصدد يري صبحي إبراهيم الفقيان

مهام لسانيات النص تتجلى في إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل ، ويتحقق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة ، فمن أهم ملامح لسانيات النص دراسة الروابط مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة وهذا إلى الاتساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلية ³⁴.

ومن هنا فلسانيات النص تتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص خصوصا بعد إدراج الأبعاد الدلالية ، وعلى هذا الأساس كان لزاما على أصحاب هذا الاتجاه أن يجدوا معنى النصية كمفهوم مقابل للأدبية، الذي قام بتحديد هالشكلانيون الروس، وهذا ما تبناه روبرت الان دوبقراند باعتباره " أن العمل الأهم للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصية " .

ويرتبط مفهوم النص بالخطاب، فلا تكاد تصادف أحدهما إلا وتجد الآخر رديفاله، ولهذا سنتقصى معنى الخطاب أيضا.

فالخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان ³⁵ ونجد المعنى الاصطلاحي للخطاب يقترب كثيرا من الجانب اللغوي فيعرفه هاريس : بأنه "ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض " ³⁶ ولعل هاريس بتعريفه هذا قد حاول أن يمدد تعريف الجملة .

أما بنفنيست فيعرف الخطاب بأنه " الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل ، فالمقصود به الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين . كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما " ³⁷ والملاحظ على أن هذين التعريفين قد ربطا الخطاب بالجانب المنطوق من اللغة . أما في مجال اللسانيات فإن الأمر يختلف إذ الخطاب وحدة أوسع من النص ، وذلك لارتباطه بظروف الإنتاج ، ومن هنا فإن حدود التفرقة تكمن في قضية السياق من هذا المنظور .

وقد حاول ميشال آدم أن يحدد ذلك وفق المخطط الآتي

الخطاب = النص + ظروف الإنتاج

النص = الخطاب - ظروف الإنتاج

بيد أننا نجد أن علماء السرد كجيرار جينيت وتودوروف وفانريش لايفرقون بين الخطاب وبين النص بل ويستعملونهما بالمعنى نفسه .

ومهما يكن من أمر، فإن أهم شيء هو تحديد النصية وليس المقصود فقط أن نستخلص هنا المميزات الداخلية للنصوص، أي أن نستخلص البنى المختلفة التي تحتوي عليها ، ولكن أن نستخلص أيضا المميزات

الخارجية لهذه النصوص أو بكلمات أخرى ، أن نستخلص الشروط التي يخضع لها ظهورها في سياقات خاصة، كما تخضع لها وظائفها وتأثيراتها في هذه السياقات وسيكون المقصود أيضا هو تحديد العلاقات الموجودة بين النص والسياق" ³⁸ .

وهذا الأمر جعل فان ديك يقترح بعض المبادئ بغية التحليل النصي يمكن إجمالها فيما يلي:

- استعمال النصوص لا يكون إلا في سياق خاص، وفهمه وتحليله ينبغي أن يعتمد على ذلك السياق.
- النصوص تمتلك ضروبا مختلفة من الميزات التي تخلق مستويات متعددة، وينبغي دراسة كل مستوى من مستويات البنائيات لهذا المستوى، كما يمكن لكل مستوى أن يرتبط بمميزات سياقية معينة.
- هناك ضروب من السياق في أي نص، وينبغي التمييز بينها، فهناك سياق تداولي وسياق نفسي وسياق اجتماعي وثقافي... الخ.

ومن هنا نصل إلى الحدود التي تم اعتمادها لتحديد النصية³⁹ وهي

- التماسك " ويشير المصطلح إلى الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جمالية أو بين الجمل ، ولا سيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع"⁴⁰، كما يعرف "بكونه مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة بعضها ببعض"⁴¹ وهو بهذا المعنى؛ يشير إلى مجموع العناصر التي يمكنها أن تسهم في البناء العام للنص ،حفاظا على بنية قارة، وروية دالة ،وهذا المستوى يبحث الأدوات اللغوية الكفيلة بتحقيق الترابط بين عناصر النص ، وهي أدوات شكلية بالخصوص تتجلى في العديد من أدوات تماسك النصوص كأدوات الربط ، والتكرار والحذف والإحالة والاستبدال والاتساق المعجمي الخ .

- الانسجام :يعرف بأنه"خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى"، وهذا المستوى " لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني ، ولكنه يتعلق بالأخرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية ، ويضمن الانسجام المتتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام " ⁴² فهو خلاف التماسك يرتبط بمنطق الأفكار والمفاهيم أي بالجانب المعنوي في النص وله من الأدوات والوسائل ما يكفل له تحقيق هذه الغاية كالعناصر المنطقية التي منها السببية والعموم والخصوص بالإضافة إلى السياق والمعرفة بالعالم.

- القصدية والقبول " إذ يعد كل نص بنية قصدية . وهو بوصفه كذلك يخضع لمعايير من القبول، فالأفعال القولية لاتمثل وقائع لسانية ولكن تداولية"⁴³ وهذا المفهوم مرتبط بغاية كل من الباحث والمتلقي ، فالأول في إطار التأثير والثاني في إطار التفاعل
- الإعلامية: والمقصود الشحنات الإخبارية التي يمكن أن يحملها كل نص، وهذا يختلف حسب طبيعة النصوص والغاية منها .

- المقام: ويعتبر أهم شيء في تحديد معنى النص، إذ هو الذي يجعل نصا ما مرتبطا بموقف ما يمكنه فهمه من خلال ذلك الموقف، وبعد السياق أهم شيء في فهم كنه النصوص، ولا غرو أن نجد له نظرية خاصة في علم الدلالة تعرف بـ"النظرية السياقية" ولهذا يرى فيرث "أن المعنى لا ينكشف إلا في سياقات مختلفة، سواء أكانت هذه السياقات لغوية أم اجتماعية... فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"⁴⁴ وينقسم السياق عموما إلى نوعين: سياق لغوي يمكن تلمس خيوطه من خلال النسيج العام للنص، وسياق حالي يهتم بالظروف والملابسة للعملية النصية في حد ذاتها.

-التناسق: وهو يتضمن العلاقات بين النصوص، فالنصوص السابقة تشكل خبرة لتكوين النصوص اللاحقة، وهذا في إطار التراكم المعرفي الذي يسمح بتماهي النصوص في بعضها البعض. ولو حاولنا إعادة تقسيم هذه المبادئ وفق معيار آخر لوجدناها تنقسم لثلاثة أقسام الأول يتعلق بالدراسة المحايثة للنص؛ ونجد فيه كلا من التماسك والانسجام. الثاني يتعلق بطرفي العملية سواء أكان الباث أم المتلقي، ونجد هنا القصدية والقبول. الثالث يتمحور حول السياق بأشكاله المختلفة، وهنا نجد كلا من الإعلامية، المقام، والقصدية.

خاتمة:

إن الإطلالة السريعة لمفهومي النص والخطاب جعلتنا نستنتج ما يلي:
-أغلب الباحثين لا يفرقون بين النص والخطاب، فما يعرف عند بعضهم بلسانيات النص يعرف عند الآخرين بتحليل الخطاب.
-أغلب الذين لا يفرقون بين النص والخطاب هم علماء السرد كجيرار جينيت وتودوروف وفانريش.
-من يعرف الخطاب بأنه نص تم تثبيته بواسطة الكتابة يجعلنا نقر بالعلاقة بينهما وفق تصور اللغة والكلام.
-الذين يعتقدون بأن الخطاب هو نص بعد إضافة ظروف إنتاجه هو تبن غير مباشر للنصية؛ فالمقامية وهي المحددة لظروف الإنتاج هي أحد المعايير الأساسية في النصية كما عبر عنها دي بوغراندي

Abstract

Post sentence: Text or discourse

This article seeks to examine a terminological issue rather than methodological, it related to what was developed post-sentence concepts in the lesson of modern linguistics. if there was an assertion that the linguistics of phrase is unable to understand the language and its

structure, it would be necessary for researchers to explore in other angles that may present Practical proposals to overcome that impasse.

As a result, it appeared the linguistics of the text or the science of the text and analysis of the discourse.

Consequently, we should study the meanings of these terms in order to show the limits given in their use..

Based on this, the themes of this article will not exceed the conceptual nature of both

Problematic: Is there a difference between the text and the speech? If so, what are the most important differences? When do we use the text? When do we use the discourse?

The themes of this article will be as follows:

- The first axis: the concept of text
- The second axis: the concept of discourse
- Third axis: textual standards

Conclusion:

The quick view of the concepts of text and discourse made us conclude:

- Most researchers do not differentiate between the text and the discourse. Some of them call it text linguistics, but others call it analyze of discourse.
- The majority of those who do not distinguish between the text and the discourse are the authors of the narratives like Genete, Todorov and Vanrich.
- those who define the discourse as a text that was installed by writing makes us acknowledge the relationship between them according to the perception of language and speech.

- Those who believe that the discourse is a text after adding the conditions of its production is indirect adoption of the textuality; the situationality, which is specific to the conditions of production is one of the basic criteria in the texts as expressed by de Beaugrande.

- The Arab scholars had contributions in the field of text linguistics or discourse analysis, and did not differentiate between them, because their goal is to search for the esthetics of the text, regardless of the title text or discourse, We can mention examples of this: Abdul Qahir al-Jarjani, Zirkshi, Suyuti, Ibn Jnee, especially during their talk about the miracle of the Holy Quran

Keywords: text, discourse, text linguistics, discourse analysis, de beaugrande, textual standards

الهوامش:

1 ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مادة "نصص" ج 8 ص 575

2 ن م، ن ص

3 ينظر: رولانبارت، لذة النص، تر: منرعياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط 1، 1992، صص 11.10

4 ينظر: عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 60

5 سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، جامعة الكويت، الكويت 1990 ص 407

- 6 روبرت دي بوغراندي، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2007، ص64
- 7 سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1997، ص81
- 8 كبرستينا دمسيك، لسانيات النص عرض تأسيسية، تر: سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009، ص90
- 9 الفقهي صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، مصر، ط1 (1431، 2000) ص30
- 10 صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص212
- 11 محمد العبد، اللغة والإبداع الأدب دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص36
- 12 ينظر: النص والسياق، فاندريك، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000، ص21
- 13 عبد القادر عواد، مجلة علامات، ع74، شعبان 1432، يوليو 2011، ص55 - 56
- 14 ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص360.
- 15 - الزمخشري، أساس البلاغة، حققه د. مزيد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص320.
- 16 - الفيروز آبادي محمد يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995/1415.
- 17 - ابن منظور، لسان العرب، ص362.
- سورة الفرقان، الآية 63. 18
- سورة النبأ، الآية 37. 19
- سورة ص، الآية 19. 20
- 21 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، مارس 2004، صص 35-36.
- 22 - عبد القادر عواد، مجلة علامات، ص55 - 56.
- 23 - سارة ميلز، ت: بغلول يوسف الخطاب، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، 2004، ص48.
- اللوغوس: كلمة يونانية لها مدلولات متعددة كالخطاب، اللغة، العقل الكلي. كلمة الإله. 24
- 25 - باتريك شارودو - دومنيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ص180.
- 26 - المرجع السابق، ص180 - 181.
- 27 - المرجع نفسه، ص181.
- 28 Benveniste, probleme de linguistique generale ; edition Galimard, 1966 p16
- 29 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة، الجزائر 2000، ص58
- 30 محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، جامعة منوبة، تونس، ج1، ص38-39
- 31 De Saussure F : Cours de linguistique générale. Edition Talantikit .Bejaia .Algérie. 2002, p163
- 32 سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ص413
- 33 سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص136

- 34 ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ج1 ص56
- 35 ابن منظور لسان العرب مادة خطب ج2 ص 1194.
- 36 سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ط1997، 3، ص17
- 37 Benveniste :problème de linguistique générale ,édi ,gallimard,1966,p129-130
- 38 فان ديك، النص بنياته ووظائفه، ص137، 138
- ³⁹ لقد كان للبلاغة العربية بعض منطلقات المعالجة النصية وذلك في سعيها إلى الرقي بالخطاب من التعبير إلى التأثير، مثل الإيجاز والفصل والوصل والتقديم والتأخير والحذف، بل إن نظرية النظم في محاولاتها تبيين إعجاز القرآن قد أكدت على مفهوم النظام والاتساق بين الوحدات المكونة له ،كما نجد إسهام المفسرين للقرآن الكريم في كشف التماسك الدلالي للنص من خلال المناسبة بين الآيات و السور مثلاً.
- 40 تودوروف، النص، من كتاب العلاماتية وعلم النص، منذر عياشي، ط1، 1994، ص132.
- 41 محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب ج1 ص124
- 42 نفسه ج1 ص 133
- 43 تودوروف، النص ، ص134
- 44 أحمد مختار عمر، علم الدلالة ،عالم الكتب، مصر، ط2، 1988، ص68-69.

ضبط العربية المنطوقة ضبطاً صحيحاً في المعاجم الإلكترونية الناطقة

في إطار منظومة موحدة بين الواقع و المأمول

د. إبراهيم إسماعيل المصري

وزارة التعليم العالي الفلسطيني

hamam15585@hotmail.com

الملخص

حققت اللسانيات الحاسوبية تقدماً باهراً في خدمة اللغات الطبيعية، وكان من أهم ما طرحته في هذا المضمار المعجم الإلكتروني الذي يمتاز بمرونة عالية. ولما كان المعجم المستودع الآمن على الموروث اللغوي لكل أمة تحافظ على تراثها، أولت الأمم عناية فائقة في حوسبة لغاتها، فكانت العربية كغيرها من اللغات التي حظيت باهتمام أبنائها الذين أسهموا في تطويع هذه التقنيات في سبيل خدمتها. ويتولى هذا البحث مهمة الكشف عما تقتقر إليه المعاجم العربية الإلكترونية من مزايا، لاسيما تحقيق آلية نطق المفردة العربية، كما أنه يسلط الضوء على بعض المترجمات والمعاجم العالمية الناطقة، المتاحة عبر الوسائط التكنولوجية التي يعوزها ضبط نطق المفردة العربية صوتياً، فضلاً على أنه يتطرق إلى بعض المعوقات التي تعترض تقدم المعجم العربي ليكون في صدارة المعاجم العالمية، ويقدم هذا البحث أيضاً بعض المقترحات التي من شأنها أن تجعل المعجم العربي الإلكتروني في أعلى مستوياته. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، والمنهج التطبيقي في ضوء المنهج التكاملي الذي يبحث في تفصلات هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: المعجم الإلكتروني، نطق، المحوسب، ضبط، اللغوي، العربية، منظومة، اللسانيات

Summary:

Computational linguistics achieved a remarkable progress for the natural language service . One of the most important aspect in this regard, the electronic dictionary which has high flexibility. Since the dictionary was the secure warehouse for linguistic lexicon heritage of every nation to preserve its heritage ,nations carefully paid attention carefully for computerizing its languages .Arabic language was like other languages that received a great interest by its speakers who have contributed in developing these techniques to serve it .This

research attempts at identifying the shortcomings of the Arabic electronic dictionaries , in particular , achieving a mechanism for pronouncing Arabic items (words). It also highlights the observations on some translations and Global interlocutor dictionaries , that are available on electronic means which need more control in pronouncing Arabic word .Moreover , it sheds light on the obstacles that prevent making Arabic dictionaries to be the first among the other languages, and it offers some suggestions to enhance the Arabic electronic dictionary and put it at the highest level

مقدمة

ازداد اهتمام علماء اللّغة في الفترة الأخيرة باللّسانيّات الحاسوبية Computational Linguistic، التي تعدّ أحدث فروع علم اللّسانيّات، إذ يعتمد هذا الفرع بشكل مباشر على التّقنيّات الحديثة لاسيما الحاسب الآليّ الذي تمّ تطويعه لخدمة اللّغات الطبيعيّة، والعرب كغيرهم من الأمم، فقد تنبّهوا إلى أهميّة هذا المجال، فكان المعجم في طليعة العلوم العربيّة المحوسبة. حيث اقتصر الأمر في بدايته على حوسبة المعاجم التقليديّة الورقيّة، غير أنّ الأمر لم يدم طويلاً، ولم يكتفِ الباحثون بهذا، فشرعوا في تكوين المعاجم الإلكترونيّة، التي مازجت بين القديم والحديث، وكفّت الباحثين عناء البحث، ومنحتهم سرعة فائقة في العثور على مبتغاهم، وأدّى ذلك إلى خلق أفق رحب في المجال المعجميّ، تتامت معه الأعمال القيمة في هذا الإطار، لا سيما معاجم التّرجمة الآليّة، التي حقّقت نجاحاً باهراً في ضوء الرّقمنة التي ساد انتشارها مؤخراً في تعلم اللّغات.

وإنّ البحث في تمظهرات المعاجم العربيّة الإلكترونيّة يختلف اختلافاً كلياً عن البحث في مثيلاتها الورقيّة، والحقّ إنّ الباحث في المعاجم التقليديّة (الورقية) - لا سيما المعاجم التراثيّة - يجد صعوبة في استخراج معاني الألفاظ، وذلك لاعتماد بعضها على نظم معقّدة إلى حدّ ما، كنظام التقلّيبات الصوتيّة أو حتّى نظام القافية، وجاءت المعاجم الإلكترونيّة فقتنت كثيراً من الصعوبات، واستنزفت الوقت في سبيل الحصول على النتائج المطلوبة.

ووردت لفظة (معجم) في المعاجم التّراثيّة، وهي مشتقة من مادّة (ع ج م)، إذ تدلّ على عدم الفصاحة أو الإبانة في القول، يقول الخليل بن أحمد (ت170هـ): "الأعجم الذي لا يفصح . وامرأة عجماء بيّنة العجمة"⁽¹⁾ ووردت تازة أخرى بمعنى إزالة الإعجام بنقط الحرف، أي العلامات المميّزة للحرف، كما أورد ابن منظور (ت 711هـ) في اللّسان: " كتاب معجم إذا أعجمه كاتبه بالنّقط"⁽²⁾إذن، فالمعنى اللّغويّ للمعجم له دالتان، الأولى: ما يتعلّق بالفصاحة وعجمة القول، والأخيرة: الإعجام بالنّقط وهو نقط بعض حروف الهجاء لإزالة إعجامها.

والتعريف الاصطلاحي للمعجم كما يعرفه الدكتور عبد الحميد أبو سكّين: "هو عبارة عن كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة، مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع"⁽³⁾

فمن الملاحظ أن هذا التعريف يختص بالمعجم اللغوي التي تتناول مادة لغوية وفق ترتيب خاص، يساعد في بيان معنى المفردة المراد تفسيرها وتقصي مدلولها. وهذا من شأنه أن يزيل الإبهام الذي يكتنف معنى مفردة ما. ومن هنا يمكن لنا أن نربط هذا التعريف بالتعريف اللغوي للمعجم، فإعجام الكتاب هو إزالة إبهامه بنقط حروفه التي يتميز رسمها عن غيرها من حروف الهجاء، وكذلك فإن البحث عن مفردة معينة في المعجم واستخراج معناها، يدل على إزالة غموضها بمعرفة مدلولها.

وبعد هذه لمقدمة البسيطة، ثمة بعض التساؤلات التي لم أجد بداً عن طرحها قبل الشروع في هذا البحث، وهي: ما الإشكالية النطقية التي واجهت المعجم التراثية؟ هل استفاد المعجم العربي من التطور التكنولوجي المعاصر؟ ما واقع المعجم العربية الإلكترونية؟ هل تحتوي المعجم العربية الإلكترونية على آلية نطق المفردة العربية؟ لماذا لا يكون هناك معجم عربي إلكتروني موحد على صعيد العالم العربي؟ ما المأمول في بناء معجم عربي ناطق من وجهة نظر البحث اللساني الحديث؟

وسأحاول الإجابة عن هذه التساؤلات بطريقة موضوعية؛ لأنّ مثل هذه التساؤلات تثير شهية الباحث في البحث والتقيب بطريقة معمّقة، ووفق منهجية علمية تتطلب وعياً وجهداً في حقل المعجم العربي قديمه وحديثه.

1. التأليف المعجمي في التراث العربي

في الحقيقة، لم يكن (المعجم) هو اللفظ الوحيد الدالّ على ذلك الكتاب وما يتضمّنه من ذخيرة لغوية بين دفتيه، بل اشتهر المعجم باسم (القاموس)، ولعلّ هذه التسمية اكتسبت شهرتها بعد أن صنّف الفيروزآبادي (ت816هـ) معجمه اللغوي الشهير " القاموس المحيط "، فدرج هذا الاسم في عرف اللغويين مرادفاً للمعجم، حتّى أصبح القاموس مصطلحاً خاصاً بالكتب التي تتناول معاني مفردات اللغة، وهو بهذا التّصوّر أخصّ من مصطلح المعجم. فالمعجم لم يكن حكراً على اللغة وحدها، إنما كان في بدايات نشأته يعني بتراجم الرّجال، وأصحاب السير، حيث جاد التراث الإسلامي ببعض المصنّفات التي كان مصطلح المعجم مترعباً على غلافاتها، "كمعجم الصحابة" لأبي القاسم عبد الله ابن محمّد بن المرزبان البغوي (ت317هـ). ثمّ توالى المؤلفات التي تحمل اسم المعجم عند رجال الحديث وأصحاب التراجم وعند أهل

اللغة والأدب؛ فالكتاب الذي يطلق عليه المعجم هو أوسع انتشاراً من الكتاب الذي يطلق عليه القاموس، كون الأوّل يستخدم لأغراض غير أغراض اللغة. وما يهتَمنا في هذا البحث المعاجم التي تعنى بمفردات وألفاظ اللغة.

بدأ التّأليف المعجمي في اللغة العربيّة بداية حقيقيّة على يد الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت170هـ)، حيث أفرد مصنفاً أسماه "العين"، واعتمد فيه نظام التّقليبات الصّوتيّة، والحقّ إنّ هذا المعجم كان بمثابة البداية التي انطلقت منها معاجم اللغة التي انتهج مؤلّفوها طرقاً عدّة في ترتيب مفرداتها وألفاظها، وعلى إثر ذلك أوجد أولئك الأفاضل المدارس المعجميّة التي أعقبت مدرسة التّقليبات الصّوتيّة التي يعدّ الخليل رائدها بلا منازع، ثمّ تلتها مدرسة القافية التي تزعمها أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت393هـ) في معجمه " تاج اللغة وصحاح العربيّة"، ثمّ مدرسة الألفبائيّة التي بدأها أحمد بن فارس (ت395هـ) في "مجل اللغة".

لم تكن هذه المعاجم قاصرة عن مفردة أو لفظة في العربيّة، بل حوت كلّ مفردات اللغة في زمنها، وقامت تلك المدارس المعجميّة على جمع الموادّ اللّغويّة وترتيبها ترتيباً ينمّ عن عبقرية علميّة، إذ قام أصحابها برصد مفردات اللغة وجمع شتاتها، وتفسيرها تفسيراً يجلو غموضها. وكما هو معروف أنّ كثيراً من مفردات اللغة لم تكن مشهورة، وهي مفردات لم تتلّ حظوتها من شهرة الاستخدام اليوميّ لدى العامّة، إنّما اقتصر استعمالها عند فئة معيّنة، كشريحة الشعراء أو الخطباء المفوّهين، أو تداولها الأعراب الموغلون في عرض الصّحراء. فكان من عظيم أثر هذه المعاجم أنّها تتولّى الإبانة والكشف عن معنى المفردة مهما كانت درجة شيوعها.

2. الإشكاليّة النّطقيّة في المعاجم التّراثيّة

تقوم معاجم التّراث على جمع مفردات وألفاظ اللغة التي تشكّل المادّة الأساسيّة لمتونها. وبما أنّ المعجم كتاب يضمّ أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة مقرونة بتفسيراتها وفق ترتيب معين، بحيث يسهل استخدامها، فإنّ مصنّفي هذه المعاجم لم يأخذوا مادّتهم من بيئة دون أخرى، بل كانوا يجوبون الحواضر والبادي بحثاً عن مفردة هنا ومرادف هناك، وكانوا أميين على مادّتهم اللّغويّة، إلى درجة كانوا يتحرّجون من إيراد لفظة مجهولة أو لم تسمع عن العرب، ويؤكد مازن المبارك أنّ: "أحدهم يشعر أمام اللفظة بما يشعر به ناقل الحديث النّبويّ من حرج يجعله لا ينطق بالحرف إلاّ مسنداً إلى قائله أو معزواً إلى رابيه أو مؤيداً بالشّاهد والدليل"⁽⁴⁾

فجمعهم للمادة اللغوية لم يكن من قبيل الثرف العلمي، بل كان هدفهم جمع مفردات اللغة وتأصيلها تأصيلاً معجمياً تتحقق فيه معايير تحكمها الفصاحة، بحيث لم تضق معاجمهم عن مفردة ولدتها العربية ورعتها فصاحة أهلها. من هنا بدأت إشكالية ضبط المفردات ونطقها نطقاً صحيحاً بعيداً عن اللحن أو الالتباس الذي يشوه النطق، غير أن هذه الإشكالية لم تقف عائقاً أمام جهودهم العظيمة التي دأبت كثيراً من الصعوبات التي اعترضت طريق نشاطهم اللغوي. فالتغلب على هذه المشكلة كان سهلاً بحكم أن العربية تمتلك نظاماً صوتياً يتمثل في الشكل والحركات التي تحقق ضبطاً صوتياً للمفردة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن كثيراً من المفردات والألفاظ كانت دراجة ومستساغة في أسماع العامة، وهذا بدوره يكفيهم عناء اللجوء إلى ذلك النظام.

أما فيما هو غير مألوف من المفردات اللغوية، كالألفاظ التي تختص بأسماء الأماكن والأشياء، أو الكلمات المؤتلفة في رسم خطها والمختلفة في لفظها، قد أظهرت براعة المعجميين في تبيان نطقها الصحيح، بأن جعلوا وصفاً ضابطاً لهذه الألفاظ باللجوء إلى استخدام النظام الصوتي للعربية، وتجلي ذلك بتشكيل المفردات بالحركات أي الصوائت (كسرة، ضمة، فتحة)، وهذا من شأنه أن يسهل نطق المفردة ويقدمها في أعلى مستوياتها الفونولوجية Phonology والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى في هذا البحث، بما اشتملت عليه المعاجم التراثية في هذا المضمار. ومن أمثلة ذلك عند الخليل بن أحمد قوله في معرض تفسير لفظة المطووعة، أي من يتطوعون بالجهاد: "المطووعة بكسر الواو وتثقل الحرفين..."⁽⁵⁾ وبهذا يكون قد جبّ عن هذه المفردة ظنون القارئ بأن منحه المفردة ونطقها. وليس هذا النهج عند الخليل وحده، بل سلكه المعجميون جميعهم، فثمة الكثير من الكلمات المؤتلفة كتابة والمختلفة نطقاً احتوتها معاجمهم وضبطتها ضبطاً دقيقاً يؤمن معها الزلل، فكلمة (رمل) تعني فتات الصخور، وهي كلمة تحمل معاني كثيرة، مع ثبات رسمها واختلاف لفظها، فمن معانيها الواردة في معاجم اللغة: الخطوط السوداء على ظهر الغزال، ويضبط ابن منظور لفظها بقوله: "الرمل، بضم الرّاء وفتح الميم"⁽⁶⁾ وهي وفق ذلك تنطق (الرمل).

شكّلت العناية النطقية لدى قدامى المعجميين قاعدة صلبة لتحقيق النطق الصحيح لمفردات اللغة، وهذا دلالة على أن العربية وإن كانت مألوفة عند أهلها الذين يتداولونها، فهي في الوقت نفسه غريبة عند غيرهم من الأمم التي اعتنق أبنائها الإسلام، ودخلوا بلاد المسلمين واستقرّ بهم المقام فيها، وعلى أي حال فهم ناطقون في الأصل بغير العربية، وكلّ منهم على اختلاف جنسه هو على لغة قومه التي رضع من مشاربها في سالف عهده، وقد يضطره تعلّمه للعلوم القرآنية أو العربية الرجوع إلى معاجم اللغة؛ للبحث عن معاني المفردات، فكثير منهم كانوا مشتغلين بارعين في علوم العربية، وهم أحوج ما يكون إلى قراءة

أو تلقي المفردة مضبوطة ضبطاً دقيقاً، حتى لا يقعوا في لحن القول. وهذا لم يكن حكراً على أولئك الناطقين بغير العربية، ربما تدعو الحاجة أبناء العربية إلى اللجوء إلى المعاجم للغرض نفسه، وبخاصة المشتغلون بعلوم التفسير والبلاغة.

3. التطور المعجمي في العصر الحديث

عاشت اللغة العربية عصوراً مظلمة بعد ازدهار ساورها عقوداً من الزمان، وشهدت تلك العصور المظلمة انحطاطاً علمياً، كان له أسبابه الداعمة: كالحروب الصليبية المتعاقبة على البلاد العربية، إضافة إلى القضاء على الحكم العربي والإسلامي في الأندلس، فأسهمت تلك الأسباب في ضرب المنظومة العربية الفكرية والعلمية، وأصبح اهتمام العرب بالعلوم والمعارف في خواء، كان له انعكاساته على نواحي الحياة جميعها، حيث استدامت هذه الحال عدة قرون متتالية عرفت بعصور الانحطاط، وكان لها تجلياتها على اللغة العربية التي باتت تنعى حظها كسائر العلوم التي للعرب نصيب وافر في ابتداعها أو العمل بها.

ومع دخول عصر النهضة الذي اُتسم بالحدثة والتطور، بدأت العربية تسترجع أنفاسها، وكان للمستشرقين جهود كبيرة في إخراج العربية من ركودها، إذ استهدف المستشرقون علوم العربية برمتها، وكان للحقل المعجمي نصيب من جملة اشتغالهم بالعربية، كالمعجم التاريخي للألماني (أوغست فيشر August Fischer) الذي يعدّ أول من أقدم على صناعة معجم تاريخي للعربية من المحدثين، حيث قضى زهاء الأربعين عاماً في جمع مادته، غير أن الموت هتف به قبل إتمامه، ليتمه غيره. وسار اليسوعيون على النهج نفسه، فأسهموا إسهاماً لا يستهان به، وكانت أعمالهم في صدارة المصنّفات الحديثة التي أرفدت العربية بذخيرة لا تنضب، لا سيما في المجال المعجمي، كمعجم أحمد فارس الشدياق " الجاسوس على القاموس ". حيث مثلت هذه الجهود البداية الحقيقية لنهضة التأليف المعجمي عند محدثي العربية، فتوالى الأعمال المعجمية التي أثرت المكتبة العربية وبعثتها من مواتها من جديد، وكان للمجامع اللغوية دورها المهم في إثراء وتجديد النشاط المعجمي، فكانت أهم إنجازاتها في هذا المضمار ما جاد به مجمع القاهرة بتصنيف أشهر معجم عربي حديث، هو " المعجم الوسيط " والذي أشرف عليه كوكبة من العلماء الضالعين، فصدرت أولى طبعاته سنة 1965م، وامتاز بأسلوب علمي جذاب؛ وذلك لاحتوائه على كثير من المواد المصوّرة التي من شأنها أن تخدم الباحث، ثم أدخل فيه وابل من المفردات المستجدة والمعربة، علاوة على سهولة البحث فيه؛ لأنه يسير وفق الترتيب الأبجائي. ثم توالى بعد ذلك الأعمال المعجمية الجماعية والفردية، التي رفعت من قدر العربية.

4. المعجم العربي في ظل التطور التكنولوجي المعاصر

ألقت التكنولوجيا الحديثة بظلالها على واقع الحياة المعاصرة، وشهد عصر النهضة العلمية الحديث تطوراً هائلاً في المجال التكنولوجي، فكان من أهم ما حققته البشرية من إنجازات هو اختراع الحاسب الآلي Computer في آخر النصف الأول من القرن العشرين، واقتضى اختراع الحاسوب إلى ابتكار شبكة الإنترنت (Internet) في خمسينيات القرن الماضي، وبلغ هذه التطور ذروته قبل انتهاء القرن العشرين بعقدين من الزمان، عندما تمّ تدشين الشبكة العنكبوتية العالمية World Wide Web، التي جعلت الإنترنت متاحاً للجميع، وبهذا حققت البشرية قفزة واثبة في عالم التكنولوجيا، جعلت معها العالم يبدو كقرية صغيرة.

وبهذا فالمعجم العربي شهد تحولاً ملموساً، وذلك بإدراك بعض الباحثين العرب أنّ إبقاء الثروة المعجمية العربية على ما هي عليه، لن يزيدها ذلك إلا جموداً وعزلة، في ظلّ الرّخم التكنولوجي الذي يشهده العالم. كما تطلّع هؤلاء إلى الإقبال المتزايد على تعلم العربية في العقود الأخيرة، مما حتم على المهتمين بالعربية النهوض بها، وإعادة توصيفها توصيفاً رقمياً يسهل من تعلمها، ويضفي عليها مرونة تتجاذب المقبلين عليها، وكان للمعجم الإلكترونيّ إسهام كبير في تحقيق ذلك، إذ أصبح من السهل البحث عن معاني المفردات في وقت قصير، وجهد قليل مقارنة مع استخدام المعجم الورقيّة، علاوةً على أنّ هذه المعجم تكفيهم عبء البحث في المعجم الورقيّة التي قد يضيع الباحث بين متونها؛ لعدم خبرته بمعرفة استخدام هذه المعجم.

والجدير ذكره أنّ المعجم العربية الورقيّة قديمها وحديثها تمّ رقمتها في الفترة الأخيرة، ونشرها بصيغ متعددة، كنسخ موافقة للمطبوع (PDF) وهي متاحة على الشبكة العنكبوتية (الويب)، أو على أقراص مدمجة (CD) وهي متوفرة بكثرة، كما حملت الهندسة الرقمية بعض الباحثين على إعادة النظر في هذه المعجم؛ ليقوموا بتصميم البرامج الإلكترونية التي تتيح خدمة البحث الحيّ في متون هذه المعجم المحوسبة، حيث أطلقت عنان البحث بحرية وسرعة فائقة، دون الرجوع إلى آلية استخراج المفردة بالطرق التقليدية التي تعتمد نظام القافية أو الترتيب الصوتي أو غيرها، وعوض عن ذلك بكتابة المفردة المراد استخراج معناها في أيقونة بحث، وما هو جدير بالذكر أنّها تقدم نتائج تتضمن كلّ ما يتعلّق بالبحث. ومن أشهر المدونات التي تقدّم هذه الخدمة " الموسوعة الشاملة" (7)

5. واقع المعجم العربية الإلكترونية

تمثّل اللغة موضوعاً متميّزاً ومثيراً للنسائل الهندسيّة، فاللغة كنظام معقد وهلامي لا يمكن السيطرة عليه، كما أنّ الهندسة بوصفها فنّ السيطرة على النظم المعقدة تقوم ببناء نماذج لكلّ المشاكل،

فبارتباطهما ظهر إلى الوجود مصطلح هندسة اللّغة الذي هو فرع من فروع هندسة المعرفة والذكاء الصناعي. يهتم بتطبيق تقنيات الهندسة على الظواهر اللّغوية، وينتج عنها برامج حاسوبية هدفها أتمتة علوم اللّغة واللّسانيات.⁽⁸⁾

وبرز من بين هذه البرامج معاجم اللّغة التي تتدرج ضمن ما يعرف باللّسانيات الحاسوبية، وهي تقوم على رقمنة اللّغات الطّبيعية متجاوزة كلّ التّعقيدات، محاولة إعادة توصيف جديد لنظم اللّغة؛ ليلائم مستجدات العصر، بعيداً عن فوضى اللّغة.

ومع انتشار استعمال الحاسوب والشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ودخول البشرية فيما يسمّى (مجتمع المعرفة)، برزت على السّاحة تطبيقات لغوية حاسوبية جديدة ومتنوعة، وهذه التطبيقات تعتمد في غالبها على المعجم، فعرف المعجم الإلكتروني أو (الحاسوبي) تطوراً كبيراً على صعيد الهيكله ومحتوى المداخل، وكذلك الخدمات المتطورة التي يمكن أن يسديها إلى المستخدم، مستغلاً في ذلك الإمكانيات الهائلة التي يوفرها الحاسوب من طاقة تخزين المعلومات المعجمية وسرعة البحث فيها واسترجاعها، وقدرة على معالجة البيانات متعدّدة الوسائط، فتطوّرت هذه الصناعة بسرعة فائقة، وأصبحت تنافس بصفة جدية مثيلتها التي تنتج المعاجم (الورقية).⁽⁹⁾

و رغم ما حققته المعاجم العربية الإلكترونية من انتشار في الآونة الأخيرة، إلّا أنّها تسير ببطء إذا ما قورنت بمعاجم اللّغات الحيّة الأخرى كالإنجليزية والفرنسية وغيرها، علاوة على أنّ المعاجم العربية في هذا الصّدّد تكاد تكون نمطية تعاني من رتابة منهجية، وهي في ذلك تنقسم إلى قسمين: أحادية تختصّ بمفردات العربية دون غيرها، ومتعدّدة اللّغات وهي أقرب إلى المترجمات التي تترجم المفردة من العربية إلى لغة أخرى، ولكن ما يدعو إلى الاستغراب في هذا الموضوع أنّ اللّغة التي تقابل العربية في تلك المعاجم تمتاز بميزات تفوق العناية باللّغة العربية، وأهمّ ميزة تفتقدها المعاجم العربية هي نطق المفردة.

وجهود إحداه معاجم إلكترونية عربية ما زالت بطيئة ومحدودة، وما أنجز في هذا الشأن، على أهميته، ما زال في حاجة إلى المزيد من التّعديل والتّطوير وإعادة البناء، فصناعة المعاجم الإلكترونية لم تزدهر بعد في السّياق اللّغوي العربي المعاصر، وأغلب المعاجم المحوسبة التي أنجزها العرب أحادية اللّغة، أو هي لا تقبل التّحميل، ولا تتوافر على طاقة تخزينية واسعة، ولا تسمح للمستخدم بتقديم مقترحات أو إضافة مصطلحات جديدة.⁽¹⁰⁾

وإنّ التّصور العام للمعاجم العربيّة الإلكترونيّة يفضي إلى أنّها لم تحقق الكفاية اللّغويّة الشّاملة بعد، كما هي عليه معاجم اللّغات الأخرى التي قطعت شأواً كبيراً في هذا المجال، فإنّ معظمها يفتقر لآليّة نطق المفردة العربيّة، إذ أصبحت هذه الآليّة ضرورة ملحة في الوقت الذي ينحصر فيه استخدام العربيّة الفصحى في جوانب ضيقة كالإعلام والصحافة والصّروح الأكاديميّة، في حين تغطي العاميّة على سبيل التّواصل بين جميع شرائح المجتمع. فالكثير من المفردات الفصيحة أصبحت غريبة عن الأسماع، ولعلّ الاقتصار على قراءتها من المعاجم دون سماع نطقها يؤدّي إلى لفظها بطريقة غير صحيحة، فالتّقيب عن معناها لم يعد مغنياً عن سماعها إن كانت غريبة عن المألوف اللّغويّ، خصوصاً إن كان الباحث ناطقاً بغير العربيّة. ومن الملاحظ أنّ جلّ المعاجم الإلكترونيّة الأجنبيّة تعنى عناية فائقة بنطق مفردات ذخيرتها اللّغويّة، من باب الاهتمام في تحقيق الأفضلية لسماع المفردات بطريقة سليمة خالية من عيوب اللّفظ التي تشوّه الكلمات وتجعلها غير مفهومة.

ولعلّ غياب الجهود المشتركة على الصّعيد العربيّ من أجل تحقيق مستوى أعلى للمعاجم الإلكترونيّة، رشح عنه ازدياد المساعي الفرديّة في التّوجه نحو ابتكار هذا النوع من التّقنيّات، وهذا بدوره أدّى في المقابل إلى غياب الوعي اللّسانيّ عن هذه التّقنيّات، وذلك بفقدان الوحدات المعجميّة ومكوناتها الصّوتيّة والدلاليّة إلى غير ذلك ممّا يقوم عليه بناء المعجم. يقول الدّكتور عزّ الدين البوشيخي " فالمعجم، إذن، ليس قائمة من الكلمات تدرج كيفما اتفق، وترتّب كيفما اتفق؛ وإنّما هو نسق من العلاقات التركيبيّة والصّرفيّة والدلاليّة القائمة بين الوحدات المعجميّة، ومنضبط بمبادئ عامّة تحكم تنظيم موادّه وبناء علائق نسقيّة بينها".⁽¹¹⁾

ولما برزت أهميّة المعجم الإلكترونيّ في الأوساط العلميّة والمجتمعيّة، طرأت جهود شركة طرحت بعض المشاريع الضّخمة في سبيل بناء معجم إلكترونيّ، حيث أولت الأمر عناية خاصّة، وعملت على توفير ما يحتاج من موارد بشريّة ومقدّرات ماديّة، ويمثّل هذا الجانب ما قام به الباحثون في مدينة الملك عبد العزيز في السّعودية من بناء معجم إلكترونيّ أطلق عليه "معجم اللّغة العربيّة التّفاعليّ"، وهذا يمثّل جانباً من صحوة الاهتمام بالعربيّة التي أضحت معالجتها الآليّة من أولويّات البحث العلميّ العربيّ، يقول عزّ الدين غازي: " إذا كانت التّجارب المعجميّة العربيّة قد بيّنت أنّ العربيّة كلغة طبيعيّة قد مكّنت الإنسان العربيّ من متابعة جميع التّطوّرات الكونيّة في جميع المجالات، وأنّها لا زالت في أخذ وعطاء مع الحضارات العالميّة، فقد بات من الضّروريّ بناء معجم موسوعيّ، يستوعب ماضي الأمتة من تراكيب ومفردات ومصطلحات علميّة، كما أنّه لا بدّ من تكييف هذا البناء بالمستجدات التكنولوجيّة السّريعة حتّى تسائر التّقدم العلميّ"⁽¹²⁾

يبدو أنّ واقع المعاجم العربية الإلكترونية ما زال في حاجة للعمل الجادّ، فالمعجم الورقيّة التي تمّ حوسبتها، هي في الحقيقة ليست معاجم إلكترونيّة بالمعنى الحقيقيّ؛ لأنّها لا تقبل التّحديثات، ولا تقدّم بيانات تفصيلية عن المفردة كما تقدّمه المعاجم الإلكترونية، ولعلّ من أهمّ الحلول لتلافي هذه الإشكاليّات مواكبة التطوّر التكنولوجيّ الذي من شأنه أن يسهم في بناء معاجم إلكترونيّة ناطقة، تتوفّر فيها صفات المعجم الشامل.

والى جانب هذه المشكلات فقد تطوّرت صناعة المعجم عالمياً من حيث الترتيب واختيار المداخل وكيفية عرض المادّة، وصارت له تقنيّات وأسس محدودة من حيث الشّكل والموضوع. ومع ذلك فما زال معجمنا العربيّ مشدوداً إلى الماضي، وما زال معجميّونا حين يريدون وضع معجم حديث تشدّهم تجربة العرب الموهلة في القدم، ممّا يبعدهم عن الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجمات. (13)

في الواقع، تعدّ المعاجم الإلكترونية أكثر مرونة من مثيلاتها الورقيّة، إذ تتيح لمستخدميها كثيراً من الخدمات المتعدّدة الوسائط، كعرض المقاطع الصوتيّة المعبّرة عن بعض المفردات، وكذلك عرض الرّسومات والصّور، كما أنّها تقبل التّحديثات المستمرة، واللافت في الأمر أنّ اللّغة العربيّة لغة حيّة ومنتامية بشكل مطّرد، وإنّ الاقتصار على المعاجم التقليديّة حتّى بعد حوسبتها لا يحلّ مشكلة أمام فيض المفردات المستجدة على العربيّة في عصر كثر فيه الاختراع والابتكار، فأصبح من الضّروريّ احتواء هذه المفردات وإيجاد مرادفات لها، وإدراجها ضمن المعجميّة العربيّة، وهذا لا يعني إهمال المعاجم العربيّة الورقيّة قديمها وحديثها، إذ إنّ وجوه الاستفادة من هذه المعاجم يشكّل النّواة الأساسيّة لبناء المعجم الإلكترونيّ، والحقّ إنّ فيها جهداً عظيماً، ولكنّ الضّرورة تقتضي النّظر فيما طرأ على اللّغة سواء كان معرباً أو مولداً أو دخيلاً، في أيّ عصر وزمان.

ويمكن القول إنّ المعجم العربيّ الإلكترونيّ معجم شامل، وهو امتزاج للمادّة المعجميّة في المعاجم العربيّة على اختلاف مدارسها وتكويناتها، فالمعاجم الإلكترونية من شأنها أن تسهم في تقديم المحتوى اللّغويّ بشكل مطّرد، قابل للإعادة في كلّ لحظة، ومن خلال ذلك يمكن إتقان المطلوب بسهولة ويسر. وقد بات من الضّروريّ بناء معجم عربيّ إلكترونيّ شامل، فالعربيّة تزخر بعدد هائل من المداخل المعجميّة، كما يؤكّد الدّكتور إبراهيم عبد المجيد أنّ: " الحاجة إلى المعجم ملحة دائماً بالنّسبة إلى دارسي اللّغة، فضلاً عن أهميّتها لكلّ من يتكلم باللّغة، فاللّغة تتكوّن من ثروة ضخمة من الكلمات التي لا يمكن أن يحيط بها فرد واحد من أفراد المجتمع، مهما بلغ حرصه على استقصاء هذه الكلمات، فقدره الفرد

على استيعاب المفردات محدودة، ومن ثم فإنّ كمّاً - قليلاً أو كثيراً- من الكلمات والدلالات يظلّ مجهولاً لهذا الفرد أو ذاك، ويختلف هذا المجهول قلّة وكثرة باختلاف الأفراد".⁽¹⁴⁾

1.5. الانجازات العربية في ميدان المعجم الإلكتروني

وللعرب بعض الإنجازات في ميدان المعجم الإلكتروني، وهي في أكثرها تجارب تتبع لبعض الشركات الربحية، أو يتبناها أفراد، ولعل العمل المشترك أقلها حظاً، ونجمل أهم بعض هذه الإنجازات وفق الآتي:

1.1.5. معاجم شركة صخر الإلكترونية

كان لشركة صخر⁽¹⁵⁾ - التي اتخذت من القاهرة مقراً لها- أهمية بالغة في إحداث نقلة نوعية في حوسبة اللغة العربية، حيث قامت الشركة بتطوير بعض التقنيات المعلوماتية التي ساهمت في معالجة اللغة العربية معالجة آلية، كما أنها تبنت كثيراً من الأعمال الفردية في هذا المجال. وقدّمت مجموعة من البرامج تقوم على خدمة اللغات لا سيما العربية، وأهمّها "قاموس صخر"، وهو بمثابة مترجم آلي يترجم مصطلحات ومفردات العربية للغات الأخرى، كما قدّمت أيضاً خدمة القارئ الآلي (Optical Character Recognition) الذي يمكنه التعرف على حروف اللغات ومن ثمّ يقوم بقراءتها، إلى غير ذلك من البرامج الرائدة في حوسبة اللغة، وصولاً إلى ابتكار البرامج الآلية التي تساعد المكفوفين. ولكن لا بد من الإشارة إلى أنّ عمل هذه الشركة وغيرها مبنيّ على أسس تجارية، ولا شكّ أنّها تتبنيّ بعض أعمال الأفراد في هذا الميدان، إلا أنّ هدفها من وراء ذلك جمع الأرباح.

2.1.5. معجم الغني الإلكتروني⁽¹⁶⁾ للدكتور عبد الغني أبو العزم

هو معجم عربيّ يحتوي على أكثر من ثلاثين ألف مادة، ومئة وخمس وتسعين ألف كلمة مشتقة، حيث رتبه أبو العزم ترتيباً ألفبائياً، احتوى تصميمه على مسرد موادّ ومشتقات، ومن ميزات أنه يحدّد الكلمات العربية ويظهر المعرب والدخيل، وهو سهل الاستخدام نظراً لما يتمتع به من خيارات البحث، إذ يحتوي على أيقونات ترشد الباحث لاستخدامه بالشكل الصحيح. يقول الدكتور عمر مهديوي: "يعدّ الأستاذ عبد الغنيّ أبو العزم عميد الدراسات المعجمية المعجمية بالمغرب بامتياز، لما أنتجه من معاجم ودراسات قيّمة أغنت الخزانة المغربية العربية... ويعدّ معجم الغنيّ أشهر معجم عربيّ محوسب، حظي بالسمعة والتداول ما لم يحظ به غيره من معاجم العربية المؤلفة حديثاً، فهو يتميز بخصائص معجمية ومعجمية قلّما توجد في معجم آخر، فقد عبّ من معين التقنيات اللسانية عامّة، وتقنيات الصناعة المعجمية والآلية خاصة، حيث تجاوز الكثير من المعاجم الحديثة، سواء على مستوى الشكل أو

المضمون، مما يجعله بحق مصدراً لا غنى عنه في صناعة معاجم إلكترونية للغة العربية⁽¹⁷⁾. ويمثل هذا المعجم دور الباحث العربي المختص في المجال المعجمي، ويبرز الدور المبذول في سبيل بناء معجم عربي إلكتروني، ومع ذلك فإن مثل هذه الأعمال تظل في ريادة العمل المعجمي، الذي لو كتب لها أن تستثمر على الصعيد الرسمي المشترك عند العرب؛ لحققت مزيداً من النجاحات.

3.1.5. معجم الباحث العربي الإلكتروني⁽¹⁸⁾

وهو من المعاجم العربية الإلكترونية التي تعتمد في مداخلها على الذخيرة اللغوية الموجودة في بعض المعاجم التراثية، وقد استمد مادته اللغوية من: (لسان العرب لابن منظور، ومقاييس اللغة لابن فارس، والصحاح في اللغة للجوهري، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، والعباب الزاخر للصغاني). ويمتاز هذا المعجم بميزات تكاد تكون سابقة في حوسبة المعاجم التراثية، فهو بمجرد وضع المفردة للبحث عن معناها ثم الضغط على أيقونة البحث، يقدم نتائج مرتبة ترتيباً متسلسلاً حسب وجودها في المعاجم المذكورة، ويشتمل هذا المعجم على أكثر من واحد وثلاثين ألف مادة، وأكثر من أربعة ملايين كلمة. ومؤسس هذا المعجم الباحث العربي: (رائد نعيم)، يقيم في مدينة ميونيخ بألمانيا، وقد صممه كخدمة للباحثين في مجال العربية، وهذا يعكس مدى الاهتمام الفردي باللغة العربية، ويدل دلالة واضحة على أن هذه اللغة لغة حيّة قادرة على مواكبة التطورات المعلوماتية الحديثة. فالمعاجم التراثية رغم تعقيدات آلية الاستخدام التي تكتنف بعضها في استخراج معنى المفردة، إلا أنه أصبح بفضل التكنولوجيا الحديثة الاهتمام إلى كل ما يتعلق بالمفردة المدونة في متونها لا يحتل بضع ثوانٍ.

4.1.5. معجم اللغة العربية التفاعلي⁽¹⁹⁾

معجم اللغة العربية التفاعلي ثمرة جهد وتعاون بين عدد من الباحثين والمهندسين والخبراء في المعلوماتية واللغة العربية، في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا بدمشق، رعته كل من مدينة عبد العزيز للعلوم والتقنية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو)؛ ليصبح معجماً تفاعلياً على الويب للغة العربية⁽²⁰⁾.

يعدّ هذا المعجم من المعاجم الأحادية التي تختص بالعربية، وله من المميزات ما يجعله في المقام الأول من المعاجم العربية الإلكترونية التي تحسب من الأعمال المشتركة، إذ يحتوي على رسومات وصور وأصوات من شأنها أن تحقق أغراضاً توضيحية حول المفردة، كما أنه يتناول الكلمة من حيث الاشتقاق والجذر، ويعنى بالتراكيب اللغوية والأخطاء الشائعة. إلا أن هناك بعض العوائق تعترض طريق هذا المعجم كما يوضحها الأستاذ مراد لوكام: " إدماج الوسائط المتعددة (الصور، الرسوم، الأصوات، مقاطع الفيديو)

في المعجم يعدّ بكلّ تأكيد من الأعمال التي تتطلب جهداً كبيراً، بل نعده بحق مشروعاً في حدّ ذاته، والصّعوبة لا تكمن بالطبع في كيفية إدخال المادّة (صوت وصورة) فذلك أمر بسيط نسبياً، بل الصّعوبة تكمن في مصادر اقتناء هذه المادّة، صحيح يمكن اللجوء لاستعمال الصّور والأصوات الموجودة على الإنترنت، لكن يجب أن نذكر بأنّ معظم هذه المادّة تعدّ ملكيّة فكريّة، تحفظها قوانين حماية التّأليف، وبالتالي لا يمكن النّصرّف فيها بحريّة" (21)

وهدف النّظام البرمجيّ إلى توفير معجم أحاديّ اللّغة موجّه للناطقين بالعربيّة ومتعلّميها، يفيد الطّلاب وعامّة المثقّفين والكتّاب، فهو يقدّم قاعدة معرفيّة ذات مستويات متعدّدة: صرفيّة ومعجميّة ودلاليّة، فضلاً عن عدد من الإحصائيّات اللّغويّة، يفيد منها كلّ من اللّغويّين والمعلّوماتيّين. (22)

وبما أنّ هذا المعجم يشتمل على آليّة تدشين المقاطع الصّوتيّة المرافقة لبعض المفردات كعامل توضيحيّ، والتي تدلّ على أصوات الأشياء كصوت الرّعد والرياح... فمن الأولى أن يدشن هذا المعجم بأصوات المفردات التي تشكّل ذخيرته اللّغويّة، حتّى تخدم الناطقين بالعربيّة وغير الناطقين بها، خصوصاً المقبلين على تعلّمها. صحيح أنّ الرّجوع إلى الكلمة في هذا المعجم قد يكون سهلاً، غير أنّ الباحث قد يخطئ في تهجّتها إن كانت من الكلمات الغريبة أو أسماء الأعلام والأماكن، وربّما تكون نسبة هذا الخطأ أعلى بكثير إذا لجأ لهذا المعجم بعض الباحثين من الناطقين بغير العربيّة.

وتعدّ هذه المعاجم نماذج تمثّل دور الشّركات التّجاريّة والأفراد والجماعات، وهي من عشرات المعاجم التي تمّ بناؤها لخدمة العمل المعجميّ العربيّ، وقد انتشر معظمها على شبكة الإنترنت، فكان من ضمنها عدد كبير من المعاجم الآليّة المترجمة تستخدم كمترجمات آليّة فوريّة، من العربيّة إلى اللّغات الأخرى. إنّ واقع هذه المعاجم بنوعها الأحاديّ أو متعدّد اللّغات لم يغدّ بخدمة القراءة الآليّة للمفردة العربيّة، في حين أنّك تجد عكس ذلك تماماً في تعاملها مع مفردات اللّغات الأخرى، فهي وإنّ أطلق عليها معاجم أو قواميس ناطقة، فهذه الخدمة تكون خارج نطاق اللّغة العربيّة، على الرّغم أن نطقها آلياً من أسهل اللّغات من النّاحية الصّوتيّة، كونها تنطق كما تكتب غالباً.

ولا ينسى في هذا الخضم دور الشّركات العالميّة المرتبطة بخدمة البحث على الشّبكات العنكبوتيّة، فإنّ لها دوراً كبيراً في خدمة كثير من اللّغات العالميّة، من خلال إتاحة المترجمات الآليّة المصحوبة بنطق المفردات، والقراءة الآليّة للنصوص أيضاً، ومن أهم هذه الشّركات: الشركة الأمريكيّة الشهيرة (جوجل Google) التي أطلقت مترجماً يحمل اسمها. ويعتمد مترجم جوجل (23) على أسلوب التّرجمة الآليّة الإحصائيّة، غير أنّ هذا البرنامج يقوم على التّخمين - في الغالب - حيث ينتج عنه ترجمات مضلّلة

وخاطئة في بعض الأحيان، ويمتاز بعدد اللغات التي يعنى بترجمتها، إذ بلغت زهاء السبعين لغة. وهذا لا يعنينا في بحثنا هذا بقدر ما تُعِيننا قدرته على نطق المفردة العربية والتعامل معها. وتكمن خطورة هذا المترجم في نطقه للمفردة العربية بطريقة غير منضبطة ضبطاً يناسب لفظها الصحيح. وقمت باستقراء بعض النتائج في هذا المترجم، تمثلت بوضع المفردة الإنجليزية وترجمتها إلى العربية وسماع النطق لكلا اللغتين، فكلمة (Student) سيقابلها بالعربية طالب أو طالبة. فعند سماعها بالعربية كان نطقها (طالِب) وهذا ينصرف من الاسم إلى الفعل. وعند قراءة بعض المركبات كترجمة (Long night) بمعنى (ليل طويل) فإن نطقها يكون وفق قراءة المترجم (لَيْلٌ طَوِيلٌ) فإن هذه القراءة الآلية لا تراعي التسق التركيبي والتحويلي للعربية، فهي قراءات غير واعية في مجملها.

6. المأمول في بناء معجم عربي ناطق

أتاح المعجم الإلكتروني الفرصة أمام الباحثين والمُعجميين لإعادة بلورة الحقل المعجمي العربي وفق العلوم اللسانية الحديثة، وفتح لهم باب التجديد والتحديث المعجمي على مصراعيه، وبفضل جهودهم لم يُعجز العربية ذلك الكم الهائل من المفردات والمصطلحات التي ولدتها عجلة التطور والحدثة، فالعمل المعجمي الحاسوبي تكفل في استيعاب ما جد وما سيجد على اللغة، ولعل هذه الميزة من المستجدات على الساحة المعجمية.

ويعدّ المعجم نموذجاً للكفاية اللغوية لدى المتكلم (في دماغه البشري). وهو عبارة عن منظومة من الوظائف المسجلة في الكفاية المعجمية على شكل متواليات لغوية يصطلح عليها في علم المعجم بـ "المداخل المعجمية". إنه لائحة طويلة من المفردات مقترنة بمعطيات، ومرتبّة ترتيباً خاصاً. وتدعى هذه اللائحة من المفردات بالمدونة أو المتن. والمعجم عبارة عن زوج: المفتاحية والمعطيات، يقصد بالمفتاحية المفردة في المعجم، وبالمعطيات المعلومات الصرفية والتحويلية المقدمة عن كلّ مفردة، وقد تكون مستننة أي مشفرة. أو عبارة عن قاعدة.⁽²⁴⁾

وفكرة بناء معجم إلكتروني عربي موحد هي في مقدمة المطالب العربية التي طرحت على طاولة النقاش البحثي منذ سنوات، حتى يكون مرجعاً يحقق كفاية لغوية، ويواكب متطلبات العصر الذي ساد فيه انتشار الحوسبات اللغوية. والمعاجم الإلكترونية العربية على اختلاف أنواعها ما زالت بحاجة إلى تطوير، فهي إذا ما قورنت بمعاجم اللغات الأخرى تبين أنها ما زالت تفتقر إلى كثير من المميزات والضروريات التي من شأنها أن تقدم اللغة في أفضل مستوياتها. وأهم ميزة تفتقدها المعاجم العربية الإلكترونية آلية نطق المفردة العربية. وبما أن البرمجيات الحاسوبية أصبحت متوفرة علاوة على أنها تتيح

لمستخدميها إمكانيات كبيرة، من شأنها أن تستوعب كمّاً كبيراً من النظم المعلوماتية وأصبح التعامل معها سهلاً بفضل وجود طواقم الهندسة الرقمية، فليس هناك ما يقلق في هذا الشأن. ويرى الدكتور إبراهيم عبد المجيد أنّ المعجم المحوسب: " فرصة لأن يتوجّه إلى أكثر من نوعية معينة من المستخدمين، وإلى أكثر من مستوى، ولتأدية أكثر من هدف، وذلك لقدرة المعجم المحوسب على أداء الوظيفة التي تطلب منه . والمعجم المحوسب يتخذ الشكل الذي تريده، والهدف الذي تسعى إليه " (25)

إذن فالمعجم الإلكتروني المحوسب يفرض واقعاً معجمياً جديداً، تكون معه اللغة العربية أكثر ريادة؛ لإمكانية تطويعه حتى يحقق ما عجزت المعاجم الورقية عن تحقيقه، بحيث تسجل العربية حضوراً في عالم الحوسبة الرقمية الحديثة. ولما كانت تعاني المعاجم العربية الإلكترونية بجمالها من الافتقار لميزة نطق المفردة العربية وهو ما يقصد به تهجئة المداخل المعجمية صوتاً، على الرغم من تعدد المعاجم العربية الأحادية أو متعددة اللغات فإنها لم تراع هذه الميزة التي أصبحت ضرورة ملحة، وغيابها لا ينسجم مع ازدياد الإقبال على تعلم اللغة العربية، سواء من أهلها أو من الناطقين بغيرها. ولا بدّ للقائمين على المعاجم العربية الإلكترونية من التنبيه إلى هذه المعضلة التي باتت تشكل عائقاً أمام المتعلمين المبتدئين للعربية على وجه التحديد، وفي الحقيقة لا يقتصر نطق المفردة على هذه الفئة فحسب، بل إنّ هناك كمّاً كبيراً من المفردات العربية يحتاج الباحث إلى سماعها خاصة إذا كانت غير مشكّلة بالحركات .

وقضية نطق المفردة العربية في المعاجم الإلكترونية لم تُطرح طرْحاً جاداً، وربما كان السبب في ذلك ضبط المفردة بالشكل والحركات التي من شأنها تمنع التّحريف والتّصحيف . إلا أنّ كثيراً من المعاجم الإلكترونية لم تُول هذه الخاصية عناية، ولعلّ هذا ما يعرف بالنّظام الصوتي أو الكتابة الصوتية، وسبقت الإشارة إلى أنّ المعاجم الورقية عيّنت بمثل هذا النّظام في بعض مداخلها، وفي هذا يقول حميد مطيع العوضي " كانت تنص أحياناً على التّعريف الصوتي بالكلمات، كأن تصف حركات الفعل أو الاسم، وضبط الشكل، وهذا المنهج فضلاً عن قيامه بالتّعريف النّطقي، فإنّ له دوراً في حفظ اللفظ وصيانته من التّصحيف والتّحريف، وهما ظاهرتان استفحل أثرهما الضارّ في المعجم العربي، فكانتا مغمزاً على المعاجم القديمة والحديثة على حدّ سواء" (26)

أمّا دارسوا العربية لم يكونوا بمأمن عن الأخطاء اللغوية الشائعة التي يعنقد كثير من المتعلمين أنّها صواب من صميم اللغة. ويبدو أنّها تمتعت بهذا القبول للكثرة ورودها في نصوص اللغة، ومن أمثلة ذلك كلمة (عنوة) بفتح العين، وهي بمعنى (قسرا)، وقد تجد كثيراً حتى من بعض اللغويين يلفظها (عنوة) بضمّ العين، وهذه تحسب من جملة الأخطاء الشائعة، لذا فإن نطق المفردات في المعاجم الإلكترونية سيكون

بمثابة تصويب الأخطاء أيضاً. فالناطقون بغير العربية عند لجوئهم إلى هذه المعاجم سيحققون إضافة لمهارة الكتابة مهارة السماع أيضاً، وبهذا يستطيع من يلجأ إلى هذه المعاجم خاصة من المبتدئين أو من الدارسين لعلوم غير العربية تمييز الاسم من الفعل، وهذا يتم بفضل سماع المفردة إذا وردت في غير سياق نصي. فمثلاً كلمة (طَابَق) تأتي فعلاً بمعنى (ساوى)، وكذلك تأتي اسماً (طَابَق) بمعنى (الدور في البيت، أي طبقة من عدة طبقات) فإن لم ترد هذه المفردة في سياق يضمن تحقيق معناها بلا لبس؛ فإن ذلك سيؤدي إلى خلق أزمة اصطلاحية عند بعض الهواة من غير الناطقين بالعربية، تحديداً الذين لديهم هوية الإلمام بمفردات العربية وحفظ أكبر عدد منها.

1.6. شروط بناء المعجم العربي الإلكتروني في إطار منظومة موحدة

وبناء معجم عربي إلكتروني ناطق في إطار منظومة موحدة لم يكن سابقة في عالم الحوسبة اللغوية. بل إن كثيراً من معاجم اللغات الحية يتوفر فيها آلية نطق المفردة وبجودة عالية كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية. وليس هناك ما يمنع أن يكون المعجم العربي المرجو تكوينه متعدد اللغات. بل إن في ذلك خدمة للعربية يستفيد منها غير الناطقين بها ولا يتحقق بناء مثل هذه المعاجم إلا إذا أصبح العمل به جماعياً في إطار منظومة موحدة. وحتى يتحقق ذلك لا بد من توافر بعض الشروط التي تعد ركائز أساسية في إنتاج هذا العمل، وأهم هذه الشروط:

1.1.6. استقراء واقع المعاجم العربية الإلكترونية

يحتاج استقراء واقع المعاجم العربية الإلكترونية إلى رصد هذه المعاجم والبحث في مضامينها من أجل الوقوف على مواطن القصور فيها، وما يعترضها من ثغرات تحول بينها وبين أن تكون في صدارة الحوسبة اللغوية العالمية. وبعد تشخيص واقع هذه المعاجم يمكن التعامل معها وفق آليات محددة تقضي تطويرها أو الانطلاق منها لبناء معاجم أخرى، وهي بهذا ستكون نقطة انطلاق نحو تحقيق الأفضل. ويمكن للمختصين في هذا المجال تحديد المشاكل التي تعترض تكوين هذه المعاجم بصورة متكاملة، ويمكن الاستعانة بمعاجم إلكترونية للغات حية أخرى غير العربية من أجل الاطلاع على مكوناتها وآلية عملها، إذ ينعكس ذلك إيجابياً على المعاجم العربية التي أصبح من أهم التحديات التي تواجهها مشكلة الحوسبة التي تسهم في رفع مكانتها عالمياً؛ لأن علم الحاسوب الآلي أصبح من أهم وسائل علم اللغات، وهذا ما يرنو إليه الباحثون العرب في نقل تعلم اللغة العربية من الطرق التقليدية إلى الطرق الحديثة التي تواكب ما توصلت إليه البشرية حديثاً. وليس هناك أدنى شك في أن إعادة النظر في تلك المعاجم من شأنه أن

يمدّهم بمعرفة المشكلات التي تكمن فيها. كما أنّ استقراء واقع المعاجم الإلكترونية من أجل تحقيقاً لآلية النطق بالعربية يجب أن يُبحث في جانبين:

1.1.1.6. ضبط نطق المفردة ضبطاً صحيحاً يوافق خطّها ونظامها الصوتي

يمثل هذا الجانب (مترجم جوجل) الذي يعد نموذجاً أعلى رداءة نطق المفردة العربية، ولا بد لهذا المعجم الذي اكتسب رواجاً عالمياً أن يعاد تشيئنه بنطق المفردة العربية نطقاً صحيحاً، وذلك بإعادة صياغة المدخلات العربية عن طريق مختصين من البلاد العربية، وتطوير برامج الذكاء الاصطناعي من أجل تحقيق هذه الغاية.

2.1.1.6. تغذية المعاجم العربية الإلكترونية بأصوات المداخل

أصبح من المعروف أنّ معظم المعاجم العربية الإلكترونية لا تتوفر فيها آلية النطق بالعربية، ومن هنا، يستلزم تغذية هذه المعاجم بصوت المفردة حتى يتسنى نطقها آلياً، وتزويد هذه المعاجم بالنطق ليس مستحيلاً؛ لأنّه سبق تزويد بعضها بأصوات اللغات الأخرى، وإن كان يتطلب جهداً كبيراً.

2.1.6. تكليف الخبراء والفنيين

من أهم عوامل نجاح المعاجم الإلكترونية الحديثة هم الخبراء والفنيون الذين يقومون بإنشاء المعاجم وإخراجها بطريقة يسهل التعامل معها . ويقسم الخبراء إلى ثلاثة، وهم :

1.2.1.6. خبراء اللغة

يعدّ خبراء اللغة أهم عوامل نجاح بناء المعجم الإلكتروني؛ لذا فإنّ انتقاء اللغويين سيتمّ على أساس الكفاءة في علوم العربية، إضافة إلى التميّز في العلوم اللسانية التي تشكّل محوراً مهماً من محاور بناء المعجم .

2.2.1.6. خبراء فنيون

يحتاج بناء المعجم الإلكتروني إلى خبراء ومهندسين في مجال علم الحاسوب، فهم ينشئون قواعد بيانات المعجم، ويكوّنون المداخل والمخارج المعجمية. وهم قادرون أيضاً على تزويد المعجم بآلية نطق تحاكي المعاجم الأخرى المزودة بهذه التقنية.

3.2.1.6. المختصون في العلوم والمعارف العامة

ليس سهلاً أن يناطق العمل المعجمي الإلكتروني بلغويين وفنيين دون مختصين في المعارف العامة. ولعلّ استقطاب العلماء من مختلف التخصصات يسهل مهمة العمل في مدخلات المعجم التي تحتاج إلى ضبط لغوي تامّ . فدارس العربية قد يفوته سماع مصطلح في علم الكيمياء أو في علم الجغرافيا، ومن

الطبيعي أن تكون الموارد البشرية التي يحتاجها إعداد المعجم على دراية فائقة في مجالاتها العلمية، كون جميع مدخلات المعجم يجب أن تكون مضبوطة ضبطاً صحيحاً بعيداً عن اللحن أو الرطانة.

3.1.6. تضافر الجهود العربية والإسلامية

لا يتحقق تكوين المعجم العربي الإلكتروني الناطق دون تضافر الجهود والمشاركة العربية والإسلامية في أطر موحدة، ويتم هذا وفق رؤية عربية إسلامية موحدة لاستقطاب الخبرات، فالعمل المشترك يستوجب ضرورة إشراك الجامعات اللغوية في الأقطار العربية كافة، وكذلك الهيئات العلمية، والمنظمات العربية والإسلامية المختصة في المجالات العلمية، كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو)، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو). إلى جنب ذلك يمكن تسخير الطاقات العلمية في الجامعات العربية التي يتوفر فيها المخابر اللغوية، والشخصيات العلمية البارزة في هذا المجال.

خاتمة

تشح الدراسات التي تتناول بالدراسة قضية النطق في المعاجم العربية المحوسبة التي يفترض أن تكون ناطقة بالعربية، ومع ذلك أظهر هذا البحوث والمعاجم العربية الإلكترونية وما يعتمدها من نقص، كما أنها برز الدور الكبير الذي قدمه المعجميون القدامى في خدمة معجمهم العربي رغم ضعف الإمكانيات في ذلك الزمان، إذ قدموا نموذجاً معجمياً سيظل في المقام السامي من العربية، فقاموا بدورهم على أكمل وجه دونما تقصير، هذا دورهم، أما دور أبناء العربية اليوم فهو مختلف تماماً، فقد ساعدتهم عجلة التطور، ومنحهم التقدم العلمي كثيراً من التقنيات التي يمكن أن تستثمر وتطوع في خدمة العربية، حتى تصبح من اللغات المحوسبة وفق أسس لسانية حديثة. ويمكن تنويع أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذا البحثي النقاط الآتية:

- 1- ملاحظة ازدياد اهتمام علماء اللسانيات العربية مؤخراً بعلم اللسانيات الحاسوبية، واستثماره في خدمة العربية، وبعد هذا فتحاً مبيناً في مجال أعمال الدراسات التطبيقية على بعض فروع العربية.
- 2- حقق علماء العربية بعض الإنجازات في ميدان المعجم العربي الإلكتروني، وتمخض عن ذلك إنشاء معاجم عربية إلكترونية متعددة الأصناف.
- 3- مازجت المعاجم العربية الإلكترونية بين المعاجم التراثية والمعاجم الحديثة من حيث استثمار الذخيرة اللغوية.
- 4- تتسم المعاجم العربية الإلكترونية بسهولة الاستخدام، وتقليل الجهد في سبيل استخراج المعاني، في حين كانت المعاجم التقليدية (الورقية) تحتاج إلى درية ومراس من أجل التعامل معها

- 5- إنَّ أهمَّ العوائق التي تقف أمام تطوير المعاجم العربيَّة الإلكترونيَّة يكمن في اتِّباعها لشركات خاصَّة وريحيَّة بدرجة أولى.
- 6- تعاني المعاجم العربيَّة الإلكترونيَّة من عدم توفُّر آليَّة نطق المفردة العربيَّة نطقاً آلياً كما في المعاجم الغربيَّة.
- 7- وجود بعض المعاجم العالميَّة الإلكترونيَّة الناطقة للمفردة العربيَّة كمترجم (جوجل)، إلا أنه يتسم برداءة اللفظ، ولم يراع النسق الصحيح للعربيَّة.
- 8- معظم المعاجم العربيَّة الإلكترونيَّة تمَّ إطلاقها بجهود شخصيَّة، وتمثَّل ذلك بتوقفها عند حدود معيَّنة؛ لأنَّ تطويرها يحتاج إلى إمكانيات مادِّيَّة ضخمة.
- 9- ظهور بعض المعاجم الإلكترونيَّة التي تبنتها بعض الدول العربيَّة كالسعودية وبعض دول المغرب العربيِّ، ولكن ما يمكن الإشارة إليه في هذا المضممار أنَّ هذه الدَّول تعمل منفردة دون توحيد للجهود.
- 10- غياب المرجعية العربيَّة، والجهود الحقيقيَّة في إيجاد الحلول المناسبة لإنشاء معجم عربيِّ إلكترونيِّ موحد، وقد اكتفتْ بعض الأطفار العربيَّة بإطلاق بعض المعاجم الخاصَّة بها، دون إعطاء فرصة الشراكة لدول عربيَّة أخرى.
- 11- عدم استقراء واقع المعاجم العربيَّة الناطقة يعدُّ أحد أهم الأسباب التي تحول دون تطوير وتحسين تلك المعاجم المتعددة، لهذا السبب حرم المعجم العربيِّ من آليَّة النطق التي تخص المفردة العربيَّة، في حين أنَّ المعاجم الغربيَّة كالإنجليزيَّة والفرنسيَّة وغيرهما تتمتع بآليَّة نطق عالية الجودة.
- 12- إنَّ أهمَّ السبل المفقودة لتطوير المعاجم العربيَّة الإلكترونيَّة هي توحيد الجهود العربيَّة في إطار منظومة موحَّدة، كما أنَّ عدم الاستعانة بغير العرب أيضاً من أصحاب الخبرات في هذا المجال أسهم في عدم تحسين جودة تلك المعاجم من ناحية فنيَّة.

Adjusting the spoken Arabic truly in the spoken electronic dictionaries through a unified framework between reality and aspiration

Abstract:

Computational linguistics achieved a remarkable progress for the natural language service . One of the most important aspect in this regard, the electronic dictionary which has high flexibility. Since the dictionary was the secure warehouse for linguistic lexicon heritage of every nation to preserve its heritage ,nations carefully paid attention carefully for computerizing its languages .Arabic language was like other languages that received a great

interest by its speakers who have contributed in developing these techniques to serve it .This research attempts at identifying the shortcomings of the Arabic electronic dictionaries , in particular , achieving a mechanism for pronouncing Arabic items (words). It also highlights the observations on some translations and Global interlocutor dictionaries , that are available on electronic means which need more control in pronouncing Arabic word .Moreover , it sheds light on the obstacles that prevent making Arabic dictionaries to be the first among the other languages, and it offers some suggestions to enhance the Arabic electronic dictionary and put it at the highest level.

The research aims at uncovering the advantages of e-Arabic dictionaries, Especially to achieve the mechanism of pronunciation of the Arabic word,It also highlights some of the world-wide and dictionaries. These dictionaries exist via technological means and are in urgent need to control the pronunciation of the Arabic vocabulary voice, this paper addresses some obstacles to the progress of the Arabic lexicon to be at the forefront of global dictionaries. This paper also offers some suggestions that would make the Arabic e-Dictionary at its highest level. In the last period Arab linguists have become interested in computational Linguistic. Which is the latest branches of linguistics, where this section depends directly on modern technologies.Efforts to create Arabic electronic dictionaries are still slow and limited,most of the computerized dictionaries designed by Arabs are monolingual. The general impression of electronic Arabic dictionaries indicates that they did not achieve comprehensive language proficiency compared to European dictionaries.Perhaps the absence of joint efforts at the Arab level to achieve a higher level of electronic dictionaries makes it undeveloped. This research offers some suggestions, including: the development of the electronic Arabic lexicon needs to extrapolate the reality of the electronic Arabic dictionaries, assigning experts and technicians to create the lexicon, assigning specialists in science and general knowledge as well, and the unification of Arab and Islamic efforts to create an integrated dictionary. The researcher used the descriptive approach, the analytical method, and the applied approach in the light of the integrated approach

هوامش البحث

- (1) الفراهيدي، العين، مادة (عجم)، 1/ 337
- (2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجم)، 12/ 389
- (3) عبد الحميد أبو سكين، المعاجم العربية، ص8
- (4) مازن المبارك، نحو وعي لغوي، ص154
- (5) الفراهيدي، العين، مادة: طوع، 2/ 210
- (6) ابن منظور، لسان العرب، 11/ 298
- (7) ينظر موقع الموسوعة الشاملة على الويب: <http://www.shamela.ws>.

- (8) فارس شاشة، المعالجة الآلية للغة العربية، ص2
- (9) عبد الحميد بن حمادو، المعجم الإلكتروني أهميته وطرقه بنائه، تاريخ الاطلاع (2017/2/19):
www.majma.org.jo
- (10) أنور الجمعاوي، المعجم الإلكتروني العربي، تاريخ الاطلاع (2017/2/10)، www.alaraby.co.uk
- (11) عزّ الدين البوشيخي، نحو تصور جديد لبناء المعجم العلمي العربي المختص، ص1140
- (12) عزّ الدين غازي، بناء المعاجم الإلكترونية، تاريخ الاطلاع (2017/2/19)، http://www.ahewar.org
- (13) زينب الحاج التعمي، رؤية نقدية في المعجم العربي، ص81
- (14) إبراهيم عبد المجيد، الأسس المنهجية لصناعة المعجم المحوسب للغة العربية، ص14
- (15) ينظر موقع شركة صخر الإلكترونية: www.sakhr.com
- (16) يتوفر بصيغة إلكترونية من إنتاج شركة صخر ، وهو موجود ضمن المكتبة الشاملة، وشبكة مشكاة الإسلامية
- (17) عمر مهديوي، دور قاعدة المعطيات في بناء المعجم الإلكتروني العربي، ص23
- (18) ينظر موقعه على الويب: www.baheth.info
- (19) موقعه على الويب: http://almuajam.hiast.edu.sy
- (20) منى غنيم وآخرون، التشاركية في إغناء معجم اللغة العربية التفاعلي، ص205
- (21) مراد لوكام، مشروع المعجم الحاسوبي التفاعلي، ص9
- (22) منى غنيم وآخرون، نفسه، ص197
- (23) موقعه على الويب: https://translate.google.com
- (24) عمر مهديوي، نفسه، ص15
- (25) إبراهيم عبد المجيد، الأسس المنهجية لصناعة المعجم المحوسب للغة العربية، ص124
- (26) حميد مطيع العوضي، المعاجم اللغوية المعاصرة، قضاياها النظرية والتطبيقية، ص185-186

المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت 711 هـ)، لسان العرب، ط1، بيروت، دار صادر، 1414هـ-1993م.
- 2- أبو سكين، عبد الحميد، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ط2، القاهرة، مطبعة الفاروق الحديثة، 1402هـ-1981م.
- 3- البوشيخي، عزّ الدين، نحو تصور جديد لبناء المعجم العلمي العربي المختص: معجم المصطلحات اللسانية نموذجاً، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد: 78، الجزء: 4، 2003م/ (ص1137 - 1160)
- 4- التويجري، عبد العزيز، اللغة العربية والعولمة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط، 1429هـ - 2008م.

- 5- شاشة، فارس، المعالجة الآلية للغة العربية: إنشاء نموذج لساني صرفي إعرابي للفعل العربي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008م.
- 6- عبد المجيد، إبراهيم، الأسس المنهجية لصناعة المعجم المحوسب للغة العربية، مؤتمر اللغة العربية وتحديات العصر، بتنظيم: جامعة القاهرة ومركز الدراسات المعرفية، القاهرة، من 4-5 نوفمبر 2008 / (ص113-129) .
- 7- العواضي، حميد مطيع، المعجم اللغوية المعاصرة، قضاياها النظرية والتطبيقية، جدة، دار ماجد عسيري، د.ت.
- 8- غنيم، منى، وآخرون، التشاركية في إغناء معجم اللغة العربية التفاعلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم والهندسية، دمشق، المجلد: 29، العدد: 1، 2013م / (ص195 - 206).
- 9- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت170هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، ط2، بيروت، دار ومكتبة الهلال، د.ت/ (ج 2، 1).
- 10- لوكام، مراد، مشروع المعجم الحاسوبي التفاعلي: مقترحات حول إعداد المشروع، الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربية، الرياض، مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، إبريل 2008 / (ص1-16)
- 11- المبارك، مازن، نحو وعي لغوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1399هـ - 1979م.
- 12- مهديوي، عمر، دور قاعدة المعطيات في بناء المعجم الإلكتروني العربي، حولية الصوتيات، جامعة سعد دحلب، البلديّة: الجزائر، العدد: 12، 2012م / (ص4 - 26) .
- 13- النعيمي، زينب الحاج، رؤية نقدية في المعجم العربي، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، الكوت: العراق، المجلد: 1، العدد: 2، 2007 / (ص73 - 84) .

المواقع الإلكترونية:

- 1- أنور الجمعاوي، المعجم الإلكتروني العربي، (مقال)، 2015/12/16، تاريخ الزيارة 2017/2/10، العربي الجديد: www.alaraby.co.uk
- 2- عبد المجيد بن حمادو، المعجم العربي الإلكتروني أهميته وطرق بنائه، (مقال)، 2011 / 11/23، تاريخ الزيارة: 2017/2/19، مجمع اللغة العربية الأردني: www.majma.org.jo
- 3- عزّ الدين غازي، بناء المعجم الإلكتروني أم تقييس الكفاية المعجمية على الحاسوب، (مقال)، 2008/5/25، العدد: 2292، تاريخ الزيارة: (2017/2/19)، الحوار المنمّن: www.ahewar.org

الانحراف الأسلوبي ودوره في التحليل النصي

د/ بن الدين بخولة

جامعة الشلف

trrezel@live.fr

الملخص:

تعد ظاهرة الانحراف ركيزة أساسية من ركائز الدراسات الأسلوبية الحديثة، والكشف عن التحولات المختلفة للبنى التركيبية والبنية العميقة المثالية . كما يحتوي على ركيزتين أساسيتين؛ الأولى: الخروج عن البنية المثالية الأصلية، وتجاوز مستوى الخطاب العادي المؤلف؛ والثانية: الجمالية التي تقف وراء البنى الإبداعية وتأثيرها في المتلقي وقد قاربت الأسلوبية مقارنة علمية وصفية تستند إلى منجزات الدرس اللساني الحديث لدرجة أن بعض الأسلوبيين ذهبوا إلى القران بين الانحراف والأسلوب، حتى غدا الأسلوب عندهم هو الانزياح أصلا.

الكلمات المفاتيح بالعربية: الانحراف؛ الأسلوبية؛ المتلقي، المبدع، الانزياح؛ الأبنية اللغوية

Summary:

The phenomenon of deviation is a fundamental pillar of modern stylistic studies, revealing the different transformations of synthetic structures, in their constant frequency between the creative surface structure and the ideal deep structure. It also contains two basic pillars; the first: to depart from the original ideal structure, to go beyond the usual standard of discourse; and second: the aesthetic behind the creative structures and their impact on the receiver. Stylistic approaches have been approached with a descriptive scientific approach based on the achievements of the modern tongue lesson to the degree some of the linguists have gone to distinguish between deviation and style becoming the method that has to be the original displacement.

Keywords: deviation; stylistic; receiver, creator ; language structures

من أهم مبادئ الأسلوبية أنها تقوم على تحليل الأسلوب عند المبدع , ويقصد بها العملية التي يقوم بها المبدع عندما يستخدم لفظة من بين العديد من البدائل الموجودة في معجمه فالأسلوبية علم مستحدث ارتبطت نشأته الحقيقية بالدراسات اللسانية اللغوية، وهي الدراسات اللغوية اللسانية التي ظهرت بوادرها في مطلع القرن التاسع عشر⁽¹⁾.

يرى أحمد درويش أن كلمة (أسلوبية) قد وصلت إلى معنى محدد في أوائل القرن العشرين، وهو تحديد مرتبط بشكل وثيق بأبحاث علم اللغة⁽²⁾

فقد سار النقاد العرب المحدثون في المنهج الأسلوبي، وقد تعرفوا على الأسلوبية الغربية، فكان توجههم نحو القديم محاولة استنباط معاني الأسلوبية الحديثة في الطرح القديم، وهذا نعثر عليه في كثير من تعبيرات النقاد المحدثين، فإنهم يقولون على سبيل المثال: "وهذه النظرية تجد ما يقابلها في أسس النظرية الأسلوبية الحديثة"⁽³⁾. ثم يأتي مفهوم الأسلوبية عند الغرب ومعه صراع إشكالية التعريف؛ وذلك بسبب "مدى رحابة الميادين التي صارت هذه الكلمة تطلق عليها"⁽⁴⁾؛ حيث قدمت إحدى النشرات "البليوغرافية" حول الدراسات الأسلوبية في ميدان اللغات الرومانية ما يقرب من (ألف وخمسة) عنوان⁽⁵⁾ وهذا المنحنى في تحديد ماهية الأسلوب هو بمثابة المعيار الدلالي لمحتوى الرسالة المبلغة"⁽⁶⁾ وقد علل أحمد الشايب هذا المعيار حيث عدّ أنّ " الصورة اللفظية التي هي أول ما يُلقى من الكلام، لا يمكن أن تحيا مستقلة، وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي، انتظم وتألّف في نفس الكاتب، أو المتكلم؛ فكان بذلك أسلوباً معنوياً، ثم تكون التأليف اللفظي على مثاله، وصار ثوبه الذي لبسه، أو جسمه، إذا كان المعنى هو الروح"⁽⁷⁾؛ لأنّ الارتباط التاريخي، بين علم اللغة وعلم الأسلوب، أدى ببعض المؤرخين إلى الوقوع في الخلط بينهما، حين عدوا كل دراسة تتناول المظاهر الأسلوبية اللغوية بأنها من الأسلوبية.

اهتم الأسلوبيون والبلاغيون بمراعاة مقتضى الحال. وقد لعبت الظروف الفكرية التي أحاطت العصر القديم والعصر الحديث، في اختلاف التركيز بين العلمين في هذا المجال. حيث كانت البلاغة تركز على عقلية المخاطب؛ نظراً لخضوع البلاغة في ذلك الوقت لسيادة المنطق على التفكير العلمي، وإن وجد عندهم مادة أدبية تهتم بالناحية الوجدانية للمخاطب. بينما كانت الأسلوبية قد نشأت في عهد علم النفس، الذي انتشر في شتى المجالات؛ لذلك وُجد الموقف عند الأسلوبيين أشدّ تعقيداً منه عند البلاغيين.⁽⁸⁾

مفهوم الانزياح:

تعد ظاهرة الانزياح الأسلوبي من الظواهر المهمة في الدراسات الأسلوبية والشعرية الحديثة التي تصر النصوص الأدبية على أنها لغة مخالفة للمألوف، فقد اهتمت الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة بظاهرة " الانزياح " كونها من أساسيات ما تقوم عليه جماليات النصوص الأدبية والانزياح في معناه الواسع، هو كل خروج -غير مُبرّر- على أصول قاعدية مُتعارَفٍ عليها، ويمكن حصر الانزياحات الشعرية بالوقوف على الأشكال البلاغية والأسلوبية التي يطرحها علم النص، والتي تعتمد بالدرجة الأولى على حصر الانزياحات الشعرية، وهو يَتِمُّ، أولاً، طبقاً للمستويات الصوتية والدلالية، ثم يتم طبقاً للوظائف التقابلية

بأنماطها الإسنادية والتحديدية والتراكمية، الأمر الذي يسمح مثلاً بالتمييز بين عامل إسنادي، وهو الاستعارة، وعامل تحديدي وهو الوصف، وآخر تركيبية وهو عدم الترابط. فقد شيد جون كوهن صرحه النظري والمنهجي في تحليل "بنية اللغة الشعرية" على مجموعة من الثنائيات، رغبة منه في إضفاء طابع العلمية والموضوعية على عمله من جهة، وتجاوز الانطباعية والتأثرية التي سقطت فيها البلاغة القديمة من جهة أخرى. ولعل أهم ثنائية اعتمدها كوهن في تحليل الخطاب الشعري ثنائية: (معياري/انزياح) أو ما يعرف اختصاراً بنظرية الانزياح⁽⁹⁾.

إن مفهوم الانزياح عند كوهن لا يختلف عن التعريف الذي يعطيه شارل برونو للواقعة الأسلوبية، فالأسلوب عنده "هو كل ما هو ليس شائعاً ولا عادياً ولا مطابقاً للمعيار العام"⁽¹⁰⁾ ، أي أن الأسلوب هو ما ليس شائعاً ولا مألوفاً ولا مصوغاً في قوالب مستهلكة. إن الرسالة لا تعد شعرية إلا إذا انزلت عن سنن اللغة أو بتعبير بارت إن الأسلوب يحدد بالقياس إلى درجة الصفر في الكتابة، ذلك أن كوهن لا يؤسس تعريفه للشعر على أساس معايير كمية "فالشعر نقيض النثر"⁽¹¹⁾ و المتأمل في أبعاد "الانزياح" يدرك ما لهذا المصطلح من حضور راسخ في مجالات الدراسات الأسلوبية الحديثة والمعاصرة. فتعددت مستويات الفهم من باحث إلى آخر ، لا لشيء إلا لاتساع الأبعاد المعرفية والثقافية التي يحملها مدلول الانزياح يتفق علماء الأسلوب في كون (الانزياح) هو انتقال اللغة من نظامها الأحادي المعياري إلى الطاقة الخلاقة المكرسة في شكل ممارسة أسلوبية . أي هو انتقال اللغة من مجال الاستعمال المتداول إلى مجال الخلق والتميز، و بتموقع الظاهرة الأسلوبية في عمق الحدث اللغوي ترسخ مفهوم الانحراف ليغدو مغامرة فسيحة داخل النص ليتحول هذا التصور إلى تلك المدارات التي تخفيها الكلمات . . لتتم عملية التحول من طور الإفهام إلى طور الإنجاز و التفاعل

غير : « هذا المنطلق هي اللغة التي يتحدث بها الناس جميعاً ، إنها لغة ممعنة في المجازي تبلغ أحيانا درجة من الشذوذ ، و شذوذها إن جاز لنا وصفها هكذا هو الذي يكسبها روحنة و أسلوباً من نوع خاص⁽¹²⁾

وظيفة الانحراف وجماليته

وظيفة الانزياح تخدم - في المقام الأول - النص ومثلي النص ولا حرج في أن نسارع إلى القول أن الوظيفة الرئيسية التي أكثرت الدراسات الأسلوبية من نسبتها إلى الانزياح، إنما هي " المفاجأة" . وغني عن

البيان أن مفهوم المفاجأة مرتبط أصلاً بالمتلقي، وهو الذي أولئته الأسلوبية وغيرها من المدارس النقدية عناية خاصة، بل أدخلته ضمن دائرة الإبداع

ومن ناحية المعنى، فإنه، "يكاد الإجماع ينعقد على أن الانزياح: خروج عن المؤلف أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو خروج عن المعيار؛ لغرض قصد إليه المتكلم، أو جاء عفو الخاطر، لكنه يخدم النص بصورة أوبأخرى، وبدرجات متفاوتة" (13) ويمكن القول باختصار: إن الانحراف هو مقابل المجاز في البلاغة. ولعل عنصر الدهشة يتحقق في الانزياح من خلال كسر المتوقع في ذهن المتلقي، وذلك عندما يعطي الكاتب الكلمات بعد أ إيحائي أ بديع أ ل يألفه المتلقي، لذلك نجد من عرف الانزياح على أنه "الخروج عن أصول اللغة وإعطاء الكلمات أبعاداً دلالية غير متوقعة (14)

فظاهرة الانحراف الأسلوبي تدل على أن هناك أصلاً تمّ الانحراف عنه، إن المستوى العادي للغة الذي تستعمل فيه اللغة وفق النمط المثالي المؤلف المتواضع عليه و تستعمل فيه الكلمات في معناها الأصلي هو الأساس الذي يقاس عليه الانحراف الأسلوبي وتعرف درجة انحرافه ، والقاعدة التي يقاس عليها الانحراف يطلق عليها "درجة الصفر" "degre zero" ولعل أوضح تحديد لها ما ذهب إليه أنصار جماعة "م" "البلاغية، الذين يرون أن درجة الصفر تتمثل في الخطاب المحايد، حيث تسمى الأشياء بشكل مباشر فيقال عن القط إنه قط، ويسمى رولان بارت "Roland barthes" الدرجة الصفر للكتابة(15) وهي صفة تطلق على الخطاب الذي تدل فيه كل كلمة على ما وضعت له في أصل اللغة ، ولا يحتاج السامع في فهمها إلى تأويل، و يظهر ذلك جلياً في مستويات اللغة العادية .

وبهذا تكون الدرجة الصفر إشارة إلى المرحلة التي كان عليها الكلام قبل دخوله في صياغة فنية تتحرف به عن أصله . "إن الشاعر وهو يتعامل مع اللغة باستمرار يستطيع أن يشعر أكثر من غيره باهتزازتها وتحركاتها وتفاعلاتها اليومية، لهذا فهو مطالب بتفعيل(16) تلك الاهتزازات والتحركات إبداعية أ من خلال لغة شعرية يعطيها هوية العصر، لأن العملية الإبداعية لا يمكن أن تأخذ صفة الإبداع إلا عندما تدخل في ص ا ر ع مستمر مع اللغة التي يكتب بها.

إن الانزياح أو الانحراف الأسلوبي ظاهرة جمالية تصب في عمق العمل الأدبي وإن تعددت مفاهيمه الفكرية والجمالية من باحث إلى آخر فإن ذلك يعد مؤشراً دالاً على حيوية هذا المصطلح واتساع دائرته الأسلوبية والمعرفية، مع الإقرار والتأكيد على أن الانزياح ما هو إلا بناء وتشكيل لغوي جديد يتجاوز اللغة العادية أو لغة الكلام النفعي ويكمن الأثر الجمالي للانزياح عند كثير من الأسلوبيين في الدهشة التي

تولدها مفاجأة القارئ بما لم يعهده ولم يتوقعه من التراكيب اللغوية، والقارئ من طبعه الملل بسرعة فلا بد بين الحين والآخر أن يكون للمؤلف القدرة الكافية لخلق نوع من الإثارة من خلال مفاجأة القارئ، وهذه المفاجأة لا تحدث إلا من خلال التمسك بظاهرة الانزياح⁽¹⁷⁾

وليس لكل انحراف أسلوبى أثر جمالي وقيمة فنية، لأن بعض الانحرافات تعدّ من المستوى العادي اللغة و هي الانحرافات المطردة التي تحكمها قاعدة نحوية أو تصريفية، كالانحراف عن أصل الكلمة في الإعلال و الإبدال، أو الانحراف عن أصل وضع الجملة ، وما دامت القاعدة تحكم هذه الانحرافات فهي انحرافات مطردة ، وكذلك بعض المجازات إذا كثر استعمالها فقدت قيمتها الأسلوبية ، يقول يحيى العلوي⁽¹⁸⁾ : (إن المجاز إذا كثر استعماله صار حقيقة عرفية ، ومثاله قولنا الغائط ، فإنه يكون مجازاً في قضاء الحاجة ، وحقيقته المكان المطمئن من الأرض ، ثم تعورف هذا المجاز وكثر حتى صار حقيقة سابقة إلى الفهم).

إن تعيين الانحرافات أو مراقبتها تصبح من أهم عناصر الدراسة الأسلوبية⁽¹⁹⁾ ويمكن إيجاز الجدوى من دراسة الانحراف على النحو الآتي⁽²⁰⁾ :

1. يمكن عن طريقها استخدام الظواهر الفنية للأداء التركيبي، والوصول إلى نتائج محددة من خلال رصد كيفية الأداء ونظام التركيب اللغوي للجملة.

2. قد يتحول الانحراف مع مرور الزمن إلى ما يسمى بـ "الانحراف المطلق"، أي: قد يصبح ما هو مجازي حقيقياً، كما يصبح ما هو حقيقي مجازياً. وهذه صورة لافتة للنظر، وقد علّلت بكثرة الاستعمال، الذي يجعل من الانحراف حقيقة عرفية.

3. رصد ظواهر الانحراف في النص يمكن أن تعين على قراءته قراءة استبطانية تتعد عن القراءة السطحية والهامشية.

الانحراف بين الناص والنص والمتلقي:

تأتي أهمية دراسة الانحراف أيضاً من أهميته ذاته، على صعيد المبدع والنص والمتلقي⁽²¹⁾:

أ. بالنسبة للناصر:

يجسد الانحراف قدرة المبدع على استخدام اللغة وتفجير طاقاتها وتوسيع دلالاتها، وتوليد أساليب وتراكيب جديدة لم تكن دراجة أو شائعة في الاستعمال.

ب. بالنسبة للنص:

يقدم الانحراف للنص أبعاداً دلالية وإيحائية، تجعل من لغته موجهاً ومثيراً و سلطانياً مؤثراً في المتلقي. كما تظهر أهميته في تلك التعبيرات الجديدة، والعلاقات اللغوية التي تخالف ما تربي عليه الذوق، أو ما تأسس في معرفة الإنسان الأولية.

ت. بالنسبة للمتلقى:

فإنه يخضع بسبب الانحراف إلى سلطان الدهشة والمفاجأة والغرابة، التي تعرض فيها الصور والحقائق. ويمكن القول إن التأثير الذي يتعرض له المتلقي يأتي من الجديد الذي تعكسه ظاهرة الانحراف الذي يساعد على ترسيخ الروح الشعرية في النصوص، وهي بدورها تثير من خلال دلالاتها الكامنة والمشحونة أثراً كبيراً في نفس المتلقي.

ويمكن القول، إن دراسة الانحراف تعكس سعة الأفق التي يتمتع بها الدارس وتؤثر على مداركه إيجابياً. ويظهر من خلالها صورة إبداعية تضاف إلى إبداع صاحب النص. بل ربما يقدم النص بصورة جديدة لم يكن مبدعه يفكر في ذلك الأمر حين كتبه أو نظمه. وربما كانت فكرتي هذه متأثرة بالتطور الذي شهدته الساحة النقدية وظهور المناهج النقدية الحديثة التي تؤمن بالبنية المفتوحة للنص. وهذا مبحث دراسي مستقل بحد ذاته يكفيني في هذا المقام الإشارة إليه.

تتيح اللغة للأديب أن يغترف من ألفاظها وتراكيبها ما يشاء، وكل أديب يغترف مما تزخر به اللغة ما يتفق مع معجمه اللغوي، وأبو الطيب المتنبي عندما يختار الألفاظ التي تتفق مع معجمه المتميز فإنه ينحرف في اختيار الألفاظ انحرافاً يسبب للمتلقى هزة غيرمتوقعة، وينحرف أيضاً في التوزيع وذلك بخرق النظام المثالي في توزيع أجزاء الجملة لغايات فنية وجمالية، والمعروف أن المتنبي يختلف عن أقرانه بما يتسم به من سمات ثقافية وفكرية وانفعالية، ويبدو لمن يتابع سيرة حياته وطموحاته أن هناك تمازجاً تاماً بين شخصية المتنبي وأسلوبه.

تتجلى ظاهرة الانحراف في محور الاختيار بشكل ملفت للنظر حين يختار المتنبي لفظة من مجموع الألفاظ المستقرة في رصيده المعجمي التي تقوم بينها علاقات استبدالية بحيث يمكن الاستغناء بإحداها عن الأخرى، وفي هذه الحالة نجد المتنبي ينأى عن الألفاظ المستعملة في الوسط الأدبي ويختار الألفاظ الغريبة أو النادرة أو الشاذة ويقفحها في نصه الشعري عن قصد و تنتشر هذه الألفاظ في شعره بشكل يختلف إلى حد كبير عن الأدباء المعاصرين له، يقول في مطلع إحدى قصائده⁽²²⁾

أَلَا كُلُّ مَا شِيَةِ الْخَيْزَلِي
فَدَى كُلَّ مَا شِيَةِ الْهَيْدَبِي
وَكُلُّ نَجَاةٍ بُجَاوِيَّةٍ
خُنُوفٍ وَمَا بِي حُسْنُ الْمَشَى
وَلَكِنَّهُمْ حِبَالُ الْحَيَاةِ
وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى

لقد صدم الشاعر المتلقي باختيار كلمتين غريبتين في البيت الأول هما الخيزلي والهيدي، وقد أدخلهما في شعره عن قصد، وتزداد صدمة المتلقي بسبب انحراف الصورة التي جسدها هاتين اللفظتين، وذلك بمخالفته عادات العرب، بجعل كل امرأة مسترخية تمشي الخيزلي تفتدي كل ناقة مسرعة تمشي الهيدي، حيث عكس ما ألفه المتلقي فحقق الشاعر ما يريده من إثارة اهتمام المتلقي من أول بيت في القصيدة، وقال في مطلع قصيدته التي مدح بها عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب (23) :

أَرَكَّابَ الْأَحْبَابِ إِنَّ الْأَدْمَعَا
تَطْسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطْسُنَّ الْيَزْمَعَا
فَاعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكَ النَّوَى
وَأَمْشِينَ هُونًا فِي الْأَرْمَةِ خُضْعَا

لقد أختار كلمة " تطس " من بين عدة بدائل متاحة و كان بإمكانه أن يختار كلمة " تدق " لكنه اختار كلمة تطس لأنها هي التي تعبر عما في نفسه ، وكذلك اختار كلمة اليرمع، وكان بإمكانه أن يختار كلمة الحجارة ، وربما يكون للقافية دور في اختيار اليرمع .

ومن الكلمات الغريبة التي اختارها وفضلها على غيرها كلمة الجرشي التي استعملها بمعنى النفس، وهي كلمة مستكرهة في السمع بسبب عدم تداولها بين الأدباء، وندرة استعمالها بين العرب الخالص ، ولكنه فضلها على كلمة : النفس و استعملها في قوله (24):

مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَعَزَّ اللَّقَبِ
كَرِيمُ الْجَرَشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ
أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى
قَنَاءُ ، وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ

ويبدو أن إكثار أبي الطيب المتنبي من استخدام الكلمات غير المألوفة هو الذي سبب صعوبة أسلوبه في بعض نماذجه الشعرية فقد ثبت وجود صلة بين صعوبة الأسلوب وتنوع المفردات غير المألوفة (25) : وترجع العلاقة بين الخاصيتين إلى أمر يمكن توقعه، فالكاتب أو الشاعر الذي يتميز بنسبة تنوع عالية في المفردات أي بوجود عدد كبير من الكلمات المتنوعة يلجأ عادة إلى استخدام كلمات غير مألوفة لكي يزيد من تنوع ألفاظه).

ولعلم النفس اللغوي دور بارز في كشف الانحرافات الأسلوبية و قد عنى بعلم النفس اللغوي عدد من الباحثين يأتي في مقدمتهم الناقد الألسني (26) توماس ألبرت سابوك (T.A Sebeok) الذي درس كيف

تطفوا مقاصد المتكلم ونواياه على سطح الخطاب في شكل إشارات ألسنية تنصهر في اللغة التي يتواضع على أنماطها مجموعة بشرية معينة ، كما درس سبل تمكين المتلقي لذلك الخطاب من تأويل تلك الإشارات .

وقد طبق الدكتور عبد السلام المسدي ذلك في دراسته (27) لمفاعلات الأبنية اللغوية في شعرالمتنبي وانتهى الدكتور المسدي في بيان الحقيقة النفسية للمتنبي من خلال تراكيبه إلى أن شخصية المتنبي في شعره هي : (28) (شخصية صراعية متمزقة، يتجاذبها قطبان متباينان: سلباً وإيجاباً ويتمثل هذا في روابط حياته الخارجية : المتنبي /سيف الدولة، المتنبي / كافر و في الصراعات الذاتية الانطوائية التفاعلية مع الصراع الخارجي مما ولد ثنائياً تقابلياً أنطق الشاعر بصريح التناقضات و مرير الاعترافات، كل ذلك من موقع المتأزم بين مرمى الطموح ، والسبيل إليه) ولعل أغلب ما ذكره الدكتور المسدي ينطبق على شعر المتنبي بشكل واضح بعد مغادرة سيف الدولة ، حيث الصراعات التي ظهرت آثارها على سطح خطابه الشعري.

إن التصرف في الأسلوب عملية واعية تقوم على اختيار أدوات اللغة وتوزيعها واستغلال طاقاتها عن وعي وإدراك ، فهل في هذا نقض لمبدأ العبقرية و الإلهام (29) " التولد الذاتي " في النتاج الإبداعي ؟ وهو المبدأ الذي يرى أن هناك قوة تلهم الشاعر ، وتمكنه من الإبداع كما يمكن المغنطيس قطع الحديد المتصلة به من قدرة الجذب ، وتجعل الشاعر الملهم لا يملك وعيه وهو يبدع قصائده ، ويبدو أن هناك خيطاً رفيعاً ينظم العلاقة بين الوعي واللاوعي

خاتمة:

عرف مفهوم الانحراف جملة من المصطلحات تعبر عن الواقع العرضي مثل :المخالفة ، الشناعة الانتهاك ، الانزياح ، خرق السنن الانحراف ، هو انحراف الكلام عن نسقه المؤلف هو تقنية يستخدمها الشعراء للتعبير عن تجربتهم الشعورية . للانحراف علاقة كبرى بالسياق في توجيه دلالات الألفاظ والصيغ وتظهر جمالية في خلق إمكانيات جديدة للتعبير والكشف عن علاقات لغوية جديدة تقع في علاقة اصطدام مع يتوافق معه الذوق ، كما يمكن لأسلوبية الانزياح أن تقدم الكثير للدراسة النقدية ، ، وغيرها ، في الكشف عن الكثير من دلالات النص التي قد تغيب في الدراسة النقدية التقليدية

Abstract:

Deviation is a fundamental pillar of modern stylistic studies, revealing the various transformations of structural structures and the ideal deep structure. The second is the aesthetics that underlie the creative structures and their effect on the recipient. Stylistic approach has approached a descriptive scientific approach based on the achievements of the modern linguistic lesson, to the extent that some of the Aselobians went to the Qur'an Between deviation and style, until tomorrow the method they have is the displacement already The normal level of the language in which the language is used according to the typical style of the humble and the use of words in its original meaning is the basis on which the stylistic deviation is measured, and as the phenomenon of stylistic deviation influenced the monetary studies and the writer, it has an impact on the recipient because breaking the monotony of the system The linguist ships the recipient with an emotional card when he suddenly collides with what is not expected and what is not brought to him by his taste, The study of the deviation reflects the pupil's wide horizons and affects his perception positively. It shows a creative image added to the creator of the text. It may even present the text in a new way that was not thought by the creator when he wrote or organized it The concept of delinquency is defined by a number of terms that reflect the accidental reality such as: the offense, the violation, the violation, the displacement, the breach of the Sunnah. The deviation is the technique used by the poets to express their emotional experience of deviance in relation to the context in directing the meanings of words and formulas. In the creation of new possibilities for expression and the discovery of new linguistic relations in a collision relationship with the compatibility of taste, as the stylistic displacement can offer a lot of critical study, and others, in the form of a lot of text implications that may be absent in the traditional monetary study The critics of the modern Arabs have followed the methodological approach, and they have known Western stylism. Their approach to the old was to try to devise the meanings of modern stylism in the old thesis. This is found in many modern critics' expressions. For example, In the foundations of modern stylistic theory. Then came the concept of Stylism in the West and with it the conflict of problematic definition; because of the "wide range of fields that became this word called"; where one of the publications "bibliography" on the stylistic studies in the field of Roman languages approximately (A thousand and five hundred)

الهوامش:

- (1) شكري عياد، اللغة والابداع، مبادئ علم الاسلوب العربي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1982م. ص33
- (2) أحمد درويش، الاسلوب والأسلوبية، مدخل في المصطلح وحقول البحث ومنهجه، فصول، المجلد الخامس، العدد الأول، 1984، ص، 61
- (3) إبراهيم عبد الجواد، الاتجاهات الاسلوبية في النقد العربي الحديث، ط1، 1997م، عمان، الأردن. ص، 64
- (4) يوسف عبد العدوس، الاسلوبية، الرؤية والتطبيق، ط4، 2016، دارالمسيرة ت، عمان، ص 35
- (5) شكري عياد، اتجاه البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة وإضافة، دار العلوم للطباعة والنشر، 1985، ص، 84

- (6) عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، نحو بديا أستي في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977م، ص، 60
- (7) أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية، لأصول الاساليب الادبية، ط1، 1966، ص، 40
- (8) إبراهيم عبد الجواد، الاتجاهات الاسلوبية في النقد العربي الحديث،، وزارة الثقافة، عمان- الأردن. ص، 124
- (9) لم يلتزم كوهن باستعمال مصطلح واحد في أعماله فهو يستعمل الانزياح Ecart، الخرق Viol، الانحراف Déviation
- (10) جون كزهن بنية اللغة الشعرية، تر، محمد الولي محمد العمري، دار توبقال للنشر، ط1، 1986، ص 15.
- (11) J.M. Klinkenberg, Rhétorique, in Introduction aux études littéraires, p40
- (12) ديوان البرزخ و السكين د. عبد الله حمادي). ماهية الشعر (ص 11 منشورات جامعة قسنطينة 2000
- (13) يوسف عبد العدوس، الاسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان- الأردن، 2007م ص 180
- (14) المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية انطلاقاً من التراث العربي ومن الدراسات الحديثة، محمد الهادي بوطارن . وآخرون، ص : 1 56، ط 1، القاهرة، دار الكتاب الحديث، 2008
- (15) ينظر : بارت ، رولان ؛ الدرجة الصفر للكتابة ، ترجمة محمد برادة ، بيروت منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر ، (د . ت) Roland Barthes , Ledegre Zero de Lecritur – 1953.Paris,le Seuil
- (16) حبيب بوهورر ، تشكيل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني، ص : 04 ،، ط0 ، تقديم : هادي نهر، إريد، عالم الكتب الحديث، 211
- (17) ينظر، مسعود بدوخة، الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية ، عالم الكتب الحديث ا، الأردن ، ط1 . 2011، ص 20
- (18) يحيى بن حمزة العلوي الطراز ، صححه سيد بن علي المرصفي ، مصر، مطبعة المقطم ، ج 1، 1941، ص ص 99 – 100
- (19) يوسف ساح ربايعية، الاسلوبية ، مفاهيمها وتجلياتها ، دار الكندي، إريد، 2003م ص 56
- (20) المصدر نفسه، 59/56
- (21) يوسف ساح ربايعية، الاسلوبية ، مفاهيمها وتجلياتها، ص 58
- (22) ديوان أبي الطيب المتنبي – ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمى بالتيبان في شرح الديوان ، لبنان بيروت دار المعرفة – ج 1 ، ص ص 36 – 38 .
- (23) المصدر نفسه، ج 2 ، ، ص 259 .
- (24) المصدر نفسه، ج 1 ، ص 99 .
- (25) سعد مصلوح ، في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ط1 ، 1991/1411 ، ص 125

(26) لمزيد من التفصيل انظر كتابه (الأسلوب في اللغة):

Styleinlanguage,cambridge,mass.M.T.T.press,196

(27) ينظر . د. عبد السلام المسدي ، مفاعلات الأبنية اللغوية و المقومات الشخصية في شعر المتنبي ، بيروت مجلة الآداب ، نوفمبر ، 1977م ، ص ص 46- 53 .

(28) عبدالسلام المسدي : مفاعلات الأبنية اللغوية، ص 41.

(29) لمزيد من التفصيل ينظر : رينيه ويلك – أوستن وارين : نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة د . حسام الخطيب ، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1 ، 1987م ، ص ص 88- 89

إشكالات ترجمة الشعر في ضوء نظرية التلقي

دويالة عائشة باحثة في الدكتوراه

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة / الجزائر

doballah31@gmail.com

المخلص:

تحتاج ترجمة الشعر نظرا لرهافة مكوناته إلى إعمال الطاقات النفسية والفنية والفكرية الجديرة بالاستثمار في مجال ابتداع الفنون على اختلاف أشكالها التعبيرية، فالترجمة الأدبية غالبا في مجال الإبداع الشعري ظلت تواجه تحديات في تحقيق الكفاءة الأسلوبية والدلالية التي تفرضها خصوصية النص الأدبي.

ونحن من خلال هذه الدراسة، سنسعى إلى التطرق لهذه الإشكالات والتحديات في ضوء نظرية التلقي من حيث الواقع والأسباب، الأمر الذي لا يلغي مسعى الترجمة في محاولة تحسس آثار المؤلف الأصلي أسلوبيا وجماليا.

الكلمات المفتاحية: النص - ترجمة الشعر - التحديات - التناص - نظرية التلقي - الدلالة.

Abstract :

The translate poetry needs in view of the generosity of its components to the realization of human psychological and artistic worthy of investment in the field of creativity of different forms of expression, literary translation, often in the field of poetic creativity, continued to face challenges in achieving stylistic and semantic competence imposed by the privacy of the literary text.

Through this study, we will seek to address the most important of these problems in light of the receiving theory in terms of reality and reasons, which does not eliminate the target to feel the effects of the author original methodically and aesthetically.

Key words: text – translation of poetry – challenges - Intertextuality- receiving theory-significance.

مقدمة:

يعرف عن الترجمة الأدبية بأنها نقل مخصص للنصوص الأدبية بمختلف أجناسها، تتولد عنها معالجة لثلاثة حقول معرفية هي: الترجمة، الفن والثقافة.¹

هذا ما حاولت كتب الترجمة أن توضحه بالاعتماد على نظرية الأدب وتفرعاتها ضمن دراسة الأجناس الأدبية على مدى تجليات تغيراتها المختلفة، وعليه تفرض نظرية الترجمة في الميدان الأدبي على المترجم أن يكون ملما بالدراسات الثقافية والفنية والفكرية حالما يستهدف النص الأدبي للترجمة.²

وفي ضوء ما سبق ذكره، يتجسد لنا مسعى الترجمة الأدبية في محاولة تحسس آثار المؤلف الأصلي أسلوبا وجماليًا بالنظر إلى السعي نحو تحقيق الكفاءة الأسلوبية والدلالية التي تفرضها خصوصية النص الأدبي.

هذا ما ينطبق بالضبط أكثر على ترجمة الشعر مقارنة بترجمة الأجناس الأدبية الأخرى. والإشكالية التي أثارت فضولنا العلمي هنا: ما هي أهم الصعوبات التي يواجهها المترجم عند ترجمته للعمل الإبداعي؟

هذه إشكالية متداخلة، كأن يقول المرء إن نسا شعريا ما هو بالضرورة إلا نص أدبي ينتمي حتما إلى الأعمال الفنية. غير أن حقيقة الأمور ليست كذلك بالنظر إلى الفوارق بين القوائد الشعرية الفنية والقوائد الشعرية غير الفنية.

ذلك أنه يتوجب على الشاعر الفنان المبدع أن يشبع نسه إيقاعا بالقدر الكافي، يسمح له بتوظيف أدوات لغوية فنية وتحويلها إلى أمور للإدراك دلاليا وأسلوبيا.

من هذا المنظور، أصبح الشعر مادة مركبة من مستويين: مستوى لغوي ومستوى صوتي موسيقي تنعكس منه دلالة المستوى الأول؛ وفي ضوء هذا التركيب بين المستويين الصوتي واللغوي، تصبح القصيدة الشعرية نسا فنيا مبنيا بأبيات مؤسسة بالدرجة الأولى على الإيقاع الموسيقي، مما يجعل من هذا النوع النصي منظما لينترك آثاره على المتلقي من زوايا متعددة، مثل اللغة ومستوياتها والدلالة والصرف والصوت.³

هذا ما توصلت إلى إبرازه دراسات الترجمة الأدبية حول إشكالات وندرة ترجمة الشعر، مقارنة بترجمة النصوص الأدبية الأخرى.

وعليه، ترجع تحديات وندرة الترجمة الشعرية إلى أن ملكة الشعر ليست في متناول العامة من المبدعين، كما أن هذه الخصوصية الشعرية تستدعي ترجمة القصيدة الشعرية في ضوء أحكامها المتصلة بالبناء الشعري في حقله الدلالي والموسيقي الأصلي، وذلك من أجل التوصل إلى ترجمة الصورة الشعرية.⁴

لقد أصبحت هذه الإشكالات ظاهرة في تاريخ ترجمات الأعمال الشعرية وبنية اللغات، وإمكانية نقل جمالية التلقي وروافد المتعة الفنية في هذا المعنى من لغة إلى أخرى، أو التضحية بجانب الشكل النقاء بالمتعة الكامنة في المعنى أو المحتوى أو التصوير الفني.

إشكالات الترجمة الشعرية:

لقد انشغل المترجمون بترجمة الكثير من النصوص الأدبية منها وغير الأدبية ومن بين النصوص الأدبية التي حظيت بنصيب كبير من الاهتمام القصة القصيرة والرواية والمسرحية أكثر مما حظي به

الشعر. وكان لهذا الإهمال أسبابه: فمترجم الشعر يواجه تحديات كبيرة من الناحية الفنية والمادية والنفسية قد لا يواجهها مترجمو نواعيات النصوص الأخرى إلا نادرا، ونظرا لتعدد الإشكالات وتفرع أبوابها يجعل من عملية استعراضها أو إيجاد حلول لها أمرا صعبا، لذلك ارتأيت أن أحدد أهم إشكالات الترجمة الشعرية في ضوء نظرية التلقي على أمل إيجاد حلول مناسبة لها.

1- ترجمة الانزياح في الشعر:

يشكل الانزياح في الخطاب الشعري مجالا واسعا للتفاعل والتواصل، إذ يوجب شعور المتلقي وإحساسه بما يسمى اللحظة المفاجأة التي يسببها لدى المتلقي، من خلال مجالات مختلفة؛ في خرق قوانين اللغة وانتهاك نظامها، ليصبح الخطاب عاملا مؤثرا وممتعا، متجاوزا بذلك القاعدة والمعيار والخطاب العقلاني.

فالانزياح كما عرفه محمد ويس هو "استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصورا استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر"⁵، وبهذا يكون الانزياح من أهم التحديات التي تواجه المترجم في فهم هذه الظاهرة الأسلوبية فهما دقيقا. وعليه، فالمشكلة تكمن في الحالات التي تتباعد فيها "اللغتان المنقول منها والمنقول إليها أصلا ونحوا وبيانا ومجازا وفكرا"⁶، وحين يكون هذا التباعد بين اللغتين، فإن الاستعارة والمجاز وغيرها من الصور البيانية يظهر فيها خلل حين الترجمة، وبالتالي تبدو هذه الصور البيانية غير مألوفة بالنسبة لمتلقي نص لذا على المترجم اللجوء إلى عملية تحويل تجعل الصورة الفنية ملائمة للذوق الجمالي لدى المتلقي. نظرا لأن الشعر يكتب بدرجة عالية من التفرد ويفسر من قبل المتلقي بدرجة لا يستهان بها من الذاتية، ولذلك فقد يجد مترجم الشعر نفسه في الكثير من الأحيان بحاجة إلى قراءة معمقة عن القصيدة، مناسبة وأهم ما يميز الشاعر الذي كتبها.

2- ترجمة التناص في الشعر:

التناص هو تشكيل نص جديد من نصوص سابقة، وخالصة لنصوص تماهت فيما بينها فلم يبق منها إلا الأثر.

وموضوع التناص هو "تضمين نص لنص آخر أو استدعاؤه، أو هو تفاعل خلاق بين النص المستحضر والنص المستحضر، فالنص ليس إلا تولادا لنصوص سبقته"⁷. كما ترى جوليا كريستيفا Kristéval. أن "كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"⁸.
ترجمة التناص عن طريق نوعية النص:

Faces of justice

The bailiff is voice rang out

She killed her husband

Monster..

Murderer..

Hang her..

The male crowd smarmed

As she came chugging towards the stand

“Order !” the judge roared out

And she was finally allowed to take the stand

“Your Honor !” her voice shrieked across the court

Where have your solidiersbeen

When I was savagely beaten up day and night!⁹

يظهر التناص عن طريق نوعية النص واضحا في هذه المقاطع الشعرية، أما المحاكمة فهي نوعية نص دخيلة على القصيدة استخدمت بهدف إعطاء القصيدة الصبغة القانونية ومن ثم إظهار هشاشة القانون عندما يأخذ بالنتائج لا الأسباب، ويظهر هذا النوع من التناص على صعيد المفردات حيث تم استخدام مفردات خاصة بالمحاكمات مثل: All rise- bailif -the stand- order- judge- take the stand- yourhonor, etc.

إن الصعوبة في ترجمة هذا التناص لا تكمن بإيجاد نوعية نص مماثلة في اللغة المنقول إليها، فالمحاكمات كنوعية نص موجودة في اللغتين المنقول منها وإليها ، ولذلك يجب ترجمة المفردات المستخدمة بنوعية مماثلة في اللغة المنقول إليها. فتعبير All rise في اللغة المنقول منها يعبر عنه بكلمة "محكمة" في اللغة المنقول إليها، وكلمة Order يعبر عنها بكلمة "هدوء" أو "سكوت" ، وتعبير Yourhonor يعبر عنه بتعبير "سيدي لقاضي" ، إذا مرة أخرى تخلي الترجمة الحرفية الساحة لترجمة أكثر ديناميكية في إيجاد حلول لمشاكل جد معقدة تفرزها استخدامات إبداعية تناصية. وبناء على ما تقدم يمكن اقتراح الترجمة الآتية للمقطع الشعري السابق:

محكمة !!

صاح صوت الحاجب مناديا

وحين مضت باتجاه المنصة

يشق عينين بها الأضلعا

تعالت حناجر جمع الذكور

مرددة، هاتفة، مزمجرة:

فلتشنق القاتلة .. قاتلة الزوج

فالتعدموا .. لتعدموا الفاجرة

وعليه، يجب على متلقي النص أن يتمتع بكفاءات لغوية عالية ومعارف علمية واسعة تؤهله لمعرفة مصدر التناص سواء كان آية قرآنية أو بيتا شعريا أو رمزا أسطوريا على سبيل المثال. كما يتعين على مترجم النص الحفاظ على نوعية النص من خلال الإشارات التناصية، ومحاولة نقل الموقف الذي أراد المؤلف الأصلي للنص تأديته عن طريق التناص.

فالقصيدة لا يكون لها صدى إلا بتقاطعها مع نصوص أخرى وتداخلها معها.

3- الحفاظ على نكهة النص الأصلي:

يكثُر الحديث في مجال الترجمة عن كيفية الحفاظ على نكهة النص الأصلي وروحه عند ترجمة النصوص الأدبية بشكل عام والشعر بشكل خاص. ولذا فالإشكال يكمن في تحديد تلك "النكهة" و"الروح" سواء كانت متجسدة في الصور الشعرية أم في بنية القصيدة أم في الازدياح عن النمط السائد، أم في تقاطعها مع نصوص أخرى عن طريق التناص، أم في كل هذه الأمور المذكورة؟

4- الترجمة الحرفية للشعر:

يتعين على مترجم النص الشعري أن يؤمن بمبدأ الخسارة والريح أثناء عملية الترجمة، إذ لا بد للقصيدة أحيانا أن تفقد الكثير من معانيها ودلالاتها وأن تكتسب في أحيان أخرى الكثير من المعاني والدلالات الإضافية أثناء الترجمة. والمترجم المتمكن هو المترجم الذي لا يسعى إلى الترجمة الحرفية التي تقف عاجزة أمام الشعر وإنما هو ذلك المترجم الذي يسعى جاهدا إلى تقليص درجة الريح والخسارة إلى أقل تقدير ممكن.¹⁰

لقد أدى عدم التوصل إلى تحقيق كمالية الترجمة المنشودة إلى وضع الترجمة الأدبية على قواعد علمية تجسد بها الإجراءات التطبيقية أثناء العمليات الترجمة المختلفة. ومن ثمة ظهرت نظريات متعددة ومتنوعة، تعددت في خضمها المناهج الترجمة ضمن ما تم تسميته بـ "نظرية الترجمة".

وقد تجسد بالفعل هذا المبتغى العلمي الترجمة من خلال التفاعل الذي حدث بين الدراسات الثقافية واللسانية والأدبية ضمن الاختلاف والتعدد المنهجي للترجمة، وظفت ضمنها ممارسات ترجمة علمية متنوعة على مختلف النصوص الأدبية، وذلك بتوفير استراتيجيات ترجمة متنوعة تعود على المترجم بالفائدة. ومن بين تلك النظريات والمناهج نذكر:

أ- الترجمة في ضوء نظرية التلقي:

يعود سر الاهتمام بالمتلقي في نظرية التلقي إلى احتواء الفعل القرائي لعدة استجابات عملت على توطيد دعائم النقطة النقدية بتسليط الضوء على تعامل المتلقي مع ما يقرأ. ومقابل ذلك، نجد أن نظرية

التلقي في الترجمة الأدبية تولى اهتماما بارزا بالنص والمتلقي (القارئ) مع الأخذ بعين الاعتبار التفاعل الذي يحدث بينهما من وجهة نظر إيزر Iser الذي يعتمد على ثلاثة مظاهر: النص، صيرورة القراءة والظروف المتحركة في تفاعل النص مع القارئ.¹¹

ومن هذا المنطلق الجديد حول العلاقة بين الترجمة الأدبية ونظرية التلقي بالعمل الأدبي، تتولد فكرة الفهم الناتج عن الآفاق التأويلية لدى المتلقي.

ب- الترجمة في ضوء المنهج التأويلي:

ولأن النص الأدبي هو مزيج من العوامل والقيم الأسلوبية الجمالية تأتي في سلسلة من الأحداث الدالة، ينبغي على مترجم النص الأدبي، حسب رأي جورج شتاينير G. Steiner، أن يلجأ إلى التأويل أثناء مهمته الترجمة، والذي يقول: "أي العمل على إظهار الكيفية التي بموجبها تم فهم القول من حيث القصد".¹²

ولكي يستطيع أن ينجح المترجم في هذا المسعى عليه أن يفهم القيم الغالبة على النص في مستواها المجازي لفهم القول في مقاصده. وعليه، فإن التفاعل الذي يحدث بين النص والمتلقي، يتولد عنه تفاعل وجودي آخر يشهد على تحقيق وجودية النص الأدبي بوجودية نشاط المترجم الفاعلي.

ج - الترجمة في ضوء المنهج اللساني:

الذي يعد المقام المشترك الذي أرسى عليه علماء الترجمة اللسانيون قواعدهم، ووفق هؤلاء فإن العملية الترجمة تكمن أساسا في البحث عن توفير وحدة لسانية لوحدة لسانية أخرى مكافئة لها بين لغتين مختلفتين، أي البحث عن التكافؤ النصي والتطابق الشكلي. وتبعاً لهذا المنهج فإن العملية الترجمة تعني التعامل الكلي مع المستوى اللغوي بمفرده، كون أن اللغة ومعانيها تتوحد في الكلمة أو الجملة فقط وهذا يعني بالضرورة مسايرة الترجمة ضمن الفوارق اللغوية المساعدة على إيجاد المتشابهات على مستوى العبارات الموظفة في اللغتين الأصل والهدف.¹³

أثر نظرية التلقي في ترجمة النص الأدبي:

برزت آثار التمازج الذي حدث بين نظرية الترجمة ونظرية التلقي إلى تطوير ترجمة الشعر، وذلك بالاستفادة من مناهج الترجمة عموماً والترجمة الأدبية خصوصاً، وبالأخص كما ذكرنا سابقاً "المنهج التأويلي" و"المنهج اللساني". مما سمح للمترجم أن يستفيد من القواعد الترجمة على المستوى النظري والإجرائي.

وفي ظل توقع النص للقارئ، نلني فعالية الإسهامات النقدية والجمالية عند فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser تثير رؤية أمبرتو إيكو Umberto Eco النقدية، من خلال الإشارة إلى مفهوم القارئ الضمني Lecteur implicite الذي يبرز ممارسة الوقع الجمالي على القارئ (المتلقي)

أثناء فعل القراءة، على اعتبار أن القارئ الضمني هو بنية مندرجة داخل النص بالضرورة حتى تسلط الأضواء على شروط والظروف الراهنة التي تكسب النص الأدبي كيانه الواقعي بفعل القراءة الدالة.¹⁴ ومن هذا المنظور تتجلى المهمة الرئيسية للقارئ ليبرز كفاءاته في تحريك النص الذي وضعه مؤلفه في شكل آلة كسولة وسط فضاءاته البيضاء.¹⁵

وبالتالي، تلتقي هذه الإجراءات القرائية عند الناقلين المذكورين سابقا مع اهتمامات الترجمة الأدبية المعاصرة بفعل الاشتراك النظري بين نظرية التلقي ومناهج الترجمة.

فضلا عن هذا فإن دراسة أركان العملية الإبداعية لا تعتمد على المبدع والنص والمتلقي فحسب وإنما تتجاوز كل ذلك إلى معالجة طبيعة العلاقة والتفاعل بين وظيفة المبدع والمتلقي وعلاقتها بالنص. ومن الميزات التي تتجلى في المبدع أنه ذو معرفة وقدرة لغوية يتمكن بواسطتها استخدام النص في ضوء فكره ومشاعره، ومن جهة أخرى يقدر على نقل المتلقي إلى تجربته ومشاركته في أحاسيسه ومشاعره. ولكي يحقق المترجم أهدافه فمن الضروري أن يراعي الإحساس اللغوي عند المتلقي لا لشيء إلا لكون المتلقي المتفاعل مع تجربة المبدع ومشاعره هو قارئ وناقد، بل هو في الأصل أبعد من ذلك فهو مشارك في خلق النص وإبداعه أو في صنع المعنى وإيجاده، وهذه الرؤية يؤكدتها ت س إليوت بقوله: "إن القصيدة تقع في مكان بين الكاتب والقارئ"¹⁶.

النص هو عمل أدبي من النوع الرفيع¹⁷ ، ويمكن القول بأنه نسيج يتمتع بسبك محكم وبناء متماسك¹⁸ ، يقوم بإبداعه وخلق مبدع قصد توجيهه إلى متلقين كي يقرؤوه ويتفاعلوا معه سواء أكان ذلك سلبا أم إيجابا، أو بتعبير آخر يشاركون المبدع من خلال قراءتهم ونقدتهم وتذوقهم في عملية إبداع النص وخلقها. وحتى يتمكن النص من التأثير في المتلقي، فلا بد من أن يراعي المترجم توظيف لغة أدبية جيدة تعبر عن جمال فني يجعله مختلفا عن الكلام العادي¹⁹.

وتعرضنا لهذه القضية، يدفعنا إلى إبراز جملة من الصفات التي يجب أن يتحلى بها القارئ أو المترجم وفق منظور نظرية التلقي، فهي تراه ذلك الشخص القادر، الحر، الفعال، الجريء، المكتشف، المجد، و الموجد لمعنى مضمرة داخل النص، فهو يتفاعل ويتعامل معه، لإحداث متعة جمالية، فيقوم الخيال الواسع بتذوقه، ولهذا السبب نجد "فولفغانغ إيزر" يتحدث عن نص تخيلي، وهو ذلك النص الذي يعكس قدرة المتلقي على التخيل ومعرفة المشاهد والصور والأحداث التي تدور به ليملاً البيضاءات ويكملها أثناء العملية التأويلية التي من شأنها إدخاله في صراع مع المعنى الأصلي، فيصبح النص بذلك تجربة القارئ الخاصة، إنه يحيها من أحداث الواقع الجمالي، "قالنص هو افتراض بسيط ليس باستطاعته إيجاد راهنه إلا بفضل الفاعل"²⁰، وهو هدف يرمي إلى تحقيقه أصحاب هذه النظرية.

الترجمة وإشكالية الدلالة:

لقد اتضح مما سبق بسطه أنه إذا كانت هناك أولوية تفرض نفسها على مترجم الشعر فهي بدون شك المحافظة على مضمون ونكهة النص الأصلي قدر الإمكان، ذلك أن الشكل لا يلتزم باحترامه الحرفي بحكم اختلاف اللغات في نمطية التركيب وقواعد الإيقاع، وغيرها من الأمور الشكلية. بل يشير معظم الباحثين إلى أن المترجم قد "يضطر غالبا، لكي يحافظ على جانب المضمون الثابت، إلى التحويلات في الترجمة، من تبديل واستبدال وحذف وإضافة"²¹.

يحيل الحديث عن المضمون بشكل أو بآخر على المعاني، ذلك أن المضمون في أبسط تصوراته هو المعاني المعبر عنها باللغة ضمن سياقات يحكمها توزيع الألفاظ داخل السلسلة الكلامية، وفقا لنظام علائقي معين، يأخذ بعين الاعتبار مقاصد المتكلم وملابسات الموقف. هذه القيمة التي تحتلها المعاني في الفعل الترجمي هي التي دفعت بمعظم المنظرين إلى تحديد المهمة الأساسية للترجمة في نقل المعاني، كما سبق الذكر.

وإذا تأكد هذا الطرح، واستقر لدينا أن الترجمة ليست نقلا حرفيا للشكل وإنما هي نقل للمعنى، فإن ذلك يستوجب منا تحديد المعاني؛ من خلال التمييز بين نوعين من المعاني هما: الدلالة الإيحائية والدلالة التركيبية.

1. الدلالة الإيحائية:

تحتل الدلالات الإيحائية - بحسب وظيفتها - موقعا مرموقا في عملية إنتاج الكلام عموما، وفي الإنتاج الأدبي خصوصا؛ فهي سمات دالة إضافية يعزز بها مستعمل اللغة السمات الخاصة التي تتشكل منها الدلالة الذاتية للكلمة؛ يمكن تصور الدلالات الإيحائية على أنها نوع من "القيمة المضافة المقترحة التي تحمل الدال والمدلول بشحنة أو صدى دلالي آخر إضافة إلى ذلك الذي تدل عليه في استعمالها العادي"²². وهي عند مارتيني "كل ما هو في استعمال الكلمة ليس ملكا لتجربة جميع مستعملي هذه اللغة"²³.

ويمكن استنادا إلى هذا التقديم الأولي استخلاص بعض الخصائص المميزة لطبيعة واستعمال الدلالات الإيحائية:

- يخضع توظيف الدلالات الإيحائية لدواعي خاصة تعبر عن ذاتية مستعملها إزاء موضوعه وموقفه من اللغة؛ فهي محاولة منه لتجاوز نمطية اللغة من جهة، ومحاولة الانزياح عن نمطها العادي بأكثر المعاني رسوخا في الذات من جهة أخرى.

- تتميز الدلالات الإيحائية بطابعها المتميز والمتفرد، وبالتالي فهي "متغيرة بحسب طريقة تقبلها... وتختلف وجهات النظر إليها، لأنها في آن واحد من مشمولات الذرائعية والأسلوبية وعلم الدلالة... وقد يدركها القارئ الواحد بطرق مختلفة في الأوقات المتعاقبة وفي الظروف المختلفة حسب تجربته وحالته

النفسية وما إلى ذلك".²⁴ وعليه فإن ترجمتها واستنتاج كوامنها يبقى مرتبطا بتتبع توزيعها داخل النص الشعري، وبمعنى آخر فإن تحليل الدلالات الإيحائية يرتبط عضويا بتحليل البيت الشعري أو القصيدة.

2. الدلالة التركيبية:

تدرج ضمن الدلالة التركيبية كل الدلالات المستفادة من وظيفة اللفظ داخل السياق، والتي تأخذ بعين الاعتبار الرتبة - التقديم والتأخير - و الحذف والذكر والفصل والوصل، وما إلى ذلك مما يحدد وظيفة اللفظ وأثره على الدلالة ضمن السياق، وهي الطبيعة التي تحدد هيكله الجملة ونظام العلاقات الذي يربط أجزاءها، وتأثير تموقع اللفظ داخل التركيب على الدلالة.

وقد يؤدي اختلاف اللغات في هذا المجال بالذات إلى مخالفة نمط تركيب الجملة في القصيدة الشعرية الأصلية عند ترجمتها إلى لغة أخرى، فيظهر المحذوف مثلا أو العكس، أو تلغى الرتبة أو يستعان بأوصاف لتحديد وظيفة اللغة ضمن التركيب. وعليه يبقى البحث عن ترجمة مثالية للشعر أمرا صعبا، خصوصا وأن النص الإبداعي فضاء مفتوح يمتلك سر خلوده في انفتاحه على شتى القراءات. وعليه المترجم ليس مطالب بإنجاز الترجمة المثالية وإنما هو مطالب بأن يكيف النص الأصلي مع خصوصيات اللغة الهدف والقارئ الذي تتوجه إليه الترجمة.

خاتمة:

إن المسألة شائكة إلى أبعد الحدود، والحل بكل تأكيد لا يكمن في الترجمة الحرفية للشعر وإنما في كيفية الحفاظ على نكهة القصيدة وروحها، لأن ترجمة الشعر من أصعب الترجمات التي تستوجب من المترجم أن يكون ملما بميدان الشعر حتى يستطيع أن يترجم الشعر ويفهمه بجميع مميزاته الدلالية والإيحائية والجمالية، في سبيل تحقيق المتعة الفنية للمتلقي.

Abstract:

Ancient grammarians, modern scholars and composers dealt with the structure comprehensively, including its different aspects, while the old ones treated them accurately and comprehensively. They analysed the structure and highlighted the grammatical function of its constituent words on the basis of its grammatical sections within the fabric of relations between words.

The present study deals with subject and predicate in Arabic syntax and other syntactic theories, it refers to the uses of Subject and Predicate, functional syntax and discourse grammar. It reaches the conclusion that these are differences in subject and predicate uses that are governed by such syntactic theories, and suggests the formulation of further theories

dealing specifically with subject and predicate in Discourse (namely what may be called “discourse predication”).

It is clear that the grammarians took interest in the structures of the document, and adopted the document and the two pillars of the Arabic sentence.

Through this study, we will seek to study the associative structure, which includes the combination of words based on the desired meaning, taking into account the meanings of grammar and the consequent provision, delay, mention, deletion, addition structure, etc.

The study of linguistic structures is one of the topics that has attracted great attention among the old and modern linguists. It is the goal of every linguistic structure, and thus it is the goal sought by the recipient and the creator attempts to communicate it.

It is the means by which linguistic harmony is achieved, and we will try to study some of these rhetorical structures and their rhetorical functions, through the applied study of these grammatical models in contemporary Algerian poetic discourse.

The poet Abdallah Hammadi is one of the first poets to achieve a qualitative leap in contemporary Algerian poetry through his use of various and varied grammatical compositions, which are a model of creative excellence and stylistic uniqueness.

For it is a part of linguistic, this study aims to present the importance of syntax and its relation with semantics. Its aims implies on how to use this terms and their correlation among each other and analysing the language phenomena.

In order to clarify what we have said, we have tried to combine some of the associative structures contained in contemporary Algerian poetry through the poet models of “Abdallah Hammadi” and to study them systematically to determine their significance in context.

Key words: *Actual attribution – Nominal attribution – actual attribution– provision and delay – deletion – addition structures.*

هوامش البحث:

¹ محمد عناني، الترجمة الأدبية بين التنظير والتطبيق، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، د.ط، 1997، ص7.

² المرجع نفسه، ص7.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص92 – 93.

⁴ ينظر: عبد الكريم جدي، التقنية المسرحية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط، 2001، ص25.

⁵أحمد محمد ويس، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2002، ص5.

⁶سلمى حداد، لماذا يعزف المترجمون عن ترجمة الشعر؟ حلول لمشاكل تناصية، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 22- العدد: 03 - 04، 2006، ص352.

⁷موسى سامح ربابعة، التناص في نماذج الشعر العربي، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط1، 2000، ص97.

⁸مارك أنجيلو، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المديني، الدار البيضاء - المغرب، ط1، د.ت، ص102.

⁹ينظر: سلمى حداد، مقال: لماذا يعزف المترجمون عن ترجمة الشعر؟ حلول لمشاكل تناصية، ص371-372.
¹⁰المرجع نفسه، ص367.

¹¹Voir, Wolfgang Iser : L'acte de lecture, Théorie de l'effet esthétique, traduction : Evelyne Szyer, Ed : Mardaga – Bruxelles, 1985, p70.

¹²Georges Steiner : Après Babel, Bibliothèque, Albin Michel des idées : Traduction, Loetringer 1978, p 134 – 135.

¹³ينظر محمد شاهين، نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، د.ت، ص12.

¹⁴Voir, Wolfgang Iser : L'acte de lecture, p 70.

¹⁵Umberto Eco, Lector in fabula, Ed :Grasset Paris, 1985, p 66.

¹⁶Hans Robert ,Yauss/ Pour une esthétique de la réception, Ed : Gallimard- Paris, 1978, p10.

¹⁷Wolfgang Iser : L'acte de lecture, Théorie de l'effet esthétique, Trad Evelyne Szyer Bruxelles, Ed : Pierre Margada, 1976, p121.

¹⁸ ينظر: بول ريكور، النص والتأويل، ترجمة: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد3، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، 1988، ص37.

¹⁹ ينظر: رولان بارت، نظرية النص، تر: محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد3، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، 1988، ص89.

²⁰ ينظر: شكري عياد، دائرة الإبداع، دار إلياس المصرية، القاهرة، دط، 1986، ص124.

²¹ ينظر: أسعد مظفر الدين الحكيم، علم الترجمة النظري، دار طلاس، دمشق - سوريا، ط1، 1989، ص47.

²²Catherine Fromilhague et Anne Sancier, Introduction à l'analyse stylistique, Gauthiers

Villars – Paris, 1991, p162.

²³Georges Mounin, Clefs pour la linguistique, Seghers – Paris, 1971, p164.

²⁴ محمد عجيبة، نظرية الترجمة، ضمن كتاب الترجمة ونظرياتها: لمجموعة من المؤلفين، بيت الحكمة، قرطاج - تونس، 1999، ص268.

اللّسانيات؛ قراءة في المصطلح والمفهوم والمنطلقات

د. رابح بن خوية

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج

ra.benkhouya@yahoo.com

الملخص:

تناول المقال موضوع (اللّسانيات)؛ وتابع المصطلح الخاص بها ومفهومه في الدراسات اللسانية الغربية المتخصصة وفي الدراسات اللسانية العربية المتخصصة، كذلك، وحاول أن يحدّد جوانب تميّزها عن العلوم اللغوية التقليدية، ووقف على أهمّ المبادئ التي تؤسس (اللّسانيات) كعلم رائد والمهمات التي تقوم بها والتطلعات التي تنشدها.

بالإضافة إلى اقتراحه من تحديد الصعوبات التي تعرقل تلقي العلمي من طرف القارئ العربي، والتي ترجع في الأساس إلى أزمة في منظومة المصطلح والمفاهيم. وأشار إلى الحلول المقترحة في سبيل إزالة هذه الصعوبات المعيقة.

الكلمات المفتاحية: اللّسانيات - اللغة - الوصفية - المعيارية - النحو - فقه اللغة.

Summary:

this article deals with the object of (linguistics); and it discussed its term and its concept in Western specialized linguistics studies and in Arabic linguistics specialized studies, as well, and tried to identify aspects that distinguish them from traditional linguistic sciences, and it also stood on the most important principles to establish (linguistics) as a pioneer science and the tasks carried out by it and its aspirations. In addition to its proximity to identify the difficulties that hinder the scientific receipt by the Arab reader, which is due primarily to a crisis in the system of terminology and concepts. Finally the article referred to the proposed solutions in order to remove these obstructive difficulties.

Keywords: linguistics, language, descriptive, grammar, normative, philology

تقديم:

تتقدّم (اللسانيات) (*) (*linguistique/ linguistics*) بعدّها أحد العلوم الحديثة المهمة في حقل الدراسات الإنسانية، عامّة، والعلوم اللغوية خاصّة، وقد عنيت الجامعات العربية منذ عهد بعيد باقتراض هذا الضرب من المعرفة والتّعريف به والتأصيل له وإنزاله في المنزلة اللائقة به، في وقت كانت النظرة إليه مشوية بالتوجّس والحذر أو الإهمال والإغفال.

وقد بذل الرّواد من علماء اللّغة العرب المحدثين جهداً معتبراً في تقديم اللسانيات إلى القارئ العربيّ في شكل واضح يمكنه من فهمه واستيعابه، رغم ما يكتنف هذا العلم من غموض وليس في مصطلحاته ومفاهيمه وتشويش في عملية تلقّيه من طرف القارئ العربيّ.

ومهما تكن الظروف المواقبة لعملية التلقّي تلك، فهذا لا يحول دون بذل الجهد في تلقّيه وتمثّله والإضافة إليه مما يكتنزه تراثنا اللّغويّ من معطيات دقيقة ونظرات لغويّة ثاقبة أثبت الزّمن والتّجربة صحتّها وسلامتها وحدها الصادق ممّا يشهد للأجداد بالسّبق وأصالة النّظر وبعد الرؤية. وهي مقدّمات نحن في حاجة ماسّة إلى استثمارها وتوظيفها في سياقنا الثقافيّ والمعرفيّ الحديث والمعاصر وتطعيمها بما استجدّ من نظريات وما اكتمل من خبرات ومعارف لتكون إطاراً نظريّاً معرفياً فريداً وإبداعاً عربياً خالصاً يثري رصيد التّجربة الإنسانيّة في ميدان الدّرس اللّغويّ والدّرس العلميّ.

وبهذا الصّدّد فإن مقارنة اللسانيات من حيث اصطلاحها ومفهومها وعلاقتها بالمعارف القريبة منها وإسهامات العالم اللساني ف. دوسوسير مؤسس اللسانيات الحديثة جديدة بالاهتمام والمتابعة والتقديم.

1- اللسانيات علم لغويا رائدا:

استغرقت (اللسانيات) (*linguistique/ linguistics*) زمناً طويلاً، وفي خضمّه ذلك الزّمن تأسّس جهازها النّظريّ وتشكّلت منظومتها المفاهيمية والاصطلاحية، وتراكم إنجازها التّطبيقيّ والميدانيّ وتبلورت حزمة أدواتها المنهجية والإجرائيّة، فترسّخ الرصيد المعرفيّ اللسانيّ، وأثمر في ظلّ مدارس واتّجاهات وفي إطار نظريات متجدّدة.

لقد غدت (اللسانيات) علماً رائداً يبعث على الإعجاب ويثير التّساؤل ويفتح نوافذ الأمل في فهم اللّغة الإنسانية ووظيفتها وآليات عملها والقوانين الضابطة لبنائها، ويمهّد الطّريق إلى آفاق جديدة تبشّر بفتوحات منتظرة في مجال الدّراسات العلميّة اللّغويّة وغير اللّغويّة، ويستثمر كشوفاتها في فهم وتفسير الظواهر العلميّة.

هذا، وقد شقت اللسانيات طريقها متجنباً كثيراً من معوقات البحث مؤكدة أهميتها وخطورتها وقدرتها على العطاء وفعاليتها في النشاط وتجدها المستمر وسعيها إلى استكمال وسائلها العلمية وتكريس نموذجها المعرفي وبناء صرحها الشامخ.

وعلى مستوى الدرس العربي فقد كانت النظرة إلى اللسانيات نظرة قاتمة يشوبها الشك والريبة حيناً والحيرة والتردد حيناً آخر لما اكتنف هذا العلم الوليد من غموض في وظيفته وغايته وللملابسات التاريخية التي ارتبط بها، وقد عبّر عبد القادر الفاسي الفهري -أحد الباحثين اللسانيين العرب المغاربة- عن تجربته مع هذا العلم، فيقول: " وقد يقطع الباحث أشواطاً ومراحل في النشاط العلمي ثم تعاوده أسئلة تعيده إلى البدء، أسئلة يحتاج إلى طرحها من جديد، والإجابة عنها بما أكسبته من تجربة ومراس. فما هذه اللسانيات، يا ترى، التي أصبح يتحدث عنها الكل، ويشحن مراجعها ببعض منها؟ ما هذه اللسانيات كعلم وكنشاط تحليلي وكفلسفة... الخ؟ كيف نستطيع تمثلها؟ ما علاقتها بالثقافة، ما علاقتها بالعلوم الأخرى الدقيقة أو غير الدقيقة؟ ما النشاط اللساني بالمقارنة مع أنشطة علمية أخرى؟ لماذا تنغلق المادة على المبتدئ والمتقدم في ذات الآن؟ ما هذا الإحساس الغريب عند اللسانيين، من شاب منهم ومن شب بخطورة الظرف، وضرورة التجنيد دون انقطاع أو فتور؟ ما هذه السرعة التي تطوى بها الإشكالات؟...". (1)

هي في الواقع أسئلة كثيرة لا تنتهي، ولا تكف عن إزعاج الباحثين، أسئلة تتولد وتتجدد ولا تغيب عن بال من يتصدّر إلى هذا العلم. إنها إشكالات تبرهن على صحة المسار العلمي للساني وسلامة إجراءاتها ووسائله وأهدافه ونتائجه. تمثل القلق العلمي الذي لا يطمئن إلى النتائج، فيستمر في اقتراح الفرضيات ويجدّ في إيجاد الحلول وتقديم الإجابات.

وقد صرح عبد السلام المسدي -وهو لسانيّ خبير هذا العلم وسبر أغواره ووقف على جواهره- بأن " لعلم اللسان اليوم خطراً جليلاً في المعارف الإنسانية قاطبة ما صحّ لدى أصحابه وما قدرت حقائقه تقديراً، ومن فضول القول لدى ذوي العلم والرجحان أن يتحدث المرء اليوم عن منزلة اللسانيات ووجاهة شأنها، فلو فعل لكان شأنه لديهم شأن من ينوّه بالرياضيات الحديثة بين أهل العلوم الدقيقة، أو شأن من يمتدح قيمة التحاليل العضوية وكشوف الأشعة في حقل العلوم الطبية". (2)

وقد يختلف وضع (اللسانيات في الدرس العربي عن وضعها في الدرس الغربي لأسباب كثيرة، ومما لا شك فيه أيضا أنّ وضعها الزاهن يختلف بكثير عن وضعها في بداياتها الأولى يوم أُطلّ على الدرس العربي في القرن الماضي.

ومع ذلك فاللسانيات تتطلب مرجعا معرفيا ملائما وتشتت تَأثيئا علميا مناسباً في الباحث والطالب، ذلك التأثيث العلمي الذي يقوم على الرّصيد اللّغويّ المتعدّد والقدرات الذهنية والاستعدادات العقلية وسعة الأفق وبعد النّظر وكثرة الاطلاع على المستجدات والمكتشفات والإنجازات ومواكبتها واستثمار معطيات العلوم المجاورة والمشاركة الفعّالة في بناء النّظرية اللّسانية التي تستوعب الظاهرة اللّغويّة التي تعدّ أبرز سمة لهذا الإنسان الموصوف بالناطق وتساعد في فهمها.

1-1- اللّسانيات و الاصطلاح العلمي:

من البديهي أنّ المنظومة الاصطلاحية لأيّ علم تعدّ مفتاح المرور إلى ماهيته والتعرّف إلى حقيقته، وهو ما ينطبق على (اللسانيات) التي يأتي على رأس منظومتها الاصطلاحية المصطلح الرئيس الدال عليها بوصفها علما.

فالمعاجم الخاصّة باللسانيات، وأيضا، المعاجم العامّة، والمراجع اللّسانية المختلفة تقدّم تعريفا واحدا لهذا العلم تشترك بنيته وصياغته التركيبية في المفردات الأساسيّة، مع ملاحظة الفوارق النّاجمة، أساسا، عن اختلاف المدارس والاتّجاهات وعن تطوّر الدرس وتقدّمه في هذا المجال، وعن التّرجمة، كذلك، من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة وإلى اللّغات الأخرى.

فبعض اللغات لا تتوفّر على المصطلحات العلميّة البديلة الكفيلة بنقل المعاني والدلالات والمفاهيم، أو تتوفر على مصطلحات بديلة بعيدة عن الدقّة والوضوح غير ممكن إدراجها في المنظومات الاصطلاحية الأخرى لتعدّد دلالاتها بتعدّد السياقات العلميّة التي توظّف فيها، أو لكثرة تلك المصطلحات وتنوعها وتشتتها وعدم الاكتفاء بالذائع منها والاستقرار عليه في الاستعمال، فهي في حاجة إلى الضبط والتّوحيد والاتّفاق.

وبناء عليه، فمقاربة المصطلح(اللسانيات) في المعاجم وفي المراجع اللّسانية تيسّر تقديم تعريف جليّ ومفهوم واضح لهذا العم اللغويّ.

1-2-المصطلح (اللسانيات) ومفهومه في المعاجم اللسانية:

إن تتبّع المصطلح ومفهومه في المعاجم اللسانية الغربية يحقّق تأصيلاً معرفياً وتحقيقاً علمياً من حيث يقف على سياقات استعمال المصطلح والمفهوم الذي يحمله، وفرصة المتابعة الواسعة الشاملة غير متاحة، وهنا، ولكن نكتفي بالنظر في بعض المعاجم الذائعة الصيت.

-يقدم (معجم اللسانيات وعلوم اللّغة) (*Dictionnaire De Linguistique Et Des Sciences Du Langage*)
 ((Langage))

تعريفا موجزا للسانيات، هذا نصّه: "*étude scientifique du langage*"، وهو ما يمكن ترجمته إلى العربية بالتحديد نفسه بـ"دراسة علمية للغة (أو اللسان)".⁽³⁾

ويشير هذا المعجم إلى أن هذا التعريف قد تأكّد بعد نشر كتاب فرديناند دوسوسير (محاضرات في اللسانيات العامة) (*Cours De Linguistique Générale*) عام 1916.

-ويقدم (معجم اللسانيات) (*Dictionnaire De la linguistique*) تعريفاً آخر أكثر دقّة وإحاطة بالاعتبارات المتعلقة باللسانيات وعلاقتها وفروعها وتطوّراتها، ونصّه كالآتي:

Science du langage, c'est-à-dire étude objective, descriptive et explicative de la structure, du fonctionnement (linguistique synchronique) et de la l'évolution dans le temps (linguistique diachronique) des langues naturelles humaines. S'oppose ainsi à la grammaire (descriptive et normative) et à la philosophie du langage (hypothèses métaphysiques, biologique, psychologiques, esthétiques sur l'origine, le fonctionnement, la signification anthropologiques possibles du langage."⁽⁴⁾

"علم اللّغة (اللسانيات) يعني" الدراسة الموضوعيّة الوصفية والتفسيرية للبنية وللوظيفة (اللسانيات السانكرونية) وللتطوّر في الزمن (اللسانيات الدياكرونية) تطوّر الألسنة الإنسانية الطبيعيّة (اللغات الإنسانية الطبيعيّة). وهي تتعارض، أيضاً، مع النحو أو القواعد (الوصفيّة والمعياريّة) ومع فلسفة اللّغة (الفرضيات الماورائيّة، والبيولوجيّة والنفسية، والجماليّة حول الأصل والوظيفة والدلالة الأنثروبولوجيّة الممكنة للّغة. "

ويأخذ هذا التعريف أهميته العلميّة لمراعاته هذه الجوانب الحاسمة في صياغة أيّ مفهوم للسانيات، خاصّة، إذا نظرنا إلى هذا التقدّم الهائل الذي أحرزته اللسانيات في القرن الأخير.

- وقد ورد في معجم ((الاروس)) (*Larousse Dictionnaire De Français*) تعريفاً قريباً من التعريفين السابقين (تعريف جون ديبيوا وجورج مونان).

ف(اللسانيات)، كما جاء فيه، هي: "العلم الذي يدرس اللّغة واللّغات". أو اللّغة والألسن - حسب الترجمة - وهي ترجمة تقابل التعريف في لغته الأصلية الفرنسية، وهو ينصّ على أنّ اللسانيات هي: " *science qui étudie le langage et les langues* ".⁽⁵⁾

إن المفهوم المستنبط من التعاريف المقترحة في المعجمين اللسانيين وفي المعجم اللغوي يجسّد ماهية اللسانية كعلم ومعرفة ويحدّد موضوع اهتمامها ومحور بحثها.

1-3- المصطلح (اللسانيات) ومفهومه في المراجع الغربية المتخصصة:

وبعيدا عن المعاجم، فإنّ مفهوم المصطلح (اللسانيات) في الدراسات اللغوية والبحوث اللسانية هو نسخة مطابقة للمفهوم المتداول في تلك المعاجم. وتلتقي، مجتمعة، في بوتقة المفهوم الجامع المشترك تجاوزا لبعض الإشارات اللغوية اليسيرة. وهو ما نصل إليه خلال قراءة في بعض من تلك المراجع المتخصصة.

- فأندري مارتيني (*André Martinet*) في كتابه (*Éléments de Linguistique Générale*) يعرف (اللسانيات) بأنّها: "الدراسة العلميّة للغة الإنسانية".⁽⁶⁾

- ويشير جان بيرو (*Jean Perrot*) في كتابه (اللسانيات) (*La Linguistique*) إلى أنّ "موضوع اللسانيات الدراسة العلميّة للّغات، فهي ترى في التجليات التي هي اللّغات ظاهرة متعدّدة الجوانب...".⁽⁷⁾ ويذكر ماريو باي (*Mario Pei*) في كتابه (أسس علم اللّغة) - وعنوان الكتاب هو الترجمة التي ارتضاها المترجم لعنوان للكتاب في الانجليزية (*Invitation To Linguistics A Basic Introduction To The Science Of Language*) - أنّ علم اللّغة (اللسانيات) - "الذي هو الدّراسة العلميّة للّغة واللّغات - قد أصبح علما رائجا ليس فقط في الكليات والجامعات. وإنما في الدوائر الحكوميّة، بل وحتى بين المتعلّمين العاديين".⁽⁸⁾

وما يمكن أن نلاحظه هو أنّ المصطلح اللساني (اللسانيات) في التعريفات السالفة الذكر المنقولة عن الفرنسية (مارتيني، بيرو...) أو المقتبسة عن الإنجليزية (باي...)، لا تختلف إلّا في الصيغة اللغويّة بالإفراد في (*Linguistique*) ومن المقابلات الاصطلاحية له في العربية (اللسانية)، وهي الترجمة الواردة، مثلا، في كتاب (مفهومات في بنية النص) لوانل بركات في ترجمته لمقال عن (اللسانية) لجورج مونان (*G. Mounin*).⁽⁹⁾ وبالجمع في (*Linguistics*) ومقابلاته الاصطلاحية في العربية

(اللسانيات) التي تعدّ الترجمة الأكثر تداولاً والواسع استعمالاً في البحوث اللسانية ولدى المنشغلين بهذا العلم.

ويمكن أن نستنتج ممّا تقدّم أن وضع المصطلح والمفهوم (اللساني) في الدراسات اللغوية الغربية قار لا تترتب عنه أية مشكلة في الفهم ولا ينتج عنه أيّ تشويش في التلقي.

وقد يختلف الوضع في درسنا اللغويّ العربي عمّا هو عليه في غيره، ممّا يقودنا إلى تتبّع المصطلح (اللسانيات) والمفهوم والتعريف في الدرس اللسانيّ العربيّ لملاحظة الاختلاف وما نجم عنه من مشكلات أعاقت تقدّم العلم اللساني وأساعت إلى طريقة تلقّيه على الوجه الأمثل.

1-4- المصطلح (اللسانيات) ومفهومه في المراجع العربيّة المتخصصة:

وجدت اللسانيات اهتماماً كبيراً في الدراسات العربية اللسانية، وانبرى المشتغلون بها إلى التعريف بها والتقديم لها، ترجمة وتعريباً، والدعوة إليها، وهو ما نلمسه في بعض تلك الكتابات التي رصدنا فيها المصطلح ومفهومه.

- يعرف أحمد مختار عمر في كتابه (محاضرات في علم اللّغة الحديث) اللسانيات (علم اللّغة) بأنّها " العلم الذي يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علميّة باعتبارها جزءاً هاماً من السلوك الإنسانيّ، وربّما جزءاً من أهمّ أجزاء الحياة الإنسانيّة كما نعرفها".⁽¹⁰⁾ وذلك في حديثه عن علم اللّغة الحديث ومجالات تطبيقه والطفرة الهائلة التي حقّقها والتقدّم الواسع الذي أحرزه على حدّ تعبيره.

- ويعرّف محمود فهمي حجازي (اللسانيات) أو (علم اللّغة) في كتابه (علم اللّغة بين التّراث والمناهج الحديثة) بقوله: "موضوع علم اللّغة *Linguistics* دراسة اللّغة على نحو علمي..."، ويضيف تأكيداً على دقّة المصطلح وضرورة فهمه - "وهذه الكلمة مصطلح لا يفهم معناه بدقّة إلا المهتمون باللّغة".⁽¹¹⁾

- ويعرّفها رمضان عبد التّواب مؤثراً مصطلح (علم اللّغة)، فيقول: "علم اللّغة هو العلم الذي يبحث في اللّغة، ويتّخذها موضوعاً له، فيدرسها من النّواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللّغات، ويدرس وظائف اللّغة وأساليبها المتعدّدة، وعلاقتها بالنّظم الاجتماعيّة المختلفة".⁽¹²⁾ ويجعل "موضوع علم اللّغة هو كلّ النشاط اللّغويّ للإنسان في الماضي والحاضر ويستوي في هذا الإنسان البدائيّ والمتحضّر، واللّغات الحيّة والميتة والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحّة أو لحن أو جودة أو رداة أو غير ذلك، واللّغة التي يبحث فيها هذا العلم ليست هي اللّغة العربيّة أو الإنجليزيّة أو الألمانيّة وإنّما هي اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها...".⁽¹³⁾

وهنا يتبين أن فريقاً من علماء اللغة العرب يستعمل المصطلح (علم اللغة) للدلالة على اللسانيات، فهو يتبعه بالمصطلح الأجنبي (*Linguistics*) لتعيين القصد منه.

- ويكتفي عبد السلام المسدي في كتابه (اللسانيات وأسسها المعرفية) بتقديم تعريف مختزل، فيذكر أن اللسانيات: "علم موضوعه اللغة".⁽¹⁴⁾ وهذا التعريف يركز على تعيين طبيعة (اللسانيات) كعلم والموضوع الذي تتكفل به، وهو اللغة.

- ويعرف أحمد حساني (اللسانيات) في كتابه (مباحث في اللسانيات) بأنها "علم يمتلك كل الخصائص المعرفية التي تميزه عما سواه من العلوم الإنسانية الأخرى من حيث الأسس الفلسفية، والمنهج والمفاهيم، والاصطلاحات... وموضوع اللسانيات هو اللسان".⁽¹⁵⁾

- أمّا مصطفى حركات في كتابه (اللسانيات العامة وقضايا العربية) فيشير إلى أن (اللسانيات) تعرف عادة بأنها "الدراسة العلمية للسان".⁽¹⁶⁾ ويستدرك على هذا التعريف أنه عام جداً ولا يحدد اتجاه هذه الدراسة ولا نوعها ولا اهتماماتها... ومع ذلك فاللسانيات علم قائم بذاته، وهو يستعمل منهجية خاصة ويهدف إلى أغراض معينة.⁽¹⁷⁾

وفي كثير من البحوث اللسانية والدراسات اللغوية المهمة بهذا الفرع من المعرفة الإنسانية يرد تعريف (اللسانيات) على هذه الشاكلة ويؤدي هذا المفهوم، وإن كانت هناك تعديلات في الصياغة اللغوية للتعريف، هي من باب تحديد المنهج أو المدرسة أو الاتجاه. أو تسمية الموضوع (اللغة/اللسان).

2- اللسانيات المبادئ والمهمات: والتطلعات:

هذا، ولتنفيذ استراتيجية المقاربة العلمية التي تستهدف مصطلح (اللسانيات) ومفهومها، وترمي إلى الوقوف على الأسس المعرفية التي تنبثق منها مجموعة البدائل الاصطلاحية المقترحة للعنوان الرئيس لهذا العلم الذي تأرجح بين (لسانيات، ولسانية، وعلم لغة، وعلم لسان...) ولموضوعه الذي لم يستقر على تحديد دقيق فتأرجح المصطلح الدال عليه بين (لغة، ولسان...) ولماهيته (علم دراسة علمية...)، نتناول بالوصف والتحليل تعريفاً يعرضه أحمد محمد قدير في كتابه القيم (مبادئ اللسانيات)

كعينة جدير بالنظر العلمي، إذ يقول في تعريف (اللسانيات): "اللسانيات *Linguistique* هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية".⁽¹⁸⁾، وهو التعريف الذي ينقله وبترجمته عن (معجم اللسانيات) ((*Dictionnaire De la linguistique*) المذكور سابقاً.

والظاهر من التركيز على كلمة (علم) أو (دراسة علمية) في كلّ التعريفات التي يتوخى مقترحوها تمييز الطبيعة والماهية العلمية للسانيات أن القصد هو تخصيص (اللسانيات) كعلم مختلف من بين العلوم والمعارف التي اتخذت اللغة مادة لها أو تعرّضت إليها في مبحث من مباحثها.

فكل التعريفات تضم في بنياتها اللغوية واحدة من الميزتين (علم) أو (دراسة علمية)، فهما بمثابة الكلمات الأساسية في التعريف أو بمثابة مفتاح العلم اللساني. بالإضافة إلى كلمة أخرى لها قيمتها في التحديد قد تفتقر بها في سياقات كثيرة، وهي كلمة (موضوعية).

وبهاتين الصفتين (العلمية) و (الموضوعية)، وبما تحيلان إليه من دلالة حظيت (اللسانيات) بشرعية العلم المستقلّ المغاير لوضع الدراسات اللغوية في القرون السابقة. فمن شروط الدراسة المتّصفة بالعلم اتباع طريقة منهجية والانطلاق من أسس موضوعية يمكن التّحقّق منها وإثباتها. (19)

وهما المبدآن اللذان يستحضرهما أحمد حسان في تعريفه (اللسانيات)؛ إذ يقول: "اللسانيات هي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري، من خلال الألسنة الخاصة بكلّ مجتمع، فهي دراسة تتميز بالعلمية والموضوعية". (20) وتكرارهما في ذات التعريف تأكيد لأهميتهما في الدراسة اللسانية.

إنّ (العلمية) نسبة إلى العلم الذي من دلالاته معرفة وإدراك الشيء على ما هو عليه، أو بعبارة أدقّ الدراسة التي تقتصر على موضوع محدّد وطريقة ثابتة تخلص إلى مجموعة من القوانين. وقد يتعلّق العلم بالمسائل النظرية مفسراً الظواهر، ومبيّناً القوانين التي تحكمها. وقد يرتبط، أيضاً، بتطبيق تلك القوانين المكتشفة في دراسة الظواهر على الحالات الجزئية.

وأما (الموضوعية) فنسبة إلى الموضوع، وهو كلّ ما هو موجود في الواقع وفي العالم الخارجي، خارج الذات وخارج العلم الداخلي. فالموضوعي ما تتساوى جميع حالاته عند مختلف الدارسين برغم اختلاف المنطلقات وزوايا النظر. ووفقاً لهذا المفهوم تكون الحقائق مستقلة عن قائلها بعيدة عن التأثير بأهوائهم ومبولهم. وبناء عليه تكون (الموضوعية) طريقة العقل في تناوله للأشياء على ما هي عليه فلا يخضعها لنظرة ضيقة أو يقحمها في موقف ذاتي. (21)

وتدلّ كلّ من (العلمية) و (الموضوعية) على ما يلي:

- 1- ملاحظة الظاهرة واعتماد التجربة والاستقراء المتواصل.
- 2- اعتماد الاستدلال العقليّ وكلّ العمليات الافتراضية والاستنتاجية في الدرس والتّحليل.
- 3- توظيف النماذج والرّموز والعلاقات الرياضية. (22)

وبالنظر إلى هذه الضوابط والاعتبارات وضع اللسانيون شروطا يلتزم بها اللساني في دراسته للظاهرة اللغوية، فينبغي عليه أن يدرس اللغة كما هي، دون أن يغير من طبيعتها، أو أن يقتصر في دراسته على جوانب ويقصي أخرى، استهجانا لها، أو استخفافا بها. فهو يدرسها دراسة موضوعية تتغى الكشف عن حقيقتها لا تحقيق أغراض تربوية أو عملية بقصد الارتقاء بها، أو تصحيح جانب منها... فعمل اللساني يقتصر على الوصف والتحليل بطريقة موضوعية. (23)

ويلفت ر. ه. روبنز (R.H.Robins)، وهو يؤرخ للسانيات (علم اللغة) في الغرب - الانتباه في مقدمة الفصل الأول من كتابه (موجز تاريخ علم اللغة) إلى أن المصطلح (علم) في التركيب (العلم اللغوي) يستعمل هنا بشكل مقصود، ولكن ليس بشكل حصري، فالعلم في هذا السياق ليس متميزا عن العلوم الإنسانية، فمزية الدقة والانضباط العقلي الذاتي من جانب، والحساسية والخيال من جانب آخر كلها شروط مطلوبة في العمل في أي دراسة مرضية للغة. (24)

ويومي في موضع آخر من المقدمة إلى أن "الدراسة التي تعتبر جزءا من تاريخ علم اللغة هي أي دراسة نظامية تتناول جانبا أو جوانب معينة من اللغة، ينظر إليها بوصفها أهدافا مهمة وجديرة في حد ذاتها بمثل هذه الدراسة". (25)

ويوضح أندري مارتندي (André Martinet) الطبيعة العلمية الخاصة باللسانيات؛ حين يقول: "لا يقال على دراسة ما إنها علمية إلا إذا اعتمدت على ملاحظة الأحداث وامتنعت عن اقتراح اختيار ما ضمن تلك الأحداث باسم بعض المبادئ الجمالية أو الأخلاقية، فالعلمي يقابل المعياري، وإنه لمن الأهمية بمكان أن نلح على الخاصية العلمية وليس على الخاصية المعيارية لهذه الدراسة...". (26)

ويعتقد عبد السلام المسدي أن (العلمية) لا يمكن أن تتجسد إلا في اعتماد موضوع ومنهج محددين لاسيما واللغة ظاهرة قديمة؛ يقول: "إن اللسانيات لم تكن أسبق إلى اتخاذ اللغة البشرية موضوعا للبحث وهي بذلك لا تستمد علّة وجودها من اكتشاف مادة جديدة في المعرفة الإنسانية فالتحو - في مفهومه الأعم - أسبق إلى اتخاذ اللغة موضوعا للعلم. ولكن اللسانيات وإن شاركتها مادة العلم فإنها قد غيرت أسلوب تناولها، والعلوم إذا اختلفت في المناهج تباينت في الهوية، وهذا هو الذي أكسب اللسانيات شرعية العلم المستقل بذاته، وقوام العلوم ليس فحسب مواضيع بحثها، وإنما يستقيم العلم بموضوع ومنهج". (27) وقد أثار كل من أندري مارتندي وعبد السلام المسدي قضايا تدخل في صميم العلم للساني،

فقد ركّزنا على (العلمية الوصفية) في مقابل (المعيارية) التي نعتت بها بعض المعارف اللغوية كالتحو والبلاغة وفقه اللغة.

إضافة إلى ذلك فإنّ اللسانيات لا تسعى إلى تعليم مادّتها، ولا تتخذ أيّ موقف معياريّ، وتناى عن توجيه الأحكام وتبتعد عن التقييم بالسلب أو الإيجاب، بالمدح أو التهجين، فهي لا ترجع إلى تصنيفات الخطأ والصواب ولا تنكئ إلى مقولات الحسن والقبح.

ووقوفاً عند هذه الاعتبارات قام المنهج اللسانيّ على الوصف والمعانية، فكان بذلك اختبارياً يتتبع الأجزاء استقراءً ويصعد منها إلى الخصوصية الجامعة استنتاجاً. (28) وإذا ما قورن بين اللسانيات وبين النحو أو فقه اللغة أو غيرهما تبين الفارق بينها وبينهما، (فقه اللغة)، مثلاً، علم تقنيّ تعديديّ، ومن ثمة فهو معياريّ يملك سلطة إصدار الأحكام على الاستعمالات اللغوية التي تتوافق مع المعايير المحفوظة في حوزة هذا العلم. فهو، إذا، يقرّ الصواب، ويكشف اللحن، ويردع الخطأ، وسندياته كلّها ثنائيات ترتبط بالقيمة ومدى التفاضل بينها. (29)

وتدرس اللسانيات (ما هو كائن) أي تدرس الواقع اللغويّ كما هو متجلّ في الاستعمال والتواصل اليوميّ، ولا تنظر في (ما يجب أن يكون) أي في المثال المفترض. (البلاغة)، بطابعها الذوقيّ الذي ينشد الجمال والحسن لا تتلاءم والمنهجية العلمية للسانيات التي تكفي بالوصف العلمي ولا تعمل على إخضاع الاستعمال لأية قواعد.

ومسألة (الوصفية) و (المعيارية) في حاجة إلى إيضاح، لقد نبّه على أهمية ذلك مارتنى حين قال: "إنّ الصعوبة التي تكمن في تحرير اللسانيات العلمية من النحو المعيارية تذكّرنا بالصعوبة التي تكمن في تحرير علم حقيقيّ للسلوك من علم الأخلاق. إنّ التاريخ قد بين حتّى عهد قريب جداً أنّ أغلب الذين يهتمون باللسان أو اللغات يفعلون ذلك بنوايا معيارية مجهوراً بها أو واضحة في أعمالهم. واليوم إنّ الجمهور الفرنسيّ يجهل تقريباً وجود علم للسان ينفرد عن النحو المدرسيّ وعن الأعمال المعيارية... لكنّ اللساني المعاصر أمام أقوال مثل: (كان الأولاد قائمون) و (كتبوا التلاميذ)* إنه يرى في تلك الأقوال بكل بساطة ظواهر لا بدّ من تسجيلها وشرحها في إطار الاستعمالات التي تظهر فيها، ولكنّه يمتنع عن الحكم لها أو عليها". (30)

ويبدي عبد السلام المسديّ رأيه في القضية، فيقول: "والحقيقة التي خفيت عن فقهاء اللغة وعن كثير من اللسانيين أنفسهم هي أنّ الوصفية والمعيارية مقولتان لا تنتميان على صعيد فلسفة المعارف

إلى نفس المنطلق المبدئي ولا إلى نفس الحيز التصوري، فليستا من طبيعة واحدة حتى تتسنى مقارنة إحداهما بالأخرى، فليس لزاماً أن تقوم بينهما علاقة ما من تواز أو تصادم أو تطابق، فهما مصدرتان مستقلتان كلتاهما عن الأخرى. فأن يلتزم اللساني في تحسسه نواميس الظاهرة اللغوية وصف مدونتها واستقراء خصائصها دون تعسف منه على الاستعمال فذلك موقف منهجي وامتثال اختياري. أما أن يصدق نفس اللساني في تقرير أصول الاستعمال بأن هذا خروج عن النمط وهذا اتفاق مع سنن المواصفة فذلك موقف مبدئي وامتثال معياري، وليس من تناقض بين الأمرين لأنهما موقفان لا يقعان في نفس اللحظة الزمنية". (31)

ولنتبني ملامح الدراسة اللسانية يعمد جون ليونز (J. Lyons) إلى ذكر مجموعة من الخصائص التي تميز اللسانيات عن بقية علوم اللغة التقليدية- أو العلوم المعيارية بصفة عامة- وهي:

1- إن اللسانيات تتصف بالاستقلال وهذا مظهر من مظاهر علميتها على حين أن النحو التقليدي كان يتصل بالفلسفة والمنطق بل كان خاضعا لهما في بعض الأحيان.

2- تهتم اللسانيات باللغة المنطوقة قبل المكتوبة، على حين أن علوم اللغة التقليدية فعلت العكس.

3- تقر اللسانيات باللهجات، ولا تفضل الفصحى على غيرها، على النحو الذي كان سائدا من قبل. فاللهجات على اختلافها وتعددتها لا تقل أهمية عن سواها من مستويات الاستخدام اللغوي.

4- تسعى اللسانيات إلى بناء نظرية لسانية لها صفة العموم، يمكن على أساسها دراسة جميع اللغات الإنسانية ووصفها.

5- لا تقيم اللسانيات وزنا للفروق بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة لأنها جميعا جديرة بالدرس دون تمييز أو انحياز مسبق.

6- تدرس اللسانيات اللغة ككل وعلى صعيد واحد، ضمن تسلسل مندرج من الأصوات إلى الصّرف إلى النحو إلى الدلالة. (32)

وفي هذا الإطار تتضح تلك المهمات الثلاثة التي قد ربطها فرديناند دو سوسير (F. De Saussure) باللسانيات أو (علم اللغة) -بحسب الترجمة العراقية التي نعتمدها-، والتي يجب أن تشمل عليها، وهي:

1- وصف تاريخ اللغات المعروفة، ويعني ذلك تتبع تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم لكل أسرة على قدر المستطاع.

2- تحديد القوى التي تعمل بصورة دائمة وعامة في جميع اللغات، واستنتاج القواعد العامة من جميع الظواهر التاريخية الخاصة.

3- تحديد معالمه طبيعته. (33)

هذا العلم الذي جعل مادته كامنة في: "جميع مظاهر الكلام عند الإنسان، سواء كان ذلك في المجتمعات البدائية أو المتمدنة، وفي الفترات الكلاسيكية أو الفترات المتأخرة. ولا ينبغي للغوي أن يدرس في كل فترة من الفترات اللسان الصحيح واللغة المنمقة حسب. بل جميع أنواع التعبيرات الأخرى أيضا، يضاف إلى ذلك شيء آخر وهو طالما أن اللغوي لا يستطيع أن يلاحظ اللسان مباشرة في أغلب الأحيان، فعليه أن يدرس النصوص المكتوبة، فهو لا يستطيع التوصل إلى التعبيرات التي تبعد عنه من حيث الزمان أو المكان إلا من خلال النصوص". (34)

وقد حدّد دوسوسيرالهدفالحقيقي الوحيد للسانيات ولعلم اللغة في مطلع القرن الماضي، و"هو أنّ اللغة تدرس في حد ذاتها ومن أجل ذاتها". (35) بعيدا عن كلّ السياقات الخارجية المضللة.

ومجال هذا العلم واسع الأطراف فمظاهر الكلام الإنسانيّ تلك التي وقف عندها دوسوسير كثيرة التنوّع شديدة التّشعب، وهي تصنّف في حالات أو مستويات يطلق عليها في اللغة الفرنسيّة: لغات (*Langues*)، لهجات (*Dialectes*)، باتوا (*Patois*)؛ وهي لهجة مصطنعة من قبل شخص ما قصد التميّز. أرغو (*Argots*) وهي مجموعة كلمات شفهيّة غير تقنيّة تستعملها مجموعة معيّنة. (36) بالإضافة إلى اللهجات الفرديّة (*Idiolectes*). (37)

ويطلّسعي اللسانيات الحثيث إلى إنشاء نموذج لغويّ سليم يسمح للدارسين بتحديد وحدات اللغات وطرائق تركيبها والقواعد العقلانيّة التي تمكّن المتكلّم بعيدا عن حدسه من أن ينتج السلاسل الكلاميّة، وكذلك السعيّ بناء نظريّة لسانية عامّة أو عالميّة يمكن أن توصف وتحلّل وتفسّر في إطارها جميع الظواهر اللغويّة.

وفي ضوء ذلك تغيّر الاعتقاد في دراسة الألسن (اللغات) على أنّها نماذج منعزلة تستدعي كلّ واحدة منها أدوات خاصّة، وتمّ تجاوز النظرة الضيقة إلى البّحث عما هو عالميّ (*Universe*) في اللغة من وقائع كالفونيم، والمرفيم والمسند والمسد إليه... وسوى ذلك من الوقائع اللغوية والمفاهيم اللسانية العامّة المشتركة بين اللغات الإنسانية.

3-راهن المصطلح اللساني في الدرس اللغوي العربي ومحاولة التجاوز:

أزمة المصطلح العلمي في المجال العربي أزمة واقعة وملموسة، وهي أشد وضوحاً في المجالات الأدبية والتقنية واللغوية؛ إذ يصادفها الباحث إذا طرق أي موضوع، وتستنزف منه الجهد الكثير في التدقيق والتحقيق وفي الترجمة، وهي تعيق، من جهة، التلقي السليم للعلم ومباحثه.

أزمة عميقة عابرة للحقول تبسط ظلالها القائمة على مجالات الدرس اللساني، وتعبّر عن إشكالية قائمة فيما يتعلّق بالمصطلح العلمي فيه، ما يستوجب إيجاد الحلول المناسبة لتجاوز آثارها السيئة في استنبات المعارف الجديدة في أرضيتنا العربية، وتيسير طرائق التلقي والتعليم.

وقد انعكست في الدرس اللساني الذي تعددت، بكيفية مذهلة، البدائل الاصطلاحية الموضوعية لعنوان هذا العلم الذي تخصص في دراسة الظاهرة اللغوية، وبلغت ما يقارب الثلاثة والعشرين (23) مصطلحاً، تصدرت لائحة تلك المصطلحات:

((اللسانيات... والألسنية... وعلما اللغة...))، ولا يوقف خطر فوضى الاصطلاح على المصطلح الرئيس، وحده، وإنما يتفشى في المؤسسة الاصطلاحية الدالة على المفاهيم العديدة والفروع والمباحث المسيجة للعلم اللساني. ولهذا دلالة حاسمة على الأزمة التي تعصف بالمنظومة الاصطلاحية للعلم اللساني وتشل من فعاليته وتتنقص من قيمته.

وفي هذا الموضوع رصد اللغوي أحمد مختار عمر المصطلح في مجموعة من عناوين الكتب والأبحاث والدراسات اللسانية واللغوية وقام بقراءة وصفية إحصائية، انتهى فيها إلى أن مصطلح (علم اللغة) ورد خمسين وعشرين مرة كعنوان، ومصطلح (ألسنية) عشر مرّات، ومصطلح (لسانيات) خمس مرّات، وتأتي بعد ذلك مصطلحات أخرى أقلّ تواتراً على رأسها (علم اللسان). (38)

وفي ظل تلك القراءة يختار أحمد مختار عمر مصطلح (ألسنية)، دونما مراعاة لاستعماله المحدود مقارنة بـ(علم اللغة) الذي يكثر تداوله في المشرق العربي، وبـ(اللسانيات) التي يكثر توظيفه في المغرب العربي. ويبرّر ذلك الاختيار بما يأتي:

1- عدم صلاحية مصطلح (علم اللغة) لحمله دلالات قديمة، ولحاجته للوصف لتوضيح مجاله ومنهجه.

2- التباس (علم اللغة) بمعنى تعليم اللغات أو إتقان مجموعة من اللغات.

3- عدم استخدام لفظة (لغة) في التراث بالمعنى الطارئ حديثاً، وإنما كانت تدلّ على معنى اللهجة، ولم ترد في القرآن الكريم، وإنما جاءت فيه كلمة (لسان) وجمعها (ألسنة)، لأنها أكثر شمولاً واستيعاباً من كلمة (لغة).

4- كلمة (لسان) تعدّ من المعجم الأساسي المشترك بين اللغات السامية في حين أنّ كلمة (لغة) يونانية الأصل.

5- إطلاق مصطلح مشتمل على كلمة (لسان) أسبق في الوجود، فمصطلح (علم اللسان) و(الألسنية) أسبق من (علم اللغة). (39)

ويتوسّع أحمد مختار عمر في تفصيل اعتبارات اختياراته العلمية للمصطلح ((الألسنية)) وتفضيله إياه على ((اللسانيات))، فيقول: "لماذا فضلنا مصطلح ((الألسنية)) على ((اللسانيات))؟ واخترناه عنواناً لبحثنا؟ هناك جملة اعتبارات كانت في الذهن عند اختيار هذا المصطلح، أهمها:

أولاً: أن علم اللغة الحديث لا يختصّ بلغة معينة، وإنما يدرس أي لغة، ويحلل أي مستوى داخل اللغة الواحدة. فمعنى الجمعية ملحوظ في وظيفة هذا العلم، ولذا يناسبه لفظ الجمع ((ألسن)) لا المفرد ((لسان)).

ثانياً: أنه لم يعد هناك حرج في النسب إلى جمع التكسير على لفظه بعد أن أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ذلك، وبخاصة حين يكون الجمع اسماً لعلم من العلوم. وقديماً نسب إلى علم الأصول، فقيل "أصولي"، وإلى "الأخبار" فقيل "أخباري".

ثالثاً: أن التصرف في لفظ ((الألسنية)) أسهل من التصرف في لفظ ((اللسانيات)) فحين نأخذ الصفة من الأول نقول: دراسات ألسنية، وحين نتحدث عن المشتغل بهذا العلم نقول: ألسني، بإبقاء الجمع على حاله. ولكن غذا أردنا أن نأخذ الوصف من ((اللسانيات)) فلا نقول -وليس من المستساغ أن نقول- "دراسات لسانياتية"، ولا "لسانياتي"، ولذا يرد الجمع إلى مفرده عادة فيقال "لسانية" و"لساني".

رابعاً: أن اللبس الذي يحدث عند استخدام المصطلح ((لغوي)) وعدم القطع ما غذا كان إلى "أو علم اللغة"، والذي فضلنا من -أجله- ترك هذا المصطلح، يحدث نفسه إذا استخدمنا لفظ "لسانيات". فحين النسبة نقول سنقول "لساني" فلا يدري اهي نسبة إلى "اللسان" أم إلى "اللسانيات".

ولكن هذا المحذور يزول باستخدام كلمة "الألسنية" اسماً للعلم، فحين النسبة إلى الجمع "ألسني" يكون المراد النسبة إلى العلم، أما إذا نسبنا إلى المفرد فقلنا "لساني" فتكون النسبة إلى "اللسان" بمعنى "اللغة" لا بمعنى العلم الذي يدرس اللغة. (40)

وإذا كان ما قام به أحمد مختار عمر عملا علميا قيما، واجتهادا معرفيا جليلا، فإنه لم يحسم الأزمة المترتبة عن فوضى الاصطلاح اللساني ولم يطفى نارها المشتعلة، بقدر ما نفخ فيها وأسهم في إضرارها، ولعلّ الحلّ هو الامتناع صياغة المزيد من المصطلحات التي لا جدوى منها سوى بلبله الأفهام، خاصّة بالشكل الانفرادي، وعلاج دائها في ضرورة التقيّد بما هو متداول بين المشتغلين بالعلم من أهل التخصص، والتزام قرارات المجامع اللغوية والهيئات العلمية.⁽⁴¹⁾ وقد سبقت الإشارة إلى أنّ ندوة (اللسانيات واللغة العربية) التي انعقدت في تونس عام 1978 قد أوصت باستخدام مصطلح (اللسانيات). وحين نتجاوز عتبة الاصطلاح نكون قد شرعنا في مباشرة قضايا العلم الجوهرية.

الخاتمة:

إن ما تمّت دراسته من معطيات فيما سبق، تقودنا إلى استخلاص النتائج الآتية:

- إن التعريف المقترح للعلم اللساني في الدراسات الغربية يعبر في صيغته المختلفة عن رؤية واضحة ونظرة مستوعبة لماهيته ولمهامه، وعن وحدة في منظومة مصطلحاته تكفل تقديمه للمتخصص والقارئ بشفاوية تامّة، وتجنّبه مآهات المصطلحات المتضاربة.
- إن التفصيلات الفرعية والإسهامات في الدراسات الغربية منحت الدرس اللساني ثراء وعمقا وسعة بعيدا عن التضارب والتناقض، على اختلاف المرجعية اللغوية والثقافية.
- المفهوم الجديد للعلم اللساني، وكذلك وظيفته تعكس ميلاد علم مختلف عما سبق في دراسة الظاهرة اللغوية، وتجلياتها المتنوعة.
- أبرز سمات الدرس اللساني العلميّة والموضوعية فينتاول اللغة في ذاتها، ومجانبة النزعات المعيارية والتعليمية التي ارتهنت لها المعارف اللغوية القديمة.
- تعدّد المصطلح اللساني في الدرس اللغويّ العربيّ يشكّل ظاهرة مرضية تستنزف جهود الباحثين وتعيق عملية التلقي السليم لهذا العلم اللسانيّ المهمّ.
- محاولات علاج الظاهرة قاصرة إذ أسهمت، بدورها، في إطالة الأزمة واستدامتها من خلال اقتراح مصطلحات جديدة وإلغاء القديمة، خاصة وهي تنبثق عن اجتهادات فردية و(أناوية) متمردة وخارجة عن إطار مؤسساتي.

Abstract:***Linguistics; Reading In Term, Concept And Premises***

this article deals with the object of (linguistics); and it discussed its term and its concept in Western specialized linguistics studies and in Arabic linguistics specialized studies, as well, and tried to identify aspects that distinguish them from traditional linguistic sciences, and it also stood on the most important principles to establish (linguistics) as a pioneer science and the tasks carried out by it and its aspirations.

Linguistics aim to create a sound language model that allows learners to identify language units and their methods of installation and rational rules that enable the speaker away from his intuition to produce verbal sequences, as well as the pursuit of a general or universal linguistic theory that can describe, analyze and interpret all linguistic phenomena.

In the light of this, the belief in the study of tongues (languages) has changed as isolated models, each of which requires special tools, and the narrow view of the search for universal in the language has been transcended from the facts of the phoneme, the Morpheme, Linguistic facts and common linguistic concepts common to human languages.

In addition to its proximity to identify the difficulties that hinder the scientific receipt by the Arab reader, which is due primarily to a crisis in the system of terminology and concepts.

It has been reflected in the linguistic lesson, which has varied, amazingly, the conventional alternatives to the title of this science, which specializes in the study of the phenomenon of language, and amounted to nearly twenty-three (23) terms. The list of those terms: ((Linguistics The danger of chaos is not limited to the main term alone, but rather it permeates the conceptual institution that represents the many concepts, branches, and interlocutors of linguistic science. This is a decisive sign of the crisis that is afflicting the linguistic system of linguistics, paralyzing its effectiveness and diminishing its value.

Finally the article referred to the proposed solutions in order to remove these obstructive difficulties.

The solution is to refrain from formulating more terminology that is useless except to confuse the understanding, especially the solitary form, and to treat its circularity in the need to adhere to what is practiced among those working in the science of the people of specialization and the commitment of the decisions of the linguistic assemblies and the scientific bodies. (Linguistics and Arabic), held in Tunis in 1978, recommended the use of the term "linguistics." While we are beyond the threshold of terminology,

Keywords: *linguistics, language, descriptive, grammar, normative, philology*

الهوامش والإحالات:

(*) نعبر عن العلم اللغوي الذي يتناول اللغة بهذه المنهجية الجديدة بالمصطلح (اللسانيات) الذي أوصت بهألدي أوصت باستعماله ندوة(الألسنية واللغة العربية)التي انعقدت في تونس سنة 1978، وتعميمه ليصبح عنوانا دالاً على العلم الذي يعنى باللغة، واعتقادا منا أنه المصطلح الذي وظف أول ما وظف في الجزائر، يقول المسدي: "والغالب على ظننا أنه ظهر -أول ما ظهر- في الجزائر سنة 1966 عند إنشاء(معهد العلوم اللسانية والصوتية)التابع لجامعة الجزائر وقد أصدر المعهد منشورا حدد فيه مهامه فكان يستعمل مصطلح((اللساني))و((اللسانية))في مجرى النعت ثم استعمل عند الحديث عن العلم ذاته لفظ(علم اللسانيات)ولكنه عند الحديث عن نظام المعهد ونشاطه محض المصطلح فنذكر: قسم اللسانيات التربوية وقسم اللسانيات الرياضية، غير ان الذي كرس المصطلح وبواه منزلة الإشعاع إنما هو صدور مجلة المعهد سنة 1971((اللسانيات))." ينظر: عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، ص:71.

(1) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، 1985، ص:11.

(2) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس 1986، ص: 07.

(3) Jean Dubois Et Autres: Dictionnaire De Linguistique Et Des Sciences Du Langage, Larousse, Ed:1.1999, Paris, France. P :338

(4) Georges Mounin: Dictionnaire De La Linguistique, Quadrige, PUF, éd:4 Paris, 2004, PP:204 -205.

(5) Larousse Dictionnaire De Français, Larousse ,VUEF ,France 2001, P:246.

(6) André Martinet: Éléments De Linguistique Générale, Armand colin, Quatrième édition, Paris, France, P:12.

(7) جان بيرو: اللسانيات، تر: الحواس مسعودي و مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، (د. ط) 2001، ص: 01.

(8) ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: احمد مختار عمر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط: 8، 1419هـ-1998ص: 29.

(9) وائل بركات: مفهومات في بنية النص، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط: 1، 1996، ص: 09.

(10) أحمد مختار عمر: محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط: 1، 1995، ص: 53

(11) محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر، ط: 1، 1996، ص: 07.

(12) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 2، 1405هـ- 1985م، ص: 07.

(13) المرجع نفسه، ص: 07.

(14) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص: 23.

(15) أحمد حسان: مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي الإمارات العربية المتحدة، ط: 2، 1434هـ-2013م، ص: 19.

(16) مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط: 1، 1418هـ-1998م، ص: 13.

- (17) المرجع نفسه، ص: 13.
- (18) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق، سورية، ط:3، 1429هـ-2008م، ص:15.
- (19) المرجع نفسه، ص: 15، وينظر معجم اللسانيات.
- (20) أحمد حسان: مباحث في اللسانيات، ص: 24.
- (21) المرجع نفسه، ص: 25
- (22) المرجع نفسه، ص: 24.
- (23) المرجع نفسه، ص: 24.
- (24) ر. ه. روينز: موجز تاريخ علم اللغة، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط: 2، 1997، ص:13
- (25) المرجع نفسه، ص:18.
- (26) أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، ص: 12.
- (27) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص: 24.
- (28) المرجع نفسه، ص: 14.
- (29) المرجع نفسه، ص: 14.
- (30) أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، ص: 12.
- (31) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص:15.
- (32) ينظر: دو سوسير (فرديناند): علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز مر: مالك يوسف المطلبي، بيت الموصل، العراق، 1988، ص:24.
- وأحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص:16.
- (33) دو سوسير (فرديناند): علم اللغة العام، ص:24.
- (34) المرجع نفسه، ص:24.
- (35) المرجع نفسه، ص:24.
- (36) ينظر: أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، ص: 12 وما بعدها
- (37) المرجع نفسه، ص:12 وما بعدها.
- (38) أحمد مختار عمر: محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ص:24 وما بعدها.
- (39) المرجع نفسه، ص ص: 25-26.
- (40) المرجع نفسه، ص ص: 28-29.
- (41) ينظر: أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص:60 وما بعدها.

المصادر والمراجع:

-مراجع بالعربية:

-الفهري (عبد القادر الفاسي): اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، 1985.

-المسدي (عبد السلام): اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس 1986.

// - قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب. ليبيا 1984.

-باي (ماريو): أسس علم اللغة، تر: احمد مختار عمر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط: 8، 1419هـ-1998.

-بركات (وائل): مفهومات في بنية النص، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط: 1، 1996.

-بيرو (جان): اللسانيات، تر: الحواس مسعودي و مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، (د.ط) 2001.

-حجازي (محمود فهمي): علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر، ط: 1، 1996.

-حركات (مصطفى): اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط: 1، 1418هـ-1998م، ص: 13.

-حسان (أحمد): مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي الإمارات العربية المتحدة، ط: 2، 1434هـ-2013م.

-روبنز: (ر. ه.) موجز تاريخ علم اللغة، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط: 2، 1997، ص: 13.

-عبد التواب (رمضان): المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 2، 1405هـ-1985م.

-عمر (أحمد مختار): محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط: 1، 1995.

-قدور: (أحمد محمد) مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق، سورية، ط: 3، 1429هـ-2008م، ص: 15.

-مارتيني (أندي): مبادئ في اللسانيات العامة،

-مراجع بالفرنسية:

-Dubois (Jean)Et Autres: Dictionnaire De Linguistique Et Des Sciences Du

Langage,Larousse, Ed:1.1999,Paris, France.

-Larousse Dictionnaire De Français, Larousse ,VUEF ,France2001.

-Martinet(André) : Éléments De Linguistique Générale, Armand colin,Quatrième édition, Paris, France.

-Mounin(Georges): Dictionnaire De La Linguistique, Quadrige,PUF, éd:4 Paris,2004.

دور الترجمة و المعالجة الآلية للغة في صناعة المعاجم و ضبط المصطلح

أ/ شواقري مريم

جامعة أحمد بن بلة 01- وهران (الجزائر)

meryemchouakri @yahoo.fr

المخلص :

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مدى فاعلية الترجمة و تقنيات الحاسوب في معالجة اللغة العربية بالخصوص واللغات الأخرى و في صناعة المعاجم بأنواعها المتخصصة و العامة و بالتالي ضبط المصطلحات و توليدها وتوحيدها خاصة في ظل ما يشهده العالم من تحولات تكنولوجية أدت بدورها إلى ظهور و توليد مصطلحات حديثة لعل من أهمها تلك المتعلقة بعلم الحاسوب ، هذا العلم الذي يشهد قلة وندرة في المعاجم المتخصصة في تحليل مصطلحاته مما أدى إلى صعوبة ترجمتها أو قراءتها لما تحويه من تعقيدات ولعل لغة البرمجة العصبية هي أحسن مثال على ذلك لارتباطها بمجالات مختلفة من أهمها اللسانيات الحاسوبية ، الذكاء الاصطناعي و الترجمة الآلية بأنواعها إضافة إلى علوم الهندسة والإلكترونيات. الأمر الذي دعانا إلى عنونة موضوع إشكاليتنا ب " دور الترجمة و المعالجة الآلية للغة في صناعة المعاجم وضبط المصطلح " و ذلك من خلال طرح جملة من الأسئلة تكمن فيما يلي : فيما تكمن أهمية المعاجم المتخصصة في تحديد ضبط المصطلح وترجمته ؟ ما علاقة الترجمة بالتطور التكنولوجي والعلمي ؟ و ما مدى مساهمتها لذلك ؟ هي أسئلة متنوعة سنحاول الإجابة عنها .

الكلمات المفتاحية : لسانيات حاسوبية ، معاجم ، ترجمة آلية ، ذكاء اصطناعي، تعريب ، برمجة عصبية....الخ.

Résumé :

la présente étude s'inscrit dans le cadre d'une recherche mené sur le domaine de la terminologie et plus précisément les termes de la langue de programmation intitulé "rôle de la traduction et du traitement automatique de la langue dans la lexicographie et la terminologie" ce qui permet de lever le voile sur l'importance de l'arabisation dans le transfert des termes surtout dans le cadre de la globalisation et l'influence de l'anglais sans oublier le rôle des techniques d'informations et l'intelligence artificielle et la contribution des chercheurs arabes elle met l'accent sur divers domaines en relation tels que la linguistique

computational, la lexicographie, l'intelligence artificiel et la traduction automatique donc notre problématique s'étale sur les points suivants : comment peut on définir la programmation? On quoi consiste l'importance de la traduction automatique et terminologique dans l'enrichissement et le traitement de la langue et la réalisation des dictionnaires spécialisés ?

Mots clés : traduction, terminologie, arabisation, dictionnaires, langues, programmes, thesaurus.....ect

Abstract *translation nowadays as a theoretical notion and as a practice is developing rapidly and significantly. So this paper aims to give a clear study about the importance of translation and language automatic treatment in lexicography and terminology it is therefore about the effectiveness of technology and artificial intelligence as the need of interlinguistic and intercultural communication is exacerbated by globalization it shows that the actual task of Arab researchers is to understand the linguistic nature of specialized terms and the way the meaning is constructed.*

Key Words: translation, terminology, dictionaries, lexicography, languages, thesaurus....ect

ديباجة :

إن الاعتزاز بلغة ما هو اعتزاز بثقافتها ، و من ثم كانت الدعوة لاعتبار اللغة مقوما أساسيا من مقومات الأمة ، و إن عدم تطابق الشعوب ثقافيا لا يعني الاختلاف و لا الامتياز و عليه ومن أجل النهوض بالترجمة ورد الاعتبار لدورها في المحافظة على التفاعل الثقافي و التعايش بين الحضارات خاصة في عصر العولمة ، و هو الدور الذي لعبته لقرون طويلة فلا بد من قبول التكافؤ الثقافي و ضمانه و رعايته من أجل إثراء الثقافة العالمية في الحفاظ على التعددية اللغوية و الثقافية ، يقصد بالثروة اللفظية ، تلك الألفاظ المحدثه بطرق شتى و ذلك بغرض تنمية اللغة العربية المعاصرة سواء كان ذلك التوسع عن طريق الاشتقاق أو التعريب أو النحت أو التركيب أو المجاز. و لقد بدأت صناعة المعاجم عامة في أي لغة من اللغات أو في أي قطر من الأقطار ضعيفة كثنان أي علم آخر من العلوم في بدايته ، تسد نقصا في مكان ما و لم تكن تطبيقا لنظرية لغوية ويختلف الدافع الرئيسي لظهور المعاجم حيث وجد لأول مرة في بلاد الرافدين لأسباب عملية ، فقد واجه الآشوريون الذين قدموا إلى بابل قبل حوالي ثلاثة آلاف عام صعوبة في فهم الرموز السومرية ، و رأى التلاميذ الآشوريون أنه من المفيد إعداد لوائح تحتوي على الكلمات السومرية و ما يقابلها بالآشورية ، إذا فبداية المعاجم ثنائية اللغة كانت في شكل لوائح أو قوائم تستخدم لفهم لغة أخرى فحسب ، و لم تقم على أساس نظرية لغوية كما في المعاجم الحديثة ، فقد انبثقت القوائم المزدوجة اللغة في إنجلترا لسد حاجة تربية و أعد المعلمون تلك القوائم بالكلمات اللاتينية و ما يقابلها بالإنجليزية لمساعدة تلامذتهم على فهم الكتب المدرسية التي كانت تدون آنذاك باللغة اللاتينية. و بناء على ذلك يمكننا القول أن هذه الحقائق تعد البوادر الأولى لما يسمى بصناعة المعاجم و لقد أصبح وجود الحاسوب شرطا لوجود المعجم في جميع مراحلها مع التطور التكنولوجي، و تعاضم دوره فإن التفرقة بين المعاجم الموضوعية و اللغوية و الموسوعات لم يعد لها محل حيث أصبح التداخل ميزة تزيد من قيمة المعجم الموضوعي عن المعجم اللغوي المحدود و كما أظهرت النتائج أن المعاجم الإلكترونية لها تأثير إيجابي على التعلم وفي هذا الصدد يمكننا القول أن الاستعانة بالمعلوماتية في العمل القاموسي وفي استرجاع مختلف البيانات القاموسية بطرق تفاعلية هو أمر محتم اليوم وبالتالي ينبغي أن نوليها كامل العناية واستخلاصه من واقع اللغة العربية الفصيحة المعاصرة ليكون القاموس عندئذ أنيا لا زمنيا وليصبح للعرب وللمتعاملين مع العربية من غير أهلها قاموس عصري ليس في شكله فقط وإنما في محتواه أيضا. و عليه لترجمة المصطلح أهمية كبيرة إذ يرفد الأمة بعلم العصر و يساهم في تنمية مجتمعها فيكون العلم في متناول الجميع مما يساعد في ازدياد الوعي و لقد ظهرت جهود عربية في المجال العلمي بدأت في عهد النهضة في

مطلع السبعينات من القرن الماضي كما لترجمة المصطلح دور مهم في النهضة العلمية إذ أنها الوسيلة الفعالة لنقل المعلومة وتشجيع اكتساب المعرفة و توثيق النتاج الإنساني و الازدهار الحضاري.

و إن هذا يدعونا إلى طرح عدد من التساؤلات تتجلى فيما يلي:

- ما المقصود بعلم الترجمة والمعالجة الآلية للغة ؟ و هل للحاسوب و المعلوماتية على غرار تقنيات الذكاء الاصطناعي دور في ذلك ؟
- ما ماهية علم المصطلح ؟ فيما تتمثل جهود الباحثين العرب في محاولة توحيد المصطلحات المتخصصة و ضبطها ؟
- ما المقصود بصناعة المعاجم ؟ ما هي التجارب العربية في مجال حوسبة و صناعة المعاجم الالكترونية ؟ هي أسئلة متنوعة سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه الورقة البحثية.

1/ اللسانيات الحاسوبية :

تعتبر اللسانيات الحاسوبية فرعاً من فروع اللسانيات التطبيقية ، و هو علم يبحث في كيفية الاستفادة بمختلف الطرق من قدرات الحاسوب في تحليل اللغة و معالجتها و تعليمها و تعلمها و محاكاة قدرة الإنسان على التعامل مع اللغة الطبيعية أما علم المعجم الحاسوبي فبدأ في البروز كـ مجال من مجالات اللسانيات الحاسوبية حينما عقدت عدة ورش عمل ومؤتمرات وأجريت بحوث مشتركة تتحدث عن أتمتة المعجم و التقييس المعجمي والمعاجم الإلكترونية ، فاللسانيات الحاسوبية هو علم تتم به دراسة اللغات الطبيعية من وجهة نظر حاسوبية وتعد معالجة اللغة الطبيعية آلياً أحد المجالات التطبيقية لللسانيات الحاسوبية و هو فرع يبني نصفه منتسب إلى اللسانيات التطبيقية و موضوعها اللغة ، و النصف الآخر حاسوبي وموضوعه قولبة اللغة إلى رموز رياضية يفهما الحاسوب ، حتى يتأتى له القيام بكثير من الأنشطة اللغوية التي يؤديها العقل البشري ، و يعد هذا المجال أحد فروع علم الذكاء الاصطناعي¹. و يمكننا هنا أن نذكر الباحثين العرب الذين ولجوا هذا المجال ، ألا و هم الدكتور "تبيل علي" و "تمام حسن" وكلاهما من مصر ، "الحاج عبد الرحمان صالح" من الجزائر و "محمد زكي خضر" من العراق إضافة إلى "تهاد الموسى" و "ليدالغاتي" الذين عملوا على توصيف و تبسيط المفاهيم لللسانيات الحاسوبية و كلاهما من الأردن ، زد على ذلك "مروان البواب" من سوريا في حوسبة المعجم و "منصور الغامدي" من سوريا في المستوى الصوتي والمستشرق "إيريك أتويل" من بريطانيا في المستوى الدلالي و "الهادي شريقي" من الجزائر في المستوى الصوتي والمعجمي و "مصطفى جرار" من فلسطين في الأنطولوجيا².

و تتوجه برامج الذكاء الاصطناعي نحو مشاكل لا تتوفر لها حلول يمكن إيجادها تبعا لخطوات منطقية محددة ، إذ يتبع فيها أسلوب البحث التجريبي كحال الطبيب الذي يقوم بتشخيص المرض ، و أمامه عدد من الاحتمالات للوصول إلى التشخيص الدقيق و لن يتمكن بمجرد رؤيته للمريض و سماع آهاته من الوصول إلى الحل ، و لقد استحدثت لغات برمجة تشبه اللغات الطبيعية و نشأت لغات كثيرة تتعدد في الاستخدام و تنتوع في الإمكانيات من بينها : "أي بي أل APL" و هي لغة برمجة ومن اللغات الأولى في هذا المجال و صممت خصيصا لمعالجة المعلومات في عام 1956م إضافة إلى "غيتا GETA" و استخدمت في بناء نظم الخبرة للتخطيط الحربي و قد تم تصميمها سنة 1958م و استخدمت في بناء نظم خبرة متعددة منها لغة البرمجة "روزي ROZY" التي تعد من اللغات الشهيرة في هذا المجال ، إضافة إلى لغة "برولوج PROLOG" و تعد من أشهر لغات البرمجة في الوقت الراهن ، بالإضافة إلى "سليلتاك SELILTAC" لغة البرمجة التي تم تصميمها في جامعة "ستانفورد" و لغات برمجة أخرى استخدمت بنجاح في مجال تطبيقات الذكاء الاصطناعي³.

2/- منظومات اللغات الطبيعية : إنه غير كاف أن نعرف التركيب النحوي للجملة لمعرفة النطق لدى الإنسان بل يجب معرفة معنى الجملة والنص و حقائق أخرى غير ملفوظة فإذا ما حصرنا مجال الحديث ، فإن المعلومات حول الأسماء والأفعال التي تظهر يمكن تمثيلها في صيغة معجم أو في صيغة برنامج ، و لقد أدى البحث في معالجة اللغات الطبيعية إلى تطوير طرق لتمثيل المعرفة فلقد كانت هذه البرامج تتعامل مع رموز تعبر عن المعلومات المتوفرة هي تلك النظم البالغة التعقيد و الدقة التي يستخدمها البشر في الخطاب و الكتابة كوسيلة للاتصال⁴. وإن معالجة اللغات الطبيعية تحتاج إلى معارف كثيرة حول قواعد و هيكل اللغة ، ماهية الكلمات المستخدمة في اللغة كيفية تركيب وترتيب الكلمات لبناء عبارات و جمل مقبولة في تلك اللغة ، معاني و دلالات الكلمات ، كيفية تركيب المعاني للحصول على عبارات و جمل مقبولة من حيث المعنى . فوق كل ذلك فإن معالجة اللغات الطبيعية تحتاج إلى طرق ترميز واستخدام المعارف ضمن مجالات محددة بهدف فهم اللغة حاسوبيا و إن ذلك يتطلب الخوض في عمليات ترميز و برمجة الجوانب الأساسية الآتية : الصوتيات ، الدلالة الصرف ، المقاميات ، النحو.....الخ. وبناء على ذلك ، يمكننا القول أن معالجة اللغات الطبيعية تهتم بدراسة النظريات والتقنيات الخاصة بمعالجة الإتصال بين الإنسان و الآلة باستخدام اللغة الطبيعية في حين أن اللغات الاصطناعية تستخدم في كتابة البرامج الخاصة بالحوسيب و لغات التشفير و إمكانية توظيف ذلك في تمثيل المعرفة اللغوية وفق النظريات المتعلقة بهذا الجانب⁵.

3/ علم الترجمة :

لم تكن الترجمة منذ ظهور اللغات عبر عصور الحضارة فنا يقتصر على المهارة و التمرس و الجلد و الإبداع و حسب، بل هي علم يستمد علميته وواقعيته و موضوعيته من اللغويات، أي علم دراسة اللغات الذي ارتبطت به ارتباطا وثيقا، و إن النظرة إلى الترجمة باعتبارها علما و فنا معا، هي نظرة معتدلة، و الواقع أنها مزيج من الاثنين فهي علم و فن في آن واحد لأنها معرفة تكتسب و موهبة تنمي، و كذلك لابد للمترجم أن يكون موضوعيا في نقل العمل، و تأمليا في نقل الفكرة. و يعد "جيمس هولمز" هو أول من قدم رؤية نسقية علمية لعلم الترجمة بوصفه علما، و يساعد التطور الذي تم تحقيقه خلال العقود الأخيرة على التدقيق نوعا ما، و الوصول إلى نواة هوية يمكن تعريفها كما يلي: " يركز علم الترجمة بوصفه نسقا علميا على الترجمة، و يتدخل في مجال عمله أيضا التواصل، اللغة و علم الدلالات والثقافة، و لكن موضوع البحث الرئيسي الذي تتمحور حوله كل هذه العلوم هو الترجمة"⁶.

و إن موضوع علم الترجمة، ليس دراسة نوعية معينة، من نوعيات الترجمة مثل الترجمة الأدبية أو الإعلامية أو العلمية وما إلى ذلك بل يتناول هذا العلم الترجمة كظاهرة عامة لها جوهرها و قوانينها و ضوابطها و إن أساس علم الترجمة هو "التوصيف"، بمعنى وصف و دراسة الضوابط المصاحبة لعملية الانتقال من لغة الأصل إلى لغة الترجمة، و ذلك من خلال التحليل و الملاحظة، غير أن هذا لا يعني عدم وجود عناصر معيارية في " علم الترجمة"، إذ أن ارتباط فكرة النظري بواقعه التطبيقي يقضي بوضع قواعد و توصيات تستهدف الوصول إلى الحد الأدنى من عدم التطابق الناتج عن عملية التحويل بين اللغات أثناء الترجمة.⁷ و عليه إن العملية الترجمة و الإنتاج العملي الترجمي كان دوما محل انتقال و تفكير ثم تنظير في اللسانيات أكثر من تخصيص النظرية اللسانية حيزا للترجمة في تعاملها مع اللغة، و إن التفاعل بين النظريات اللغوية في درس الترجمة حتمية علمية، و إن النظريات في الترجمة ساهمت و بقسط و فير في حل الصعوبات اللسانية و الثقافية.

و عليه ، يمكننا اعتبار الترجمة كواحدة من بين الأنشطة القديمة التي رافقت وجود الإنسان، وواحدة من أهم النشاطات التي يقدمها درس اللغة. إذا الترجمة و على صعيد أولي هي عملية لسانية، تمارس من قبل عدد من الجماعات سواء عن طريق الكتابة، أو عن طريق الكلام و من خلال هذا نفهم أن تعريف الترجمة من المنظور اللساني، هي عملية ثنائية تتجلى في ربط كل عنصر من العناصر اللغوية المكونة للنص الأصلي المعبر عنه في اللغة الأصلية بمرجعه الخارجي اللغوي الذي ينتمي للواقع، أما الترميز اللغوي فهو عملية ذهنية

معاكسة لعملية التفكير، وتتجلى أساسا في ربط المراجع الخارجية اللغوية الناتجة عن التفكير بالعناصر اللغوية الملائمة المعبر عنها في اللغة الهدف.

4/ علم المصطلح:

يعرف على أنه العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية و المصطلحات اللغوية التي تعبر عنها ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أن علم المصطلح ينطوي على ثلاثة مجالات أساسية:

- 1- المفاهيم العلمية.
- 2- المصطلحات اللغوية.
- 3- السبل العامة في وضع اللغات العلمية.

و لقد كان الغرب أسبق إلى الاهتمام بهذا المجال المعرفي الحديث نسبيا، بيد أن هذا العلم لم يتأسس بصورته المعروفة اليوم إلا في بدايات القرن 20، و يرجع الفضل في ذلك للعالم النمساوي "يوجين فوستر" (1191) في وضع أساس النظرية العامة للمصطلحية و تطويرها، و من ثم تبلور علم المصطلحية، و أصبح علما جديدا أنشأت من أجله المعاهد و المؤسسات المصطلحية و إن طبيعة علم المصطلح ترتكز بناءا على مخطط نظري و بناء على طبيعة العلوم و على حسب المفاهيم التي تتم صياغتها انطلاقا من دراسات لسانية بحتة ترتكز على قوالب و أشكال متعددة حيث أنه هنالك اختلاف واضح و جلي ما بين النظرة العلمية للعالم و النظرة البدائية فالأولى ترتكز على طبيعة المفاهيم أما الثانية فعلى نطاقها السيميائي و الدلالي و من هنا يأتي اختلاف اللغات⁸.

ومع التزايد الكبير للمصطلحات الجديدة في مجتمع المعلومات، يؤدي ضعف توليد المصطلحات و انتشارها و خاصة العلمية منها و التقنية إلى صعوبات في تواصل عمل المجموعات الاختصاصية في المجتمع، و انخفاض في إنتاجيتها، كما تؤدي إلى صعوبات في التواصل و بالتالي إلى انخفاض في إنتاجية هذه القوى و من دلائل تعاضد دور المصطلح :⁹

- نمو ما يسمى باللغة اللازمة للاستعمالات الخاصة (LSPS).
- تزايد سريع و كبير لعدد المصطلحات في كل حقل من حقول العلوم و التقنية.
- ولادة إدارة المعرفة في مجتمع المعلومات (KM) التي تتطلب مصطلحات دقيقة و محددة بهدف تواصل ليس فيه لبس و بهدف تنظيم المعرفة من أجل تخزينها و معالجتها و البحث فيها.

و عليه ، لم يعد العمل في حقل المصطلح و المصطلح الجديد ممكنا بدون استعمال الأدوات التي تقدمها تقنية المعلومات والاتصالات و تعمل هذه الأدوات على تطبيق مبادئ و نظريات و آليات المعالجة الآلية للغات في حقل علمي " المصطلح " و "المصطلح الجديد" و خاصة من أجل رصد و تفقد المصطلح في النصوص و قياس تواتر وروده و جمع تصاريفه وكذلك مراقبة استعماله و كمثال على هذه الأدوات نذكر¹⁰:

- النظم البرمجية لرصد و تفقد (Spotting) و مراقبة (Control) المصطلحات الجديدة.
- نظم إدارة المصطلح (TMS).
- نظم المساعدة في توليد المصطلح باستعمال الحاسوب.
- النظم المساعدة في جمع المصطلح الجديد من الأنترنت باستعمال محركات البحث (Search engines) ومجموعات الأخبار (New group) و منتديات النقاش المتخصصة (Discussion forums).
- برمجيات إدارة المصطلح في حقل الترجمة الفورية.
- قواعد معلومات المصطلح TdBs و نظم إدارتها TdBMs
- بنوك معلومات المصطلح.
- النظم البرمجية لتعميم المصطلح.
- برمجيات المكانز اللغوية و إدارتها.
- المعاجم الإلكترونية للمصطلحات العامة و المتخصصة.

5/مقارنة بين الألفاظ العامة و المصطلحات المتخصصة العلمية:

يمكن ملاحظة الفروقات التالية بينهما: وحدة الألفاظ العامة و تعدد المصطلحات العلمية (فالطفل و الصبي و الغلام) تدل على مفهوم واحد غير أن استعمالها لا يكون في نفس المستوى فبإمكان المتعلم أن يستعمل كل كلمة من هذه الكلمات حسب الظرف الذي يتحدث فيه، و لا يكون ذلك في المصطلحات العلمية لأن عدد هذه المصطلحات مرتبط بعدد ميادين النشاط العلمي. وتتصف الألفاظ العامة بنوع من الاستقرار النسبي بينما تتميز المصطلحات بالحركة السريعة فالألفاظ العامة تتصف بنوع من الحركية كونها تعبر عن عدد من المعاني لا يمكن حصرها نتيجة لقدرة المتكلم على وضع جمل جديدة بتركيب الألفاظ نفسها و تناوب الألفاظ ما بين الاستعمال العام و الاستعمال المتخصص، فكثيرا ما تنتقل من مكان إلى آخر فتأخذ من اللغة العامة وتخصص للدلالة على مفهوم ما لتكون مصطلحا و قد تشيع لفظة اصطلاحية فتستخدم على المستوى العام و

ربما كان هناك حالة وسطية تشترك فيها الألفاظ بين العامة و التخصص أو تستعمل على المستويين معا. وعليه لا يمكن الحديث عن الترجمة بقطع النظر عن المصطلح الذي يعد من العقبات التي تقف في وجه المترجم، مع العلم أنه يسمح لنا بالتعبير عن المضامين الفكرية والمسميات التقنية المستحدثة كما يعد المادة الأولية المترجمة والعنصر الحاسم في نجاحها ودقتها وهنا يتبادر إلى أذهاننا التساؤل الآتي:

هل وضع المصطلح مقتصر فقط على المصطلحي؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن أن يصبح المترجم مصطلحيا؟ يتمثل الدور الأساسي للمترجم في إعادة صياغة المعنى في اللغة الهدف بإيجاد مقابلات مناسبة فأثناء ممارسة عملية الترجمة يصادف مختلف المصطلحات و ليمكن من إيجاد المقابلات المناسبة عليه أن يراعي الضوابط الاجتماعية والثقافية والحضارية واللغوية للغة الهدف كما عليه أن يتسلح بتكوين في علم المعاجم والمصطلحات لأنها أساس كل عمل ترجمي والذي لا ينهض على إيجاد المعنى المقصود فحسب بل على امتلاك المعرفة اللغوية¹¹. فالمصطلحي يهتم بوضع مصطلحات جديدة بإتباع مبادئ اصطلاحية معينة والتدوين الاصطلاحي وتوحيد المصطلحات في حين يهتم المترجم بفك شفرة النص الأصلي بهدف فهم المعنى ثم إعادة التعبير عنه بلغة الهدف وبالرغم من أن تكوين كلاهما يختلف عن الآخر ، فهناك ثلاث عوامل تجمعهم في نظرنا وهي اللغة والمعنى والمعرفة اللغوية.

ولقد أشارت الدكتورة سعيدة كحيل إلى الإشكاليات اللغوية التي يواجهها المترجم في وضع المصطلح الملائم ونلخص أهمها في¹²:

- عدم الاطلاع على التراث اللغوي.
- عدم التقيد بمنهج واضح لوضع المصطلحات.
- خط المترجم العربي بين السياقات المختلفة للفظ واحد.
- عدم المكافأة بين الرصيد المعرفي و الألفاظ المترجمة وبين الرصيد اللغوي، ونقصد هنا عدم وجود ألفاظ عربية كافية تقابل الفيض الهائل من المصطلحات.
- تغيير مدلول المصطلح بتغير الزمن.

فعادة يقيد المصطلح قبل وضعه أو ترجمته بمجموعة من الشروط، فالمصطلح تعبير يتميز عن غيره من الألفاظ العادية كما سبقت الإشارة إليه ولذلك يجب أن يكون خفيفا على لسان المتلفظ واضح المفهوم أحادي الدلالة دقيقا وأن يراعي خصائص البنى الصوتية للغة. هذه بعض شروط وضع المصطلح أما إذا تعدى الأمر إلى الترجمة فيضاف إلى ذلك شروط أخرى منها على المترجم أن يعمل على تكافؤ المصطلحين وإذا تعذر عليه أن يلجأ إلى التطوير إلا أن هذه العملية تواجه العديد من العوائق منها:

- العائق الصوتي

- العائق النحوي

- العائق الصرفي

و تتحدد المصطلحات من خلال المستويات التالية:

- **المصطلح المفضل:** هو الذي ينصح باستعماله في مواصفات قياسية معينة.

- **المصطلح المقبول:** وهو المصطلح الذي يسمح باستعماله في سياق ما مرادفات للمصطلح المفضل.

- **المصطلح البديل:** وهو كل المصطلحات التي ليست بالبيئة تماما وليت تقتل عن الحاجة إليها وينبغي التخلي عنها بالتدرج.

- **المصطلح المستهجن:** وهو الذي ينبغي تجنبه في ذلك السياق.

و إن هذه الجهود البحثية في حقل المصطلح وعلاقته بالترجمة تبقى ناقصة، إذا لم يتم معالجة هذه الإشكالية من جذورها والمتعلقة أساسا في تعريب الثقافة العالمية وتعريب مجالات الاختصاص بدورها. ومن هنا يتجلى لنا معنى التعريب وأهميته¹³:

هو نقل النصوص الأجنبية إلى اللغة العربية و استعمال اللغة العربية في جميع المجالات العلمية وإحلال اللغة و الإدارة و النظام و المؤسسة بدلا من الأجنبية. حيث هنالك بعض المشاكل التي تواجه تعريب المصطلحات العلمية منها كثرة المصطلحات العلمية و تطورها و عدم القدرة على تعميم الكلمات المعربة و جعلها مستخدمة بدل الإنجليزية إضافة إلى عدم تطوير اللغة العربية و نشرها عالميا و قلة المصطلحات المعربة و عدم تعريب كل ما هو جديد و عدم توحيد المناهج الدراسية في الدول العربية، فالكل يستخدم مصطلح علمي مختلف على اعتبار أن اللغة العربية تقدم إمكانيات كبيرة لوضع المصطلحات العلمية و ذلك بسبب ميزاتنا حيث تحتوي على **9273** جزرا مما يسهل عملية وضع المصطلحات العلمية و كذلك مرونة النظام الاشتقاقي و خير مثال على ذلك التجربة الصينية التي يبلغ عدد حروفها **44444** حرف و التجربة اليابانية التي يبلغ عدد حروفها عشرة آلاف حرف غير أنهما حققتا نصرا أسطوريا في إدخال و ابتكار التقنية فماذا نقول عن العربية وأحرفها الثمانية و العشرين. مع العلم أن المنظمة العربية للترجمة قد تمكنت من جمع ما يقارب **55 ألف** مصطلح من الفرنسية و الإنجليزية و الألمانية و العبرية و اللاتينية إلى اللغة العربية وهي تضعها عبر موقعها الإلكتروني ليتمكن المهتمون من الاطلاع عليها و إبداء آرائهم.

انطلاقا مما ذكر يمكننا القول أن من التحديات التي ينبغي أن تعالجها الترجمة في ظل العولمة هو التغيير التدريجي للمصطلح و هو تغيير لا ينفك يتطور مثلا بالنسبة للتعريب المصطلحي في العصر الحديث نجد

نموذج الخبرة السورية في الترجمة الطبية التي بدأت في عام 1919م ثم جرد محتوى معجم شرف للعلوم الطبية والمعجم الطبي الموحد وقاموس حتى الطبي مع استبعاد المصطلحات غير الموجودة وكانت النتيجة أن هناك ميل واضح للحد من التعريب كمصدر من مصادر المصطلح العلمي العربي وبلغ إجمالي المصطلحات العربية 112 مصطلحا بنسبة 100% في معجم شرف و 43% منها في قاموس حتى 24% منها في المعجم الطبي الموحد وعلى العموم ومثلما فعل الأولون فإن التعريب حل مؤقت يطبعه غموض الدلالة التي ربما قاربت المقابل الأصيل والبديل الصائب¹⁴.

ومن محاسن الصدق أن المجمع الثقافي في دبي قد حوسب عددا وفيرا من الكتب التراثية يقارب مجموع صفحاتها المليونين وجعلها على الموقع المسمى "الوراق" على شبكة الانترنت وإن هذه الكتب وغيرها لكنز تراثي رائع يمكن تسخيرها لإحصاء المصطلحات العلمية التي استعملت من قبل كما أن وثائق الأمم المتحدة الصادرة متوازنة في ست لغات ومتاحة على الانترنت وإذا كان مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أنتج 18 معجما يحتوي كل منها على آلاف المصطلحات حسب التخصصات فإنها تبقى قليلة ذلك لأن مكتب تنسيق التعريب التابع لمنظمة اليونسكو معاجمه متناثرة ومحدودة التوزيع أيضا وفي حاجة إلى المتابعة ولعل من أشهرها المعجم المتخصص "معجم المصطلحات العلمية والتقنية" الصادر عن معهد الإنماء العربي وهو صيغة معربة من معجم Magnan Hill الأمريكي الذائع الصيت، أيضا "المعجم الطبي الموحد" الذي هو الآن في طبعته الثالثة وكلا المعجمين من إنجاز مجموعة من الخبراء والعلماء وعلى صعيد النشاط المعجمي الفردي والمؤسسي التجاري فقد تميزت مكتبة لبنان بإصدار معاجم عظيمة الفائدة بينما طبعت معاجم كثيرة لأسباب ربحية محضة ولا ريب أن التعريب هو مفتاح المفهوم المصطلحي، إذ يحصر إطاره ويحدد معالمه ولقد كان من أبرز المبادئ التي أقرتها لجنة الصياغة من خلال إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي، في دمشق 1999/11/28¹⁵.

و بشكل عام يوجد دائما جهات لها السلطة الرسمية لإقرار معايير مصطلحات كل حقل من الحقول، مثل ما تقوم به المنظمات العالمية المعروفة بـ ISO و IEC و منظمات الأمم المتحدة WHE و FAO وغيرها.... أما المعاجم فهي حالة خاصة تتطلب استثمارات أكثر ضخامة من معظم الكتب ولكنها تعد أيضا بدخل أكبر حيث أصبح اليوم إنجاز المعاجم صناعة كبيرة ولقد مثل معجم اللغة الواحدة مثلما أشار (Harris,1980) على الأقل في الغرب ابتكارا لعصر هذه النهضة و أصبح واحدا من أهم مبتكرات عصر التنوير و تقوم هذه المعاجم من هذا النوع بدور رئيسي بالنسبة لفهم الجماعات اللغوية وتقديرها لذاتها¹⁶.

إذا ليس المصطلح سوى خلاصة مصغرة لعلم أو حقل معرفي فرغم صغر الصورة التي يبدو فيها إلا أن في ذلك الحجم معرفية تتوب عن عشرات الكلمات اللغوية الغائبة التي من شأنها أن تعرف المفهوم المعرفي المرجو تقديمه وعليه فإن وضع أو ترجمة أي مصطلح لأي حقل معرفي يتطلب جهدا و تفكيراً كبيرين و ذلك حتى يستطيع هذا التعبير المصغر المتمثل في المصطلح من الإلمام بجميع الجوانب المعرفية و الخصائص المنهجية التي يكتبها ذلك العلم أو تلك الجزئية فكل مصطلح يجب أن يخضع إلى مواصفات خاصة تختلف كثيرا عن المواصفات التي تخضع إليها الكلمة الاعتيادية فعلى واضع أو ناقل المصطلح أن يحمله نبذة خاصة مميزة ، تجعله يصنف بحكم موقعه المعرفي الاستثنائي في خانة ما¹⁷. و إن التطور الذي تعرفه الدراسات اللغوية في هذا العصر تتطلب رسم حدود فاصلة بين الحقول المعرفية وهي حدود لا يمكن رسمها إلا بوضع مصطلحات تميز كل حقل عن غيره ، و نظرا للظروف التي تعرفها اللغة العربية في هذا العصر ، حيث تلجأ غالبا إلى الاقتباس من لغات أخرى خاصة في المجالات العلمية و التكنولوجية ، و بالتالي فإن أغلب الثروة المفرداتية تأتي من الترجمة و إن الجهود البحثية في مجال المصطلح و علاقته بالترجمة تبقى ناقصة إذا لم يتم معالجة الإشكالية من جذورها أساسا و المتمثلة على وجه الخصوص في تعريب الثقافة العلمية و التي بدورها تدعو إلى تعريب المثقف من أهل الاختصاص و الزيادة في القدرة التعبيرية لمستعملي اللغة ، و لعل أن هذه المسؤولية منوطة باللساني أكثر من غيره لأنه لا يسأل عن مصطلح ميدانه فحسب بل يتقاسم مسؤوليات أي أخصائي في وضع المولد الجديد في حقله¹⁸.

و إن خير دليل على الإسهامات التي يقدمها علم اللسانيات الحاسوبية لمعرفة اللغات البشرية هو الدراسة التي قدمها "محمد مراياتي" بالتعاون مع زملائه العاملين في مركز الدراسات و البحوث العلمية في سوريا تلك التي تدور حول إحصائية الجذور العربية معتمدا بذلك على الحاسبات الإلكترونية التي تساعد كثيرا في ضبط العملية الإحصائية و السرعة العلمية فيها بحيث يمكن استخدام نتائجها في الترجمة الآلية من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية أو العكس لاسيما من حيث مقابلة المركبات الصوتية العربية مع المركبات الصوتية الأجنبية ، إضافة إلى جهود الباحث و العالم العربي " أحمد الأخضر غزال " مدير معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب " المغرب" و الذي حاول وضع نموذج لساني عربي يعمل على الحاسبات الإلكترونية ذات النظامين الألف بائي¹⁹. و عليه يمكننا القول ، أن الثورة التكنولوجية الحاسوبية الحديثة ألقّت بظلالها على اللغات الطبيعية محدثة الانقلاب التاريخي في المجالين المعرفي و اللغوي ، و غدت الحاجة الماسة لاستجابة اللغات الطبيعية لذلك التأثير لمواكبة ظاهرة التسريع الذي يشهده العالم²⁰.

6- المعالجة الآلية للغات الطبيعية : يقصد بالمعالجة الآلية للغات الطبيعية جهود مجموعة من الخبراء والباحثين في علوم اللغة و الهندسة على تحسين أداء الإنسان عن طريق الاعتماد على الحاسوب و ذلك للزيادة من قدرته على الفهم واستيعاب أكبر قدر ممكن من الوحدات اللسانية بهدف الحوار و التواصل و خلق لغة مشتركة تتقاسمها مختلف الشعوب ويتداخل مع هذا العلم علوم أخرى لعل من أبرزها علم اللسانيات الحاسوبية و الذكاء الاصطناعي و علم النفس المعرفي ولعل أهم ما يميز تاريخ المعالجة الآلية للغات الطبيعية ما يلي من المحطات ²¹ :

1/ دراسات اللسانيات :

1588-1648م : ظهور الدراسات اللغوية و هذا على يد الأب " مارين مارسين **Marine Marcin**" و ذلك من منظور رياضي ميكانيكي.

1660م : نشر أول كتاب حول القواعد العامة و هذا على يد كل من " أنطوان أرنولد **Antoine Arnold**" و " كلود لانسيلو **Claude Lancelot**".

1700-1900م : شهدت هذه المرحلة ازدهار و رواج كبير للسانيات المقارنة و اللسانيات التاريخية.

1916 م : نشر " فرديناند دي سوسير **Ferdinand De Saussure**" لمؤلفه الشهير " محاضرات في اللسانيات العامة".

1930-1940 م : مواصلة مدرسة براغ اللسانية لجهود دعم أبحاث دي سوسير و ظهور ما يعرف بالمدرسة البنوية

1951-1954 م : نشر " هاريس **Harris**" لكتابه حول اللسانيات التوزيعية .

1957 م : إصدار " نعوم تشومسكي **Noam Chomsky**" كتابه الشهير حول النحو التوليدي و علم الدلالة .

2/ ميلاد الكمبيوتر :

1936م : "ألان تورينج **Alain Touring**" ينشر المقال المؤسس لعلم الحاسوبيات.

1945م : "فون نيومان **Von Newman**" يقترح أول نموذج تصميم للكمبيوتر .

1946م : ظهور أول كمبيوتر "لينياك Liniac" من الحجم الكبير.

1947م : اختراع "ترانزيتور Transitor" كأول خطوة نحو الكمبيوتر العصري من قبل كل من "جون باندير John Pandir" و"ويليام شوكي William Chokey" و " والتر براتين Walter Brattain" وقد حازوا جميعا على جائزة نوبل في الفيزياء.

1955م : اختراع الأدوات المدمجة من قبل " جاك كيلي Jacques Kelly" .

1971-1975م : أول ظهور للحواسيب الشخصية الصغيرة الحجم.

3/ فترة الخمسينات :

1950م : بداية الأبحاث حول الترجمة الآلية (فترة الوعود).

1952م : أول باحث في الترجمة الآلية "بار هايلال Bar Hillel".

1954م : أول تجربة للترجمة الآلية من الروسية إلى الإنجليزية. و ظهور الأعداد الأولى لمجلة الترجمة الآلية.

1955م : أول كتاب حول الترجمة الآلية لكل من "لوك Look" و " بوث Booth" .

1959م : إنشاء جمعية "أتالا Atala" لدراسة و تطوير بحوث الترجمة الآلية و اللسانيات التطبيقية.

4/ عصر النضوج :

1960م : ظهور تقرير " بار هايلال Bar Hillel" حول مدى صعوبة الترجمة الآلية و تعقيدات التكنولوجيا.

1964م : ظهور تقرير "ألباك Alpac" الذي أكد على ضرورة وقف دعم بحوث الترجمة الآلية كونها فشلت فشلا ذريعا في تحقيق الأهداف المرجوة.

1975م : الترجمة الآلية تعرف مسارا جديدا و نهضة خاصة بعد دعم الإتحاد الأوروبي و تطوير برنامج "سيستران Systran".

5/ فترة اللسانيات الحاسوبية : إبان فترة الستينات ، عرفت المعالجة الآلية للغات ارتباطا بالترجمة الآلية إلا أن اتخذت مكانا لها و اسما خاصا فأصبحت تسمى بـ " اللسانيات المحوسبة " ، كما عرفت سنة 1962م تأسيس جمعية اللسانيات الحاسوبية " **أسي ألACL** " ، كما عرفت سنة 1965م انعقاد المؤتمر الدولي الأول حول اللسانيات المحوسبة أما سنة 1975 فعرفت صدور أول مجلة تهتم بدراسة اللسانيات المحوسبة²² .

07/- بدايات البرمجة اللغوية العصبية :

تعود بدايات البرمجة اللغوية العصبية إلى سنة 1945م و قد كانت على يد الأمريكي من أصل هنغاري " **فون نيومان von Newman** (1905-1957) و الذي قام باختراع آلة جديدة و التي تمثل على حسبه نموذج الدماغ البشري و ليس آلة حاسبة فمخترع الكمبيوتر يحاول إنشاء عقل اصطناعي كنسخة مطابقة للعقل البشري ، حيث يعتبر هذا المشروع من أولى الخطوات نحو التكنولوجيات المتقدمة من نهاية الأربعينات إلى غاية بداية الخمسينات حيث أصبح الحاسوب وسيلة ضرورية و لقد قام " **نيومان Newman** " بالتعاون مع ثلاث باحثين في مجال علم النفس و اللسانيات من جامعة "ستانفورد" ألا وهم : " **جورج ميلر Georges Miller** " و " **كارل بريبران Carles bribrin** " و " **إدوارد جالنتر Edward Galenter** " باختراع أول نموذج للإستراتيجيات اللسانية " **توت Tooth** " و لقد تأثر مؤلفهم بأعمال اللساني " **نعوم تشومسكي Noam Chomsky** " كثيرا و هو يمثل فترة انتقال المدرسة السلوكية إلى المدرسة المعرفية ، و لقد أثبت تشومسكي وجود علاقة وطيدة تجمع الدماغ أي العقل بالمكتسبات اللغوية و بفضل تقنية " **إي آر أم ARM** " أمكن ملاحظة نشاط الدماغ خاصة عند تطبيقها في المجال الطبي سنوات السبعينات و هذا على يد الفيزيائيين " **بول لوتيربور paul Lauterbourg** " و " **رايمون دامديون Raymond Domidion** " و لقد استمرت إلى غاية الثمانينات وكانت من دون شك أولى بوادر علم الأعصاب²³.

و يعتبر عالم الرياضيات " **ريتشارد باندلر Richard Bandlert** " من أكبر مؤسسي علم البرمجة اللغوية العصبية و قد قام سنة 1973م بدراسة علم النفس بجامعة " سانتا كروز " بكاليفورنيا و لقد اهتم كثيرا بأعمال " **فريتز بيريس Fritz pierce** " في مجال علم النفس الأسري والعيادي من جهة أخرى يوجد " **جون غريندر John Grinder** " المتحصل على شهادة في مجال علم النفس من جامعة " **سان فرانسيسكو San Fransisco** " بكاليفورنيا في بداية سنوات الستينات ، بعد عمله بأوروبا في مجال الاستخبارات و ذلك لقدرته الفذة على التحدث بلغات العالم ، عاد من جديد إلى أمريكا ليستكمل دراسته بجامعة " **سان دييغو San Diego** " أين تحصل على درجة الدكتوراه في اللسانيات و عمل إلى جانب كل من نعوم تشومسكي و جورج ميلر في

مجال علم النفس المعرفي ولقد التقى برينشارد باندلر سنة 1973م بجامعة سانتا كروز ليدرسا معا مجال علم النفس العلاجي و قد لاحظوا طغي النماذج اللسانية على هذا النوع أي ظهور ما يسمى بالقواعد التحويلية إضافة إلى النموذج المعرفي و السلوكي وإبان سنتي 1975م و 1977م قاما الاثنيين معا بنشر ثلاث أولى كتب حول البرمجة اللغوية العصبية²⁴. و بناءا على ذلك يمكننا القول أن البرمجة اللغوية العصبية ليست مجرد علم مستقل ، بل هي تستمد المعارف من علوم أخرى ، فكلمة برمجة مثلا تحيلنا إلى كل ما يتعلق بمجال الإعلام الآلي من تطبيقات و هندسة دون أن ننسى الازدواجية بين المصطلحين دماغ/ كمبيوتر و التي تعد بمثابة استعارة تتجلى فيها عمليات أخرى متعلقة بالإدراك والسلوك وكيفيات توظيفها لغويا²⁵.

08- البرمجة اللغوية العصبية كنظرية جديدة لتعليم و تلقين اللغات :

تستخدم هذه التقنية خاصة بالنسبة للأطفال ولقد لوحظ وجود تغير كبير في المجال البيداغوجي ، أي من ناحية طرق و أدوات التعليم خاصة فيما يتعلق بالذاكرة الاستيعابية ، و لعل من بين المنظرين الذين اهتموا بهذا المجال نجد "بياجي Piaget" حيث أنجز بحثا ودراسات حول كيفية ربط النظرية المعرفية بعلم النفس و بتقنيات البرمجة اللغوية العصبية و كيفية تلقين ذلك للطلبة خاصة الفئة التي تمتاز بذكاء خارق²⁶. و إن مصطلح البرمجة اللغوية العصبية هو اختصار باللغة الفرنسية " بي أن أل PNL" و باللغة الإنجليزية " أن أل بي NLP"، أما إذا حاولنا أن نطرح السؤال التالي: ما المقصود بهذا المصطلح تحديدا ؟ فستكون حتما الإجابة كالتالي : هي علم النفس التطبيقي وتعني دراسة الوقائع النفسية للفرد مع استثمار وسائل الملاحظة ، أي مراقبة سلوك معين مع وضع الإستراتيجيات وإيجاد الحلول ، كما يسير مصطلح البرمجة للمقارنة بين الكمبيوتر و الدماغ مع خلق برامج سلوكية ، فهو يعني المسار الدينامي والحيوي لعملية الإدراك و تنظيم الفكر ، في حين أن مصطلح " العصبية اللغوية" يحيل إلى النظام العقلي والمعلوماتي مع تمثيله هو الآخر سلوكيا ولعل أحسن مثال على ذلك هو ما أورده " ريتشارد بندلر Richard Bandlert" : " البرمجة اللغوية العصبية هي 59% من الملاحظة و 5% من النشاط"²⁷.

وبناء على ما تم ذكره ، سنقوم الآن بعرض مجموعة من مصطلحات البرمجة اللغوية العصبية و التي قمنا باستخراجها من موسوعة المختصرات و المصطلحات الحاسوبية من إعداد كل من " هند رستم محمد شعبان " و"ميمونة حميد شاكر الحداد" و هو بمثابة المرجع الأول للمختصين في مجال علوم الحاسوب و المترجمين على حد سواء و هي كالاتي :

المصطلح باللغة الإنجليزية	ترجمته إلى اللغة العربية
Altered state	الحالة البديلة
Anchoring	الإرساء
Brain waves congruency	موجات الدماغ الانسجام
Conscious Mind	العقل الواعي
Cross mirroring	المرآة المتقاطعة
Dominant- preferred mode representation	النظام التمثيلي الغالب

المصطلح باللغة الإنجليزية	ترجمته إلى اللغة العربية
Hypnosis	التنويم الإيحائي
Kinaesthetic system	النظام الحسي
Magical number 7+-2	الرقم السحري
Meta programmers	البرامج العليا
Sub conscious Mind	العقل الباطن
The legs of NLP	أركان البرمجة اللغوية العصبية
The Mercedes Model	النموذج الثلاثي
Visual constructed	تخيل بصري
Visual squash	الدمج الصوري

التعليق :

أول ما يمكن ملاحظته من خلال سردنا لهذه المصطلحات الخاصة بمجال البرمجة اللغوية العصبية هو ارتباطها المباشر باللغة المبنية على الحسيات أي النظام التمثيلي المتعلق بالحواس و كل ما يتعلق بالجانب

النفسي وعمليات الإدراك إضافة إلى ترجمتها التي تكاد تكون ترجمة حرفية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية و هي تستدعي من دون شك صياغة جيدة أو بالأحرى ترجمة صحيحة ووافية للمعنى ، كما تقتضي من المترجم معرفة وإلماما تاما بهذا المجال العلمي و الذي تتداخل فيه علوم أخرى على رأسها اللسانيات و علم الحاسوب ، و هنا تظهر أهمية المعاجم المتخصصة و المعالجة الآلية للغة التي تعد بمثابة ترجمة ثانية تهدف إلى إيصال المعنى و تسهيل الفهم خاصة لفائدة الطلبة والباحثين ، و لعل أحسن مثال يمكننا أن نستشهد به هو مجال الرياضيات الذي يعرف وجود رموز و علامات و ضوابط متعارف عليها على النطاق الدولي و العالمي كالمعادلات والدوال و الرسوم الهندسية و الزوايا ، إضافة إلى ما يعرف بلغة « MATLAB » و هي عبارة عن مجموعة من التطبيقات و النظم والتي تمتاز بلغة خاصة و اختصارات محددة تستدعي شرحا عند محاولة قراءتها أو فهمها.

و ختاماً يمكننا القول، إن المصطلح يخضع في تطوره للتخصص نفسه و لا يتحدد إلا داخل النظام الذي يكونه ذلك التخصص، قد ينتقل المصطلح من التخصص العلمي إلى اللغة العامة و لكن يظل هناك اختلاف بين الاستعمالين. وإن الترجمة و من دون شك قناة هامة لاستحداث المصطلحات كما أن المصطلح هو مجال حيوي يتأثر بكل العوامل المحيطة به و بمستعمليه ، هو شحنة ثقافية ، هو روح النص العلمي و لا يتأتى التطوير إلا من خلال تحديد مفهومه و دلالاته عن طريق التخطيط له أو بالأحرى عن طريق نقله بطريقة علمية أي ترجمته ترجمة شارحة وافية ، بحكم أن سيل المصطلحات وتدفقها السريع في شتى مجالات الحياة يشكل تحدياً لحركة الترجمة من حيث القدرة على مواكبة التطور من خلال تغطية المصطلحات الوافدة عبر تيارات العولمة ثقافياً و علمياً ، خاصة إن تعلق الأمر بمجال " البرمجة اللغوية العصبية".

“The role of translation and language automatic treatment in lexicography creation and terminology determination “

Abstract:

translation now days as a theoretical notion and as a practice is developing rapidly and significantly The need for fast translation of a large number of pages in several languages, use of specialized and consistent terminology, sharing of common resources, time-saving, cooperation in larger translation projects and cost-saving, have caused a growing use of translation memories. Sentence alignment represents the basis for computer-assisted translation, terminology management, term extraction, word alignment, cross-linguistic information retrieval, etc. Created

out of sentence alignment process, translation memory represents the basis for further research in translation.

Therefore, Translation is an extremely challenging problem, even when people perform the task. Not only does a foreign language have a different word for practically every lexical item in English, the word order may be completely different, or word order may be unimportant with more significance resulting from inflections or choice of words. The multiple meanings attached to a word in one language will rarely overlap in another; and, more generally, words will be ambiguous in different ways in different languages. Furthermore, most languages are constantly changing at different rates and in different ways. The precise meaning of a sentence may depend on whether it was written yesterday or during the previous decade. People require many years of professional training to be good translators.

So this paper aims to give a clear study about the importance of translation and language automatic treatment in lexicography and terminology it is therefore about the effectiveness of technology and artificial intelligence as the need of inter linguistic and intercultural communication is exacerbated by globalization it shows that the actual task of Arab researchers is to understand the linguistic nature of specialized terms and the way the meaning is constructed .Therefore this document presents an experiment in the automatic treatment of language we show that the NLP language is very complex and specialised because of its relation with artificial intelligence cognitive process and that dictionaries are essential tools for good translation.

On the one hand, we show that electronic dictionaries fill the blank in translator's knowledge .On the other hand, they provide more light in case of doubt for professional translators. Expanded and specialized dictionaries and multi-document translation make this software more suitable for advanced translation purposes. We plan to further the research presented. We will first evaluate the English translation of a list of terms and perform a more detailed analysis of the modifications made to the translations by the evaluators in the context of a pilot study to be conducted in cooperation with the neural process. It would also be interesting to perform a task oriented evaluation to measure to what extent translation and automatic language can be used in lexicography and terminology production

Although these types of terms employ a specialized language and a specific cast of sentences.

Key Words: translation, terminology, dictionaries, lexicography, languages, thesaurus....ect

الهوامش :

- ¹ إيمان صبحي سلمان دلول ، معجم محوسب لمعاني الأفعال الثلاثية المجردة في اللغة العربية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة ، تحت إشراف جهاد يوسف العرجا ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2014م ، ص5.
- ² المرجع نفسه ص7.
- ³ بريارة سهيلة ، الترجمة بمساعدة الحاسوب ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة ، تحت إشراف مختار محمصاجي ، جامعة الجزائر ، 2006م ، ص30.
- ⁴ المرجع نفسه ، ص31.
- ⁵ المرجع نفسه
- ⁶ دانييل جيل ، مبادئ في علم الترجمة ، ت.محمد أحمد طجو ، المطابع الجامعية الفرنسية ، بيروت ، 2008م، ص22
- ⁷ المرجع نفسه ص23.
- ⁸ محمد مراياتي ، المصطلح في مجتمع المعلومات ، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا ، الإسكوا ، ص02.
- ⁹ المرجع نفسه ، ص04
- ¹⁰ وهيبة لرقش ، المصطلح العلمي و إشكالية عدم إسقراره ، مذكرة ماجستير في الترجمة ، تحت إشراف محمد الأخضر صبيحي ، قسنطينة ، 2007-2008 ، ص ص28-29
- ¹¹ أسماء بن مالك ، الترجمة و المصطلح ، مجلة علامات ، ع43 ، تلمسان ، ص156.
- ¹² محمد عادل المكنيزي، وليد حمادي الياسمي، بحث في مجال الترجمة الآلية ، تصفح يوم 19/07/31 على الساعة 14.30
- ¹³ محمد الديداوي ، وضع المصطلح المتخصص و توحيد و توصيله و حوسبته ، مكتبة الأمم المتحدة ، جنيف، 1982م ، ص15.
- المرجع نفسه ، ص17.
- ¹⁴
- ¹⁵ فلوريان كولماس ، اللغة و الاقتصاد ، ت.أحمد عوض ، علم المعرفة ، الكويت ، 2000م ، ص18.
- المرجع نفسه ، ص19.
- ¹⁶
- ¹⁷ بن معمر بوخضرة ، إشكالية معالجة المصطلح في الترجمة ، مجلة مقاليد ، ع1 ، جامعة تلمسان ، جوان 2011م ، ص26.

¹⁸ المرجع نفسه ، ص 30

¹⁹ ديدوح عمر ، فعالية اللسانيات الحاسوبية العربية ، مجلة الأثر ، ع8 ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، ماي 2009م ، ص 83 ص 90.

²⁰ موسوعة ويكيبيديا الحرة ، تصفح يوم 2018/06/10 على الساعة 18.54.

²¹ Catherine Cudicio, le grand livre de la PNL, éditions d'organisation, 2004, p34.

²² – Ibid

²³ Ibid

²⁴ Ibid

²⁵ Mohamed Reza Gashmardi, Atefeh Zohrevandi, impact des techniques du PNL sur l'apprentissage de langue étrangère chez l'enfant, revue de la faculté des lettres, N7, 2005, p14.

²⁶ Catherine Cudicio, la PNL communiquer autrement, Eyrolles, 2003, p9.

²⁷ C.Terrier, la programmation Neuro linguistique, consulter le 13.02.2017 a 21 : 41.

قائمة المصادر و المراجع :

باللغة العربية :

- أسماء بن مالك ، الترجمة و المصطلح ، مجلة علامات ، ع43 ، تلمسان.
- إيمان صبحي سلمان دلول ، معجم محوسب لمعاني الأفعال الثلاثية المجردة في اللغة العربية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة ، تحت إشراف جهاد يوسف العرجا ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2014م.
- بريارة سهيلة ، الترجمة بمساعدة الحاسوب ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة ، تحت إشراف مختار محمصاجي ، جامعة الجزائر ، 2006م.
- بن معمر بوخضرة ، إشكالية معالجة المصطلح في الترجمة ، مجلة مقاليد ، ع1 ، جامعة تلمسان ، جوان 2011م.
- دانييل جيل ، مبادئ في علم الترجمة ، ت.محمد أحمد طجو ، المطابع الجامعية الفرنسية ، بيروت ، 2008م.
- ديدوح عمر ، فعالية اللسانيات الحاسوبية العربية ، مجلة الأثر ، ع8 ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ماي 2009م.
- فلوريان كولماس ، اللغة و الاقتصاد ، ت.أحمد عوض ، علم المعرفة ، الكويت ، 2000م.
- محمد مرياتي ، المصطلح في مجتمع المعلومات ، اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية

لغرب آسيا .

- محمد عادل المكنيزي، وليد حمادي الياسمي، بحث في مجال الترجمة الآلية ، تصفح يوم 19/07/31 على الساعة 14.30
- محمد الديدواوي ، وضع المصطلح المتخصص و توحيدده و توصيله و حوسبته ، مكتبة الأمم المتحدة ، جنيف، 1982م.
- وهيبه لرقش ، المصطلح العلمي و إشكالية عدم إسقراره ، مذكرة ماجستير في الترجمة ، تحت إشراف محمد الأخضر صبيحي ، قسنطينة ، 2007-2008 .

باللغة الأجنبية:

- Catherine Cudicio, le grand livre de la PNL, éditions d'organisation, 2004.
- Catherine Cudicio, la PNL communiquer autrement, Eyrolles, 2003.
- C.Terrier, la programmation Neuro linguistique, consulter le 13.02.2017 a 21 : 41.
- Mohamed Reza Gashmardi, Atefeh Zohrevandi, impact des techniques du PNL sur l'apprentissage de langue étrangère chez l'enfant, revue de la faculté des lettres, N7, 2005.

المواقع الإلكترونية:

- موسوعة ويكيبيديا الحرة .

تناسب المكونات والأغراض الشعرية في شعر أحمد مطر

مقاربة أسلوبية

د/ عامر الجراح

جامعة ماردين أرتوكلو

amer.j.80@gmail.com

الملخص

تدلنا القراءة الفاحصة للشعر على تدخل عناصر معينة في تكوينه؛ منها اللغوي، ومنها غير اللغوي. نرى أن تلك المكونات تتمثل في: الفكر والخيال والعاطفة والإيقاع واللغة. ولاحظنا أن كلاً من تلك المكونات يتناسب مع أغراض شعرية معينة، فحضور العاطفة، مثلاً، يكثر في النصوص الشعرية ذات الأغراض التي تكثر فيها الشكوى، كالغزل والرثاء، في حين أن الفكر، يُستثمر في الأشعار ذات الأغراض التي تستوجب إعمال العقل كالسخرية... وهكذا. لقد رأينا أن نخصص هذا البحث للحديث عن التناسب بين الفكر (مكوّنًا) والسخرية (غرضًا)، ولما رأينا أن السخرية تحضر في شعر أحمد مطر أكثر من غيره بحيث تشكل ظاهرة بارزة رأينا أن ندرسها عنده.

الكلمات المفتاحية: التناسب، المكونات، الأغراض الشعرية، الأسلوبية، شعر أحمد مطر.

Summary:

The analytical reading of poetry leads us to the intervention of certain elements in its composition, including linguistic and non-linguistic elements. In my opinion, these components are represented in intellect, imagination, passion, rhythm and language. In addition, we have noticed that each of these components suits a specific poetic purpose. The presence of the passion, for example, increases in the poetic texts which have purposes that complaint is frequent, such as flirt and elegizing. On the other hand, intellect is invested in poetic types which require reasoning and, as an example; we refer here to the purpose of irony which we will devote this research to talk about. In other words, we will discuss the proportion between intellect as a component and the Irony as a purpose. Since the poetry of Ahmed Matar has more Irony than other poets, we decided to study it.

Keywords: proportionality, components, poetic purposes, stylistic, poetry of Ahmed Matar.

المقدمة

لا يخلو الحديث عن ارتباط الشعر بالفكر من صعوبات نظراً لاختلاف الحقلين اختلافاً قد يصل إلى حدّ التعارض؛ لأنّ الشعر مشتقّ من الشعور، والشعور أمر قلبيّ، في حين أنّ الفكر أمر عقليّ، على أنّ هذا قد يبدو كلاماً عاماً، ولا سيما في ظل الحركة الصاعدة للشعر الذي صار يتكئ على معطيات الأجناس الأخرى كالفصّ والحوار، ويتكئ كذلك على الأشكال العروضية الجديدة كالמושّح والتفعيلة وقصيدة النثر، ويستثمر جميع الأدوات الممكنة اللغويّة، وغير اللغوية التي يُعدّ الفكر من أبرزها. إنه يسعى إلى مواكبة التقدّم الذي تشهده الحياة على الأصعدة كافة.

من المعلوم أنّ توظيف الفكر في الشعر يتجلّى غالباً من خلال الخيال والمبالغة في التصوير، ونشير إلى أنّ علاقة الفكر بالشعر تختلف باختلاف الأغراض الشعرية، فإذا كان مجال العاطفة في الشعر يظهر في أغراض الغزل والرثاء والمديح، فإنّ الفكر يتخذ من غرض الهزل والسخرية مسرّاً له، ولما كان غرض السخرية بارزاً بشدّة في شعر أحمد مطر، استقرّ الأمر أن يكون البحث في الكشف عن علاقة التناسب تلك بين المكوّن (الفكر) والغرض (السخرية) في شعر أحمد مطر، ومن ثمّ الكشف عن الجانب الأسلوبي لذلك التناسب، الأمر الذي يعكس أسلوب الشاعر في اعتماد الفكر أداة للشعرية الفنيّة، وللتعبير عن مواقفه الساخرة من الواقع. قد تبدو قيمة البحث في الكشف عن وجوه تلاقي النقيضين إن صحّ التعبير، كما يمكن أن تظهر في بيان أثر الفكر في إضفاء الطابع الفنّي على الشعر، وفي بيان أنه لا يختلف عن العاطفة في ذلك، فضلاً عن كشف النقاب عن علاقة الأدوات الشعرية بالأغراض.

تمّ اعتماد المنهج الوصفيّ القائم على تقصيّ شعر أحمد مطر للكشف عن كيفية استخدام التعبيرات الساخرة التي تميّز اللثام عن العمق الفكريّ في شعره وعنفرة الشاعر على تطويع فن السخرية لنقد الواقع العربي الفاسد بغية إصلاحه؛ إذ ضاقت السبل الأخرى أمام إيجاد إصلاح حقيقيّ، فالشعر وسيلة استظهار لتعرية الواقع المرّ، ومن ثمّ يمثّل دعوة مبطنّة للإصلاح عند الشاعر، وهذا هو الجانب الإيجابي فيها مع اتسامها بالسلبية من منظور آخر، وهذا الهدف النبيل وراء استعمال السخرية دفع الشاعر إلى توظيف الفكر في شعره ما أمكن، ولما كانت السخرية مجالاً رحباً متكاملاً عليه كان لا بدّ للشاعر من اعتماد أساليب تسمح له بالحركة ضمن ذلك المجال؛ فبالبحث عن تلك الأساليب يميّز اللثام عن أبرز أساليب اللغوية المستعملة في الشعر؛ كالسرد، والمفارقة، واللعب اللغوي.

رأينا أن نستهلّ البحث بالحديث عن ما يمهدّ لبيان أساليب السخرية والكشف عن الجانب الفكريّ فيها، فجعلنا ذلك الحديث في مدخلين؛ هما:

- 1- المفهوم العام للسخرية.
- 2- السخرية عند أحمد مطر.

ثم رأينا أن تتلو المدخلين ثلاثة مباحث تتعلق بالأساليب الفكرية اللغوية للسخرية؛ مثل:

- 1- أسلوب السرد.
- 2- أسلوب المفارقة.
- 3- أسلوب اللعب اللغوي.

ثم نختم البحث بذكر أبرز النتائج المتحصلة منه. والله وليّ التوفيق.

المدخل الأول: مفهوم السخرية

إن بيان مفهوم السخرية أمر ضروري في سياق الكلام على علاقتها بالفكر، وفي سياق الحديث عن الأساليب الفكرية الموظفة فيها، فالسخرية في اللغة: بمعنى الهُزء؛ جاء في اللسان: "سخر منه وبه سخرًا وسخرًا ومسخرًا وسخرًا، بالضم، وسخره وسخرًا وسخرًا وسخرية: هزئ به؛ ويروى بيت أعشى باهلة على وجهين:

إني أنتنّي لسان، لا أسرُّ بها من علوّ، لا عجبٌ منها ولا سخرٌ¹

ويروى: ولا سخر... الفراء: يقال سخرت منه، ولا يقال سخرت به. قال الله تعالى: (لا يسخر قومٌ من قومٍ) [الحجرات: 11]. سخرت من فلان هي اللغة الفصيحة². وثمة عبارات كثيرة تحمل دلالة السخرية كالاستهزاء والاحتقار، والطعن، والدعابة والهزل والتندر، والتعريض وغيرها، على أنها كانت الأنسب للتعبير عن مراد الشاعر وطبيعة شعره التي يعبر بها عن مرارة الواقع وتعريته بغية الإصلاح بأسلوب فني رفيع.

والحق أن المعنى الاصطلاحي للسخرية يسوّغ اختيارنا لها دون غيرها؛ ففي الاصطلاح قال أبو حامد الغزالي (ت505هـ): "ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يُسمَّ ذلك غيبيةً، وفيه معنى الغيبة"³. وقال ابن النحاس (ت814هـ) بعد أن ساق تعريف الغزالي الآنف: "وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وقد يكون بالضحك؛ كأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه أو غلط، أو على صنعته، أو قبح في صورته ونحو ذلك"⁴، ويقول أبو حامد في السخرية: "إن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضاً في الغيبة ومنشؤه

التكبر واستصغار المستهزأ به⁵. وقال ابن تيمية (ت728هـ): "الاستهزاء هو: السخرية؛ وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجدّ والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذمّ صفاتهم وأفعالهم ذمًا يخرجها عن درجة الاعتبار، كما سخروا بالمطوّعين من المؤمنين في الصدقات"⁶.

ويعود أصل المصطلح عند الغرب إلى الكلمة اليونانية (eirōneia) التي اشتق منها المصطلح الأوربي للسخرية، و"كانت وصفًا للأسلوب في كلام إحدى الشخصيات في الملهة اليونانية القديمة المسمّى بإيرون (eirōn) وكانت هذه الشخصية تتميز بالضعف والقصر مع الخبث والدهاء... أمّا السخرية في مفهومها البلاغي فهي طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل"⁷. إنها وفق ذلك المفهوم تقابل مصطلح التورية، غير أنّ الغرض بينهما يختلف، فالغرض من التورية الإخفاء، ومن السخرية الإضحاك، ويبقى للسخرية في الأدب لونها الخاص، ولا سيما في أدب أحمد مطر، فهي تهدف إلى نقد الواقع بغية تعريته وإصلاحه، ومن ثمّ تكتسي حلل الجمال والإمتاع من حيث شكلها، وترتقي في مدارج الإنفاع من حيث مضمونها، وذلك بأن تعدّ طريقًا خاصًا للتعبير عن القضايا التي تدعو إلى الانتقاد في الأشخاص والمجتمعات.

المدخل الثاني: السخرية عند أحمد مطر

للسخرية، في الواقع، جانبان: سلبيّ بمعناه العام، وهو ما يصوره الشرع الإسلامي؛ كما في قوله تعالى: **لَيَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...** [الحجرات: 11]. وقوله: **﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾** [الزمر: 56]. وفي قول النبي - عليه الصلاة والسلام -: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه)⁸. وعن عبد الله بن مسعود قال: (لو سخرت من كلب، لخشيت أن أكون كلبًا)⁹. وقال أبو موسى الأشعري: (لو رأيت رجلاً يرضع شاة في الطريق فسخرت منه، خفت أن لا أموت حتى أرضعها)¹⁰. وهذه سخرية غير هادفة وهدامة.

أمّا الجانب الآخر للسخرية فهو إيجابي، ولا سيما في أدب أحمد مطر، ومن منظور علم النفس؛ إذ تعدّ سخرية الإنسان من واقعه المزري نوعًا من آليات الدفاع النفسي التي يستخدمها الإنسان دون وعي منه كطريقة للتأقلم وحماية النفس من الوقوع في فخ الاكتئاب العميق. وهذا ما يفسّر تنامي أدب السخرية (النكات) في ظل الأزمات، كما تعدّ السخرية الأدبية سلاحًا فعالًا لفضح الواقع الاجتماعي وتعريته بغية إصلاحه، والحق أن هذا ما لمسناه في شعر أحمد مطر، وكانت سخريته في شعره موظفة لفضح الواقع العربيّ بحكوماته وشعوبه وإعلامه وساسته وأدبائه المنافقين وجيوشه وانهزاماته وعاداته البالية وغير ذلك.

لقد كان الواقع العربيّ المرير الهمّ الأكبر للشاعر الذي سخر شعره له، ولعل حياة الاضطهاد التي عاشها منتقلاً من بلد إلى آخر، إلى أن استقرّ به المقام في بلاد الغرب، ثم مقارنة واقع الحياة المعيش في الغرب مع الواقع العربيّ، وكذلك علاقته مع الفنان التشكيلي الفلسطيني ناجي العلي الذي شاركه الشعور بالمأساة¹¹، كل ذلك كان له أثر كبير في انطباع شعره بطابع السخرية.

اعتمد أحمد مطر أدوات فكرية لغوية معينة في التعبير عن سخريته من الواقع المرير، طبعت تلك الأدوات أسلوبه بطابع خاص، وجعلت من شعره (الفكريّ) قولاً ينضح بسمات الشعرية، والحق أن تلك الأدوات والأساليب عديدة اخترنا أبرزها؛ وهي: أسلوب السرد، وأسلوب المفارقة، وأسلوب اللعب باللغة.

المبحث الأول: أسلوب السرد

يعتمد أحمد مطر على هذا الأسلوب بكثرة في شعره، حتّى أن القارئ يكاد يجد نفسه أمام قصة شعرية لا شعر قصصي، بمعنى أن القصّ أو السرد يطغى على شعره إلى درجة التماهي بينهما، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ اعتماد أسلوب السرد، أو الجمع بين الشعر والسرد أمرٌ لا بدّ فيه من استخدام الفكر؛ إذ إن القصة في الأساس أدواتها الفكر، ونذكر من أمثلة ذلك قوله في قصيدته المعنونة بـ(حكاية عباس):

"عبّاس وراء المتراس/ يقظٌ منتبهٌ حسّاس/ منذ سنين الفتح يلّمع سيفه

ويلمع شاربه أيضاً/ منتظراً محتضناً دُقة/ بلع السارق ضفّة

قلّب عبّاس القرطاس/ ضرب الأخماس لأسداس/ بقيت ضفّة

لملم عبّاس ذخيرته والمتراس/ ومضى يصقل سيفه

عبر اللصّ إليه، وحلّ ببيته/ أصبح ضيفه

قدّم عبّاس له القهوة/ ومضى يصقل سيفه

صرخت زوجته: عبّاس/ أبناؤك قتلى، عبّاس/ ضيفك راودني، عبّاس/ قم أنقذني يا عبّاس

عبّاس وراء المتراس/ منتبه لم يسمع شيئاً/ زوجته تغتاب الناس

صرخت زوجته: عبّاس، الضيف سيسرق نعجتنا

عبّاس اليقظ الحساس/ قلّب أوراق القرطاس/ ضرب الأخماس لأسداس

أرسل برقية تهديد/ فلن تصقل سيفك يا عباس؟!

لوقت الشدة/ اصقل سيفك يا عباس¹².

وتظهر جليّة فكريّة الشعر، ومن ثمّ جماليته من خلال المزج بين أسلوب السرد القصصي وأسلوب الحوار المسرحي، والشاعر اعتمد ذلك كثيرًا في شعره، ومن ذلك قصيدته (التهمة) التي يقول فيها:

"كنتُ أسيرُ مفردًا/ أحملُ أفكاري معي/ ومنطقي ومسمعي

فازدحمت من حولي الوجوه/ قال لهم زعيمهم : خذوه

سألتهم : ما تهمتي؟! / فقبل لي : تجمع مشبوه¹³.

يبدو أن السرد عند أحمد مطر لا يقلل من شأن الشعرية رغم اعتماده على الفكر، ولا سيما في تمازجه مع الحوار، كما يبدو أن أسلوب السخرية هو الذي أسهم في تزوج الشعر مع السرد أو الفكر، على اعتبار أن السرد محتاج إلى الفكر، فأنتج هذا التزاوج ذلك النموذج الفريد من الشعر. وثمة أمثلة أخرى كثيرة على أسلوب السرد، غير أنه يُكتفى بهذا المثال، ولا بدّ من الإشارة إلى أن السرد في شعر أحمد مطر يتراوح بين الطول والقصر والتوسط، وذلك تبعًا لنوع القصة، ولعل ذلك يتبع عمق الفكرة الذي تفرضه الواقعة المراد التعبير عنها.

المبحث الثاني: أسلوب المفارقة:

يقوم أسلوب المفارقة على إدراك فكرة التناقض التي تتجلى عبر اتباع طرق الكذب والنفاق والتزوير، وتكون المفارقة بخرق قانون الإحالة اللغوية أو الاجتماعية، وكثيرًا ما تعد المفارقة على أنها لغة العقل والظنّة (الفكر)، وليست لغة الفنّ والشعر، على أنه لا تُعدم الروح الشعرية فيها حين تمتزج بالسخرية في شعر أحمد مطر؛ من ذلك:

"يضحكني العميان/ حين يقاضون الألوان/ وينادون بشمس تجريدية

تضحكني الأوثان/ حين تنادي الناس إلى الإيمان/ وتسبّ عهود الوثنية

يضحكني العريان/ حين يباهي بالأصواف الأوروبية

كان ويا ما كان/ كانت أمتنا المسيبة

تطلب صكّ الإنسانية/ من شيطان¹⁴.

هذه المفارقة العجيبة بين حالة العمى ومقاضاة الألوان، وبين الأوثان والإيمان، وبين العربي والأصواف، هذه مفارقات واضحة يفضي بها الشاعر إلى مفارقة أكبر هي غرضه في النهاية، ألا وهي طلب الإنسانية من الشيطان.

ومن هذا القبيل قصيدته ذات العنوان العريض (خطاب تاريخي) الذي تشعرك المفارقة بينه وبين المضمون، وكذلك بين جمل المضمون، بالعمق الفكري؛ إذ يعتمد هنا على التعبير الموجز أو ما يمكن أن نسميه الومضة التي تنتهي سريعاً لكن أثرها يدوم بفعل تأثير الفكر فيها؛ يقول:

"رأيت جرّداً يخطب اليوم عن النظافة/ وينذر الأوساخ بالعقاب/ وحوله يصفق الذباب"¹⁵.

وتتجلى المفارقة أيضاً في اعتماد التضاد، ويظهر ذلك كثيراً في عناوين القصائد؛ مثل (الصحو في الثمالة)¹⁶، و(عاش يسقط)¹⁷، و(الحيّ الميت)¹⁸، و(عزاء على بطاقة تهنئة)¹⁹، وغير ذلك، ومن شواهد استعمال التضاد في شعره القصيدة الآتية:

"أنا لا أكتب الأشعارَ/ فالأشعار تكتبني

أريد الصمت كي أحيأ/ ولكن الذي ألقاه ينطقني

ولا ألقى سوى حزنٍ، على حزنٍ، على حزنٍ

أأكتب أنني حيٌّ على كفني ؟

أأكتب أنني حر/ وحتى الحرف يرسف بالعبودية ؟

لقد شيعتُ فاتنة تسمى في بلاد العرب تخريباً وإرهاباً/ وطعنًا في القوانين الإلهية

ولكن اسمها والله ... /لكن اسمها في الأصل حرية"²⁰.

ومن طريف ما نراه في شعره مما اعتمد فيه أسلوب المفارقة قوله:

"بملى رغبتى أنا/ ودونما إرهابُ

أعترفُ الآنَ لكم بأننى كذابُ!

وقفتُ طول الأشهرِ المنصرمةِ

أخذعُكمُ بالجملِ المنممةِ

وَأَدَّعِي أَنِّي عَلَى صَوَابٍ

وها أنا أبرأ من ضلالتني/ قولوا معي: اغفر وتب يا رب يا تواب.

قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّ فَمِي فِي أَحْرَفِي مُذَابٌ

لَأَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ مَدْفُوعَةٌ الْحِسَابِ

لدى الجهات الحاكمة.

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .. فما أكذبني!/ فكل ما في الأمر أن الأنظمة

بما أقول مغرمة

وأنها قد قبلتني في فمي/ فقطعت لي شفتي/ من شدة الإعجاب!

أَوْهَمْتُكُمْ بِأَنَّ بَعْضَ الْأَنْظِمَةِ

غَرِيبَةٌ.. لكنها مترجمة

وأنها لأنفها الأسباب

تأتي على دبابية مطهمة/ فتتشر الخراب

وتجعل الأنام كالذباب

وتضرب الحصار حول الكلمة.

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .. فما أكذبني!/ فكلها أنظمة شرعية/ جاء بها انتخاب

وكلها مؤمنة تحكم بالكتاب/ وكلها تستنكر الإرهاب

وكلها تحترم الرأي/ وليست ظالمة

وكلها مع الشعوب دائماً منسجمة!

قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّ الشُّعُوبَ الْمُسْلِمَةَ/ رغم غناها .. معدمة

وإنها بصوتها مكممة/ وإنها تسجد لأنصاب

وإنَّ مَنْ يسرَّفها يملكُ مبنى المَحَكِّمة/ ويملكُ القُضاةَ والحُجَّابَ.

أستغفرُ اللهَ .. فما أكذَّبني!/ فما هي الأحزابُ

تبكي لدى أصنامها المُحَطَّمة

وها هو الكرَّار يدحُو البابَ/ على يهودِ الدَّوْنِمة

وهاهو الصَّدِّيقُ يمشي زاهداً مُقَصِّرَ الثيابِ

وهاهو الدِّينُ لقرطٍ يُسرِّه/ قد احتوى مُسيلمَة

فعادَ بالفتح .. بلا مُقاومة/ من مَكَّة المُكرِّمة!

يا ناسُ لا تُصدِّقوا/ فإنني كذابٌ!"²¹.

فالشاعر هنا يمزج الحقيقة بالكذب بأسلوب ساخر، فيعبّر عن كذبه وهو في الأصل صادق، وينتقل من الصدق الحقيقي إلى الصدق الإيهامي بحركة فنية فريدة تتجلى فيها المفارقة بأسمى صورها، ولا شك في أنّ الفكر هو الذي أسهم في ذلك كلّهُ.

يعيدنا ذلك الكلام إلى حركة التطوّر التي شهدتها الشعر العربيّ انطلاقاً من منتصف القرن الثاني للهجرة حين ظهر تيار الشعراء المولّدين أمثال بشار وأبي نواس وأبي تمام الذين خرجوا على عمود الشعر الذي فُرِضَ على الشعر زمنًا طويلاً؛ ذلك العمود الذي حصر الشعر في زاوية الوضوح والابتعاد عن المبالغة وقرب التصوير²².

المبحث الثالث: أسلوب اللعب باللغة

يقوم هذا الأسلوب على استثمار طاقات اللغة في التعبير، من حيث التصريف أو الاشتقاق أو التوليد أو التقليب أو المقاربات اللفظية أو غيرها، وتمثل اللغة العربية باتساعها مجالاً رحباً للعب اللغوي، ونذكر من الأساليب التي اتبعها الشاعر أسلوب اعتماد الجذر اللغوي والتقاليب؛ يقول:

"من أحرف ثلاثة أشتقُّ ألف سرّ/ لست بساحر أنا/ لكن ما يجري هنا/ يذهل حتى السحر!

إلعبُ معي:حاء وباء ثم راء: (حبر)./خذه... وهات الشعر.

لا ترتعدّ/ أنت هنا... حاء وراء: (حز)/ باء وحاء: (بح)

قل كل ما توذّه... وعندما تبج/ راء وحاء: (رح)!

باء وراء: (بر). / باء وراء: (بر). / باء وراء: (بر).

كم نعمة بكلمة! / يا للحروف الغر. / باء وحاء ثم راء: (بحر)

راء وحاء ثم باء: (رحب)/ أطفئ لهيب الحر

واملاً شغاف القلب./ هذا الهواء كله/ حاء وباء: (حب)!

راء وباء: (رب) / منتقم مسيطر... ولا يثير الرعب!

يعفو عن العبد وإن كان عظيم الذنب./ يقول يا عبد انتني بالحب. / لا بالضرب

ولو أتاه تائباً... يقبل منه التوب .

وإن عصى/ لم يستلمه بالعصا/ كزاهد يرقص طول وزره/ وراء قصر الثوب!

هذي الحروف كيفما تحركت تحت يديجاءت بمعنى عذب!

ما بال هذا الكلب/ ما حركتها يده/ إلا وقامت: (حرب)؟!²³.

ومن الشواهد التي اعتمد فيها الشاعر على اللعب اللغوي قصيدة (الألثغ يحتج)؛ يقول:

"قرأ الألتغ منشوراً ممتلئاً نقدا/ أبدى للحاكم ما أبدى:

(الحاكم علمنا درساً.../ أن الحرية لا تُهدى

بل... تستجدي!/ فانعم يا شعب بما أجدى.

أنت بفضل الحاكم حُرّ/ أن تختار الشيء، وأن تختار الشيء الضدّ

أن تُصبح عبداً للحاكم/ أو تُصبح للحاكم عبداً!

جُنّ الألتغ / كان الألتغ مشغوقاً بالحاكم جدّاً

بصق الألتغ في المنشور، وأرعد رعداً :

(يا أولاد الكلب كفاكم حقدًا. / حاكمنا وعدّ وسيبقى وعدًا). / يعني وزدا

وُجد الألتغ مدهوساً بالصدقة.. عمدا!²⁴.

ففكرة الجمع بين الوجد والورد اللتين لا رابط بينهما في اللغة إلا بالرجوع إلى العيب اللغوي وهو اللُّغْة، يعدّ لعبة لغوية فريدة يظهر فيها أثر الفكر جلياً، ثم استنثار ذلك في السخرية من الشعوب اللاهثة وراء حكّامها الطغاة، هذا من الإبداع الفائق.

ومن الأمثلة على اللعبة اللغوية أيضاً الاعتماد على الجناسات؛ يقول الشاعر:

"قادتنا أنصابُ/ أشرفهم نصابُ!/ في حربهم نصابُ/ ومالنا نصابُ"

لو فرقوا الأسلاب والرواتب .

نموت .. والسلام/ وقادة السلام/- عليهم السلام -/ يحيون في سلام

وواجب الواعظ قول الواجب .

ثرمى لنا في الباب/ مواعظ الأرياب :/ قل يا أولي الألباب:/ قصّوا من الجلباب

واعفوا للحي .. وقصروا الشوارب .

وواعظ المزاد/ يغلب شهرزاد ./ فإن خير الزاد/ بالكذب يستزاد

إن لم يُشِر لنصب ذي المناصب...²⁵.

خاتمة ونتائج

لا يخفى التناسب في الشواهد الشعرية السابقة بين مكّون (الفكر) وغرض (السخرية)، ويُعدّ هذا البحث مدخلاً للكشف عن وجوه التناسب الأخرى بين مكّونات الشعر وأغراضه، كما يُعدّ باباً إلى تأسيس مدخل في الشعرية العربية، واتّضح أنّ أقرب المكّونات إلى غرض السخرية هو مكّون الفكر بأدواته الفنيّة البارزة المتمثّلة في السرد والحوار، وفي المفارقة والتضادّ، وفي اللعب باللغة بما تمتلكه من تصاريف واشتقاقات وتوليد وتقاليب ومقاربات اللفظية، كل ذلك استثمره الشاعر أحمد مطر مازجاً بين الشعرية والفكر في سبيل بناء كونه الساخر الذي حاول من خلاله مقارنة الواقع المرير الذي تعيشه الشعوب العربية في ظلّ الحكام الطغاة، وفي ظلّ حالة الخنوع المستشرية بينهم، لقد كان أدبه الساخر إيجابياً هادفاً، فالسخرية فن أدبي هادف يتكئ على الفكر على نحو واضح، وظهر أنّ الفكر هو الذي منحه القيمة الفنيّة العالية، كما لوحظ أنّ الأساليب المتبعة في السخرية هي من قبيل الأدوات التي تتسج من خيوط الفكر، وقد تضعف فيها العاطفة لذلك، غير أنّ السمة الشعرية مازالت تظهر فيها، وإن لم تكن بالشعرية الطافحة.

أفضى أسلوب السرد من خلال تماسكه اللغوي إلى التماسك الفني، وتتجلى الفئّية فيه على نحو أكبر بامتزاجه مع الحوار، وهو ما أكثر الشاعر من الاتكاء عليه في شعره، وأسلوب المفارقة الذي يمنح النص إيقاعه الداخلي وتوتره الدلالي يقربه إلى ساحة الشعرية، وتمثّلت تجلياته في مفارقة الواقع، وفي اعتماد التضادّ سواء في العنوانات أم في المضامين والمتون، كما تتجلى المفارقة في المزج بين الحقيقة والكذب بأسلوب بديع يكشف عن قدرة الشاعر وعمق فكره، وكذلك فعل أسلوب اللعب اللغوي الذي لا يختلف عن المفارقة في إيقاعها وتوترها، ولا عن السرد في تماسكه، ومن أشكال الألعاب اللغوية التي عزف عليها الشاعر ممّا ذكر أنّها التقاليد والجناسات وعدم الفصاحة اللفظية المتمثلة في اللُّغة.

إنّ الشاعر في كلّ تلك الأساليب أفاد من الفكر ووظّفه في خدمة ما أراد، حتى أصبح القارئ يجد نفسه أمام شاعرٍ مفكّرٍ، ومفكّرٍ شاعرٍ نجح في توظيف الفكر في السخرية، وفي توظيف كل ذلك في التعبير عن قضاياها ومواقفه تجاه الواقع العربي السيئ، ونشير أخيراً إلى أنّ مكّون الفكر يمكن أن يتناسب مع أغراض أخرى، مع تأكيدنا حتمية صلته بغرض السخرية، كما نشير إلى أنّ اعتماد الفكر في الشعر يمكن أن يتعلّق بطبيعة الذات الشاعرة، بمعنى أنه يمكن أن نرى شاعرًا يتكئ على الفكر في بناء شعره على اختلاف أغراضه، على نحو ما نجده عند أبي تمام مثلاً.

The proportion of the poetics' component and purposes in the poetry of Ahmed Matar;

A stylistic approach

Abstract:

The analytical reading of poetry leads us to the intervention of certain elements in its composition, including linguistic and non-linguistic elements. In my opinion, these components are represented in intellect, imagination, passion, rhythm and language. In addition, I have noticed that each of these components suits specific poetic purposes. The presence of the passion, for example, increases in the poetic texts which have purposes that complaint is frequent in them, such as flirt and elegizing. On the other hand, intellect is invested in poetic types which require reasoning such as the purpose of irony. Since the irony is found a lot in the poetry of Ahmed Matar, I will devote this research to talk about it. In other words, I will discuss the proportion between intellect as a component and the Irony as a purpose. Then, I will shed the light on the stylistic and linguistic aspect of that proportion, which reflects the poet's method of adopting the Intellect as a tool for artistic poetry, and to express his ironical attitudes about reality. The value of the research appears to be in revealing the aspects of the two contrasts, if I may say so. It can be seen in the statement of the intellect's effect on giving an artistic nature of the poetry. Furthermore, it can be noticed

in the statement that shows no difference between intellect and emotion in that effect. Finally, the research will disclose the relationship of poetic instruments with purposes.

I will investigate the poet's poetry to reveal how to use the sarcastic expressions that disclose the intellectual depth of the poetry. And the ability of the poet to adapt the art of irony to criticize the corrupt Arab reality in order to reform it as there was no other ways that could find a real reform. Because the poetry is the poet's only way to erase the bitter reality and reform, and this is the positive side of it even though it has a negative side from another perspective. This noble goal, behind the use of irony, pushed the poet to use the intellect in his poetry whenever possible. Since the irony is a wide area that is leaned on, it was necessary for the poet to adopt methods that allow him to move within that area because the search for these methods reveals the most prominent methods of language used in poetry such as; narration, paradox, and language play.

I thought of opening the research by talking about what eases the way for showing the methods of ironic and intellectual aspect in it, and this research is in two parts:

1 - The general concept of irony in language and terminology, moving on mentioning the meaning of the concept according to Isterneers and its relationship to metaphorical language.

2 - Irony of Ahmed Matar. I will talk here about the negative and positive sides of the irony, pointing out that irony in the literature of Ahmed Matar follows the second type (positive) because it was employed to expose the Arab reality with its governments, people, media, politicians, hypocrites, armies, obligations and bad habits etc...

Then I follow them by three questions related to the linguistic intellectual methods of irony:

1 - Narrative style.

2 - Paradox style.

3 - Language play style.

Then I conclude the research by mentioning the most prominent results of it.

May Allah grant success.

الإحالات

- 1- يُنظر: ابن الشجري: مختارات شعراء العرب، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، ط1 مطبعة الاعتماد، مصر 1344هـ-1925م. ج1، ص8.
- 2 - ابن منظور: لسان العرب، تح: علي شيري، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان 1408هـ /1988م، مادة (س خ ر).
- 3 - أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط1 دار المنهاج، المملكة العربية السعودية- جدة 2011. 469/5.
- 4 - ابن النحاس: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، تح: عماد الدين عباس سعيد، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان 1987م. ص258.
- 5 - أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين: 522/5.
- 6 - ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان 1987م. 22/6.
- 7 - مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط2 مكتبة لبنان، بيروت 1984، ص198.
- 8- مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ج4، ص1986، رقم2564.
- 9- ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، ط1 مكتبة الرشد، الرياض 1409، ج5، ص231، رقم25546.
- 10 - نفسه: 230/5، رقم 25544.
- 11- يُنظر: أحمد مطر: المجموعة الشعرية، ط1 دار الحرية، بيروت 2011. ص 5.
- 12 - نفسه: 18.
- 13- نفسه: 14.
- 14 - نفسه: 32.
- 15 - نفسه: 15.
- 16 - يُنظر: نفسه: 23.
- 17 - يُنظر: نفسه: 23.
- 18 - يُنظر: نفسه: 36.
- 19 - يُنظر: نفسه: 44.
- 20 - نفسه: 33.
- 21 - نفسه: 45- 46.
- 22 يُنظر: الأمدي، الحسن بن بشر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط4 دار المعارف (د.ت)، ج1، ص4-5. والقاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبئ وخصومه، تحقيق

وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت)، ص33-34. والمرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1991م. ج1، ص9.

23 - نفسه: 190.

24 - نفسه: 195.

25 - نفسه: 234.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- 1- الأمدي، الحسن بن بشر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط4 دار المعارف (د.ت).
- 2- أحمد مطر: المجموعة الشعرية، ط1 دار الحرية، بيروت 2011.
- 3- ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان 1987م.
- 4- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط1 دار المنهاج، المملكة العربية السعودية- جدة 2011.
- 5- ابن الشجري: مختارات شعراء العرب، ضبطها وشرحها: محمود حسن زنتاني، ط1 مطبعة الاعتماد، مصر 1344هـ- 1925م.
- 6- ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، ط1 مكتبة الرشد، الرياض 1409.
- 7- القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبّي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت).
- 8- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2 مكتبة لبنان، بيروت 1984.
- 9- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1991م.
- 10- مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- 11- ابن منظور: لسان العرب، تح: علي شيري، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان 1408هـ/ 1988م.
- 12- ابن النحاس: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، تح: عماد الدين عباس سعيد، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان 1987م.

مفهوم النظرية في اللسانيات

د/ شنان قويدر

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

kader.che2000@yahoo.com

المخلص

يمكن الحديث عن تعدد النظريات اللسانية، انطلاقاً من تعدد الإمكانيات الذهنية، وإذا كان الاستقراء المطلق يستحيل حصوله في العلوم. والعلم ليس علماً بالعدم ومن هنا فلكل نظرية بناؤها وطريقة تصويرها للعوالم الممكنة، ومن شروط الكلام عن الواقع والإخبار، هو العلم ومن هنا تتعدد مسائل الاختلاف، وبالنتيجة تتعدد طبيعة النظر إضافة إلى ذلك أن مصطلحات الأنساق المعرفية ومفاهيمها تنتقل من حقل إلى آخر، ومن ثمة من دلالة لغوية إلى دلالة اصطلاحية كانتقال ألفاظ النحو من مجال الكلام إلى مجال اللسان النظام، وهذا كله يتعلق بالاختلاف والتعدد في وجهات النظر.

الكلمات المفتاحية: النظرية؛ الذهنية؛ الاستقراء؛ النظر؛ الأنساق؛ المفاهيم...

Summary:

It is possible to speak of multiple linguistic theories, based on the multiplicity of mental potentials, and if absolute extrapolation is impossible to obtain in science. Science is not a science of non-existence. Hence, for every theory of its construction and the way it is depicted for the possible worlds, and the conditions of speech about reality and news, is science.

Hence, there are many issues of difference. As a result, the nature of the view is different. In addition, the terms of the cognitive patterns and concepts are transferred from one field to another. A linguistic connotation to the connotation of terminology as the expression of words from the field of speech to the field of the tongue system, and this all relates to the difference and the diversity of views.

Keywords: theory; mindset; extrapolation; consideration; patterns; concepts ...

مفهوم النظرية في اللسانيات

النظرية اللسانية: إن الكلام عن النظرية ينطلق من أساس سابق له هو المعرفة وأصول المعرفة، فالنظر في الشيء والحكم عليه فرع على تصوره ومعرفته، فالدارس يصنع جهازاً مفاهيمياً يتضمن مفاهيم وآليات النظر، التي تتركب بها الصورة. وهذا الجهاز مراقب ذاتياً لضمان إنسجام أجزائه المفاهيمية ووحداته الصورية، وتتوسل النظرية في تأويلها للواقع بحددها للأشياء وانتظام هذه الحدود في جملة من القوانين. وتعد المفاهيم بأبعادها الإجرائية « أقاويل كلية أي جامعة ينحصر في كل واحد منها أشياء كثيرة مما

تشتمل عليه تلك الصناعة، وتكون معدة إما ليحاط بها ما هو من تلك الصناعة، وإما ليمتنح بها ما لا يؤمن أن يكون قد غلط فيه غلطاً⁽¹⁾. وفي هذا المعنى قل من المشتغلين في الحقول المعرفية عامة، وفي حقل الظاهرة اللغوية على وجه الخصوص من لم يستعمل مصطلح نظرية، وفي الآن نفسه ليس هناك من صاغ لها تعريفاً صريحاً جامعاً مانعاً، ولعل ذلك يعود إلى أن هذا المفهوم من الآليات الفكرية المشتركة بين كافة الأنساق المعرفية. من هنا فتحدد مفهومها يعود بالأساس إلى الإبيستيمولوجيا (نظرية المعرفة/ فلسفة العلوم)، وقد يفهم هذا المفهوم بطرق مختلفة منها أن تكون النظرية:

أ- نظاماً من الفرضيات ومؤداها في هذا السياق يتحدد بمفهومها من خلال علاقة التأثير بين النظرية وموضوع إجراءاتها، التي تكون في اتجاه واحد. وفي هذا التصور فالموضوع هو الذي يفرض وجهة نظر معينة (نظرية)، ويؤثر فيها ولا ينعكس. ومن هنا فإذا كانت النظرية هي نظاماً من الفرضيات، فإن سلامتها في العلوم التجريبية يتوقف على إختبار صحتها في الواقع العيني.

ب- نظاماً استدلالياً خالصاً⁽²⁾. والنظرية في هذا التصور منبعية لا تطالها التجربة، ولا تخضع لمعطيات الواقع العيني، وبهذا المعنى فالنظرية ضرب من العلوم العقلانية المحضة، التي ليس فيها تقليد لمشروع ولا محاكاة لواقع أو إخبار عنه « وإنما تعلم بمجرد العقل، فلا يجوز أن تصحح بالنقل، بل لا يتكلم فيها إلا بالمعقول المجرد، فإذا دل المعقول الصريح على بطلان الباطل منها، لم يجز رده فإن أهلها لم يدعوا أنها مأخوذة عن تصديقه، بل عن محض عقل⁽³⁾. العقل المجرد عضو المعرفة النظرية المستند إلى مبادئ المنطق الصوري، ومن ثم فهو عضو مصنوع من خلال المقدمات النظرية، بمعنى آخر تجريد الأمور الكلية عن الأمور العينية.

ذكرنا سابقاً أن المقصود باللسانيات العامة في أدبيات الخطاب العلمي المتصل بدراسة الظاهرة اللغوية. هو مجموعة المدارس والمناهج والاتجاهات التي أحدثتها مقولات دي سو سور، والتي تميزت بتغيير في وجهة النظر للظاهرة اللغوية وآليات تحليلها، وتوسع المجال المعرفي اللساني ليشمل البحث في الظواهر اللغوية العامة. والبحث في الخصائص اللسانية التي تتحد فيها الألسنة البشرية بغض النظر عن درجة القرابة بينها⁽⁴⁾. وبالنظر إلى هذه المشاغل الجديدة للبحث اللساني تعددت المدارس والاتجاهات والحلقات والأعلام، وتعددت معها الإجراءات والمناهج والفلسفات المؤطرة لها، ومن هنا فالتعدد سواء بالنظر إلى النظرية ككيان من الفرضيات، أو مصادرة عقلية. فإنها تكون في جميع الحالات جهازاً معرفياً، أو آلية مفاهيمية تجريدية من إختيار الدارس، يضعها إطاراً لعمله. وبهذا التصور تفتح إمكانية

صياغة نظريات مختلفة باختلاف تصورات اللسانيين لموضوع علمهم، وتقدير منطق الحقيقة العلمية ومكمنها.

مكونات النظرية اللسانية: بالنظر إلى إختلاف اللسانيين في تصوراتهم للبحث في الأجهزة العاملة في الظاهرة اللغوية، وبالنظر إلى تردد أصحاب المذاهب في تعريف تصوراتهم، مع حرصهم على التفكير بصورة موضوعية مطابقة، أو بشكل إستدلالي متماسك، والذي لا ينبغي أن يفهم على أنه قصور معرفي مقولاتي، أو خلل منطقي أو منهجي. إلا أن الخطاب اللساني يقوم على نوع من محاولة توحد الرؤيا والعبارة، بإعتباره منتجا للحقيقة. ولهذا ينبغي أن يتطابق مع ما يطرحه من قضايا. ولكن شأن الخطاب اللساني كممارسة خطابية، أو كتشكيل نصي لا يتطابق مع أطروحاته النظرية حول طبيعة اللغة الإنسانية، ومن هنا تكون النظريات أحادية النظرة من حيث الأطروحة والمقولة، ولكن من حيث هي ممارسة خطابية فهي تركيب مفتوح على الاختلاف به تتعدد القراءات والتفسير. ولهذا فما يجعل الفكر اللساني ممكنا هو الفراغات والفجوات.

فهل ليس من المجدي أن نبحث عن طبيعة اللغة؟، بل فقط أن نسأل لماذا لا يتفق أهل المعرفة باللغة حول ماهيتها؟. بل لماذا نبتعد عن حقيقة اللغة كلما إزدادت الأبحاث وتراكت النظريات؟. ولا يمكن أن يفهم ذلك من خلال طبيعة اللغة المعقدة، بل لأن المعرفة باللغة ليست مجرد وصف تسجيلي للواقع، بقدر ما هي تشكيل للموضوع تتغير به اللغة عما هي عليه. في ظل هذا التصور لموضوع الدراسة فما هي الآليات التي إعتمدتها النظريات اللسانية في مواجهة موضوع دراستها.

إن العلوم لا تأخذ مصداقيتها كما أشرنا سابقا إلا من مناهجها وصلابة تماسكها من جهة، ومن قدرة هذه المناهج على استخلاص المعارف وتقنين الأنساق المنتجة لها من جهة أخرى، وعلى هذا فالعلم لا يكون علما إلا إذا قام على منهج به يقدم نفسه ويجلي صورته، وبه يغوص توصيفاً وتحليلاً في مادة بحثه وموضوعه.

المنهج: هو « طريقة لعرض الأفكار، ولاكتشاف الحقيقة... وذلك تبعاً لمبادئ معينة ومن خلال نظام معين⁽⁵⁾... وهو... إجراء منظم للعقل بغية الوصول إلى هدف معين⁽⁶⁾» و على هذا، فإن علم المناهج يكون هو « الدرس الفلسفي للإجراءات الخاصة بالبرهان، وبالبحث في مختلف العلوم⁽⁷⁾» ويتأكد هذا التصور من خلال الأنساق المعرفية. ومنها العلوم الإنسانية وكل فرع منها يعنى بموضوع معين يشكل ميدان درسه. متوسلا « الطرق التي يستطيع العقل بها بلوغ هذه المواضيع المختلفة... وإن مجموع هذه الطرق هو ما يسمى المنهج، أي الإجراءات التي نستخدمها لاكتشاف الحقيقة أو لإثباتها⁽⁸⁾» لا إمكانية

لمعرفة مواضيع العلوم إلا من خلال مناهجها، وما المنهج إلا جملة الإجراءات التي يستخدمها الإنسان في مباشرة العمل البحثي، ولهذا فالمنهج يحمل خصوصية معناه من خلال العلوم التي تكون موضوع اشتغاله. وتكون مناهج تجريبية، أو صورية عقلانية. وقد كان لكل منهما أثر ظاهر في إنتاج معرفة لسانية، تميّز بها من سواه، بل استقل حتى شكّل ضرباً من القطيعة، ولعل وقوفنا فيما يلي يكشف هذا ويبينه. فما هي مكونات النظرية اللسانية؟.

1- الملاحظة : تقوم بعض الاتجاهات اللسانية على اعتبار ملاحظة الظواهر العينية منطلقاً للحقيقة العلمية، وقد إعتد معتقدوها مجموعة من المفاهيم المعينة على إدراك هذه الحقيقة، أهمها المدونة، والاستقراء واستنباط واكتشاف القوانين.

أ/ المدونة⁽⁹⁾: تتمثل في مواد لغوية يجمعها الباحث من أفواه المتخاطبين، ويدونها بشكل من الأشكال، منها آلات التسجيل والكتابة الصوتية ومن شروطها أن تكون: مصادرها موثوقاً بها. وممثلة تمثيلاً وفيها للظاهرة المعنية بالدرس.

ب/ الاستقراء⁽¹⁰⁾: الاستقراء هو تتبع جزئيات الشيء، ويعني منطقياً الحكم الكلي لوجوده في أكثر جزئياته، بالانتقال من المعطى إلى المفكر فيه... قد يكون ناقصاً وهو أن يستدل بأكثر الجزئيات فقط، ويحكم على الكل وهو قسيم القياس، كما يسمى بالتوسيعي أو التعميمي أو العلمي، لأنه ينتقل من الظواهر إلى القوانين، وفي هذا الإجراء يتخلص الباحث من كل الأحكام القبلية، ثم يشرع في دراسة هذه المدونة دراسة استقرائية، تتمثل أساساً في اعتماد الملاحظة من أجل توزيع الوحدات المتشابهة في خصائصها الظاهرة، وتصنيفها في جداول .

ج/ استنباط القوانين: والاستنباط⁽¹¹⁾ هو استدلال استنتاجي، ينتقل فيه الفكر من العام إلى الخاص ومن المبدأ إلى النتيجة. وعلى هذا يستخرج القانون الذي بمقتضاه يعتبر أن الخاصية الملاحظة في الأجزاء المكونة للقسم هي خاصية القسم، ويسمى ذلك طرداً للحكم أو تعميماً، يفضي بالباحث إلى إبراز الثابت على حساب المتغيرات. والجدير بالملاحظة أن اللسانيين الذين توجهوا تجريبياً ملاحظياً تصنيفياً اختلفوا في تقييم مرجعية المدونة، فمن اعتمد منهم الاستقراء المحض. اعتبر المدونة حداً أقصى لاختبار سلامة القوانين المستنبطة، فلا يطلب مراقبة صحة القانون خارج المدونة. ومن اعتمد الاستقراء التعميمي اعتبر المدونة منطلقاً أول لاستخراج أحكام قابلة للتعميم والطرد، فالمدونة عندهم عينة جزئية ممثلة ما صدق عليها يصدق على الأجزاء المتبقية من المجال الذي أخذت منه.

2- التفسير: إن الاستدلال مرور من مقدمات عامة إلى نتيجة عبر قضية أو أكثر، وهو في اللغة طلب الدليل، وفي عرف المناطقة هو النظر في الدليل باعتباره عملية عقلية، ينتقل فيها الفكر من أشياء سلم

بصحتها، إلى أشياء أخرى ناتجة عنها بالضرورة، وتكون جديدة عن الأولى⁽¹²⁾. والتفسير في تصور التجريبيين هو صعود بالتدرج من العناصر الجزئية المتصلة بالواقع، نحو المفاهيم الكلية المتزايدة في التجريد، فالتفسير عندهم بهذا المفهوم مخالفا للاستدلال. فالغاية التي يتغياها الباحث اللساني هي معرفة النظام الكامن وراء فوضى الظواهر، وما حققته الملاحظة⁽¹³⁾ التجريبية التصنيفية في أحسن الحالات، إنما هو ضبط أقسام من الوحدات اللغوية معزول بعضها عن بعض، ومن هنا ينبغي إيجاد إطار معرفي يحقق ترابط هذه الوحدات، ومن ثم القوانين المستنبطة. فبالإفسير نجيب عن الكثير من الحالات التي يتعذر وجودها في الاستعمال، وعلى هذا الأساس تكتسب الحقيقة العلمية قوة لا توجد في مجرد الملاحظة والتصنيف، لاستيعاب الموجود والممتنع الوجود. وبخصوص هذا الشأن يرى برونال «أن كل الدراسات المتصلة بفلسفة العلوم قد توصلت بوضوح متزايد إلى أنه لا بد من افتراض حقيقة هي موضوع الدراسة العلمية، كامن وراء العلاقات الخالصة التي نجدها بين الظواهر الملاحظة»⁽¹⁴⁾. يتحقق التفسير بهذا المعنى بالصعود من الظواهر الملاحظة إلى العلاقات الخالصة بينها، ثم من هذه العلاقات إلى افتراض حقيقة علمية تجسد الإطار المجرد.

3- المصادر: نزع نفر من اللسانيين الصوريين اعتماد جهاز مفاهيمي استلزامي لتخليص الدراسة اللسانية مما يربطها بمعطيات الواقع، ومن أجل تحقيق ذلك عدوا قوام أي نظرية مجموعة من المفاهيم الأساسية الصورية، تكون منطلقا للاستلزام والاشتقاق بالتدرج في ضوء قواعد معلومة، وهذه المفاهيم هي: المبدأ *prencipe*، والمقدمة *premisses*، والمسلمة *postulat* والفرضية *hypothese*، والمصادرة *Axiome* والمصادرة⁽¹⁵⁾؛ تطلق على قسم من الخطأ في البرهان لخطأ في مادته في جهة المعنى يجعل النتيجة مقدمة من مقدمات البرهان بتغيير ما. أما الفرضية⁽¹⁶⁾ *hypothese*؛ فهي الفكرة التي يقوم عليها تجريب الباحث ليتبين صدقها أو القضية التي يأخذ بها نفسه في بداية برهانه لإحدى المسائل، والفرضية القابلة للتحقيق هي الفكرة التي تتيح الوسائل العلمية الحالية تحقيقها. أما المسلمة⁽¹⁷⁾ *postulat* فهي عبارة يحصل التسالم بينك وبين غيرك على صدقها سواء كانت صادقة في نفس الأمر أو كاذبة أو مشكوكة.

والمصطلحات السابقة فيها فروقا عند نقاد العلم وأهل المنطق، لكن أغلب اللسانيين لم يرو داعيا للتفريق بينها، فتشومسكي لا يطلب مثلا أن تكون هذه المصادر صورية إلى درجة تجعلها صالحة للغة صلاحها لغير اللغة، بل يرى أنه «من المستحسن كلما كان ذلك ممكنا أن تصاغ فرضيات عمل عامة تخص طبيعة اللغة وانطلاقا من هذه الفرضيات يمكن لنا أن نستنتج السمات الراجعة بالنظر إلى أنحاء الألسنة المختلفة»⁽¹⁸⁾.

أما هيلمسلاف⁽¹⁹⁾ فقد وسع مجال عمل مصادرات النظرية اللسانية، لأنه يرى أنها قادرة على أن تكون نموذجاً تقاس عليه دراسة علوم أخرى. أما تصور تشومسكي فيركز مجال النظرية اللسانية على دراسة ما أطلق عليه النحو الكلي، وما يتفرع عنه من أنحاء خاصة. ومن هنا فالجهاز المصادري أي مجموعة المبادئ الأولية، تمثل الأساس الأصلي الذي تقوم عليه النظرية في منطلقها.

4- المبرهنات: تشتق من المصادرات عن طريق الإستدلال الذي يؤول إلى مبرهنات، والمبرهنات تقبل التعديل والمراقبة بالرجوع إلى التجربة، لأن المبرهنات تقع في منزلة وسطى بين الجهاز الاستلزامي والواقع اللغوي، فالمصادرات هي التي تنتج المبرهنات. أما شرط صحتها وسلامتها فهو الواقع اللغوي. وهذا خلافاً للمصادرات نظراً لدرجة صوريتها من جهة وعدم تأثرها بالواقع اللغوي. « وإنما تعلم بمجرد العقل، فلا يجوز أن تصحح بالنقل، بل لا يتكلم فيها إلا بالمعقول المجرد، فإذا دل المعقول الصريح على بطلان الباطل منها، لم يجز رده فإن أهلها لم يدعوا أنها مأخوذة عن تصديقه، بل عن محض عقله »⁽²⁰⁾. وعلى هذا الأساس يسلم بصحتها حتى تثبت آليات الجهاز المصادري نفسه صحتها أو خطئها، ومن هذه الآلية الرقابية مبدأي التحسب وعدم التناقض، فإن لم يثبت ذلك من داخل الجهاز المصادري كان النقض.

5- التحسب⁽²¹⁾ le calcul: إن عملية انفصال الجهاز المصادري عن الواقع اللغوي أدى باللسانيين الصوريين إلى اختراق حاجز الانفصال عن طريق وضع قيود مراقبة، بتحكيم مبدأ يعد معادلاً موضوعياً اصطلاحاً عليه بالحساب (calcul)، ويتمثل هذا المبدأ في « معالجة محكمة ومطلقة للرموز المعتمدة في المصادرات »⁽²²⁾ ويمقتضى ذلك استبدال الكلمات المعبرة عن المفاهيم الأولية في المصادرات برموز، ولا يتقيد في تجريد ماهية هذه الرموز إلا بما يسنده إليها الجهاز المصادري من معنى، ومن هنا تكتسب النظرية بفضل هذا المبدأ إضافات. أهمها أنها تضمن لنفسها صفة عدم التناقض بواسطة الحساب الذي يحد من عمل الحدس، ولا يترك مكاناً للسهو. كما أنه لا يسمح بإدخال معطى من خارج المصادرات.

6 - المصادرة وواقع اللغة: إن الجهاز المصادري ما هو إلا مفاهيم ومبادئ عامة ثابتة ومجردة، أما التجربة الواقعية فهي معطيات عينية متغيرة وعارضة، وقد أدرك اللسانيون الصوريون أن اقتصارهم على الجهاز المصادري لا يفي بالغرض المطلوب إدراكه في دراسة الظاهرة اللغوية « إذ المرجو من النظرية هو توقع الأحداث الممكنة (أي كل التوليفات الممكنة للوحدات اللغوية من أي مستوى) وشروط تحققها »⁽²³⁾ ولهذا السبب حاول أصحاب هذا التصور الصوري للغة إيجاد منافذ تكون معبراً لهم من الجهاز المصادري إلى الواقع اللغوي، وبهذا المعنى يرجع هيلمسلاف إمكانية اتصال النظرية بالتجربة إلى البعد المزدوج الذي تتموضع فيه النظرية، فهي عنده ذات وجهين في الوقت نفسه. الاعتبار المتمثل فيما

يتكون منه الجهاز المصادري من مبادئ وما تسمح به تلك المبادئ من استنباط وحساب من جهة. والكفاءة المتمثلة فيما توفره النظرية من آليات منهجية تسمح ب « التعرف على نص معلوم عن طريق وصفه وصفا غير متناقض وشامل »⁽²⁴⁾. وعلى هذا فهو يرى « أن النظرية اللسانية بمقتضى كفاءتها تتجز نظرية اللغة عملا تجريبيا، وبموجب صفتها الاعتبائية تتجز عملا حسابيا »⁽²⁵⁾.

أما فيما يخص تشومسكي فقد صاغ مسلك العبور من الجهاز المصادري إلى الواقع اللغوي. عن طريق تصور كفايتين، هما الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية، فإجراء التبرير بعده عملية يقوم بها اللساني في اختيار أكفأ النظريات المتنافسة، وتبين السليم منها يمكن أن « تحمل معنيين مختلفين، في مستوى أول هو مستوى الكفاءة الوصفية، يكون النحو مبررا إذا ما وصف موضوعه وصفا سليما، بهذا المعنى تبرر النحو أدلة من خارجه مستمدة من مطابقته للظاهرة اللسانية. في مستوى أعمق مستوى الكفاءة التفسيرية يكون النحو مبررا إذا ما كان نظاما ذا كفاءة وصفية تحكمه مبادئ. بهذا المعنى تبرر النحو أدلة من داخله مستمدة من علاقته بنظرية لسانية »⁽²⁶⁾.

يختلف التجريبيون عن الصوريين في مفهوم التفسير وإن كانوا جميعا يتوسلون كآلية إجرائية. فمرجع التفسير عند التجريبيين هو قوانين مستمدة من الاستعمال لا تتجاوزها، وعلى هذا فهي عديدة ومتنوعة يصعب في الغالب إيجاد رابط عقلي يجمعها، أما مرجع التفسير عند الصوريين فهو مجموعة محدودة من المبادئ العامة المصادر عليها منذ البداية، لكنها على قلتها تكتسي قدرة تفسيرية عالية بصدقها على الموجود وتنبؤها بالممكن الوجود. وبالنظر إلى تصور هيلمسليف للنظرية بعدها جهازا استداليا خالصا، يعني تصور الإمكان الذهني في تحليل الظاهرة اللغوية. ومن هنا تتعدد هذه العوالم الممكنة، التي تحاول تأويل الواقع بطريقتها، بعد أن ترتب نفسها وتتهيا لهذا التأويل. ومن هذه الزاوية نفتقد إلى صرامة تحديد مفهوم النظرية عند تشو مسكي، فقد استعمل عنده بالإحالة في الوقت نفسه على عدة معان⁽²⁷⁾، إلى التهيؤ الفطري الذي يجعل الطفل قادرا على تعلم لسان ما. وإلى الصورة التي يقدم بها اللساني هذه القدرة. التهيؤ الفطري عند الإنسان هو أمر مجرد، أي ملكة مزود بها الكائن البشري مسبقا. ولا يمكن الوصول إليه من خلال استقراء مدونة، فالصورة التي يقدم بها اللساني هذه الملكة ينبغي أن تكون تجريدية بعيدة عن الواقع العيني لللسنة التي تتبدى فيها. وعلى هذا الأساس يرى تشومسكي أننا نتباحث هنا أمر « مستويين نظريين، نحو لسان ما هو نظرية في ذلك اللسان تتضمن فرضيات اللساني المتعلقة بقواعده وعناصره. ونظرية الإنحاء التوليدية (أو أي نظرية لسانية عامة أخرى) تعبر عن فرضية تتعلق بجوهر اللغة، أي بالخصائص المحددة للغة البشرية »⁽²⁸⁾. وهنا الحديث عن سلسلة هرمية من النظريات للتعبير عن وجوه هذه الملكة أو التهيؤ. وما يمكننا استخلاصه مما سبق وعلى الخصوص مقولات تشو مسكي

لمفهوم النظرية والدلالة به على معان هي: الملكة، نحو الملكة، النحو الخاص، الخصائص المحددة للغة البشرية، هو اتساع المفهوم إلى نظرية ملكة الاكتساب، يفرض القول بوجودها من وجهة نظر علمية، ويستلزم إطارا معرفيا تجريديا صريحا، ومن مهام اللسانيين صياغة هذا الإطار المعرفي. أما اعتبار النحو الخاص والنحو الكلي مستويين نظريين مختلفين، فيعود إلى أن كلا منهما إطارا معرفيا استلزamia يفسر كيانا أوسع منه. فالنحو الخاص هو نظرية وإطار معرفي يضعه اللساني ليفسر الاستعمال الأدائي في اللسان. أما النحو الكلي فهو نظرية أو جهاز واصف للأنحاء الخاصة وإطارا معرفيا لها .

من هنا يمكن الحديث عن تعدد النظريات اللسانية، انطلاقا من تعدد الإمكانيات الذهنية، وإذا كان الاستقراء المطلق يستحيل حصوله في العلوم. والعلم ليس علما بالعدم ومن هنا فلكل نظرية بناؤها وطريقة تصويرها للعوامل الممكنة، ومن شروط الكلام عن الواقع والإخبار، هو العلم ومن هنا تتعدد مسائل الاختلاف، وبالنتيجة تتعدد طبيعة النظر إضافة إلى ذلك أن مصطلحات الأنساق المعرفية ومفاهيمها تنتقل من حقل إلى آخر، ومن ثمة من دلالة لغوية إلى دلالة اصطلاحية كانتقال ألفاظ النحو من مجال الكلام إلى مجال اللسان النظام، وهذا كله يتعلق بالاختلاف والتعدد في وجهات النظر.

The Concept of Theory in Linguistics

Abstract:

Theoretical theory: The talk about the theory stems from the basis of the former is the knowledge and the fundamentals of knowledge, the consideration of the thing and the rule of the branch on the perception and knowledge, schools create a conceptual device includes concepts and mechanisms of consideration, which is installed image. This body is self-monitoring to ensure that its conceptual parts and its visual units are consistent. The theory seeks to interpret the reality of things and the regularity of these limits in a number of laws. Concepts in their procedural dimensions are the utterances of any university, each of which has many things in it, including the industry, and it is either prepared to be surrounded by what is in that industry, or to test what it does not believe has been wrong. In this sense, there are fewer workers in the fields of knowledge in general, and in the field of linguistic phenomenon in particular who did not use the term theoretical, and at the same time there is no explicit formulation of a categorical impediment, perhaps because this concept of intellectual mechanisms common to all Cognitive Patterns. Hence, the definition of its concept is due mainly to the epistemology (the theory of knowledge / philosophy of science), and may understand this concept in different ways, including that the theory: A system of hypotheses and their implications in this context is determined by the relationship between the theory and the subject of its actions, which are in one direction. In this perception, it is the subject that imposes a certain point of view (theory), influences and is not reflected. Hence, if theory is a system of hypotheses, its validity in empirical science depends

on its actual validity.
 (B) a purely explanatory system; The theory in this perception is impervious to the experience, and not subject to the facts of reality in kind, and in this sense the theory struck a science of pure rationality, which has no imitation of the legislator nor the simulation of reality or news about it, but learn by reason, it may not correct the transfer, Except in the abstract sense, if the obvious reasonable to nullify the falsehood of it, was not permissible to reply, the people did not claim that they are taken from who must believe, but a pure mind. The abstract mind is a member of theoretical knowledge based on the principles of visual logic, and is therefore a member made through theoretical precepts, in other words abstraction of the whole things from things in kind. In the field of general linguistics, both theories are confirmed. The first is achieved in the two empirical experiments, which made the theory merely a reproduction of the verbal phenomena. They linked the theory to the real and in-kind experience. For them, this procedure is of paramount importance in defining the concept of theory in terms of a system of hypotheses. The conceptual conception of the theory in terms of a system of reasoning or mental theory Helmslif that the linguistic theory should be impenetrable so as not to be affected by the data of the experience is a position or perception contrary to the perception of the theory as a system of hypotheses, which settled in the experiments of classification and this system purely indicative is due to the epistemology and its view of science and relationship Theory in reality. The science does not take its credibility as we have previously pointed out except from its curriculum and solidity on the one hand, and the ability of these methods to extract knowledge and codify the patterns produced on the other hand. Description and analysis in the research material and subject. On this Methodology is a way of presenting ideas, discovering the truth ... according to certain principles and through a particular system ... which is ... a systematic procedure of the mind in order to reach a certain goal. Therefore, the science of the curriculum is "the philosophical lesson of procedures for proof, In different sciences " and this perception is confirmed through cognitive patterns. Including the humanities, and each of them is concerned with a specific topic that is the field of study. "The ways in which the mind can reach these different subjects ... The sum of these methods is what is called the curriculum, ie, the procedures we use to discover or prove the truth." There is no possibility of knowing the subjects of science except through its curricula, Used by man in the conduct of research work, and therefore the curriculum carries a special meaning through the sciences that are the subject of his work. And be experimental, or conceptual methods rational. Both of them had a visible influence on the production of linguistic knowledge, distinguishing it from others, and even became a form of cognitive rupture.

الإحالات والمراجع

1 - الفارابي : إحصاء العلوم ، مركز الإنماء القومي ، بيروت 1991 ، ص 9 .

2 - ويتأكد في حقل اللسانيات العامة كلا التصورين فالأول يتحقق عند التجريبيين التصنيفيين الذين جعلوا من النظرية مجرد استنساخ للظواهر الكلامية فقد ربطوا النظرية بالتجربة الواقعية والعينية وبالنسبة لهم هذا الإجراء يعد ذا أهمية قصوى

في تحديد مفهوم النظرية من حيث هي نظاما من الفرضيات . أم التصور الصوري للنظرية من حيث هي نظاما استدلاليا أو عقليا فيرى هيلمسليف أن النظرية اللسانية ينبغي أن تكون منيعة بحيث لا تطالها معطيات التجربة وهو موقف أو تصور مناهض لتصور النظرية كنظام من الفرضيات الذي استقر عند التجريبيين التصنيفيين وهذا النظام الاستدلالي الخالص يعود إلى الابستيمولوجيا ونظرتها للعلم وعلاقة النظرية بالواقع العيني. ينظر **hjelmslev louis . Prolegomenes a une teorie du langage** Minuit.Paris. 1971 b. p 23-24.

3 - ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، (تقديم، سليمان الندوي)، دار المعرفة، بيروت .ص219.

4 - وقد تمثل هذا التغيير في الإعراض عن مقولات الدراسات الفيلولوجية والأنحاء المدرسية، فلم تعد اللغة ظاهرة تنتمي إلى مجال أحياء الطبيعة، بل نزلها دي سو سور كفرع في علم أشمل سماه السيميولوجيا، ولم تعد اللغة ظاهرة تاريخية وإنما أصبحت في نظره ونظر جيله ظاهرة اجتماعية، يتوسلها الأفراد المنتمون إلى جماعة لسانية واحدة أداة للتبليغ والتواصل، كما لم يعد البحث اللغوي محصورا في المقارنة بين الألسنة والكشف عن عرى القرابة بينها أو التاريخ لتطور لغة ما.

5 - Larousse: Dictionnaire de la langue Francaise, Paris. 1994, P1149 -

6 - المرجع السابق نفسه.

7 -Les Dictionnaires MARABOUT universite` : **La philosophie**, Tom2. Paris. 1997 P463.

8 - Paul Foulquie` : **Dictionnaire de la langue philosophique**. E`d, PUF. Paris, 1986. P257.

9 - ينظر ، **duboit et aut .: Dictionnaire..... 1973 corpus**

10 - ينظر، عبد المنعم خفاجي: **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي ط3، القاهرة 2000 . ص 57 . 58.

11 - السابق، ص 57

12 - ينظر المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ص 54 وما بعدها

13 - من المعلوم أن اللسانيات قد أفادت إفادة عظيمة مما قدمه التصور الملاحظي الاستقرائي التجريبي المحض فقد مكنها من تحقيق تقدم لا يستهان به في مجال الأصوات والصرف وهذا ما يسر للسانيين وصف الكثير من الألسنة بجمع المادة اللغوية وتصنيفها وتبويبها في أقسام على ضوء خصائصها وصياغة القوانين المعبرة عن هذه الخصائص برغم أن هذا الإجراء لا يكشف عن النظام الحقيقي للظاهرة اللغوية ومن هنا تقطن أشياح هذا التصور إلى تقويته بمبدأ التفسير .

14 - Brondal - viggo : **Essais de linguistique generale**. Munks gaard copenhagen 1943

15- ينظر المعجم الشامل ص 804 والمصادرة على المطلوب تقوم على افتراض صحة ما يراد البرهنة عليه .

16 - السابق ص 591 . وهي في العلوم التجريبية القضية المظنونة أو الرأي الذي يقع التصديق به لا على الثبات بل يخطر إمكان نقيضه بالبال ولكن الذهن يكون إليه أميل .

- 17 - المعجم الشامل ص 795 كما تعني المسلمة الافتراضات البديهية التي يستند إليها العقل في البرهان على القضايا الأخرى .
- 18 - تشومسكي 1971 ص 68
- 19 - ينظر هيلمسليف 1971 b ص 137
- 20 - ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، (تقديم، سليمان الندوي)، دار المعرفة، بيروت. (د.ت).ص219.
- 21 - ينظر هيلمسليف 1971 b ص 26-28-29 وينظر فيجو برونال **Etude sur les parties du discours . les categories Linguistiques** .Munks gaard. Copenhague. 1948.P 86.
- 22 - ينظر 1980P 87 . PLANCHE. Robert. L axiomatique. P.U.F. Paris. يتجنب بها ما أشبعت به الكلمات في الاستعمال من دلالات عديدة يمكن أن تؤثر في مجرى البحث.
- 23 - هيلمسليف 1971 b ص 17
- 24 - السابق ص 26
- 25 - السابق ص 28
- 26 - . CHOMSKY.N. **Aspects de la theorie syntaxique**. Seuil .Paris. 1971.p45.
- 27 - ينظر، السابق ص 44
- 28 - ينظر **CHOMSKY. N.Introduction a la theorie Standard Etendue** . in langue theorie generative etendue.Hermann.Paris. 1977 a. P 24

الحجاج الحكائي في معلقة النابغة الذبياني

د/ صباح غرايبية

جامعة قسنطينة 1-الجزائر

sabahgheraibia@yahoo.fr

المخلص:

قوام هذه الدراسة البحث في حجاج الشعر العربي القديم من خلال معلقة النابغة الذبياني، وذلك بالبحث في مظاهر استلهم الموروث الحكائي التاريخي والأسطوري والديني وطرق توظيفه وغاياته.

كما تبحث في دور الحوا رفي خدمة الحجاج وأبعاده الدلالية بوصفه أحد أبرز التقنيات السردية التي يمكن أن تعين الشاعر على تجسيد أفكاره في نص حجاجي متكامل.

الكلمات المفاتيح: الحجاج / السرد / الحكوي / النابغة الذبياني

Résumé :

L'étude est basée sur l'étude des pèlerins de la poésie arabe ancienne à travers la pendaison de la Nabeja Al-Dhibiani, en examinant les aspects de l'inspiration du patrimoine historique, mythologique et religieux, les méthodes d'emploi et ses objectifs.

Il explore également le rôle des pèlerins au service des pèlerinages et de ses dimensions sémantiques comme l'une des techniques narratives les plus importantes pouvant aider le poète à refléter ses pensées dans un texte argumentative.

شكل التاريخ بكل مكوناته وحيثياته مصدرا لإلهام الشعراء على اختلاف مذاهبهم ومشاهيرهم وتوجهاتهم، فأقبلوا عليه يغترفون من معينه الذي لا ينضب، ويستلهمون من أحداثه ووقائعه الماضية. " وكان ذلك الاستلهم قائما عن وعي وإدراك ؛ جعل الشعراء يستمدون الطاقة الدلالية لتلك الأحداث ، والكشف من خلالها عن رؤيا شعرية تتجاوز معطياتها المعروفة إلى إنتاج دلالات تتوافق مع الحاضر وأبعاده ، وتستشرف المستقبل لتعبر عن طموح الإنسان فيه "إنه الطموح الذي يغذي الحياة ويمنحها سببا للبقاء والعطاء.

وعلى هذا الأساس اخترنا معلقة النابغة الذبياني¹¹ كنموذج تظهر فيه القصيدة الحكائية ، وهي تتخذ من الحادثة التاريخية متكأ ومنطلقا للحجاج ، تشتغل من خلاله حركة الحجاج الشعري في ثلاث

توجهات متزامنة . إذ يرتد النابغة الذبياني إلى الماضي ، وفيه يستوعب معانيه بكل أبعادها ، ثم يجعله معادلا موضوعيا لكشف عوار الحاضر عندما يوظف دلالات هذا المحكي ويسقطها على علاقته بالنعمان بن المنذر . وفي لحظة سردية لامعة تختلط فيها حدود الماضي مع الحاضر تبرق ومضة للمستقبل (الحلم/ الرؤيا)؛ وهي ما يشكل هاجس الشاعر المسكون بفكرة الكشف عن براءته واسترداد مكانته عند صاحبه ومليكه.

وقصيدة السرد الحكائي من هذا المنطلق الحجاجي " لا تتوقف عند حد استلها الموروث ، إنما تجعل له دورا في بناء الحكاية وتطويرها"ⁱⁱⁱ، ذلك لأن السرد هو " الطريقة التي يختارها المبدع أيا كان ليقدم بها الحدث " ^{iv} . فالإي مدى يتدخل الحجاج في بناء القصيدة السردية ، وما هي أشكال الحكاية التي تساهم في بناء الحجاج في النص السردية؟ ولإجابة على هذين السؤالين لا بد من بسط المهام الذي يبين المفاهيم النظرية ومن ثم الانتقال إلى الجانب التطبيقي الذي يوائم بين نظرية الحجاج والسرديات البنيوية .

أولا- الحجاج والسرد مقاربات نظرية :

1- الحجاج المفهوم والجذور التاريخية : يشتق لفظ الحجاج من الجذر اللغوي (ح ج ج) جاء في لسان العرب لابن منظور " الحجة : البرهان وقيل الحجة ما دافع به الخصم ، وقال الأزهري : الحجة : الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، وهو رجل محجاج ؛ أي جدل، والحجاج: التخاصم وجمع الحجة : حجج وحجاج"^v . وفي اصطلاح الدارسين الحجة " ما يراد به لإثبات أمر أو نقضه "^{vi} . ولعل بداية الاهتمام بالحجاج تعود لجهود حركة السفسطائيين(5 ق.م) التي تميز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية و بالخبرة الجدلية ، كما لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير علوم البلاغة القولية التواصلية خاصة و حياة اليونان عامة ، وقد توجه اهتمام السفسطائيين إلى بنية الكلمة و الجملة فبحثوا في السبل الممكنة التي يتحقق بها الإقناع و تغيير مواقف الآخرين^{vii} . ورغم ذلك اعتبرهم أفلاطون أذعيا على العلم والمعرفة ، فأسس تصوره للحجاج من نقده لآرائهم ، وقد تصدى لمواجهة تلك الممارسات الحجاجية عبر محاورتين هما "قورجياس وفيدر" . ورغم اجتهاده إلا أن الحجاج الأخلاقي الذي استقر عليه ووجه بالنقد هو الآخر وتم تجاوزه قديما على يد تلميذه أرسطو، وحديثا من قبل رواد البلاغة الجديدة وخاصة (بيرلمان وأوليرون..).^{viii} فمنذ نهاية الخمسينات في القرن الماضي شهدت مباحث الدراسات البلاغية صحة نوعية فكانت الدعوة لما يسمى بالبلاغة الجديدة وهي محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها فأصبحت تسعى لأن تكون علما واسعا يشمل حياة الإنسان كلها في المجتمع فهي محاولة لوصف الخصائص الإقناعية للنصوص.^{ix}

وتبعاً لهذا تفتح نظرية الحجاج أمام الدارس آفاقاً جديدة تمكنه من كشف عالم النص وفق معطى منهجي تغذيه مقولات رئيسة يلتقي عليها منظوره على اختلاف وتتنوع نظرياتهم .^x ولعل أهمها " أن الحجاج عمل حوارى ينهض على فكرة استمالة المتلقي عبر الخطاب أو إقناعه، وفكرة الاستمالة هي هدف الحجاج عند ش بيرلمان وتيتكا^{xi}"

2- السرّد الحكائي الحدود والماهية: إن العلاقة بين السرّد والحكاية هي علاقة اتصال وثيق فلا يمكن أن نحكي دون أن نسرّد و لا أن نسرّد دون توفر المادة الحكائية ، وتبعاً لذلك يقوم الحكي عند حميد لحمداني على دعامتين مهمتين

12- أولاهما: أن يحتوي على قصة ما تضم أحداثاً معينة وثانيتها: أن يعين الطريقة التي تحكى بها هذه القصة وتسمى هذه الطريقة سرداً

و السرد في اللغة "تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض .وسرد الحديث: ونحوه يسرده، سردا إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردا، إذا كان جيد السياق له"¹³. بمعنى الاتساق والانسجام، والإحكام والاتصال، والتتابع. أما على مستوى الاصطلاح فإنه يعاني لبسا كبيرا لا سيما مع تعدد مرجعيات الدارسين وتوجهاتهم ؛ وبصفة عامة فالسرّد "هو الكيفية التي يتم بها بناء النص الأدبي"¹⁴، أي الطريقة التي ينتهجها السارد في بنائه لعمله. أما الحكي؛ فمن "حكيتُ عنه الكلام حكاية...وحكيتُ فلانا وحكيتُهُ، فعلتُ مثل فعله أو قلت مثل قوله: بمعنى المشابهة"¹⁵. واصطلاحا ؛ الحكاية " سرد قصصي يروي تفصيلات حدث واقعي أو متخيل"¹⁶. وعليه فإنّ ارتباط الحكي بالقص يحيل إلى المعنى اللغوي لهذا الأخير إذ يقال: "في رأسه قصّة بمعنى الجملة من الكلام، والقصة الخبر، والقصصُ (بفتح القاف) الخبرُ المقصُوص"¹⁷، فمعنى القصّ هنا هو الإخبار. ويوضح سعيد يقطين بأن الحكي " هو توالي الأحداث مترابطة تحكمها علاقات متداخلة بين مختلف مكوناتها وعناصرها"¹⁸. ويجعله مرتبطا "بطريقة تشكيل وعرض الحكاية"¹⁹، وهو ما يتفق مع مفهوم القص عند نبيلة إبراهيم التي جعلت "القص عمل القاص في صياغة النص..."²⁰. فالحكي والقص هما من خصوصية القاص والتي تظهر في كيفية صياغته وعرضه للمادة الحكائية

وانطلاقاً من هذا الطرح تتكئى قصيدة السرّد الحكائي ممثلة بمعلقة النابغة على ثنائية (السرّد / الحكي - القص)، فُتستثمر الدلالات الحجاجية للحكايات ، وتُعلن قيمتها التي "تكنم في مقدرة الشاعر و براعته الفنية ، وفي الكيفية التي حول بها تلك الحكايات التراثية السردية من حكي كان يقال إلى قصائد تحكي عن واقع مرموز (يغذي الحجاج) ، فأصبح هناك اتحاد تام بين تلك الحكايات بما تحويه من شخصها وأبطالها وبين الشاعر و القصيدة"²¹.

ثانياً- تجليات الحجاج الحكائي في معلقة النابغة : تتكى معلقة النابغة على مؤشرين يؤسسان فكرة الحجاج الحكائي فيها هما القص والحوار :

1- القص الأسطوري : الأسطورة في أصلها اللغوي مأخوذة من " السطر " ؛ الخط والكتابة ، وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى : " نون والقلم وما يسطرون " القلم / 2

وجمع الجمع أساطير ومفردها أسطورة ؛ وهي الأباطيل²². ومعنى الأسطورة في التراث العربي " هو الأقاويل أو الأباطيل أو الأكاذيب المكتوبة أو المروية عن الآخرين"²³ . وقد ظلت الأسطورة منبعاً سخياً للشعراء ، يجسدون عن طريق دلالاتها أفكارهم ومشاعرهم مستغلين ما فيها من اختصار وتكثيف وطاقت إيحائية. وتتنوع القصص الأسطوري في المعلقة فكانت على النحو التالي:

1-1- لبد نسر لقمان الحكيم / الزوال والفناء: كان لقمان بن عاد شخصية خارقة، خارجة عن المألوف نسجت حولها مجموعة من الأساطير ، فقد أعطاه الله ما لم يعطه غيره من الناس ، فكان طويلاً لا يقاربه أهل

زمانه . وكان عامة من العلماء يقولون عنه "أنه نبي غير مرسل " لحكمته ونباهته ، وسماه أهل حمير " الرائش " لأنه كان متواضعاً لله ، ولم يكن متوجهاً²⁴. وقد أورد النابغة قصة لبد في معلقته ، في سياق الحديث عن الأطلال التي استحالت قفراً وخراباً بعد عمارها دهرها فقال :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسَّنْدِ

أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلاً كَيْ أُسَائِلُهَا

عَيْتَ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبِّعِ مِنْ أَحَدٍ²⁵

إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَأَيَّ مَا أُبَيِّنُهَا

وَالنُّوِي كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَدِّ²⁶

رُدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ

ضَرَبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمِسْحَةِ فِي النَّادِ

حَلَّتْ سَبِيلَ أَنِّي كَانَ يَحْبِسُهُ

وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالنُّضِدِ

أَضَحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا

أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

لقد وظف هذا المثل بما يحمل من دلالة على الدهر الذي يأتي على كل شيء، فأفسد هذه الديار التي طال عليها سالف الأبد بعدما كانت عامرة، ويبدو أن الانفعال النفسي الذي سيطر على الشاعر كان وراء اختياره لهذه المثل الدال على هول ما حل بديار محبوبته. فاتخذه مقابلاً موضوعياً لبيان ما حل بعلاقته مع النعمان بن المنذر.

1-2- زرقاء اليمامة / الحكمة وسداد الرأي: تتعلق أسطورة زرقاء اليمامة بقبيلتين من قبائل العرب البائدة ؛ هما طسم وجديس. وملخص هذه القصة الأسطورية أن هاتين القبيلتين كانتا تستوطنان بلدة خصبة صالحة للعيش تدعى " اليمامة " وكان على جديس ملك من طسم ، أمعن في إذلال أهلها واستغلالهم وظلمهم حتى فاض بهم الكيل ، فانبرى رجل منهم يقال له " الأسود بن عقار " إلى قومه وطلب إليهم أن ينهضوا معه للتخلص من هذا الظلم ، فوافقوه. حينئذ أخبرهم بأنه سيقوم وليمة للملك ورجاله فإذا استقر المقام نهض كل رجل من جديس إلى جليسه واحتز رأسه ، واستأثر بالملك لنفسه . وكان له ما أراد وتم تنفيذ ما اتفقوا عليه ، ولم ينج من طسم إلا رجل واحد اسمه "رياح" هرب إلى اليمن أين استنهض " حسان بن تبع " ملك اليمن الذي لم يتوان عن نجده. وجهز جيشا من حمير وسار قاصدا اليمامة ، فلما كان منها على مسيرة ثلاثة أيام أخبره بأن له أختا متزوجة في جديس تبصر من مسيرة ثلاثة أيام يقال لها " اليمامة " فخشي الملك أن ينكشف أمره؛ فأمر أصحابه أن يقطع كل واحد منهم غصنا من شجرة ويحمله كي يخدع اليمامة، ولكنها أبصرتهم وأدركت حيلتهم وأخبرت قومها ولكنهم لم يصدقوها حتى داهمتهم حمير وأمعن فيهم قتلا وتكبيلا ولم يتركوا أحدا منهم حيا . أما اليمامة فقد فقأوا عينيها لينظروا ما فيهما فوجدوا فيها سوادا ، وسألوها عنه ، فأخبرتهم بأنها كانت تكتحل بنبات يقال له الإثمد²⁷ . وقد وظف النابغة مدلول هذه القصة للحجاج وللدفاع عن نفسه وتقنيد ادعاءات الواشين، طالبا من الملك التبصر في أمره فقال:

أَحْكُمُ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَإِرِدِ التَّمَدَّ²⁸
يَحْفَهُ جَانِبَا نَيْقٍ وَتُنْبِعُهُ مِثْلَ الرُّجَاةِ لَمْ تَكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ
فَحَسَبُوهُ فَأَلْفُوهُ كَمَا زَعَمَتْ تِسْعًا وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ²⁹

فالشاعر يستوحي الدلالات الكامنة في القصة المستعارة ليحيل على واقعه ومعاناته ، ويطلب من الملك النعمان أن يكون حكيما ودقيقا في حكمه كزرقاء اليمامة التي استطاعت أن تحكم على الأمور بدقة متناهية رغم محاولة جنود حمير التخفي والمراوغة، ويدعوه إلى التمهل في الأمور والتريث في إصدار الأحكام.

2- قصص الحيوان "الثور الوحشي/ القوة والتمكن" : اختلف الباحثون في تفسير وجود الثور في النص الشعري القديم ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى فمنهم من فسر ذلك تفسيراً أسطوريا ، يضرب في أعماق التاريخ وربطه بأكثر من وشيجة بالمعتقدات و الديانات التي كان عليها العرب قبل الإسلام ، ومنهم من تبسط كثيرا وفسر وجوده تفسيراً يرتبط بحاجة الشاعر إلى شبيهه بناقته يوازي سرعتها فلم يجد أسرع من ثور وحشي بعد أن أحاطه

بظروف صعبة وقاسية³⁰. ومنهم من اتخذ من تشبيهه بالناقة مدخلا لوصفه وسرد قصته ؛ وقد وظف النابغة هذا المبدأ في معلقته فقال :

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا	يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَجِدِ
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ	طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ
فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ	طَوَعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ
فَبَتَّهَنَّ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَّ بِهِ	صُمُعُ الْكُؤُوبِ بَرِيَّاتٍ مِنَ الْحَرْدِ
وَكَانَ ضُمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزَعُهُ	طَعَنَ الْمُعَارِكِ عِنْدَ الْمُحْجَرِ النَّجْدِ
شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا	طَعَنَ الْمُبْيِطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضْدِ
كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ	سَقُودٌ شَرِبَ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ

وهنا تجاوز النابغة الطرح التقليدي الذي يكتفي بتشبيه الناقة بالثور في القوة والسرعة و التحمل ليسبغ من صفات هذا الأخير - الثور - على نفسه ، واتخذ من معاناته من " الوحدة ، البرد ، الخوف ، مواجهة الكلاب وما اتسم به من جرأة وشجاعة سبيلا ليبين عما في نفسه من مشاعر اختلطت بين الخوف من الملك ، والرغبة في الانتقام من الوشاة.

3- القصص الديني: سليمان والجن / التملك و السيطرة : غاص الشاعر في أعماق الماضي إلى التاريخ البعيد جدا وكان فيما ورد عن الأمم البائدة مصدرا مهما، فاستفاد مما استقر في أذهان الناس عن قوة سيدنا سليمان وقوته وملكه الذي لا يقارن وقوته التي لا توصف لا سيما ما تعلق منها بسيطرته على عالم الجن ، وأسقطه على الملك النعمان لما امتدحه بقوله :

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ	وَلَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ	فَمَ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ ⁽³¹⁾
فَمَنْ أَطَاعَكَ فَانْفَعَهُ بِطَاعَتِهِ	يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّقَّاحِ وَالْعُمْدِ
وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبُهُ مُعَاقِبَةً	كَمَا أَطَاعَكَ وَادُلُّهُ عَلَى الرَّشْدِ

فأسبغ على ممدوحه المشبه " صفات المشبه به " النبي سليمان عليه السلام . لاستمالتة واستعطافه

4- قصص مختلفة: " الملاح ونهر الفرات / الصبر والجلد: في استحضار الشاعر لشخصية الملاح إسقاط على ذاته فما صورته وهو متشبه بالخيزرانة إلا انعكاس لصبره وتشبهه بعهد الملك وصداقته في مواجهة الوشاة الذين تمثلهم الرياح العاصفة. مما يجعل الحجاج الحكائي في معلقة النابغة مؤسساً على مرجعية معرفية تاريخية؛ "فعلقة التقاطع بين التراث والواقع هي الانعكاس الموضوعي بين التراث كمرجع و النص كواقع ، هذا الانعكاس يمثل اسقاطا مباشرا للمضامين على ما هو واقع".

و بعد استقصاء نماذج الحجاج الحكائي يُتوصل إلى تحديد مبدئين لاشتغال الحجاج في المعلقة وهما:

أ-مبدأ تغيير نظام المعتقدات:فالحجاج في القصيدة لم يأت بصفة مباشرة ، وإنما يستند فيه الشاعر إلى سبل الاستشهاد و الاقتباس و التضمين وإعمال العقل في التفكير و التحليل والربط والاستنتاج ، وقد اتخذ النابغة هذا المنحى لإيصال رسالة للمتلقي (النعمان بن المنذر)ومفادها ترسيخ فكرة براءته مما نسب إليه ، وقد ساعده في ذلك اعتماده على أحد مقومات الحجاج حسب (كريستيان بلانتيين) "وهي استعمال الوسائل اللغوية لتغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى المخاطب"³²

ب-مبدأ التجاوز:لم تقتصر وظيفة الحكايات"على"تعداد الوقائع والأفعال ، وإنما على عرض الأدلة و الحجج من خلال الوقائع أي البرهنة في قالب حكائي"³³. وهو ما أشار إليه رولان بارث حين قال " إن القصة ليست حكاية وإنما هي خطوة برهانية"³⁴

ثالثاً- دور الحوار في بناء القصيدة الحكائية: يعتبر الحوار من أهم أسس ومقومات قصيدة الحجاج الحكائي ، "فالنص الذي يشكل الحوار جزءاً مهماً من مساحته يجعله يكتسب مذاقاً ولونا خاصاً"³⁵ ؛ ولعل هذا ما يبرز جليا في النص الشعري موضوع الدراسة ؛ الذي يعتمد في تشكيل بنيته على الحوار ، إذ يتعدى كونه أحد تقنيات السرد ، إلى كونه وسيلة لتقديم الحدث الدرامي في بنية قص شعري متكامل؛ فهو يعمق الحركة ويبث الحياة في النص ويمنحه دلالات فكرية واجتماعية ، وينبئ عن تفكير الشاعر الحقيقي . و عليه فقد تعددت أساليب النابغة في توظيف الحوار لاسيما وأنه « يرسم صورة عن وعي الشخصية بحكم القول الصادر عنها.. والذي يدخل حتماً في علاقة مع آخر "³⁶ ، كما يساهم في رسم بنية الخطاب الشعري الحجاجي ؛ حيث كشفت القراءة المتأمل في سلسلة الحوارات المشكلة لبنيته عن أنماط من الحوار هي :

1- الحوار الداخلي/ المونولوج : و ظفت قصيدة الحجاج الحكائي الحوار الداخلي لرسم أفكار الشخصية ، وتقديم أحداثها ³⁷ ؛ إذ كثيراً ما يلجأ الإنسان إلى مناجاة ذاته والتحاوور معها في حوار أحادي في لحظات التأمل والاندهاش في مثل قوله:

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسَنَدِ
أَفُوتَ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ
وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلاً كَيْ أَسْأَلُهَا
عَيْتَ جَوَاباً وَمَا بِالرَّعِ مِنْ أَحَدٍ³⁸
إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَأَيًّا مَا أُبَيِّنُهَا
وَالنُّوِي كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَدِّ³⁹
رُدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلِبَدَهُ
ضَرَبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمِسْحَاةِ فِي النَّادِ
خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيِّ كَانَ يَحْبِسُهُ
رَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالنَّضْدِ
أَضَحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا
أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

فقد خرج الحوار من قوالبه التقليدية إلى ضرب من التجريد يدل على عمق تمثل الشاعر للمعاني وبراعته في تجسيدها، فيسائل الديار مع علمه بأنها لا تجيب وكأنها محاولة ضمن محاولات كثيرة للتنفيس عما بداخله. وفي لحظة وعي كامل يستفيق الشاعر من مسألة الديار ويخاطب نفسه قائلاً:

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ
وَأَنْمَ الْقُثُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجْدِ

و يأتي هذا المونولوج في شكل جملة شعرية قصيرة مكثفة الإيحاء ، تمهد لحكاية الهم الذاتي للمروي عنه، وتعري ذلك الآخر، وأحواله النفسية المرهونة بعذابات الماضي وما يكتنفها من صراع . وقد برع الشاعر في توظيف ذلك لاستمالة الملك وتحقيق غايته .

2- الحوار المباشر (الخطاب المنقول) : هذا النمط من أقدم و أشهر الأساليب السردية الخاصة باستحضار الأحاديث ، "وقد شاع استخدامه في القرآن الكريم وفي الشعر والنثر قديمه وحديثه"⁴⁰ ، و فيه يقتصر دور السارد على التقديم لقول الشخصيات " بكلمات أو جمل يشير فيها إلى بدء الحديث أو كفيته أو إلى هيئة المتحدث به"⁴¹، بتوظيف الأفعال الدالة على القول مثل : شرح ، قال، همس وهو ما يتضح عبر هذه المقاطع السردية مثلا :

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهَ لَهُ
فَمَنْ أَطَاعَكَ فَانْفَعُهُ بِطَاعَتِهِ
فُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَأَحْدُدْهَا عَنِ الْفَنْدِ⁴²
يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصَّقَّاحِ وَالْعُمْدِ
وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبُهُ مُعَاقِبَةً
كَمَا أَطَاعَكَ وَادَّلُهُ عَلَى الرَّشْدِ

وفي حديثه عن زرقاء اليمامة وحوارها مع قومها

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا

إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ

فَحَسَبُوهُ فَأَلْفُوهُ كَمَا زَعَمَتْ

تَسَعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ⁴³

لقد تبنى الشاعر هذا النمط حتى يعزز من النسق السردي في حجاجه الحكائي، جاعلا مسافة بينه وبينها ؛ لتثبيت ما تريد أن تخبر عنه وليستثمر هذه المصادقية لاحقا في التعبير عن واقعه مع النعمان . وعليه فقد تمكن الحوار بمختلف أنماطه من تفعيل دوره، والمساهمة بشكل أساس في تشكيل قصيدة الحجاج الحكائي، إلى جانب سمو بمنزلته من مجرد "مادة مسرحية تتبع من مبدأ المحاكاة لتكوّن مادة العرض"⁴⁴، إلى تقنية سردية مستقلة تضطلع بمهمة الكشف عن العوالم الخفية للمتخيل الشعري بمختلف أبعاده ، ومستوياته الفكرية .

الخاتمة:

لقد تبين بعد دراسة الحجاج الحكائي في معلقة النابغة الذبياني ما يلي:

- القدرة الفنية واللغوية للشاعر هي التي تمكنه من تخير الحكايات الملائمة للحجاج ومواءمتها مع تجربته الشخصية.
- توظيف الحكاية في الحجاج الحكائي الشعري يستند إلى مبدئين رئيسيين هما ؛ تغيير نظام المعتقدات والتجاوز .
- يعتبر الحوار أحد أهم الوسائط التي يوظفها الحجاج الحكائي لبناء حججه وتقديمها في قالب فني مترابط ومتكامل....

ABSTRACT :

This study, entitled "The Pilgrims of the Discipline in pendentif of Al-Nabegh Al-Zubayani ", is an applied study in the first place, in which the poem is presented, and it is taken from the historical incident and is a starting point for the pilgrims, in which the movement of the poetic pilgrims takes place in three simultaneous directions. In all its dimensions, and then makes it objectively equivalent to reveal the current of the present when he employs the implications of this narrator and drop it on his relationship with "Nu'man bin al-Mundhir". In a brilliant narrative that mixes the limits of the past with the present, a glimmer of the future (dream / vision) .

The study is based on several elements, including research on the concept of pilgrims and its historical roots, the narration of narratives and the limits of it, the manifestations of the pilgrims in the hanging of the Nabeghans, and this has appeared in several patterns (mythical storytelling, animal stories, religious stories, other stories). Finally, the study sought to illustrate the dialogue in the construction of the poem. The study focused on the extraction of models for internal dialogue /

monologue, and direct dialogue .

After the study "*The Pilgrims of the Discipline in pendentif of Al-Nabegh Al-Zubayani*" commentator concluded the study to a number of results, perhaps the most important:

- The artistic and linguistic ability of the poet is what enables him to choose the appropriate stories for the pilgrims and match them with his personal experience.

- The employment of the story in the pilgrims is based on two main principles;

- **Changing belief system:** The pilgrims in the poem did not come directly, but the poet is based on the means of martyrdom, citation and inclusion and the realization of the mind in thinking and analysis and linkage and conclusion, and took the direction of this direction to deliver a message to the recipient (Nu'man bin Mundhar) .

- **The principle of transcendence:** The function of anecdotes is not limited to "the enumeration of facts and deeds, but to the presentation of evidence and arguments through the facts, that is to prove in the form of a narrative.

- Dialogue is one of the most important media used by pilgrims to build his arguments and presented in the art of interconnected and integrat

الهوامش والإحالات

ⁱ فائزة الحربي : السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر . النادي الأدبي . الرياض . المملكة العربية السعودية . ط1 . 2010 . ص58 .

ⁱⁱ -النابغة الذبياني: الديوان، شرح: عباس عبد الستار . دارالكتب العلمية . بيروت. لبنان. ط3. 2005 . ص ص 9،17

ⁱⁱⁱ فائزة الحربي : السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر : ص48

عبد المالك مرتاض : ألف ليلة وليلة -دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد. وزارة الثقافة. بغداد. 198 . ص ص 103،104 ^{iv}

^v محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب. دار المعارف. (دط). (دت) مادة (ح ج ج)

^{vi} حافظ اسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته- دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة . ج4. عالم الكتب الحديث . الأردن . 2010 . ص 07.

^{vii} ينظر: محمد سالم محمد أمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة -بحث في بلاغة النقد المعاصر . دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت. لبنان . ط1. 2008 . ص ص 24،25

^{viii} المرجع نفسه: ص 31

عباس حشاني: مجلة المخبر . مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته. جامعة بسكرة . الجزائر . العدد09. 2013 . ص 268 . ^{ix}

^x محمد عبد الباسط عيد : في حجاج النص الشعري . أفريقيا الشرق . المغرب . ط1 . 2013 . ص6

^{xi} المرجع نفسه: ص 12

- ¹² حميد لحداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط3 ، 2000. ص45 .
- ¹³ الخليل بن أحمد الفراهيدي : معجم العين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 2003. ص 235
- ¹⁴ حميد لحداني: بنية النص السردي من منظور النقد الادبي. ص45 .
- ¹⁵ محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب. مادة (ح ك ي)
- ¹⁶ فتحي إبراهيم : معجم المصطلحات الأدبية . دار الشقيقات . القاهرة . (دط). 2000 . ص 76 .
- ¹⁷ محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب. مادة (قَصَ).
- ¹⁸ سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن ، السرد، التثبير).المركز الثقافي العربي. بيروت لبنان . ط3. 1997. ص 46.
- ¹⁹ المرجع نفسه: ص 46.
- ²⁰ عبد الرحيم الكردي: السرد في الرواية المعاصرة" الرجل الذي فقد ظله نموذجاً". مكتبة الآداب . القاهرة. مصر. ط1. 2006 . ص 102.
- ²¹ فائزة الحربي : السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر. ص54
- ²² محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب .مادة(س ط ر)
- ²³ حاكم حبيب عزز الكريطي: السرد القصصي في الشعر الجاهلي.تموز للنشر.دمشق.سوريا.ط1. 2011. ص 230
- ²⁴ وهب بن منبه : كتاب التيجان في ملوك حمير. تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. صنعاء. اليمن. ط1. 1347هـ. ص ص (84، 85).
- ²⁵ عَيْتٌ: لم تستطع جواباً.
- ²⁶النُّؤْي: مجرى صغير يُحفر حول الخيمة يقيها من الماء
- ²⁷ حاكم عزز الكريطي: السرد القصصي في الشعر الجاهلي. ص 232
- ²⁸النَّمْد: الماء القليل
- ²⁹النابغة الذبياني: الديوان. ص36
- ³⁰ عبد الحبار المطلبي: مواقف في الادب والنقد .دار الرشيد . العراق . (دط). 1980. ص(74، 76)
- ³¹أحدّها: امنعها من إقامة الحدّ.
- ³²حافظ اسماعيل علوي: الحجاج مفهومة ومجالاته. ص 78
- ³³صلاح فضل :بلاغة الخطاب وعلم النص. عالم المعرفة. ع 164. مصر. 1996. ص 276
- ³⁴ المرجع نفسه : ص276
- ³⁵فائزة الحربي : السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر ،ص710
- ³⁶صدوق نور الدين :أوراق عبد الله العروي .المركز الثقافي العربي .ط1. 1996. ص 52
- ³⁷ فائزة الحربي: السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر. ص 723.
- ³⁸ عَيْتٌ: لم تستطع جواباً.
- ³⁹النُّؤْي: مجرى صغير يُحفر حول الخيمة يقيها من الماء

40 عبد الرحيم الكردي : السرد في الرواية المعاصرة.ص ص(197، 198).

41 المرجع نفسه : ص 198.

42أحدّها: امنعها من إقامة الحدّ.

43النابغة الذبياني: الديوان. ص36

44الصادق قسومة :الحوار خلفياته وآلياته وقضاياها. ميسكيلاني للنشر . تونس. ط1. 2009 . ص19 وما بعدها.

المصادر والمراجع:

1-الخليل بن أحمد الفراهيدي :معجم العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003،

2-محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب. طبعة دار المعارف. (دط) ، (دت) .. نسخة إلكترونية .

3-النابغة الذبياني: الديوان، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة ،بيروت، لبنان، ط2، 2005،

4-وهب بن منبه : كتاب التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، اليمن، ط1، 1347هـ.

المراجع:

5-حافظ اسماعيل علوي :الحجاج مفهومه ومجالاته- دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة .ج4. عالم الكتب الحديث . الأردن . 2010 .

6-حاكم حبيب عزز الكريطي: السرد القصصي في الشعر الجاهلي.تموز للنشر .دمشق .سوريا. ط1، 2011.

7- حميد لحداني: بنية النص السردى من منظور النقد الادبي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب . ط3. 2000.

8-سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن ، السرد، التبئير).المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان . ط3. 1997.

9- الصادق قسومة :الحوار خلفياته وآلياته وقضاياها. ميسكيلاني للنشر . تونس. ط1. 2009

10-صدوق نور الدين :أوراق عبد الله العروي .المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب . ط1. 1996

11-عباس حشاني :مجلة المخبر . مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته.جامعة بسكرة . الجزائر . العدد09. 2013

12 -عبد الجبار المطلبي :مواقف في الادب والنقد .دار الرشيد. العراق .(د. ط.1980.

13-عبد الرحيم الكردي: السرد في الرواية المعاصرة" الرجل الذي فقد ظله نموذجا".مكتبة اللاّ داب.القاهرة. مصر . ط1. 2006

14- عبد المالك مرتاض :ألف ليلة وليلة دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد. وزارة الثقافة والإعلام .بغداد. 1980

15-فائزة الحربي : السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر.النادي الأدبي. الرياض .المملكة العربية السعودية . ط1. 2010.

16-فتحي إبراهيم : معجم المصطلحات الأدبية . دار الشقيقات .القاهرة . (د. ط.) . 2000 .

17-فتحي بو خالفة :شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة .عالم الكتب الحديث . إريد . الأردن . ط1. 2010 .

18-محمد سالم محمد أمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة -بحث في بلاغة النقد المعاصر .دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت. لبنان . ط1. 2008

19-محمد عبد الباسط عيد : في حجاج النص الشعري .أفريقيا الشرق. المغرب. ط1. 2013.

دور النحو العربي في تدريس وفهم نظام اللغة العربية نظرية ابن خلدون -أمودجا-

د/ ياسين بغورة

جامعة محمد البشير الإبراهيمي-برج بوعرييج

المخلص:

الغاية من تدريس النحو إرساء النظام اللغوي في الذهن، وإقامة اللسان، وتجنب اللحن في الكلام، فإن تحدث المتعلم أو قرأ أو كتب كان واضح المعنى، مستقيم العبارة، جميل الأسلوب، وقد مر تفسير نظام اللغة وطريقة تعليمها وتعلمها، والوقوف على دور النحو في ذلك، عبر العصور من خلال ثلاث نظريات رئيسية هي : النظرية البنيوية، والنظرية السلوكية والنظرية المعرفية، وسنعرض للنظرية السلوكية، ولدور النحو فيها من حيث المبنى والمعنى والتعليم والتعلم، والتي تمتد جذورها إلى العلامة ابن خلدون .
الكلمات المفتاحية: النحو، العربي، نظام، نظرية، ابن خلدون.

Résumé :

L'objectif de l'enseignement de la grammaire est non seulement d'essayer d'installer chez les apprenants un système linguistique mais encore de leur permettre de parler correctement une langue tout en évitant toute sorte de solécisme de telle façon qu'ils produisent un sens clair avec un style correct lorsqu'ils prennent la parole, lisent ou écrivent. En effet, essayer de saisir et d'expliquer le fond du système linguistique, de proposer la méthode la plus adéquate pour son enseignement /apprentissage et déterminer le rôle que pourrait jouer la grammaire ont été entrepris tour à tour par trois théories principales à savoir le structuralisme, le comportementalisme et le cognitivisme. Notre étude traitera du comportementalisme et du rôle de la grammaire dans la mise en place de la structure, du sens, de l'enseignement/apprentissage dont l'origine remonte jusqu'à l'érudit arabe Ibn Khaldoun.

Mots clés : Grammaire arabe, système, théorie, Ibn Khaldoun

اللغة منهج للتفكير، ونظام للاتصال والتعبير. فتقافة كل مجتمع كامنة في لغته، وفي معجمها، ونحوها، وصرفها، ونصوصها، وفنها، وأدبها.. فلا حضارة إنسانية دون نهضة لغوية.

اللغة العربية أهم مقومات الثقافة الإسلامية. وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بعقيدة الأمة وهويتها وشخصيتها. لذلك صمدت أكثر من سبعة عشر قرناً سجلاً أميناً لحضارة أمتها وازدهارها،. وشاهداً على إبداع أبنائها وهم يقودون ركب الحضارة التي سادت الأرض حوالي تسعة قرون.

وفي اللغة العربية ذاتها سمات تميزها. من أهم هذه السمات قدرتها الفائقة على حساسية التواصل، فاللغة العربية لغة غنية ودقيقة إلى حد كبير. فقد استوعبت التراثين العربي والإسلامي، كما استوعبت ما نقل إليها من تراث الأمم والشعوب ذات الحضارة القديمة كالفارسية واليونانية والرومانية والمصرية.. إلخ. كما نقلت إلى البشرية في فترة ما، أسس الحضارة وعوامل التقدم في العلوم الطبيعية والرياضيات والطب والفلك والموسيقى. وما تزال تنقل إلى العالم اليوم العقيدة الشاملة ممثلة في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالقرآن نزل بلسان عربي مبين. وهذه حقائق يجب ترسيخها في عقول الناشئة، كما ينبغي أن تكون أهدافاً ثابتة لعلوم اللغة والأدب والفنون خاصة، والعلوم الإنسانية والاجتماعية عامة.

وهي لغة موسيقية شاعرة. فإذا تكلم ذو بيان فإنك تطرب لسماعها، وتفهم بيانها، وترتاح لمعانيها وأصواتها. وهي بهذا الجرس والرنين منحت العربي التفوق في الأداء كلاماً وكتابة، وغناء وشعراً على وزن وقافية. لذلك يجب التركيز في مناهج تعليمها على تدريب المتعلم على التذوق الأدبي والفني، وعلى الإحساس بالجمال في الأداء اللغوي، وعلى حسن الإلقاء.

وهي لغة متميزة من الناحية الصوتية؛ فقد اشتملت على جميع الأصوات في اللغات السامية. وأصواتها تستغرق كل جهاز النطق عند الإنسان، ابتداءً بما بين الشفتين في نطق حروف كالباء والميم والفاء، وانتهاءً، بجوف الناطق في حروف كالألف والواو والياء⁽¹⁾، لذلك فإن تدريب الأبناء على إخراج الحروف من مخارجها، ونطق الأصوات بطريقة سليمة، يعتبر هدفاً من أهم أهداف مناهج تعليم اللغة العربية.

وبالرغم من تميز اللغة العربية، إلا أننا نعيش أزمة لغوية طاحنة، هي - في الواقع - دليل على انتكاسة الأمة وتبعيةها، وتخلفها عن الركب. ويرجع نبيل علي أسباب الأزمة إلى عوامل كثيرة من أهمها:

1. عدم إمام الكثيرين لدينا بجوانب إشكالية اللغة؛ حيث يقتصر تناولها في أغلب الأحوال على الجوانب التعليمية، والمصطلحية، خوفاً من الخوض في دراسة علاقة اللغة العربية بالدين والسياسة القومية والوطنية.
2. قصور العتاد لمعظم منظرينا اللغويين. وخاصة بعد أن أصبحت اللغة ساحة ساخنة للتداخل الفلسفي، والعلمي، والتربوي، والفني، والإعلامي، والتقني.
3. خطأ التشخيص لدائنا اللغوي. حيث يوجه الاتهام إلى إدانة اللغة العربية ذاتها، تحت زعم أن هذه اللغة الإنسانية العظيمة تحمل بداخلها كوامن التخلف الفكري والعجز عن تلبية مطالب العصر .
4. العولمة الاقتصادية. وانبهار الجماهير العربية بثقافة الغرب ولغاتها، وتدهور اهتمام الجماهير باللغة العربية، وعدم اعتزازهم بها. وإلحاق أبنائهم بالمدارس الخاصة، التي تعلم باللغات الأجنبية.
5. غياب إرادة الإصلاح اللغوي. وجاءت تكنولوجيا المعلومات لتضيف إلى الأمة بعداً جديداً، يتعلق بضرورة معالجة اللغة العربية آلياً بواسطة الحاسوب.(2)
6. عولمة تعليمنا، بحيث لا تعكس سياساته، ومفاهيمه، وسلوك مدرسيه، وأداء طلابه، ما للغة الأم من أهمية. فالاهتمام باللغة العربية لا يتم إلا من خلال المقرر الخاص بها. وأما المقررات الأخرى فهي حرة طليقة من قيود العربية والالتزام بها. وفي مقرر اللغة العربية ذاته، يتم اختزال العربية في النحو. ويتم اختزال النحو في إعراب أو آخر الكلم .
7. التعليم باللغات الأجنبية على مستوى التعليم العام والعالى، بالرغم من الحقيقة العلمية التي أجمع عليها الباحثون واللغويون، وهي أن التعليم بغير اللغة الأم يغلق مفاتيح الفكر، ويعوق عملية الإبداع والابتكار لدى المتعلمين.

1- النحو منهج للتفكير ونظام للتعبير والاتصال :

ولكن أين موقع النحو من كل هذا؟ وما دوره في تدريس العربية وحفظ نظامها؟
إن الغاية من تدريس النحو إرساء النظام اللغوي في الذهن، وإقامة اللسان، وتجنب اللحن في الكلام؛ فإن تحدث المتعلم أو قرأ أو كتب كان واضح المعنى، مستقيم العبارة، جميل الأسلوب.

إن تعلم اللغة العربية إنما هو عملية ذهنية واعية لاكتساب السيطرة على الأنماط الصوتية والنحوية والمعجمية، من خلال دراسة هذه الأنماط وتحليلها بوصفها محتوى معرفياً. فتعلم اللغة يستند إلى الفهم الواعي لنظام اللغة كشروط لإتقانها. فالكفاية المعرفية سابقة على الأداء اللغوي وشرط لحدوثه⁽³⁾.

موقع النحو من النظريات اللغوية:

قد خضع تدريس النحو لنظريات لغوية حددت موقفها عبر التاريخ.

إن النحو العربي من حيث محتواه وطرائق تدريسه . كما يعلم عندنا . ليس علماً لتربية الملكة اللسانية العربية، وإنما هو علم تعليم وتعلم صناعة القواعد النحوية. وقد أدى هذا مع مرور الزمن، إلى النفور من دارسته، وإلى ضعف الناشئة في اللغة ذاتها.

إن جوهر المشكلة ليس في اللغة ذاتها، إنما هو في كوننا نتعلم العربية قواعد صنعة، وإجراءات تلقينية، وقوالب صماء، نتجرعها تجرعاً عقيماً، بدلاً من تعلمها لسان أمة، ولغة حياة⁽⁴⁾ .

إنه لا يمكن فهم دور النحو في تدريس اللغة العربية، دون فهم النظريات التي تفسر نظام اللغة، وتحكم طرائق تعليمها وتعلمها على مر العصور.

ويمكن القول . بصفة عامة . إن تفسير نظام اللغة وطريقة تعليمها وتعلمها، والوقوف على دور النحو في ذلك، قد مر عبر العصور من خلال ثلاث نظريات رئيسية هي :

- النظرية البنيوية

- والنظرية السلوكية

- والنظرية المعرفية

وسنعرض للنظرية السلوكية من هذه النظريات، ولدور النحو فيها من حيث المبنى والمعنى والتعليم والتعلم فيما يأتي من هذه الورقة.

أ- النظرية السلوكية:

أرى أن النظرية السلوكية لم تبدأ حديثاً مع السلوكيين في القرن العشرين وإنما تمتد جذورها عبر التاريخ إلى العلامة ابن خلدون المتوفى سنة 727هـ، وإلى نظريته المسماة "الملكة اللسانية".

تقوم نظرية الملكة اللسانية عند ابن خلدون على أسس ثلاثة:

أولها : أن "السمع أبو الملكات اللسانية"⁽⁵⁾

ثانيها: أن اللغة هي "عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني. فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان".⁽⁶⁾

ثالثها: أن تربية الملكة لا يحتاج إلى النحو، الذي هو علم صناعة الإعراب.

أما السلوكيون المحدثون فقد تمثلت آراؤهم في كتاب "السلوك اللغوي" الذي أصدره عالم النفس السلوكي المشهور سكنر عام 1957م. فقد لجأ السلوكيون في محاولتهم تفسير السلوك اللغوي إلى العوامل الخارجية التي تؤثر فيه. فالسلوك اللغوي في نظرتهم عبارة عن مثير واستجابة.

وقد شن تشومسكي هجوماً عنيفاً في مقالة له عام 1959 ينتقد فيها كتاب سكنر سالف الذكر ورؤيته السطحية للسلوك اللغوي.

وبعد الستينيات انتقل الاهتمام إلى المتعلم ذاته باعتباره عاملاً أساسياً وفاعلاً في عملية تعلم اللغة. ومن ثم بدأ التركيز على المتعلم وحاجاته والأغراض التي يتعلم اللغة من أجلها.

كيف يكتسب الإنسان اللغة؟

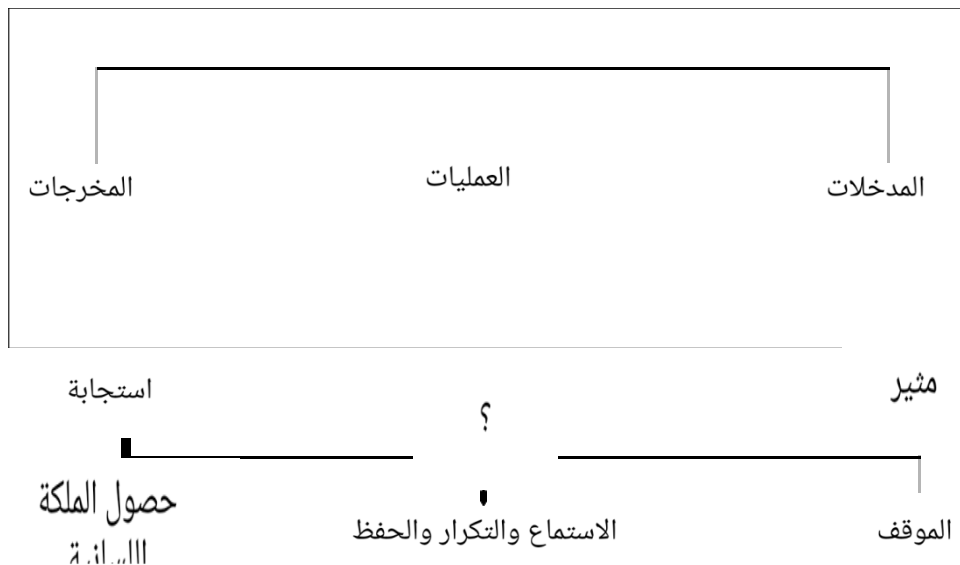
ولكن كيف يكتسب الإنسان اللغة؟ سؤال طرح كثيراً دون إجابة شافية في معظم الحالات. نحن ندرك المدخلات إلى الموقف التعليمي؛ لأن هذا نصنعه بأيدينا. ونحن قادرون على قياس المخرجات عن طريق أساليب القياس المختلفة. لكننا لا ندري حتى الآن ماذا يحدث داخل العمليات، أي داخل المخ الإنساني، هذه المعجزة المحيرة، صنع الله الذي أحسن كل شيء.

أ-سكنر والسلوكيون:

للإجابة عن السؤال الذي بدأنا به هذا الحديث، وهو كيف يكتسب الصغار اللغة الأم؟ على نفس النمط تقريباً الذي قال به ابن خلدون استحالت اللغة في نظر سكنر، صاحب النزعة السلوكية المحضة في علم النفس المعرفي إلى نظام لاكتساب العادات. فهي نوع من أنواع السلوك الشفاهي لا يختلف عن غيره من أنواع السلوك الأخرى، التي يكتسبها الفرد من خلال الخبرة، والتجربة، والمحاولة والخطأ. وبذلك تحولت اللغة إلى مجرد نوع من أنواع السلوك السمعي الشفاهي! كما رأينا عند ابن خلدون.

وبهذا التفسير حاول سكنر أن يخضع اللغة قسراً لثنائية المثير والاستجابة. أي أن اللغة مدخلات ومخرجات. وأغفل بذلك جوهر القضية، حيث يكمن السر اللغوي، أي العمليات التي تحدث بين المثير

والاستجابة. باختصار لقد افترض سكنر عدم وجود علاقة أو وسيط بين المثير والاستجابة، وربط بين المثير ورد الفعل مباشرة دون اعتبار لما يحدث بينهما داخل المخ الإنساني.⁽⁷⁾ وذلك خلافاً للفهم البنوي الذي يفترض وجود بنية عميقة داخل المخ البشري لمعالجة المعلومات اللغوية وغير اللغوية. وبذلك وضعت البنوية أساس علم النفس المعرفي.



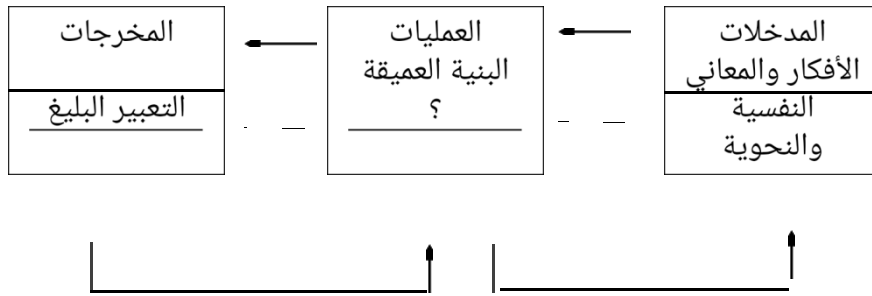
ب- اكتساب اللغة، نموذج ابن خلدون وسكنر :

فلو أخضعنا هذا النموذج لمفهوم النظم المكون من مدخلات وعمليات ومخرجات، فإننا نجد أن نموذج سكنر قد قفز فوق العمليات ولم يعترف بوجودها أصلاً. أما ابن خلدون فقد حاول وصف ما يحدث داخل النفس نتيجة الحفظ والتكرار فقال: "إن الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال؛ لأن الفعل يقوم أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم ينكر فتكون حالاً. ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة. ثم يزداد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة".

وعلى العكس من ذلك، فقد تأثر كل من دي سوسير وتشومسكي بافتراض كانط وجود قدرة ذاتية كامنة في العقل الإنساني، أو "غريزة" لغوية تتوارثها أجيال البشر أو بنية عميقة قوامها نسق معرفي كامن في العقل يربط بين المدخلات والمخرجات.

وفي غياب البحث العلمي التطبيقي لإثبات صحة هذه الفرضية لجأ تشومسكي إلى التجريد الفلسفي لإثبات وجود هذه الغريزة لكي يفسر الكيفية التي يكتسب بها الأطفال لغتهم الأم، وذلك بتطويع هذه الغريزة للمطالب الخاصة للبيئة اللغوية التي ينشأون فيها... وهكذا استحالت اللغة وفقاً لهذا النموذج الافتراضي

إلى غريزة بشرية أو إنسانية عامة، مثلها مثل غيرها من الغرائز التي يشترك فيها الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وبيئاتهم الاجتماعية.



ج - اكتساب اللغة، نموذج عبدالقاهر ودي سوسير وتشومسكي:

وفي إطار المنحى المعرفي، طرح تشومسكي مجموعة من الأسئلة المحورية التي تحتاج إلى جهود علم النفس المعرفي، ومن أهم هذه الأسئلة ما يأتي:

1. ما هذا النسق المعرفي أو البنية العميقة، وماذا بداخل عقل الإنسان من معارف لغوية؟
2. كيف ينشأ هذا النسق . أو بمعنى آخر كيف يكتسب الأطفال اللغة الأم؟
3. كيف توظف هذه المعرفة في الاستماع والفهم، وفي النطق والحديث، وفي التعرف على الرموز في القراءة والفهم؟
4. وما السر وراء الخاصية الإبداعية للغة التي تجعلها قادرة على توليد عدد لا نهائي من التعبيرات النحوية واللغوية؟⁽⁸⁾

لقد اقترض علم النفس من علم اللغة هذا التوجه البنوي التوليدي، بافتراض وجود بنية عميقة داخل المخ البشري، لمعالجة المعلومات اللغوية وغير اللغوية. ويتوقع أن تتخذ هذه البنية العميقة أو آليات الذهن اللغوي مدخلاً لفهم طبيعة عمل طاقات الإدراك الأخرى كالإدراك السمعي، والإدراك البصري، والحدس، والبصيرة النافذة، والقدرة على التخيل، وحسن التوقع...إلخ.

لذلك يأمل علماء النفس (السيكولوجي) وعلماء دراسة وظائف الأعضاء (الفسولوجي) أن يؤدي كشف النقاب عن النشاط اللغوي لمخ الإنسان (أي العمليات) ولو جزئياً إلى إلقاء الضوء على السر الذي أودعه الله في هذه المعجزة المستعصية على الفهم ... أي المخ البشري.

طريقة تربية الملكة اللسانية:

قد يكون من المناسب أن نعيد طرح سؤال تشومسكي: كيف يتعلم الطفل اللغة؟ وكيف ينشأ هذا النسق المعرفي؟ أو كيف تبنى هذه الغريزة أو الملكة؟

يقول العلامة ابن خلدون: "السمع أبو الملكات اللسانية". وهذا يعني أن بناء الغريزة والملكة اللغوية يبدأ بالاستماع الجيد إلى النصوص الجميلة.

د- اللغة ملكة :

سبق أن قلنا إن دي سوسير وتشومسكي قد خالفا سكنر الذي اختصر العملية المعرفية في المثير والاستجابة - بإقرار أن هناك بنية معرفية عميقة في مرحلة العمليات ، هي التي تربط بين المثيرات اللغوية وبين الاستجابات أو ردود الأفعال ، وقد استحالت هذه البنية العميقة ، عن طريق التجريد الفلسفي ، إلى "غريزة بشرية" ، أو "ملكة إنسانية" ، موجودة لدى كل البشر ، وأن المخ الإنساني يقوم ببناء هذه الغريزة أو الملكة على نحو ما لم يستطع أحد تفسيره حتى الآن .

وهنا نصل إلى ابن خلدون الذي قدم لنا في بداية القرن الثامن الهجري نظريته في بناء الملكة اللسانية ، والذي يرى أن أهداف تعلم اللغة لا تتحقق إلا إذا اكتسب المتعلم "ملكة اللغة "

فباللغة في المتعارف - كما يقول ابن خلدون - هي "عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك " العبارة " فعل لساني. فلا بد أن تصير ملكة منقررة في العضو الفاعل لها " وهو اللسان " .

تتكون الملكة بالاستماع :

يقول ابن خلدون " " فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودةً فيهم يسمع كلام أهل جيله ، وأساليبهم في مخاطبتهم ، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم .. فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعه لذلك يتجدد في كل لحظة ، ومن كل متكلم ، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ، ويكون كأحدهم ، وهكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل " ، وأبرز مثال على ذلك أن أبناءنا يتعلمون اللهجات العامية ويستخدمونها مثلنا تماما بدون منهج أو معلم .

إذن ، فالملكة اللسانية التي كان يتمتع بها العرب قديماً لم تكن جبلة وطبعاً ، وإنما حصلت لمن حصلت له نتيجة للعرف والعادة ، والمعاشية المستمرة للنطق الفصيح في بيئة الفرد اللغوية. فالملكة الصحيحة تتكون بتكرار الاستماع إلى اللغة الفصيحة ، وممارستها كلاماً وتحديثاً .

كيف تفسد الملكة ؟

كيف فسدت " الملكة " ؟ يقول ابن خلدون : " فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم ، وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب ، فيعبر بها عن مقصوده ... ويستمع كصفات العرب أيضاً ، فاختلط عليه الأمر ، وأخذ من هذه وهذه ، فاستحدث ملكة (ثانية) وكانت ناقصة عن الأولى. وهذا هو معنى فساد اللسان العربي. ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم". ولذلك كان أهل صناعة العربية يحتجون بها. لكن فساد اللسان العربي استمر في عصر ابن خلدون ، وازداد فساداً واضطراباً مع تقدم الزمن حتى عصرنا الحاضر .

كيف وضع النحو أو علم صناعة الإعراب ؟

يقول ابن خلدون : " لما جاء الإسلام وفارقوا (أي المسلمون) الحجاز لطلب الملك الذي كان في الأمم والدول ، وخالطوا العجم ، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين - والسمع أبو الملكات اللسانية - فسدت بما ألقى إليها مما يغيرها ، لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ، ويطول العهد بها ، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم ، فاستتبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة ، شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ، ويلحقون الأشباه بالأشباه ، مثل أن الفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ، والمبتدأ مرفوع. ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات ، فاصطلحوا على تسميته إعراباً. وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً ، وأمثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم. فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة ، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة. ويقال بإشارة من علي رضي الله عنه. إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد. فهذب الصناعة ، وكمل أبوابها. وأخذ عنه سيبويه فكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهداها، ووضع فيها كتابه المشهور ، الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعد .

تربية الملكة لا يحتاج إلى النحو :

ثم يدخل ابن خلدون إلى جوهر المشكلة ، ويتحدث عن صلة النحو بهذه الملكة اللسانية، فيقول عن صناعة العربية وقوانين الإعراب إنها: " علم بكيفية لا نفس كيفية " ثم يشرح الفكرة بالتفريق بين " الملكة " و " قوانين الملكة "، أي بين العلم النظري ، والممارسة العملية ، ويقدم تمثيلاً لذلك بمن يجيد " علم الخياطة " ولا يمارسها عملاً ، أو بمن يجيد " علم التجارة " ولا يقدر على ممارستها. فإذا سألته عنها شرحها لك خطوة خطوة ، ولو طالبته بتنفيذ ما شرح أو شيء منه لم يحكمه. ويؤكد ابن خلدون رأيه هذا بتمثيل آخر أقرب إلى واقع القضية وهي العلاقة بين النحو والملكة اللسانية فيقول: إن كثيراً ممن درسوا النحو وتعمقوا أصوله وفروعه وأفنوا أعمارهم في البحث عن مسائله ومشاكله ولم يجيدوا هذه الملكة اللسانية، لا يستطيعون التعبير اللغوي الصحيح. بينما كثير من الكتاب والشعراء ممن أجادوا هذه الملكة يعبرون عما يريدون بطلاقة وسلاسة وإن لم يتعمقوا النحو وقضاياها .

يوضح ابن خلدون هذه القضية في فصل في المقدمة بعنوان : " فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم " والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ، فهي علم بكيفية ، لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة ، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ، ولا يحكمها عملاً. مثل أن يقول بصير بالخياطة غير محكم لمليتها - في التعبير عن بعض أنواعها - : الخياطة هي أن يدخل الخيط في خرت الإبرة ، ثم يغرزاها في لفق الثوب مجتمعين ، ويخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا ، ثم يردّها إلى حيث ابتدأت ويخرجها .. الخ ، وهو إذا طوّل أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً. وكذا لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول : هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة ، وتمسك بطرفه ، وآخر قبالتك ممسك بطرفه الآخر وتتعاقبانه بينكما ... إلخ، وهو إن طوّل بهذا العمل أو شيء منه لم يحكمه .

"وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها ، فإن العلم بقوانين الإعراب ، إنما هو علم بكيفية العمل (وليس العمل نفسه) . وكذلك تجد كثيراً من جهاذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين ، إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه ، أو ذي مودته ، أو شكوى ظلامه ، أو قصداً من قصوده ، أخطأ فيها عن الصواب، وأكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك ، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي، وكذا نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ، ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور ، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ، ولا المفعول من المجرور ولا شيئاً من

قوانين صناعة العربية. فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية ، وأنها مستغنية عنها بالجملة.. (9)

إذن فكيف تربي الملكة اللغوية في رأي ابن خلدون ؟

لكن المتعلم العربية الآن - كما كان الأمر في عهد ابن خلدون - لا يملك هذا المناخ اللغوي الصافي ، وذلك المشرب العذب المتاح الذي كان ميسوراً لأجيال العرب قبل تسرب اللكنة وحدوث الخلط والاضطراب في اللسان العربي. بل العكس هو الصحيح. إذ يحيط به من كل جانب ما يدفعه دفعاً عن صحة اللغة وجمالها اجتماعياً وثقافياً : استماعاً ، وقراءة ، وكتابة. ولم يعد في متناول يده ذلك النموذج المثالي الطبع الأصيل الذي يلفته له المجتمع فيحاكيه ويحتذيه دون تعمد ! إذا كان هذا هو حال المجتمع عموماً ، فماذا نعمل على مستوى المناهج الدراسية على وجه الخصوص ؟

يرى ابن خلدون أنه بعد أن انتهى العهد الذي كانت فيه تربية الملكة اللسانية طبعاً وسليقة ، فإنه لا بد من اصطناع المناخ اللغوي اصطناعاً متعمداً ، واتخاذ الوسائل التي توصل إلى إجادة الملكة اللسانية. فيقول : " ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها ، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم (العرب) القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث ، وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم ، حتى ينتزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ، ولقن العبارة عن المقاصد منهم ، ثم يتصف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عبارتهم ، وتأليف كلماتهم ، وما وعاه وحفظه من أساليبهم ، وترتيب ألفاظهم ، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ، ويزداد بكثرتها رسوخاً ، وقوة.

ثم يربط بين كثرة المحفوظ والاستعمال وبين قوة التعبير بلاغة ونقداً ، فيقول : " وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظماً ونثراً ، ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر ، وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها ، وهكذا يجب أن يكون تعلمها ، والله يهدي من يشاء بفضلته وكرمه". (10)

تكوين العادات اللغوية:

يقول ابن خلدون : إن " الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ، لأن الفعل يقوم أولاً وتعود منه للذات صفة ، ثم يتكرر فتكون حالاً ، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة". (11)

كما يرى أن النصوص المختارة للدراسة والحفظ يجب أن تثبت في ثناياها مسائل اللغة والنحو، بحيث يتعرف الدارس من خلالها على أهم قوانين العربية، ويؤكد أن الملكة لا تربي من خلال نصوص تحفظ دون فهم، " فالملكة لا تحصل من الحفظ دون الفهم. "

هـ- لا قيمة لقواعد الإعراب وحدها :

إن فترية الملكة لا يتوقف على حفظ القواعد ومعرفة الإعراب وأواخر الكلم . فابن خلدون نفسه يقرر أن الإعراب قد فقد من اللغة العربية في عهده. وأن فقدان هذا الإعراب لم يهدم أداء اللغة لمعناها الصحيح البليغ. بل يمكن أن يعتاض عنه بما أسماه " قرائن الكلام ".

كما يقرر أن اللغة العربية على عهده " لم يفقد منها إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول. فاعتاضوا عنها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد. لأن الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها. ويبقى ما تقتضيه، ويسمى " بساط الحال " محتاجاً إلى ما يدل عليه. وكل معنى لا بد أن تكتفه أحوال تخصه. فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود، لأنها صفاته. وتلك الأحوال في جميع الألسن أكثر ما يدل عليها بألفاظ تخصها بالوضع . وأما في اللسان العربي، فإنما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تركيب الألفاظ وتأليفها من تقديم وتأخير أو حذف أو حركة إعراب، وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة ".

ويؤكد ابن خلدون أن البلاغة والبيان كانت ما تزال ديوان العرب ومذهبهم في عهده. وأنه لا يجب الالتفات " إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق. حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد (عهد ابن خلدون) ذهبت. وأن اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون قوانينه. وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم، وألقاها القصور في أفئدتهم " (12).

مايستفاد من النصوص السابقة :

من العرض السابق لتصور ابن خلدون في تربية الملكة اللسانية يمكن استنباط ما يأتي :

أولاً : لقد قرر ابن خلدون فكرته، وهي أن تربية الملكة اللسانية لا يضرها عدم حفظ القواعد النحوية، وفقدان الإعراب، إذ تغني عنه القرائن، وهي فكرة جريئة، لم يجرؤ أحد قبله أو بعده على القول بها على هذا النحو المتكامل . فهو - إذن - يرى أن فقدان الإعراب من لغات الأمصار في عهده - وكما هو الحال في لغتنا الآن - ليس بضائر لها، مادامت تؤدي مهمتها في الفهم والإفهام وتوضيح المراد.

ثانياً : قدم ابن خلدون تصويره في إطار نظريته الاجتماعية للغة على أنها " ملكة " تكتسب بالتعليم والمران والدرية ، ومادامت هذه " الملكة " قد تحققت للمستخدمين للغة في الأمصار في عهدة ، فإنها تكون صحيحة بليغة بدون الإعراب ، إذ فيها من القرائن ما يغني عنه.

ثالثاً : يرى ابن خلدون أن تربية " الملكة اللسانية " يمكن أن يستغنى عن حفظ القواعد والعلامات الإعرابية في أداء المعنى، بما أسماه " القرائن الدالة على خصوصيات المقاصد " كالتقديم والتأخير ، والحذف ، والحروف غير المستقلة .

رابعاً : إن تربية " الملكة اللسانية " لا تتم إلا من خلال حفظ النصوص الأصلية الراقية والشواهد الحية المتطورة " وعلي قدر المحفوظ ، وكثرة الاستعمال ، تكون جودة المصنوع نظاماً ونثراً ، وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها " .

خامساً : أن يتم تناول النصوص كما تنطق فعلاً ، وأن تتم دراستها من حيث مستوى الأصوات ، والحروف ، وبنية الكلمة ، والتركيب والدلالة ، فهذا هو المفهوم الحديث للنحو .

سادساً : إن " الملكة اللسانية " لا تربي من خلال نصوص تحفظ دون فهم ، فالملكة لا تحصل من الحفظ دون الفهم .

و- تحويل فكرة ابن خلدون إلى منهج وطريقة متكاملين :

إن تربية " الملكة اللسانية " وفقاً لنظرية ابن خلدون ، يمكن أن تتم من خلال تطبيق أسلوب في تخطيط المنهج ، وتنفيذه ، وتقويمه ، ومتابعته ، على النحو التالي :

النظرية السلوكية في التدريس :

أثرت النظرية السلوكية ببعديها القديم والحديث في المداخل التي اتبعت في تدريس اللغات الأم عموماً ، وفي تدريس اللغات الثانية على وجه الخصوص. حيث نرى التأثير واضحاً فيما يسمى " الطريقة المباشرة "، والطريقة " السمعية الشفوية" في تعليم اللغات لغير الناطقين بها

- فالنظرية السلوكية ترى أن عملية تعلم اللغة عبارة عن استقبال مثير ، وإصدار استجابة. وأن تعزيز استجابات معينة يؤدي إلى تكرارها حتى تتكون العادات اللغوية على حد تعبير سكنر وأنصاره ، أو حتى تتكون الملكة على حد تعبير ابن خلدون .

- اللغة نظام صوتي كلامي، وليست كتابة. والإنسان يتعلم اللغة بدءاً بالاستماع إليها، ثم نطق أصواتها قبل التعرض لشكلها المكتوب. فالفرد يتعلم اللغة بدءاً بالاستماع للكلام، ثم القراءة فالكتاب.
- تعلم اللغة يبدأ بالمحاكاة، والتذكر، والحفظ، واكتساب العادات بمثل اكتساب العادات الاجتماعية عن طريق التدريب والتعزيز.
- تعليم اللغة هو تعليم " النفس كيفية " أولاً وليس " العلم بكيفية " أولاً، حسب تعبير ابن خلدون. أو هو " تعليم اللغة " وليس " عن اللغة "، حسب التعبير السلوكي الحديث. ولذلك يجب تدريب المتعلم على الممارسة اللغوية وليس على تعلم القواعد.
- تعليم اللغة مستغن عن تعليم النحو الذي هو معرفة أواخر الكلم، في عبارة ابن خلدون. وهو أمر يمكن أن يؤجل إلى المستويات العليا أو المتخصصة في دراسة اللغة. فالفرد يمكن أن يتعلم اللغة الثانية بالمحاكاة كما يتعلم الطفل لغته الأم.
- الفرد يتعلم ثقافة اللغة من خلال النصوص والعبارات التي تحكي عادات الشعوب وتقاليدها وأساليب حياتها، وفنونها وآدابها وكل ما يميزها عن غيرها.
- اللغة تعلم من خلال اللغة ذاتها، وليس من خلال لغات أخرى، فالمتعلم لا بد أن يفكر باللغة التي يتعلمها من خلال منهجها الفكري ونظامها الدلالي.
- لا بد من اصطناع بيئة لغوية طبيعية؛ حيث تدرس النصوص والأمثلة والشواهد في مواقف طبيعية ترتبط بمدلولات النصوص، أو عن طريق تمثيل الأدوار، أو عن طريق تعلم الأشياء الموجودة بالفعل في البيئة التي يوجد فيها المتعلم، كما في الطريقة المباشرة لتعليم اللغات لغير الناطقين بها.
- إن الفرد يتعلم لغته الثانية كما يتعلم الطفل لغته الأولى، أي عن طريق الربط المباشر بين الأسماء والمسميات. فالاستخدام الفعلي للغة في الحياة أساس التعلم.
- يتم تعليم النحو بأسلوب غير مباشر من خلال التعبيرات المحكمة والنصوص الجميلة التي يتم تكرار الاستماع إليها وممارستها.
- تنمية قدرة المتعلم على المحاكاة، والنطق الصحيح، واكتساب مهارات الكلام، يفوق الاهتمام بتنمية المهارات العقلية، والقدرة على القياس والاستقراء والاستنتاج.⁽¹³⁾

ز- طريقة التدريس :

يترتب على المنطلقات السابقة أن تسير طريقة التدريس غالبا كما يأتي :

- 1 - تدريب المتعلم على مهارات الاستماع الجيد ثم مهارات الكلام السليم . ثم تدريبه على قراءة ما استمع إليه وتحدث به ، ثم كتابة ما قرأه .
- 2 - تدريب المتعلم على عادات الاستماع الجيد، والكلام السليم، وتعزيز هذه العادات.
- 3 - يعلم النحو من خلال الأنماط اللغوية التي استمع إليها وتكلم بها ، وليس عن طريق عزل القواعد النحوية عن النصوص الواردة بها. ولا تعلم إلا القواعد الواردة في النصوص، حتى لو حدث إغفال لبعض القواعد النحوية؛ على اعتبار أن القواعد التي لا ترد في لغة الحياة لا ضرورة لدراستها لغير المتخصصين.

2- النظرية المعرفية:

تشير النظرية المعرفية "إلى تصور نظري لتعليم اللغات يستند إلى الفهم الواعي لنظام اللغة كشرط لإتقانها . وأن الكفاية اللغوية سابقة على الأداء اللغوي وشرط لحدوثه" (14) .

وهذا يعني أن يتوافر لدى المتعلم درجة من السيطرة الواعية على النظام الأساسي للغة، حتى تنمو لديه إمكانات استعمالها بسهولة ويسر في مواقف طبيعية .

فتعلم اللغة وفقا لهذه النظرية هو عملية ذهنية واعية لاكتساب القدرة على السيطرة على الأنماط الصوتية والنحوية والمعجمية للغة ، وذلك من خلال تحليل هذه الأنماط باعتبارها محتوى معرفيا . (15)

فالتعلم - إذن - نشاط ذهني . يعتمد على قدرة الفرد الابتكارية في استخدامه للقليل الذي تعلمه في مواقف جديدة . وهكذا نحس بمذاق النحو التحويلي التوليدي لتشومسكي في هذه النظرية .

منطلقات هذه النظرية :

تعتمد هذه النظرية كما يذكر رشدي طعيمة على عدة منطلقات ، من أهمها ما يأتي :

- 1 - اللغة الحية محكومة بقواعد أو نظم ثابتة . وتعلم اللغة عملية إدراك عقلي واع لنظامها . واستخدام اللغة يعتمد على قدرة الفرد على ابتكار جمل وعبارات لم يسبق له سماعها أو استخدامها.

- 2- إن قواعد اللغة ثابتة في نفوسنا. فقدرتنا على استعمال اللغة ليس سببه هو أننا نكرر ما سمعناه بشكل آلي بحت ، ولكن في قدرتنا الذهنية على تطبيق قواعد ثابتة على أمثلة متغيرة . فقواعد اللغة مثل قواعد الشطرنج ، يتقنها الفرد إن تعلمها في موقف طبيعي يمارس فيه بالفعل هذه القواعد.
- 3 - الإنسان خاصة مزود بالقدرة على تعلم اللغات . إن تعلم اللغة صفة إنسانية فهو موجود في الأنساق البيولوجية للإنسان . فتعلم اللغة أمر يمكن أن يحدث في أي وقت من حياة الإنسان مادام قد أخذ مكانة في موقف ذي معنى لديه .
- 4 - إن تعلم اللغة يتضمن التفكير بها . وإن الممارسة الواعية للغة هي تلك التي تتم في إطار من المعنى وليس في مجرد التدريب الآلي عليها . (16)
- 5 - تولى هذه النظرية المعرفية اهتماماً خاصاً بتعليم المهارات اللغوية الأربع في وقت واحد.
- 6 - تعتبر السيطرة على نظام اللغة شرطاً لممارستها . وهذا يعني ضرورة السيطرة على الأنظمة الصوتية والمعجمية بالإضافة إلى نظام القواعد النحوية.
- 7 - تعتمد هذه النظرية على عنصر الفهم ، الذي يعني أن تكون الممارسة اللغوية ممارسة واعية، وليست تكراراً آلياً لتدريبات نمطية مكررة دون معرفة للأسباب الحقيقية وراءها.
- 8 - الممارس للغة من خلال هذه النظرية لديه مصفاة ، تمر من خلالها الممارسة اللغوية قبل وقوعها. (17)

دور النحو في التدريس :

- 1 - يتحتم على الطالب الإلمام بالنظام الصوتي والنحوي والصرفي والمعجمي كي يتمكن من ممارسة اللغة العربية وهو على وعي بنظامها .
- 2 - يسير الدرس وفق الطريقة الاستنباطية ، أو وفق ما يسمى "بالمنظم المتقدم" أو "المنظّمات المتقدمة" التي تهدف إلى "مساعدة الطالب على تحقيق بنية معرفية تتصف بالثبات ، والوضوح، والتنظيم، وربط المادة التعليمية بالخبرات السابقة للطالب. وتهيئة كل الظروف الممكنة التي تجعل التعليم ذا معنى، وتسهل مهمة نمو المفاهيم الوظيفية ، وإيضاح المفاهيم الغامضة ، وربطها بالبنية المعرفية للمتعلم .

- 3 - تعتمد هذه الطريقة على أمرين : أولهما الاعتماد على صيغ منظمة وملائمة لتفكير المتعلم عند تقديم المفاهيم المعرفية، وتقديم المفاهيم بشكل متدرج في عموميتها وشمولها، والأمر الآخر، ربط المادة التعليمية بحياة المتعلم، أي تقديمها من خلال ما هو مفيد عنده (18)
- 4 - تقدم النصوص في مواقف ذات معنى لدى المتعلم ، ويحتوي على المفاهيم المراد شرحها. عن طريق شرح هذه النصوص يتم عرض هذه المفاهيم والقواعد، وتوضيح أبعاد النظام اللغوي للغة العربية. ثم يأتي التطبيق في مواقف تشتمل على نصوص وحوارات وألعاب لغوية .. إلخ.
- 5 - إن الهدف ليس هو حصر المواقف التي يمكن أن يمر بها الطالب ثم التدريب عليها كما في النظرية السلوكية. لكن الهدف هو تدريب المتعلم على الاستخدام الواعي للقاعدة في مواقف جديدة يصعب توقعها أو التنبؤ بها أو حصرها. وهنا تلتقي النظرية المعرفية مع نظرية النظم ونظرية النحو التوليدي؛ حيث يتم تطبيق القاعدة الواحدة في مواقف غير محدودة وغير متوقعة. وهنا يكون القياس والتحويل والابتكار.
- 6- التركيز في التدريس وفقاً لهذه النظرية على تنمية القدرة الذهنية عند الطالب، وتدريبه على قواعد الاستنتاج والاستقراء وعلى مبادئ التعميم والتطبيق من خلال شرح مفصل للقواعد وتفسيرها حتى تتضح في ذهن المتعلم. فالتعلم الواعي لقواعد اللغة شرط أساسي لممارستها. وفهم القواعد لا بد أن يسبق التطبيق عليها.
- 7- بما أن التعليم في هذه النظرية يبدأ بالفهم الواعي للمفاهيم النحوية فالممارسة عليها، فإن الكتب المقررة على الطلاب تسير على أساس المنهج الاستنباطي أو القياسي، الذي يبدأ بعرض المفاهيم ثم التدريب عليها.
- 8- الدرس يبدأ بعرض مادة جديدة، وتمارين عليها، ثم أنشطة لغوية تطبيقية.
- 9- كل المهارات تعلم في وقت واحد. تبدأ بعرض المادة المراد تعلمها، ثم الاستماع إلى النص أو الموقف الاتصالي، والتدريب على استنتاج ما فيه من مفاهيم، ثم تطبيق هذه المفاهيم على مواقف جديدة مناسبة لنوعية المتعلمين.

طريقة التدريس وموقع النحو فيها:

نعرض فيما يلي طريقة مقترحة تقوم على أساس الاستفادة من مميزات النظرية ، والسلوكية. وتتكون من ثلاث مراحل : التخطيط، والتنفيذ، والمتابعة.

أولاً: مرحلة التخطيط: يتم تحديد القواعد النحوية المقررة لفئة المتعلمين حسب الهدف من التعلم، وحسب نوعية الدارسين وخبراتهم السابقة، وبما يتسق مع منطق النظام في اللغة العربية. يتم اختيار النصوص الجميلة المناسبة، والتي تتسق مع حركة الحياة وثقافة اللغة العربية. ويتم الربط بين هذين على اعتبار أن تعلم القواعد المقررة سيتم استنباطاً واستنتاجاً واستقراءً من خلال هذه النصوص.

ثانياً: التنفيذ يتم تناول النصوص المناسبة- لكل مرحلة أو لكل صف دراسي - بالدراسة والفهم، والتحليل، والتفسير، والنقد والتقييم، واستنباط القواعد المقررة، من خلال الإجراءات الآتية:

1- الاستماع إلى النص منطوقاً نطقاً جيداً ممثلاً للمعنى، مرة أو مرتين، ثم مناقشة فكرته العامة، وأفكاره الرئيسية، والتعرف على قائل النص ومناسبة قوله.

2- التدريب على قراءة النص قراءة جهرية، مع التركيز على معالجة الجوانب الصوتية، واللفظية، والتركييبية من حيث معناها ومبناها.

3- الوقوف على نظام اللغة وقوانين الإعراب المناسبة لهذه المرحلة أو لهذا الصف كما هي موجودة في النص مع التركيز على أسس الاستنتاج وقواعد الاستقراء، وقواعد التعميم لنظام اللغة، ومجالات التطبيق.

4- قراءة النص قراءة صامتة، دفعة واحدة، أو على دفعات، بحيث تحمل كل دفعة فكرة رئيسية، ثم تناوله بالدراسة، والتحليل، والتفسير، والنقد والتقييم.

5- الوقوف على المعايير والقيم ونواحي الجمال في النص وقواعد ذلك.

6- حفظ النص حفظاً جيداً (إن كان من القرآن أو السنة أو الأدب شعره ونثره)، بحيث ينطبع في نفس المتعلم، فيقتبس منه، وينسج على منواله في كلامه وكتابته.

7- التعبير كتابة عن موضوع النص بعد دراسته والقراءة حوله.

ثالثاً: التقويم والمتابعة، ويتم في خطوتين : الأولى وتتمثل في تقويم تعبير التلاميذ وفقاً للمعايير التالية:

أ- سلامة النطق والإلقاء

ب - سلامة الكتابة ووضوح الخط.

ج- سلامة الأسلوب (كل ما يتصل بال نحو والصرف)

د- سلامة المعاني.

ه- تكامل المعاني.

و- منطوقية العرض.

ز- جمال المعنى والمبنى.

الخطوة الثانية: وتتمثل في معالجة الأخطاء اللغوية الشائعة في تعبير التلاميذ من حيث المبنى والمعنى أثناء التدريس وفيما يلي ذلك من دروس. وهنا يجب ملاحظة عدة أمور مهمة:

1. أنه يجب التعرض لبعض قضايا النحو ذات الأهمية للدراسين من خلال إطار لغوي متكامل، سواء كانت قضايا متصلة بالأصوات ودلالة الألفاظ والتراكيب أو كانت متصلة ببعض الأساليب النحوية أو البلاغية.
2. أنه يجب الاكتفاء في المرحلة الابتدائية بدراسة مكونات الجملة العربية عامة، وكما ترد في النصوص، على أن يتم تفصيل ذلك في المراحل التالية.
3. لا يخصص لكل مفهوم نحوي نص قائم بذاته، حتى لا تلوى أعناق النصوص أو تصطنع لخدمة النحو، وإنما يدرس في كل نص ما يحتويه من الأساليب النحوية والبلاغية المنشودة.
4. أن يتم دراسة الأساليب النحوية كما هي منطوقة في النص، دون التعرض للحذف أو التقدير أو عوامل الإعراب في مراحل التعليم العام.
5. أن يحاط المتعلم ببيئة لغوية عربية سليمة في كل جوانب المؤسسة التعليمية التي ينتمي إليها.

Abstract :

The Holy Quran is revealed in the language of all the Arabs who did not feel at the beginning the need to collect the language in order to understand the words of the Quran text. However, the expansion of the Islamic State due to the conquests entailed the interbreeding of the Arabs with others and the blending of these languages. At that period, the Arab society was influenced by the linguistic status quo and it can be said that the Arab was withdrawn from the innateness, fluency and meaning of some words contained in the Holy Quran. That is the driver of the linguistic engine to search in that period, aiming at addressing the issues raised

and responding to the complicated questions related to the words meanings. Hence, the history of the Arabic lexicon started. Furthermore, this way was paved by the nomadic lifestyle that was tending towards the urban lifestyle. This later had altered the Arabic tongue and induced it into error. Yet, the scholars interested then in collecting and writing down linguistic letters characterised by their primitive nature far from cohesion and order. Within shortly, they were classified into matters that were examined by isolating the eloquent words from the soft ones by using geographical and temporal measures. There no doubt, that this particular interest preserves the Arabic language stock; gives birth to a deep scientific movement and creates the horizons of linguistics in the Arabs. That is the movement of collecting the language. After this period, the Arabic linguists could set lexicons that they divided according to their interest into two main sections: lexicons of words and lexicons of subjects.

Thus, the idea of the Arabic lexicography has been related to the particular attention paid to the Holy Quran and to the aim of understanding its strange words. The strange of the Quran or Hadith means the ambiguous word that are difficult to understand. That is the first trying in the lexicography.

The first book dealing with the meaning of the words of the Holy Qur'an was the one written by Abd Allah ibn Abbas, considered the most learned man of companions of the Prophet Muhammad of the exegesis of the Qur'an and the Sunnah. Abu Saadat Ibn al-Athir mentioned in the preface of his book entitled ENNIHAYA FI GHARIB EL CORAN that Abu Obeda Maamar ibn El Muthana was the first to write about the meaning of the ambiguous words contained in the hadith and that NADIR IBN CHAMIL EL MAZINI was written after another book which was voluminous book containing more explanation and simplification and that later, several books dealing with the same subject had emerged, such as: that of ABU AMR EL CHIBANI, d. 'EL ASMAE, ABU ZEID EL ANSARIetc The Arab-Islamic sciences, the jurisprudence, Koranic sciences, grammar and hadith which were arisen in this period have provided a platform for linguistic research, and have pushed linguists to increase their efforts to understand the meaning of the lexicon of language, to produce works dealing with the terminology of jurisprudence and to try to give precise meanings of words far from their meanings used in the pre-Islamic period such as: The prayer which formerly meant invocation, the Zakat which meant alms and so forth of words that changed meaning with the arrival of Islam and the search carried out on the meaning of these words in the Holy Qur'an. At the same time several works considered as dictionaries have emerged such as the one written by ash-Shâfi'i and EL AZHARI ... etc

Key words: lexicography, lexicons, words, meanings.

الهوامش

1. محمد حسنين زيدان "أيهما زرياب" الشرق الأوسط، 1984/8121، ص13
2. نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، الكويت، سلسلة عام المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد (265) يناير 2001م، ص227.
3. نبيل علي: المرجع السابق، ص231.
4. نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد (148)، شوال 4141هـ، أبريل 1994م، ص135.
5. نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق، ص55.
6. رشدي طعيمة: المرجع في تعليم اللغة العربية، جامعة أم القرى، الجزء الأول ص399
7. أنظر: علي أحمد مذكور: تدريس فنون اللغة العربية، مرجع سابق، الفصل الخامس بتدريس النحو.
8. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، بيروت، لبنان، دار القلم، ط1، 1978، ص:546
9. Salkie, Raphael, linguistics and Politics, Unwin Hyman, Ltd. Great Britain, 1990, P.85
10. المرجع السابق، ص19.
11. ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ص:558.
12. المرجع السابق، ص559.
13. المرجع السابق، ص554.
14. محمد عبيد: في اللغة ودراساتها، القاهرة، عالم الكتب، 1974، ص55 وما بعدها.
15. رشدي أحمد طعيمة: المرجع في تعليم العربية، مرجع سابق، ص360.
16. رشدي أحمد طعيمة، مرجع سابق، ص398.
17. المرجع السابق، ص399.
18. المرجع السابق، ص 400 - 401.
19. المرجع السابق، ص 407 - 408.
20. رياء المنذري "فاعلية استخدام المنظم المتقدم في تحصيل النحو لدى طالبات الصف الثاني الإعدادي" رسالة ماجستير. كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، 2004، ص6-7.

المسرح المدرسي ودوره في بناء شخصية التلاميذ

د/ سليمان بوراس

slimanebou@gmail.com

أ / جمال شلّباب

chelbab99@gmail.com

جامعة محمد بوضياف - بالمسيلة

الملخص:

إنّ المسرح المدرسي فنٌّ من الفنون التّعليمية التي تجمع بين المتعة والتّعليم، فالتّلميذ وهو يؤدّي دورا ما أو يشاهد مسرحية ما، فهو بذلك يستفيد أو يفيد في توصيل قيم أو مواقف ومواضيع مهمّة، كما أنّه يكتسب أهميّة كبرى لما له من دور في التّنشئة والتكوين وتفجير الطّاقات الإبداعية والسلوكيّة، فهو يساعد على صقل قيم وأساليب لازمة لمواصلة التّعليم وإثراء قدرة التّلميذ على التّعبير عمّا بداخله والتّأثير على الآخرين وتوجيههم، وتنمية التّدوق الفنّي والحسّ الجمالي لديه، كما يساعد على تبسيط المعارف والمعلومات والحقائق، ونقلها لذهن التّلاميذ بأسلوب مبسّط وخفيف من خلال مسرح المعلومة.

الكلمات المفتاحيّة:

المسرح - المدرسة - الشّخصية - التّلاميذ.

Résumé:

Le théâtre scolaire est un art d'éducation qui combine le plaisir et l'éducation, car l'élève joue un rôle ou regarde une pièce de théâtre, de sorte qu'il est utile ou utile de communiquer des valeurs ou des positions et des sujets importants. Elle contribue à affiner les valeurs et les méthodes nécessaires à la poursuite de l'éducation et à enrichir la capacité de l'élève à exprimer ce qu'il y a dedans et à influencer et guider les autres, ainsi que le développement du goût artistique et du sens esthétique. Il contribue également à simplifier les connaissances, les informations et les faits, et à transmettre à l'esprit des étudiants dans un cadre simplifié et léger à travers le théâtre de l'information

les mots clés:

Théâtre - Ecole - Personnel - Les élèves

إنّ المسرح المدرسي يعدّ واحداً من الوسائل التربويّة والتعليميّة التي تسهم في تنمية الطّفّل تنميةً عقليةً وفكريةً واجتماعيةً ونفسيةً وعلميةً ولغويةً وجسميةً، وهو فنٌّ دراميّ موجّه للتلاميذ يحمل منظومة من القيم التربوية والأخلاقية والتعليمية والنفسية على نحو نابض بالحياة من خلال شخصيات متحرّكة على المسرح، ممّا يجعله وسيلة مهمة من وسائل تربية الطّفّل وتنمية شخصيته، وينمي التأمّل والاستنتاج واستيعاب طاقته الحركية واستغلال نشاطه، بالإضافة إلى تنمية الروح الاجتماعية عند التلاميذ، كما يوضّح التّواصل والتفاعل الحي والمباشر بين جماعة التمثيل على خشبة المسرح وبين جمهور المشاهدين في المجتمع المدرسي، ويشجّع التّلاميذ على التفاعل مع النّشاط المسرحي ونقده سلباً وإيجاباً.

فأنشطة المسرح المدرسي، ليست مجردّ متعة لسدّ فراغ التلميذ، بل هو وسيلة تربوية لنقل المعلومة العلمية الصحيحة، وكلّ ما هو نافع وناجح لبناء شخصيته وكيانه، عبر فنون المسرح وعالمه الخاص لما له من تأثير نفسي وسلوكي في حياة التلميذ.

إنّ العمل المسرحي المدرسي يتطلّب تفهماً واسعاً ودقيقاً لنفسيّة التلميذ وظروفه وإمكاناته المختلفة، باعتباره عملية أساسية في العملية التربوية، يقول الكاتب الانجليزي مارك توين: "أعتقد أنّ مسرح الأطفال من أعظم الاختراعات في القرن العشرين، لأنّه أقوى معلم للأخلاق وخير دافع للسلوك الطيب".

إنّ الهدف الذي يرمي إليه هذا النوع من المسرح هو تنمية ثقافة التلميذ لجهة عدد من المسائل المهمة التي تتعلّق بشخصيته، وتطوير قدرته على التعبير، ورفع مستوى ملكة التدوق الفنّي لديه، وتعليمه فن التمثيل، والمدرسة كما نعلم هي المؤسسة الفاعلة المكلفة بتربيته بعد الأسرة، وهي التي تقع عليها مسؤولية إعطاء التلاميذ الفرصة لممارسة خبراتهم التخيلية، وألعابهم الابتكارية التي تعدّ الأساس لحياة طبيعية سعيدة يتمتّعون فيها بالخبرة والحساسية الفنية¹.

وقد اعترف الأديب الفرنسي بوسويه في القرن السابع عشر بأنّ المسرح التربوي، ما هو إلا تمرينات تساعد التلاميذ والطلّاب على تكوين أسلوبهم وعملهم أو تنظيم الأسلوب والعمل. ولا يزال المسرح المدرسي في مدارسنا ضرباً من ضروب النّشاط الثانوي، بل كثيراً من المدارس لا تزال تجهل ممارسة هذا النّشاط. وبعده البعض عيباً وهدراً للوقت. لكن السبب في ذلك يعود للمسؤولين التربويين الذين لازال البعض منهم يجهلون أهمية المسرح جهلاً تاماً بسبب محدودية الخبرة الفنية أو بسبب التشكك في جدواه.

والحقيقة أنّ المسرح المدرسي يسهم في تثقيف التلميذ، ويغني معلوماته وينمي شخصيته، ويوسع مداركه، كما يدرّب المساهمين في تقديم المسرحيات على الفصاحة والإلقاء السليم وسرعة البديهة وحسن التصرف ومواجهة الجماهير²، نظرا للفئة العمرية التي يستهدفها، هذه الفئة ذات الأذهان الرطبة، التي من السهولة تأسيسها على القيم الحميدة والسلوكيات السليمة، باعتبار المسرح وسيلة فاعلة وناجحة لتوصيل الأفكار والمعلومات وترسيخها في أذهان المتلقين، وذلك بعد وضعها بقوالب درامية وحوارات شيقة وباستخدام لغة ومفردات سليمة، ونكون بذلك قد حقّقنا الهدف الأساس بإيصال المعلومات وتثبيتها في أذهان التلميذ، لتصبح بعد ذلك من المعارف المكتسبة.

و هذه الأنشطة الفنية التي يمارسها التلميذ لها تأثير جلي على بناء شخصيته ليكون متوازنا عقليا و جسديا ، حيث يشير هربرت ريد *herbart red* على أنّ النشاط الجماعي هو العملية العضوية الخاصة بالتكامل الفيزيائي و العقلي و بالتالي يجب إدخال النشاطات الفنية و الجمالية في أغلب المناهج الدراسية، و قد أوضح ريد *red* تجليات تقنية التربية الجمالية في العناصر الآتية:

- التربية البصرية عبر العين.
- التربية التشكيلية عبر اللمس.
- التربية الموسيقية من خلال الأذن - الموسيقى - الحركة الإيقاعية.
- التربية الحركية عبر العضلات و الرقص الإيقاعي.
- التربية اللفظية عبر الكلام و الشعر و دراما المسرح.
- التربية الإنشائية عبر الفكر.

و يمكن إجمال أنشطة التربية الجمالية في:

- أ- نشاط التعبير الذاتي : أي حاجة الطفل إلى توصيل أفكاره و انفعالاته إلى الغير .
- ب- نشاط الملاحظة و المشاهدة: و هو رغبة الطفل في تسجيل انطباعات حواسه.
- ت- نشاط التذوق: و هو استجابة الفرد لطرائق التعبير التي يوجّهها إلى غيره .

إن ممارسة الأنشطة المسرحية بالنسبة للتلاميذ تتيح لهم أن يكتفوا أنفسهم تكييفاً مألوفاً مع النماذج السلوكية التي يستخدمونها و يجربونها في واقع حياتهم لأن هذه الأنشطة هي أنشطة درامية تشتمل على المحاكاة و التقليد.

ويعدّ البريطاني " كولدويل كوك " من أوائل من تحدث عن دور الدراما في التدريس سنة 1941 لأنها تعطي للتلميذ فرصة للمشاركة و تزويد قدرته على عنصر اللعب و قد وظف كوك المسرح في تدريسه لشكسبير و أصبحت الدراما لديه تعني المعيشة و التجربة أي أنه استعمل المسرح وسيلة تساعد المتعلم على استيعاب المادة الدراسية و الاستمتاع بها. ومع هذا الاهتمام بدور المسرح المدرسي في عملية التدريس و تحقيق بعض العلاجات النفسية و العاهات نجد من نادى باعتماد المسرح وسيلة علاجية لمشاكل النطق و تدريب الذين يعانون من مشاكل حركية.

و من هذا المنطلق يمكن أن نستنتج أنّ استخدام المسرح كوسيلة في التعليم يمكن من الوصول إلى:

- جعل المادة ممتعة و مشوقة و مناسبة لمدارك الأطفال و قدراتهم.
- تشكيل المسرح المدرسي طريقة سهلة لعرض المواد الدراسية.
- تطوير قدرات الأطفال الموجهة إلى الجمهور.
- اكتشاف قدرات الأطفال المختلفة و تنمية الإبداع فيهم.
- خلق جو التعاون بين الأطفال

أنواع المسرح المدرسي وأثرها في بناء الشخصية:

يتخذ المسرح المدرسي اسمه من كونه يقدم داخل بناء المدرسة، كما أنّ الممثلين والمشاهدين هم من التلاميذ، وللمسرح المدرسي أربعة أنواع هي: المسرح التعليمي . والمسرح التلقائي . والمسرح التربوي . ومسرح العرائس، وسنورد تعريفاً لكل نوع منها:

1. المسرح التعليمي:

هو المسرح الذي يقدمه التلاميذ من نصوص معدة سلفاً، ويمكن استخدام هذا النوع من المسرح لتقديم المواد والمناهج الدراسية بطريقة شائعة تعطي للتلميذ أثراً إيجابياً في العملية التعليمية.

ويقتصر على "إشباع الدوافع الفردية وإحلال السلوك الاجتماعي السوي محل السلوك غير الاجتماعي، والمساعدة في تصريف طاقة الفرد الزائدة وتوجيهها وحسن استثمارها وتحقيق التوازن النفسي للتلاميذ"³

2. المسرح التلقائي:

ويسمى الدراما الخلاقة، إذ يترك التلاميذ يؤلفون ويخرجون ويقلدون الكبار، وفي هذا النوع يعرض المشرف موضوعاً، ويترك للأطفال التعبير عنه.

3. مسرح العرائس:

وهو نوع شائع في المدرسة الابتدائية في مناهج إعداد المعلم، وترى فيه المناهج وسيلة تربوية، وله مساح خاصة، ومسرح العرائس يعتمد في الأساس على العروس أو اللعبة، وتتجسد الحياة في الدمى، فتتحرك وتتكلم، ويجعل منها أبطالاً يجوبون الفضاء الشاسع، ويغوصون في أعماق البحار والمحيطات، وينطلقون إلى حيث لا يصل الآخرون.

4. المسرح التربوي:

وهو فنّ تربوي يلتزم فيه الأسلوب بالغايات، ويرتبط بأصوله المعرفية والإبداعية ويستعيد التراث في نشاط تربوي سواء بالعودة إلى الأدب التعليمي أم الشعبي أم الحكاية الرمزية وحكايات وأغاني ترقص الأطفال⁴.

كما يعدّ المسرح المدرسي دعامة هامة من دعائم التربية والتعليم، لأنه يحقق الأهداف العديدة التي هي من أهداف المناهج التربوية المرسومة ومنها:

1 . يساعد التلميذ في مراحل دراساتهم كلها على النمو الصحيح في اتجاه قومي

حين تتهيأ لهم الظروف والإمكانات المناسبة.

- 2 . يعلّم التلاميذ التمرس بالحياة والانسجام مع المجتمع الذي يعيشون فيه.
- 3 . يدرّب التلميذ على النطق السليم الواضح والأداء المعبر والإلقاء الحسن، وينمّي ثروته اللغوية، ويزيد تعلقه باللغة الفصحى.
- 4 . يمدّ التلميذ بالمعارف والخبرات والمهارات بتوضيحها وتثبيتها عن طريق الحركة والحوار وتقديم العبر
- 5 . يعلّم التلميذ دروساً في التعاون والصبر والمواظبة وإنكار الذات والاعتماد على النفس، ويساعده في التغلب على الخجل، والتخلص من الميل إلى العزلة
- 6 . يساعد على توثيق الصلة بين المدرسة والبيئة، ويقدم حلولاً لكثير من المشكلات الاجتماعية القائمة والانحرافات السلوكية الخطيرة.
- 7 . يساعد على إثارة خيال التلميذ بتدريبه على الملاحظة، ودفعه إلى البحث والتنقيب والاكتشاف مستخدماً العديد من الحواس
- 8 . يذكّي في التلميذ عاطفة حب الجمال والخير⁵.

ومن مزايا المسرح المدرسي أيضاً:

- 1) أنه من العوامل المساعدة في اكتمال شخصية التلميذ ونضجه وتمرسه بفن الحياة الصغيرة والمتمثلة ببعض التمثيليات التي يقوم بأدائها بعض التلاميذ، ويحضرها الباقيون بشوق وشغف.
- 2) أنه يمدّ التلميذ بمعلومات، ويزوّده بخبرات ومهارات كثيرة كالأداء المعبر والنطق الواضح، والإلقاء الجيد وتنويع الصّوت، ورعاية ما يقتضيه المقام من أنواع السلوك.
- 3) وهو كذلك وسيلة تعليمية تساعد على توضيح المعلومات دون شرح أو تفسير وذلك عن طريق تمثيل المعاني وحسن أدائها، فتثبت في أذهان التلاميذ، وتؤثّر في سلوكهم، لأنهم يرونها ماثلة وناطقة ومتحركة أمامهم.
- 4) وعن طريق التمثيليات الأخلاقية يمكن معالجة بعض الانحرافات الأخلاقية والآراء الاجتماعية السلوكية، بإظهارها مضخمة، تهيئة للتلاميذ للاضطلاع بأعباء الحياء المقبلة في كبرهم⁶.

ثم إنَّ المسرح المدرسي الذي هو أشبه ما يكون بمختبر التجارب أو معرض لنشاطات التلاميذ، هو جزء من بقية جوانب المنهج المدرسي، ويهدف إلى تحقيق أغراض تربوية كالكشف عن قدرات التلاميذ وتطويرها، وزرع الثقة بالنفس، وهذه بعض الفوائد التي يقدمها المسرح المدرسي وفق المستويات التالية:

1- المستوى النفسي:

يرى كثير من علماء النفس أنَّ التمثيل من أهم الوسائل المستخدمة لتحقيق الشفاء النفسي، و من الظواهر النفسية التي يمكن معالجتها عن طريق التمثيل: الخجل و الانطواء و عيوب النطق، كما أنَّ معناه لا يرتبط بالترويح عن النفس و التسلية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى ربط الاتصال الفعّال للتعبير عن فكرة أو مفهوم أو شعور ما عن طريق اللغة وحركة الجسم و تعبيرات الوجه و الإشارات و أسلوب الكلام. و ما إثارة المشاكل والاضطرابات و السلوك غير السوي لدى بعض الأطفال إلا نتيجة لعدم الاهتمام بمشكلة التلاميذ و حبس مواهبهم و طاقاتهم و عدم استغلالها عن طريق تفجيرها⁷، فضلا عن أنَّه وسيلة تقوم على الترويح والتسلية، لأنَّ المسرحيات المقدّمة هي وسائل اتصال فعّالة للتعبير عن فكرة أو مفهوم أو شعور معين، وهي تعتمد في ذلك على اللغة وحركة الجسم وتعبيرات الوجه والإشارات وأسلوب الكلام، وكلّ ذلك يجعل منها وسيلة ذات قوّة اجتماعية هائلة فضلا عن أنَّها علاج جمعي ووسيلة للتنقيف والتأثير والتوجيه إلى جانب الترويح والتسلية الهادفة⁸.

ويرى كثير من علماء النفس أنَّ التمثيل من أهم الوسائل التي تستخدم لتحقيق الشفاء النفسي فقيام المرء بتمثيل دور ما في إحدى التمثيليات أو قيامه بمشاهدة تلك التمثيلية يؤديان عادة إلى نقص التوتر النفسي، و تخفيف هذه الانفعالات المكبوتة، و ذلك عندما يندمج الممثل أو المتفرج في جو التمثيلية و يتقمّص دورا معينا فيها.

إذن فهو يعيد التوازن النفسي إليه، ويحقق جاذبيته على مستويات متنوعة هي :

أ- المستوى الجمالي:

ففي المستوى الجمالي يعمل المسرح في ذلك مثل الموسيقى والرسم والرّقص على إشباع احتياجات الإنسان العاطفية وإشباع كل ما هو جميل.

ب- المستوى الذهني:

وفي المستوى الذهني نجد أن النموذج الدرامي يتضمّن التعبير عن نسبة هائلة من أعظم الأفكار التي تفتق عنها عقل الإنسان.

ج- المستوى الاقتصادي:

إنّ عمل التلاميذ لإنتاج العمل المسرحي يرسّخ في نفوسهم شعوراً يدعوهم إلى عدم الإسراف والتبذير كأن يحافظوا مثلاً على الأصباغ والألوان وقطع الخشب وقطع الملابس الزائدة من عملية الطلاء والخياطة ، ولا يبدّروا في استعمالها، وعدم ترك مواد الطلاء والرسم في علب مفتوحة حتى لا تتعرض للتلّف، والاستفادة من قطع الأثاث القديم، وهذا كله يعطي التلاميذ درساً في الاقتصاد والمحافظة على الأشياء التي يمتلكونها واستخدامها في الوقت المناسب.

د- مستوى التعاون واكتساب المهارات:

إنّ العرض المسرحي وتنفيذ متطلباته يفرض على التلاميذ نوعاً من المشاركة في عدة نشاطات وفي مختلف أنواع الفنون والأعمال التي يتطلبها العرض، فالتلاميذ يمكن أن يشاركوا في تشغيل الإضاءة من خلال عملية الربط الكهربائي ومعرفة كيفية عدم الإسراف في الطاقة ونوع الربط الذي قد نحتاجه في البيت، وما عملية وقص قطع القماش لاستخدامها في صنع الديكور إلا عملية لتعلم الاستفادة القصوى مما يتوفر لدينا من خام لعمل الأزياء⁹.

2- المستوى الاجتماعي¹⁰:

يسعى المسرح المدرسي إلى تعويد المتعلمين على كيفية الاندماج في الجماعة و ربط حياتهم اليومية مع الوسط المدرسي وذلك عن طريق الاهتمام بقضايا المجتمع و بالاحتفال بالذكريات و الأعياد و غرس القيم المجتمعية السامية كتنمية روح التعاون و المشاركة واكتساب مهارات مختلفة.

كما يعدّ خطاباً تربوياً يعلم التلاميذ اكتشاف الذات و من خلالها تتم عملية اكتشاف العالم، من هنا تبدو أهمية الأنشطة المسرحية التي عكف خبراء التربية و التعليم على دراستها، و يعبر "سليد" عن أهمية المسرح المدرسي في جملة واحدة مختصرة حين يقول: " إنه - أي المسرح المدرسي - يساهم في إيجاد فرد سعيد و متوازن".

و هكذا فالمسرح المدرسي قناة من القنوات التربوية المهمة في مجال تكوين و بلورة شخصية الطفل نفسيا و اجتماعيا ووجدانيا، علاوة على ما يحققه من إشباع لرغباته في اللعب و التقليد و المحاكاة و التعبير و صقل الموهبة.

وقد يرتبط معنى التمثيل في أذهان البعض على أنه وسيلة تقتصر على الترويح التسلية و هذا الفهم قاصر بطبيعة الحال لأنّ التمثيليات هي وسائل اتصال فعالة للتعبير عن فكرة أو مفهوم أو شعور معين و هي تعتمد في ذلك على اللغة و حركات الجسم وتعبيرات الوجه و الإشارات و أسلوب الكلام، و كلّ ذلك يجعل منها وسيلة ذات قوة اجتماعية هائلة للتثقيف و التأثير و التوجيه إلى جانب الترويح و التسلية الهادفة.

و الملاحظ أنّ عدم الاهتمام بمشكلات التلاميذ التي تحصل في بعض المدارس سببها إهمال الجانب النفسي في حياتهم والتي تتعلق بعدم توافر الأنشطة الموازية و غير ذلك مما يضطر التلاميذ إلى التعبير عمّا في أنفسهم من طاقات و مواهب و قدرات بطرق غير صحيحة فيثيرون المشاكل و الاضطراب و كل ما يمت بصلة إلى السلوك غير السوي. ولأنّ الموهبة عندما تحبس بداخل الطفل فإنها تشكل خطرا عليه و تهدد كيانه النفسي وتفقدته انترانه الوجداني فهو يحسّ بضغط داخلي شديد على نفسه كما يحسّ بأنّ الطاقة العقلية غير المستغلة و غير المستثمرة تجعله في موضع المظلوم المحروم من الوضع اللائق به في المجتمع.

و إذا كان المسرح يحتوي على مجموعة من التعبيرات المختلفة كالحكاية و الحركة والتشخيص... فإنّ الطفل من خلال ذلك يكتشف عالما جديدا فينجذب بشخصيات الحكاية ويتماها بها و يتفاعل معها بجوارحه و أحاسيسه فيتألم لتألمها و يفرح لفرحها كما تشدّه الأجواء الجمالية المتمثلة بالديكور و الملابس و ما فيها من رسوم و أشكال و ألوان و خطوط، و يطرب لسماع الموسيقى و تتاغمها مع العناصر الفنية الأخرى من حركة و تمثيل و أحداث و حوارات.

و استنادا لعلم التربية يمكن للمسرح المدرسي أن يكون قوة دفع كبير للوصول لنتائج بعيدة المدى حيث إنّ عملية التعليم تتحسنّ و تصبح أكثر متعة و إثارة بوجود دوافع، فإذا كان الدافع هو موقف مسلّ و ممتع، فستكون الفوائد كبيرة جدا.

The school theater and its role in building students' personality

Abstract:

The school theater is an art of educational arts that combines pleasure and education. The student plays a role or watches a play. He thus benefits in communicating important values, attitudes and subjects, and is also of great importance for his role in formation, training and capacity explosion. Creativity and behavior, it helps to refine the values and methods necessary to continue education and enrich the student's ability to express what is inside and influence and guide others, and the development of artistic taste and aesthetic sense, and helps to simplify knowledge and information and facts, And light through the information theater.

And the school theater is one of the educational and educational means that contribute to the development of the student mental, intellectual, social, psychological, scientific, linguistic and physical development, which is a dramatic art directed to the students carries a system of educational values, ethical, educational and psychological in a vibrant way through animated characters on the stage, A task of the student's education and development of personality, and develops meditation and conclusion and absorption of kinetic energy and exploitation of activity, in addition to the development of social spirit in the pupils.

The goal of this type of theater is to develop the student's culture in terms of a number of important issues relating to his personality, develop his ability to express, raise the level of his artistic taste queen, and teach him the art of acting, and the school as we know is the active institution responsible for raising him after the family, Which has the responsibility to give students the opportunity to practice their imaginative experiences and innovative games that are the basis for a happy natural life with expertise and technical sensitivity.

The advantages of the school theater:

- 1) It is a factor in the completion of the personality of the student and maturity and practiced by the art of small life and represented by some plays performed by some students, and attend the rest eagerly and passionately.*
- 2) It provides the student with information, and provides him with many skills and skills such as express performance, clear pronunciation, good speech and sound diversification, and take care of the required behavior.*
- 3) It is also an educational tool to help clarify the information without explanation or explanation, by means of the representation of meanings and good performance, Vtstas in the minds of students, and affect their behavior, because they see it is ready and responsive and moving in front of them.*

key words

Theater - School - Personal - the pupils

الإحالات:

- 1 - حسن مرعي : المسرح المدرسي، دار مكتبة الهلال بيروت، ص13، نقلا عن أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل مقال ضمن مجلة جامعة دمشق -المجلد 27 -العدد الأول + الثاني-2011، ص 115.
- 2 - جعفر، عبد الرازق، 1985 ،موقف الطفل إزاء الثقافة، منشورات منظمة طلائع البعث.، ص 67، نقلا عن: أحمد علي كنعان: أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، مقال ضمن مجلة جامعة دمشق -المجلد 27 -العدد الأول + الثاني-2011، ص 112.
- 3 - إياد كاظم طه السلامي: أنماط الشخصيات في نصوص المسرح المدرسي: مقال ضمن جامعة بابل /كلية الفنون الجميلة.
- 4 - أحمد علي كنعان: أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، ص111، 112.
- 5 - المرجع نفسه ، ص 112،113
- 6 - فهمي توفيق مقبل ،النشاط المدرسي، دار المسيرة. دمشق، ص 149،150، المرجع نفسه، ص 115، 116.
- 7 - ينظر: المرجع نفسه، ص 115.
- 8 - إياد كاظم طه السلامي: أنماط الشخصيات في نصوص المسرح المدرسي، بدون ترقيم.
- 9 - أحمد علي كنعان: أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، ص 115، 116.
- 10 - من موقع الويب: <http://www.oujdacity.net/national-article->

قائمة البيلوغرافيا:

- 1- أحمد علي كنعان: أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، مقال ضمن مجلة جامعة دمشق -المجلد 27 -العدد الأول + الثاني-2011.
- 2- إياد كاظم طه السلامي: أنماط الشخصيات في نصوص المسرح المدرسي: مقال ضمن جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة، بدون ترقيم.
- 3- جعفر عبد الرازق، ،موقف الطفل إزاء الثقافة، منشورات منظمة طلائع البعث،1985.
- 4- حسن مرعي : المسرح المدرسي، دار مكتبة الهلال بيروت، نقلا عن أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل مقال ضمن مجلة جامعة دمشق -المجلد 27 -العدد الأول + الثاني-2011.
- 5- فهمي توفيق مقبل: النشاط المدرسي، دار المسيرة. دمشق،
- 6- موقع الويب: <http://www.oujdacity.net/national-article->

البيان القرآني والإعجاز الرباني دراسة في كتاب "لمسات بيانية" لصالح فاضل السامرائي

أ . فاتح مرزوق

جامعة . مولود معمرّي تيزي وزو

ملخص البحث:

مما لا يخفى على خاف أنّ لغة القرآن الكريم لغة أعجزت العرب الأوائل؛ والفصحاء خاصة؛ بل الذين يدعون أنّهم أولوا فصاحة وبيان، وقوة في بلاغة التّبيان، ولكن هذه لغة القرآن أعجزتهم بأسلوبه أبهرتهم، وبطريقة نظمه دوّختهم، وابتقان بيانه حيرتهم، فما استطاعوا له إتيانا، وما حقّقوا لسبيله بيانا، ولكن كان لهم عظة وبرهان. فشغلوا بدراسته والتعمق في اكتشاف سرّائه قديما وحديثا.

وممن برع في كشف سرّائر القرآن وأفنائه، ودقة معانيه وألفاظه، وسدل لثام غرائبه من حيث تركيبه وإعراجه الباحث (صالح فاضل السامرائي) صاحب المؤلّفات الجليلة، واللّمسات الجميلة من خلال كتابه: (لمسات بيانية من نصوص التّنزيل) هذا الكتاب الذي حوى الجماليات الإعجازية للغة القرآن الكريم من بناء التركيبيّة والدلاليّة والصرفيّة.

الكلمات المفاتيح: الإعجاز، التّركيب، البنية الدلاليّة، التّعبير القرآني.

Research Summary:

This is the language of the Quran, which I did not understand in a way that impressed them, and in a way that was organized by their dizziness, and by the mastery of their statement they were puzzled, so what is the language of the Quran? They were able to give him a gift, and they achieved a statement, but they had a sermon and proof. They occupied his study and deepened the discovery of old and modern history.

(Salih Fadhil al-Samarrai) the author of the great works, and the beautiful touches through his book: (Drawings from the texts of download) This book, which contains the miraculous aesthetics of the language of the Koran The cream of building synthetics, semantic and morphological.

Key words: *Miraculous, structure, semantic structure, Quranic expression*

مقدمة:

لقد فضل الله اللغة العربية على سائر اللغات، فنزل بها القرآن الكريم أعظم جليس؛ و خير أنيس فحار العرب في نظم وقوة بيانه، وعجيب أسلوبه وتركيبه ما من كلمة أو جملة إلا وقد أخذت موضعه وأنزلت منزلتها، فكانت نوراً في صدره، وقبسا في محتواه، فلا يوجد شيء ألدّ من تلاوات ولا أرجح من فصاحته ولا أفصح من بلاغته، ولا أحسن من نظمه، وكون هذه الكتاب أبهر العرب وقد كانوا أنا ذاك قد بلغوا من الفصاحة ما بلغوا فأبانوا عن مكنوناتهم. فشمّر كلّ حبر من أحبار العلم بما أوتي من علم فهذا في التفسير وهذا في الفقه وهذا في الأصول، وذاك في معجزة القرآن الكريم بلفظه ومعناه ومن الذين برزوا في هذا الباقلاني والزّمانى والجاحظ وغيرهم كثير.

أمّا من الذين برزوا في خدمة البيان القرآنيّ والإعجاز الرّبانيّ في العصر الحديث الباحث العلامة والحبر الفهامة (صالح فاضل السّامرائي) هذا الرّجل الذي أدرك قيمة اللّغة؛ فأبان بها المعاني القرآنيّة؛ حيث سئل قيل له: أنى لك هذا؟ فقال: أخذته من كتب الأولين الكشاف وسيبويه والمقتضب والكافية وغيرها، وهذا لا غرو فيه؛ فإنّ الذي يتدارس كتابه "لمسات بيانية في نصوص التّنزيل" سيدرك هذا لا محالة كتاب جمع فيه الأوجه البيانية والإعجازيّة في القرآن الكريم بطريقة تشبه الأوائل في طرح الأفكار.

من هذا المنطلق نروم الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما المقصود بالبيان القرآنيّ؟ وما المنهج

الذي اعتمده السّامرائي في بيان سرائر الإعجاز القرآنيّ؟

1. مفهوم البيان القرآنيّ: قبل أن نعرض لتعريف البيان القرآني كمركب إضافيّ حبذا لو نبين مفهوم البيان في اللّغة والاصطلاح؛ حتّى يكون التّعريف أشمل وأدقّ.

1.1. البيان لغةً: ورد تعريف البيان في المنجد بقوله: "هو مصدر الفعل بان، وقيل مصدر بيّن، يقال: بان، بيانا تبيانا؛ أي: اتّضح وظهر، ويقال: بان الأمر، بيّن فهو بيّن وأبان إبانة وبيّن وتبيّن واستبان كلّها بمعنى الوضوح والانكشاف"¹.

أمّا في معجم لسان العرب لابن منظور؛ فقد ورد بمعنى الفصاحة واللسان؛ كون الفصاحة والتي هي الخلوص من التّعقيد كما هو معروف في عُرْف البلاغيين؛ يقول ابن منظور: "البيان: الفصاحة واللسان، وكلام بيّن؛ أي: فصيح، والبيان الإفصاح مع الذكاء، والبيّن من الرّجال: السّمح اللّسان، يقال: فلان أبيض من فلان؛ أي: أفصح منه لسانا وأوضح كلاماً"². يتبيّن من قول ابن منظور أنّ البيان ما أبان

عن شيء مكنون بوضوح دون خلط في الكلام ولا خبال في التركيب ولا تعقيد في النظم؛ أي: أنّ المتكلم يبين عن فائدته الإخبارية بمعان واضحة جليّة.

1.2. البيان اصطلاحاً: ورد تعريف البيان في كتاب التعريفات للجرجانيّ على أنّه: "عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع"³ إذاً البيان ما يفصح به المتكلم عند التكلّم مع مراعاة الظروف وحال السامع؛ أي: مخاطبته بما يفهم؛ ولكأنّ بنا في مفهوم البلاغة؛ لأنّ من البلاغة مخاطبة السامع بما يعقل لا بما لا يعقل.

كما عرّفه الرّمانيّ ب: الإحضار لما يظهر منه تميّز الشيء من غيره في الإدراك. والظاهر هنا أنّ (علي بن عيسى الرّماني) قد رأى للبيان على أنّه إدراك بما يقوله المتكلم وهو يمارس عملية التّخاطب مع السامع؛ بحيث يمتاز حديثه مع الآخرين بكلام معيّن؛ وهذا يدلّنا على قاعدة: لكلّ مقال مقام، حاور بما يعرف المحاور. وإلا عدّ الكلام من باب الحذقة والتشديق والتمطّق، وليس من البيان في شيء.

ويعرّفه الجاحظ: "البيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير؛ حتّى يفضي السامع إلى حقيقته، كأننا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى؛ فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"⁴.

ونلاحظ أنّ (الجاحظ) بسط دلالة علم البيان، وأبان عن الدلالات التي يحملها هذا العلم وبخاصة أنّ هذا البيان يقدم على عنصرين أساسيين: الفهم والإفهام؛ فإن فهمت القائل ما يقول كان بإمكانه إفهام السامع، وتوضيح المراد من كلامه، فالقائل إذا لم يصل إلى إفهام السامع وإقناعه، فلا ريب أنّه لم يصل إلى حدّ البيان في نظر (الجاحظ) شريطة أن تتوفّر فيه الدلالة الواضحة، فإن كان مغلقاً أو غامضاً فوجه البيان مردود؛ لأنّه ليس مقصود.

والأمر ذاته نلاحظه عند (الخطيب القزويني) حيث يعرف علم البيان على أنّه: "العلم الذي يُعرّف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"⁵.

والظاهر أنّ علم البيان يرد بعد علم المعاني؛ لأنّه يقوم بترتيب طبقات علم المعاني؛ لأنّ البيان إذا أهمل منه التّركيب الدقيق؛ فلا فائدة ترتجى منه، وقد أشار (الجرجاني) إلى تقدّم علم المعاني علم البيان في كتابه (أسرار البلاغة) قائلاً: "ومن الجليّ أنّ التّباین في هذه الفضيلة والتّباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة ليس بمجرد اللفظ كيف؟ والألفاظ لا تقيد؛ حتّى نؤلف ضرباً خاصاً من التّأليف، ويعمد بها إلى

وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق، وأبطلت ضده ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المفرد وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد وبنسقه المخصوص أبان المراد⁶.

ويتبين من قول (الجرجاني) أنّ علم المعاني هو بداءة سلم البيان؛ فالمتكلم إنّما يكون كلامه مفيدا وكذا دلالة إذا تمكن من التركيب وطرقه، فحينما يستوي على سوق صور التراكيب وأقام ترتيبها أمكن حينئذٍ إفهام سامعه وإقناعه. ولو كان العكس؛ لساء ترتيبه ونظامه، وخرج إلى مجال الهديان، وليس هذا من البيان في شيء.

وما يمكن استخلاصه في هذا التقديم اليسير لعلم البيان، وأفضليته نقول: إنّ علم البيان تبدأ دلالاته عند تراتب التركيب؛ حيث إنّ المعنى ينجلي، وينكشف به علم البيان، وينكشف عندما تفهم معانيه، وترتجى دواعيه. من هذا كلّ تنوعت طرق التعبير المراد في علم البيان بين الحقيقة والمجاز والاستعارة والتشبيه، ولكلّ طريقة من هذه الطرق أسرار تعتروها.

ومحصلة ما سبق أنّ البيان القرآنيّ: هو تلك السرائر التركيبية والجماليات الأسلوبية البيانية الواضحة والجلية المنكشفة لكلّ من تبحر فيها وأمعن فيها النظر.

2. مفهوم الإعجاز القرآنيّ/ الرّبانيّ: كلما ذكرنا كلمة الإعجاز يتبادر إلى أذهاننا الإعجاز القرآنيّ، وبخاصّة الإعجاز اللّغويّ والبيانيّ في القرآن الكريم؛ لأنّه البادرة الأولى التي أعجزت العرب في الإتيان بمثله، فحاروا في نظمه وطريقة أسلوبه ورصانة لفظه؛ لذا كان علينا لزاما أن نبيّن مفهوم الإعجاز القرآنيّ؛ لأنّه الحجّة الدامغة لبيان عجز العرب بأن يأتوا بمثله فما استطاعوا له ذلك.

1.2. لغة: مصدر الفعل الرباعي. تقول: أعجز، يُعجز، إعجازا؛ والجذر الثلاثي للكلمة هو "عجز" تقول: عجز، يعجز، عجزاً فهو عاجز.

ومن اللّطيف في هذه الكلمة أنّ عين الكلمة "الجيم" في الماضي تُقرأ مثلثة، بالفتح والكسر والضّم وفي كلّ حركة لها معنى؛ بالفتح: تقول: عجز، يعجز، عجزا والمعنى: ضعف عن الشيء، ولم يقدر عليه. وبالكسر عجز يعجز عجزا والمعنى: عظمت عجزته وبالضّم تقول: عجز يعجز عجزا والمعنى صار عجزا ضعيفا عاجزا⁷. إذا الإعجاز هو الضّعف عن الإتيان بالشيء.

2.2. اصطلاحاً: إثبات العجز وإيقاع الشّخص في العجز، أو إظهار كون الشّخص عاجزاً عن فعل الشّيء والعجز اسم للقصور عن فعل الشّيء، وهو ضدّ القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز⁸.

والمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهره الله سبحانه وتعالى على يد مدّعي النبوة؛ تأييداً لرسالته وتقريراً لنبوته مع اقترانه بالتحدي وسلامته من المعارضة.

إذاً فالإعجاز القرآني حقيقة الحقائق ولبّ لبابها؛ فقد أودعه الله - سبحانه وتعالى - في كلمات نُظمت نظم الدّر المكنون، فكانت قلائد من البيان الرّياني العربيّ، فإذا عجزوا عن ذلك كانت هذه المعجزة برهاناً ساطعاً، وحجّة قاطعة على صدق هذا النّبّي في كلّ ما يبلغ عن همّ ربه.

والإعجاز لا يتحقّق إلا توافرت له أمور ثلاثة:

• التّحدي أي: طلب المباراة والمعارضة؛

• أن يكون الدّافع إلى ردّ التّحدي قائماً؛

• أن يكون المانع منتفياً.

ولعلّ الملحوظ أنّ القرآن لم يهادنهم في أمر التّحدي، وإنّما بدأ معهم بمنهج:

أولاً: خفف عنهم فطلب منهم أن يأتوا بسور من مثله، سورة غير مقيدة طويلة أو قصيرة أو

متوسطة

ثانياً: فلمّا عجزوا فلم يأتوا بحديث مثله، ولا بعشر سور ولا بسورة واحدة، سجّل عليهم هذا العجز في قوله ((قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)) الإسراء: [الآية ٨٨].

لذا فقد أتاهم القرآن من أيسر الطّرق، ومن أشهر فنّ برعوا فيه في زمانهم وأعطاهم الفرصة الكافية؛ بل ترك لهم الباب مفتوحاً إلا أنّهم عجزوا جميعاً أمام ما جاء به من آيات بيّنات ومعجزات واضحات وبراهين ساطعات، فكلّ ثلاث آيات منه حجّة قاطعة تتحدّى العالم بما فيه من أسرار البيان التّعبيريّ وأنباء الغيب وشواهد الحقّ؛ فالقرآن فرض معجمه وألفاظه على كلّ الألسنة العربيّة.

3. الإعجاز القرآني عند (صالح فاضل السامرائي): يرى العلامة والحبر الفهامة السامرائي أنّ

الإعجاز القرآنيّ، متعدّد للتّواحي، ولا يقتصر على جانب واحد، فهو مختصّ بعالم اللّغة والتّاريخ والطّب والفلك، فعجائبه لا تتقطع أبداً؛ حيث يقول في مقدّمة كتابه: (لمسات بيانية): "إنّ إعجاز القرآن أمر

متعدّد النواحي متشعب الاتجاهات ومن المعتذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآنيّ شخص واحد ولا حتّى جماعة في زمن ما مهما كانت سعة علمهم وإطلاعهم وتعدّد اختصاصهم إنّما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعدّدة حتّى زمانهم هم، ويبقى القرآن مفتوحاً للنظر، لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد، وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال⁹. يتبيّن من قول الفاضل السامرائي أنّ الإعجاز القرآنيّ لا يقتصر على الجانب اللغويّ فحسب؛ بل تعتروه جوانب آخر علميّة وتشريعيّة وهلمّ جرى؛ وقد بيّن هذا عندما أمعن النظر في القرآن الكريم، وما أثبتته الدّراسات الحديثة والبحوث المعمّقة بحسب الاتجاهات:

1.3. الإعجاز التشريعي: فإنّي سمعت وقرأت لأشخاص مختصّين بالتّشريع والقانون، يبيّنون إعجاز التّشريع القرآنيّ، ويبيّنون اختيار الألفاظ التّشريعيّة في القرآن ودقّتها في الدّلالة على دقّة التّشريع ورفعته ما لا يصحّ استبدال غيرها بها، وإنّ اختيار هذه الألفاظ في بابها أدقّ وأعلى ممّا نبيّن نحن من اختيارات لغويّة وفنيّة وجماليّة.

2.3. الإعجاز التّشريحّي والطّبي: وإنّي سمعت وقرأت لأشخاص مختصّين بالتّشريح والطّب في بيان شيء من أسرار التّعبير القرآنيّ من النّاحية الطّبيّة التّشريحيّة ودقّتها يفوق ما نذكره في علم البلاغ؛ فألفاظه مختارة في منتهى الدقّة العلميّة. من ذلك على سبيل المثال أنّ ما ذكره القرآن من مراحل تطوّر الجنين في الرّحم هي التي انتهى إليها العلم ممّا لم يكن معروفاً قبل هذا العصر؛ ممّا دعا علماء أجناب يعلنون إسلامهم، وليس ذلك فقط؛ بل إنّ اختيار تعبير (العلقّة) و(المضغة) مثلاً أعجب اختيار علميّ.

3.3. الإعجاز التّاريخي: وقرأت فيما توصّل إليه علم التّاريخ، وما دلّت عليه الحفريات الحديثة من أخبار ذي القرنين أدقّ الكلام وأدقّ الأخبار ما لم يكن يعرفه جميع مفسّري القرآن فيما مضى من الزّمان. وأنّ الذي اكتشفه المؤرّخون والآثاريّون وما توصّلوا إليه في هذا القرن منطبق على ما جاء في القرآن الكريم كلمة كلمة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا القرن البتّة.

ومن الكلمات التي كان لها الإعجاز التّاريخيّ كلمة (الملك) و(العزير)، يقول فيها صالح السامرائي: "عرفت أنّ هذه ترجمات دقيقة لما كان يستعمل في تلك الأزمان السّحيقة فالعزير أدقّ ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه، وأنّ المصريّين القدامى كانوا يفرّقون بين الملوك الذين يحكمونهم فيها إذا كانوا مصريّين أو غير مصريّين؛ فالملك غير المصريّ الأصل. كانوا يسمّونه: (الملك)، والمصريّ الأصل يسمّونه (فرعون). وأنّ الذي كان يحكم في مصر في زمن يوسف غير مصري¹⁰. هذا هو

الإعجاز الرباني في التعبير القرآني، فيه إبانة ووضوح وبيان على حسب مقتضيات الحال والسياقات المختلفة.

4.3. الإعجاز في العلوم المختلفة: وبيّن السامرائي أنّ الإعجاز لا يتوقف ها هنا فحسب؛ بل يتعداه إلى أكثر من ذلك؛ حيث يقول: "وعرفت من الإشارات الإعجازية في مختلف العلوم كما في أسرار البحار والضغط الجويّ وتوسّع الكون وبداية الخلق ما دعا كثيرا من الشخصيات العلميّة غلى الإعلان عن إسلامهم.

ويرجع (السامرائي) هذه الاختلافات الإعجازية إلى طريقة التعبير القرآني في جوانب مختلفة؛ إذ إنّ هذه الأنواع من الإعجاز قد تشترك في تعبير واحد؛ إذ يقول: "إنّ التعبير الواحد قد ترى فيه إعجازا لغويًا جماليًا، وترى فيه في الوقت نفسه إعجازا علميًا، أو إعجازا تاريخيًا، أو إعجازا نفسيًا أو إعجازا تربويًا، أو إعجازا تشريعيًا أو غير ذلك"¹¹.

4. منهج السامرائي في تبيان الإعجاز القرآني: إنّ المتمعّن في كتاب (المسات بيانية من نصوص التنزيل) للسامرائي يلحظ أنّه يعتمد على منهج دقيق سلك فيه درب الأولين في كشف سرائر التعبير القرآني؛ حيث اعتمد على استخراج الجوانب الجمالية على البنى الدلالية والنحوية والسياقية والتاريخية كذلك؛ لأنّ القرآن منوط بهذه المتعلّقات:

1.4. مراعاة البنية الدلالية: المقصود بالمنهج البنية الدلالية؛ أي: مراعاة الجانب الدلالي لمفردات النصّ القرآني؛ أي: الفروقات الدلالية كاستعمال مفردة (الحمد) بدل (الشكر)، وهذا ما افتتح به كتابه من خلال سورة الفاتحة في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة: ٢] إنّ المتمعّن لهذه الآية يلحظ أنّها افتتحت بلفظة (الحمد) وليس الشكر، هل الدلالة نفسها أم أنّ ثمة اختلافًا بين اللفظتين؟ الفرق أنّ الحمد هو الثناء الجميل، ويرى السامرائي أنّ الحمد لا يكون إلّا للعاقل فحسب. ومن هنا فرق بين الحمد والمدح، فإنّك قد تمدح جمادا، وقد تمدح حيوانا، ولكن لا تحمده يقول السامرائي في بيان هذا الفرق: "فقد تقول كلاما في مدح الديك، وفي مدح البقر، وفي مدح الكلب، وفي مدح الذهب، وفي مدح اللؤلؤ وغير ذلك، ولكن لا تحمده"¹². كما أنّ المدح يكون للحَيّ وغير الحَيّ واستدلّ بقول الفخر الرازي حيث يقول: "جاء في تفسير الفخر الرازي أنّ المدح قد يحصل للحَيّ وغير الحَيّ، ألا ترى من رأى لؤلؤة في غاية الحسن أو ياقوتة في غاية الحسن؛ فإنّه قد يمدحها ويستحيل أن يحمدها فثبت أنّ المدح أعمّ من الحمد"¹³.

إذاً الجليّ من قول الفخر الرّازي أنّ الفروقات ترجع للدلالات المختلفة التي تشحن بها الكلمة من معنى أضف إلى أنّ العقل يدخل في تفسير تلك المعاني؛ بدليل ما صرّح به بأنه يستحيل حمد ياقوته؛ لأنّها غير عاقلة كما مرّ معنا البيان.

ثمّ نجد من بعد ذلك أنّ السامرائي يكشف الفرق الحاصل بين الشّكر والحمد بقوله: "فأنت تشكر الشّخص إذا أوصل إليك نعمة، وأمّا الحمد فإنّه يختصّ بذلك، فإنّك تحمده على إنعامه لك أو لغيرك.

كما ربط السامرائي الفرق الدلاليّ من حيث حدوث الزّمن بقوله: "ومنها أنّ قولك (أحمد الله)، أو (نحمد الله) مرتبط بزمن معيّن؛ لأنّ الفعل له دلالة زمنيّة معيّنة، فالفعل المضارع يدلّ على الحال والاستقبال، ومعنى ذلك أنّ الحمد لا يحدث في غير هذا الزّمن الذي تحمده فيه، ولا شك أنّ الزّمن الذي يستطيع الشّخص أو الأشخاص الحمد فيه محدود وهكذا كلّ فعل يقوم به الشّخص محدود الزّمن؛ فإنّ أقصى ما يستطيع أن يفعله، أن يكون مرتبطاً بعمره، ولا يكون قبل ذاك أو بعده... في حين أنّ عبارة تَحْمَدُ مطلقاً غير مقيدة بزمن، ولا بفاعل معيّن، فالحمد فيها مستمرّ غير منقطع.

والمنهج نفسه في السّورة التي عرضها بعد هذه السّورة.

2.4. مراعاة البنية النحويّة: أفصد بالنية النحويّة النّسق والتناسق التّركيبيّ الذي يعثرو التّرتاب

الجمليّ، سواء تعلّق الأمر بالتّركيب ككلّ أم الحركات الإعرابيّة؛ لأنّنا نعلم أنّ الحركات الإعرابيّة لها وظائف؛ إذ بها تتّضح المعاني. وهذا ما ركّز عليه السامرائي في بيانه لبلاغة التّعبير القرآنيّ، وقد ضرب لنا السامرائي مثلاً في سور الفاتحة معتمداً في ذلك على تفسير المعريين البيانيين اللّغويين؛ حيث يرى أنّ قوله تعالى: (الْحَمْدُ) أن تقرأ بالنصب وبالرّفعة؛ حيث يقول: "إنّ عبارة الحمد هذه يمكن أن تقال بالرّفعة أي: (الحمدُ لله) ويمكن أن تقال بالنّصب أي: (الحمد لله) فأيّ العبارتين أولى الاختيار. فأجاب على هذا التّسأل بقوله: "أنّ قراءة الرّفعة من قراءة النّصب؛ ذلك أنّ قراءة الرّفعة تدلّ على أنّ الجملة اسميّة، في حين قراءة النّصب تدلّ على الجملة فعليّة بتقدير: نحمد أو أحمد أو احمداً بالأمر. والجملة الاسميّة أقوى وأثبت من الجملة فعليّة؛ لأنّها دالة على الثّبوت". وقد استدللّ السامرائي بقول الرّمخشري: "والعدل بها عن النّصب إلى الرّفعة على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى الذاريات: (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُّكْرُونَ) ٢٥. رفع السّلام الثاني للدلالة على أنّ إبراهيم عليه السّلام حيّاهم بتحيّة أحسن من تحيّيّتهم؛ لأنّ الرّفعة دالّة على معنى ثبات السّلام لهم. دون تجدّده وثبوتته"¹⁴.

الظاهر البين أنّ السامرائي يعتمد ها هنا على التفسير التحويلي الدلالي؛ أي: دلالة الحركات الإعرابية وموقعها من حيث الرتبة؛ ثم يكمل السامرائي ليستدل على الرأي الذي حدا حذوه بقول أبي حيان الأندلسي في قوله: "وقراءة الرفع أمكن في المعنى، ولهذا أجمع عليها السبعة؛ لأنها تدلّ على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى، فيكون قد أخبر بأنّ الحمد مستقرّ لله تعالى...ومن نصب فلا بدّ له من عامل تقديره: أحمد الله أو حمدت الله فيخصص الحمد بتخصيص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث"¹⁵.

لكن السامرائي أبدى رأياً آخر وهو تقدير: فعل الأمر (احمدوا) فتصبح ها هنا الجملة إنشائية وهذا الأمر الذي ذهب إليه السامرائي قد يكون مفاده الوجوب بالحمد أو قد يكون الإسراع في فعل الحمد؛ حيث يقول السامرائي: "أليس تقدير فعل الأمر في قراءة النصب أقوى من الرفع؛ بمعنى: احمدوا الحمد لله، كما تقول: الإسراع في الأمر، بمعنى: أسرعوا والجواب: لا، فإنّ قراءة الرفع أولى أيضاً، ذلك أنّ الأمر بالشيء لا يعني أنّ المأمور به مستحقّ للفعل؛ فقولك: امدح زيدا، لا يعني أنّ زيدا مستحقّ للمدح، وقولك: اهجُ خالدًا، لا يعني أنّ خالدًا مستحقّ للهجو. وقد يكون المأمور غير مقتنع بذاك بخلاف الرفع؛ فإنه يفيد ثبوت الشيء، واستقراره على جهة الاستحقاق"¹⁶.

ومما عرضه في جمالية البنية التحويلية في سورتي (المؤمنون والزمر)، بدخول حرف اللام (ثمّ إنّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) (المؤمنون: ١٥ - ١٦) أما في وسورة الزمر فيختلف الأمر (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) [الزمر: ٣٠ - ٣١] فالظاهر في سورتي (المؤمنون والزمر) أنّ حرف (اللام) ورد في سورة المؤمنون (لميتون) ولم يرد في سورة الزمر (ميتون) وهذا التعبير لم يرد سبهيلاً. يقول السامرائي على هذا التركيب العجيب: "ذلك أنّ سورة (المؤمنون) تكرر فيها ذكر الموت كثيرا وتعدّدت صوره وأحواله، بخلاف سورة (الزمر) فقد ذكر في سورة (المؤمنون) قوم نوح، وقال: (وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) أي: سيموتون، بالغرق وقال بعدها: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) ثم قال: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) وقال بعدها: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) وقال بعدها (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) وقال بعد ذلك (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) ثم قال بعدها (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ) ثم قال (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ

قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) وقال بعدها (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) في حين لم يرد ذكر الموت في سورة (الزمر) إلا مرتين إحداها التي ذكرنا والأخرى قوله: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)

لقد تردّد ذكر الموت في سورة (المؤمنون) عشر مرات في حين لم يذكر إلا مرتين في سورة (الزمر) فاقترضى ذلك تأكيد الموت في سورة (المؤمنون) أكثر ممّا في سورة (الزمر).

هذا من ناحية أمّا من ناحية أخرى كما يدلّنا السامرائي: "إنّه لما كثر من الكلام على الموت في (المؤمنون) أكثر من تأكيده في الآية فجعله بحرفين، ولما قلّ الكلام عليه في (الزمر) قلّ من حروف التوكيد، فكان كلّ تعبير مناسب لموطنه.

ومن ثمّ فإنّ (لام التوكيد) وردت في موضعها الأصلي الذي لا ينبغي له أن يزيغ عنه والدليل على ذلك أنّها لم ترد في (البعث) وهنا الجمالية في التعبير القرآني وضع اللفظ المقصود في الموضع المنشود.

3.4. مراعاة البنية السياقية: وأقصد بها هنا مراعاة مقتضى الحال والسياق الذي وردت فيه السورة وحتى الآية نفسها؛ لأنّ الجاهل بالسياق الذي وردت فيه السورة أو الآية فلا محالة سوف يخطئ نظم القرآن البياني، وهذا ما ورد في السورة المائدة التي بينها السامرائي في مؤلّفه عندما عرض قوله تعالى: (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [المائدة: ١١٨]. قد أشار السامرائي إلى هذه الآية بأنّها وردت في سياق معيّن؛ فقد سأل سائل: لم ختم الآية؟ بقوله: فَإِنَّكَ أَنْتَ (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وكان المناسب أن يقول: (فإنك أنت الغفور الرحيم)؟

لعلّ هذا السبب الذي جعل القائل يسأل هذا السؤال؛ لكن السامرائي أجاب عن هذا السؤال مراعاة للسياق الذي وردت فيه الآية فيقول: "إنّه لا يصحّ اقتطاع جزء من آية أو جزء من السياق وبناء الحكم عليه؛ بل الذي ينبغي هو أن ينظر في السياق كلّّه، ثم ينظر في ملاءمة الكلام بعضه لبعض، ولو نظر السائل أو المعترض في السياق لما أثار هذا السؤال أصلاً؛ فإنّه لا يصحّ ختم الآية بالمغفرة والرحمة ها هنا؛ لأنّ السياق لا يمكن أن يقتضيها، ولو فعل لكان نظير ما روي من أنّ: بعض الأعراب سمع قارئاً يقرأ: والسارق والسارقة إلى آخرها، وختمها بقوله: (والله غفور رحيم) فقال: هذا كلام فصيح، فقيل له: ليس التلاوة كذلك".¹⁷

ثمّ يكمل السامرائي ليبدّل على أنّ هذه القضايا منوطة بسياقها الخاصّ، وليس بالضرورة أن تختم السورة بالرحمة والمغفرة في أي موطن تذكر فيه المغفرة. فموطن السياق هو الذي يحدّد ذلك. وضرب لنا

مثلا آيات وردت في المغفرة ولكنها لم تختم بالمغفرة؛ لأنّ السياق الذي وردت فيه دالّة على ذلك ومنه: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الممتحنة: ٥ فإنه لم يختم بالمغفرة مع أنّه ورد في طلب المغفرة؛ ذلك لأنّ مدار الطلب في الآية هو أن لا يجعلهم فتنة للذين كفروا، وهو محطّ الاهتمام كما هو واضح في السياق، وذلك يقتضي الختم بالعزة والحكمة، كما هو ظاهر فختم بهما".

أما سبب ورود ذلك في الآية التي بدأ بها السامرائي فقد أرجاها للسياق الوارد فيها حيث يقول: "إنّ الآية وردت في سياق التبرؤ من قول عظيم قالته طائفة من النصارى ونسبته إلى عيسى عليه السلام، حكاها الله تعالى بقوله: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أُنْتُمْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

فنسب إلى عيسى أنّه طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وأظنّ أنّ هذا المقام يمنع عيسى من طلب المغفرة؛ أو ترجيحها لهؤلاء الذين جعلوا الله دون منزلة عيسى وأمه. ولقد ردّ علماؤنا الأوائل على من ظنّ أنّ المناسب ختم الآية بالمغفرة والرحمة بردود منها:

- أنّه لو ختم الآية بالمغفرة والرحمة لضعف المعنى؛ لأنّ هذا ينفرد بالشرط الثاني، ولا يكون له تعلق بالشرط الأوّل، في حين ختمه بالعزة والحكمة متعلّق بالشرطين؛ فإنّ تعذيبه ومغفرته منوطان بعزّته وحكمته. وعليه كما يقول السامرائي: "إنّ اختيار العزيز الحكيم متعلّق بالثواب والعقاب جميعا، وليس بحال واحدة.

- أنّ الآية مبنية على التسليم لله سبحانه، وتفويض الأمر إليه وليس على التعريض بطلب المغفرة. واستدلّ بما ورد في تفسير (ملاك التأويل) بقوله: "أما آية المائدة فمبنية على التسليم لله سبحانه وأنته المالك للكلّ، يفعل فيهم ما شاء، فلو ورد هنا عقب آية المائدة: "وإنّ تغفر لهم فإنّك أنت الغفور الرحيم" لكان تعريضا بطلب المغفرة، ولم يقصد ذلك في الآية، وإنّما هو قيل ذلك على لسان عيسى عليه السلام، تبريّا وتسليما لله سبحانه، وليس موضع مغفرة لهم، وإنّما هو تتصلّ من حالهم؛ لأنّ مخرجه على التسليم"¹⁸. إذا كلّ هذه البيانات الجمالية إنّما هي منوطة بالسياق والمقام؛ فدونها ما كان ليبيّن المعنى وسوف يؤوّل فيها بحسب الهوى.

ويختتم السامرائي هذا البيان بإرجاع الغرض الجمالي لهذا الموضوع في الآية إلى السياق ليس إلا؛ حيث يقول: "إنه الآن في مقام دفع التهمة عن نفسه، وإثبات براءته، فكيف يصح أن يطلب العفو عن هؤلاء الجناة المفترين؟ إنه الآن في موقف يحتاج إلى الشفاعة لا يشفع هو"¹⁹.

خاتمة: تضمّن هذا المقال جانباً أساساً من جوانب إعجازيّة اللّغة القرآن الكريم؛ بل أصلاً من أصول تراكيب اللّغة العربيّة وهو السرّ الجماليّ لهذه اللّغة التي أعجزت فطاحلة اللّغة ونحاريرها، وهو كتاب الباحث الفضل: صالح فاضل السامرائي من خلال كتابه: (لمسات بيانيّة من نصوص التّنزيل) هذا الكتاب الذي أراد الباحث من خلاله كشف سرائر لغة القرآن الكريم؛ منطلقاً من حقيقة وهي أنّ لغة القرآن الكريم لغة تبقى خالدة بإعجازها على مرّ العصور، أضف إلى التّداخل القائم بين أنواع الإعجاز المتداخلة في ما بينها. ومن خلال هذه اللّحة الدّالة والخطفة السّريّة، بصرت إلى النّتائج الآتية:

- لغة القرآن الكريم لغة معجزة لغويّة قبل كلّ شيء؛
- الإعجاز اللّغويّ منطلقاً تراكيب اللّغة، وبخاصّة في التراكيب الدّقيقة؛
- البنى الإعجازيّة عند السامرائي متضافرة في تركيب واحد؛ فالبنية التّركيبية تتضافر مع البنية الصّرفيّة والدّلالية لتحدث أسلوباً بليغاً راقياً تحار العرب فيه؛
- كلما قويّ التّحدي في اللّغة من حيث نظمها وأسلوبها زادت مرتبة الإثبات للمعجز الإتيان به؛
- السامرائي من البحتة الذين يركزون على المؤلّفات القديمة التي تبرز إعجاز القرآن الكريم؛
- كتاب لمسات بيانية كتاب استطاع الباحث أن يقرب فيه ما توصل إليه العلماء القدماء بطريقة يسيرة؛

- السّعي إلى تلخيص جوانب الإعجاز اللّغويّ في القرآن التي وردت عند المشتغلين بإعجاز لغة القرآن مثل الباقلاني والرّماني وغيرهم.
- العمل على الجمع بين ما ورد في كتاب النحو التي تهتم بالمعنى والجانب البلاغيّ، والكتب التي تناول تفسير القرآن الكريم من حيث أسرار اللّغويّة؛
- تيسير معنى الإعجاز من حيث البنى الإعجازيّة التّركيبية والصّرفيّة والدّلالية.

هوامش المصادر والمراجع

- 1- المنجد في اللغة العربية والإعلام، ط28. بيروت: دار المشرق، مادة (بين)، ص48.
- 2- ابن منظور، لسان العرب، د/ط، د/ت، مج13، ص68-69.
- 3- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط1. 1983، بيروت: دار الكتب العلمية، ص47.
- 4 عمرو بن بحر أبو عثمان الملقب بالجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5. القاهرة: 1998، مكتبة الخانجي، ج1، ص76.
- 5 جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، د.ط. بيروت: د.ت، إحياء الكتب الإسلامية ص2.
- 6 عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: مطر جي عرفان، ط1. بيروت، لبنان: 2006، مؤسسة الكتب الإسلامية ص16.
- 7- صلاح عبد الفتاح خالدي، إعجاز البياني ودلائل مصدره الرباني، ط1. عمان: 2000، دار عمار، ص13.
- 8- هاني سعد غنيم، أسرار لغوية و دلالات لفظية من الآيات القرآنية، ط1. القاهرة: 2008، دار الكتب والوثائق القومية، ص30.
- 9- صالح فاضل السامرائي، لسمات بيانية من نصوص التنزيل، ط3. 2003، عمان: دار عمار، ص5-6.
- 10- صالح فاضل السامرائي، المرجع السابق، ص7.
- 11- نفسه، ص8
- 12- صالح فاضل السامرائي، المرجع السابق، ص11.
- 13- نفسه، ص11
- 14- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص39.
- 15- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص117، 119.
- 16- صالح فاضل السامرائي، المرجع السابق، ص17.
- 17- صالح فاضل السامرائي، المرجع السابق، ص74.
- 18- نقلا عن: صالح فاضل السامرائي، المرجع السابق، ص76.
- 19- نفسه، ص79.

حاجية الاستعارة في الفكر العربي من الإرهاصات البلاغية إلى النظرية الفلسفية

أ.البشير عزوزي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريرج

azzouzi@hotmail.fr

الملخص:

للفنون البلاغية أهمية كبرى في الخطابات بمختلف أنواعها؛ لما لها من شديد الأثر على النفوس والعقول، وهذا ما أدركته الدراسات اللغوية الحديثة، خاصة التداولية منها؛ إذ عُدَّت هذه الفنون أدوات حاجية بامتياز.

ولا يناع باحث في أن الاستعارة من أهم الأنواع البلاغية التي استقطبت الباحثين المعاصرين سواء أكانوا تداوليين أم تأويليين أم عرفانيين. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على ما يتمتع به الخطاب الاستعاريّ من كثافة دلالية وقوة تأثيرية. وسنتناول جانبا من جوانب دراسة الاستعارة، ألا وهو طاقاتها الحاجية، مقتصرين على الفكر العربي، لنتقصى إسهام العرب في دراسة الاستعارة في جانبها التداولي الفلسفيّ مؤصّلين لذلك في التراث ثمّ ما أسهم به فلاسفة اللغة العرب المعاصرون، لنثبت في الأخير أن للعرب نظرية خاصة في حاجية الاستعارة لها أصولها وامتداداتها.

Résumé

Art rhétorique d'une grande importance dans les discours de toutes sortes ; En raison de leur impact sévère sur les âmes et les esprits.

C'est ce que j'ai réalisé des études linguistiques modernes, les forêts privées parlementaires ; Comme je suis retourné à ces arts Proactivement outils. Et le chercheur maître incontesté à la métaphore de l'espèce rhétoriques qui a attiré énigmatique si commun Les interprètes ou cognition. Si quoi que ce soit, cela prouve que la rhétorique figurative des relations sémantiques de densité et de résistance à effet. Et nous allons avoir un aspect de l'étude de la métaphore est péri-orbitaire énergies. Une pensée, d'explorer la contribution de l'arabe dans l'étude de la métaphore dans son philosophique délibératif enraciné dans le patrimoine et la contribution des contemporains de philosophes de langue arabe, de prouver qu'une théorie particulière arabes dans dans un texte argumentatif métaphore ont leurs origines et ses extensions.

تعول النظرية الحجاجية على البلاغة وترى فيها طاقات عظيمة، إلى حدّ اعتبارها حجاجاً في حدّ ذاتها أو يمكن القول بأنّ «وراء كلّ حجاج بلاغة، والعكس صحيح، لأنّ مدار ذلك هو الإغراء والاستغواء قصد الإمتاع والإقناع»¹، لذلك حازت الفنون البلاغية بصفة عامّة والصّور بصفة خاصّة أهميّة بالغة في شتى الخطابات، وهذا من خلال تحققاتها الأسلوبية في النصوص الحجاجية على اختلاف أنواعها، وقد استلهمت بعض ملامح حجاجها من بلاغة الشّعْر والخطابة، غير أنّ الحجاج البلاغيّ يتفاوت حسب أنواع النصوص فيكون قصداً في النصوص الشعريّة والخطابية، أمّا عن النصوص الأخرى فيكون عرضياً، وبعبارة أدقّ يتولّد الحجاج في النصوص الشعريّة من بلاغة كثيفة تفرضها الحاجة إلى الخيال الذي يحقّقه التّويع في الصّور².

من هنا اتّضحت أهميّة البلاغة في تحقيق الحجاج في سائر الخطابات الإنسانيّة، سواءً أكانت البلاغة مقصودةً مستغلّة في عمليّة الحجاج، أم كانت عرضيّة تزيد في القوّة الإقناعيّة والتأثيريّة للخطاب، وهذا ما ترجم التوجّه العجيب إلى البلاغة لاستكناه ما فيها من أساليب تأثيريّة وأدوات إقناعيّة، ولقد اشتهرت أساليب بلاغية عديدة تحوي طاقات حجاجية معتبرة، إلى درجة تسميتها بالاستدلال الحجاجي في البلاغة العربيّة، وقد بسطنا القول في هذا النوع من الاستدلال في مقال (الاستدلال البلاغي في ديوان المتنبي - مقارنة حجاجية-) . وأشهر هذا الاستدلال الاستعارة التي هي موضوع بحثنا.

2- حجاجية الاستعارة في البلاغة العربيّة القديمة (عند الجرجاني والسكاكي):

تعدّ البلاغة من العلوم العربيّة العريقة التي ولع بها المفكّرون واللّغويّون والفلاسفة وعلماء الكلام على مرّ أطوار الفكر العربيّ، لذا لا نجد علماً من أعلام التّراث العربيّ إلّا وله اهتمام بالبلاغة لكونها أداة صقل الكلام وحسن التّأليف، فنتج عن هذا إقحام البلاغة في فنون عديدة، حيث إنّ الناظر في البلاغة العربيّة القديمة يرى فيها تلك القفزات السّابقة لأوانها الدّالة على نبوغ الفكر العربيّ القديم، والدليل على هذا كثير من التّلميحَات والإرهاصات التي وجدت في مؤلّفات الأقدمين، والتي أسّست على أكتافها نظريّات حديثة، ومردّد هذا إلى الفكر الموسوعيّ الذي امتاز به العلماء الأوّلون، فنجد البلاغة العربيّة القديمة تضاهي البلاغة الغربيّة الجديدة في أمور كثيرة لا سيما تلك الخاصيّة التّداوليّة التي تربط بين المرسل والمتلقّي والتي تمخّضت عنها الصّبغة الحجاجية لكثير من مفاهيم البلاغة كالتّشبيه وحسن التّعليل والمجاز والكناية والاستعارة، إلّا أنّ الاستعارة تعدّ في المقام الأوّل، فقد توجّه إليها علماء البلاغة والنّقد واللّغة فأشبعوها دراسة وتحليلاً لتتبلور في أذهانهم القوّة الكامنة فيها؛ تلك القوّة التي يستغلّها المرسل بغرض إشراك المتلقّي في الخطاب، ومن ثمّ إلى التّأثير فيه وإقناعه، وأبرز من تبلورت لديهم قضية (حجاجية الاستعارة) عبد القاهر الجرجاني ومن بعده محمّد بن علي السكاكي.

2-1- الادعاء وحاجية الاستعارة عند الجرجاني:

يعدّ عبد القاهر الجرجاني رائد علوم البلاغة العربيّة، ومن خلال فكره تبلورت النظرة الدقيقة لمختلف مفاهيم البلاغة، ومن أبرز هذه المفاهيم مفهوم الاستعارة الذي سنرى كيف ذهب فيه مذهباً سابقاً لأوانه متجاوزاً لعصره، وأبرز دليل على ذلك تأثر سائر الصيحات الداعية إلى تجديد البلاغة بفكر الجرجاني، فهو يعدّ أول من تفتّن إلى الوظيفة الحجاجية للاستعارة، وهذا راجع إلى تأثره بأساليب الحجاج المتعارف عليها، كالردّ على الأقوال والآراء، والادعاء والإثبات والمعارضة والدليل والشاهد والاستدلال وغيرها، وهذا واضح من خلال كتاباته التي يرسلها على شكل قضايا مدعّمة بالدليل والبرهان.

تناول الجرجاني الاستعارة في إطار نظرية النظم التي ملكت عليه لبه، والتي يحتجّ من خلالها على فضل المعنى على اللفظ، ويجعل الاستعارة في المعاني وليس في الألفاظ، أي في إطار نظمها وسياقها، ليتحقّق فيها ما تطويه من سعة التصوير ورحابته.³

اعتبر الجرجاني حجاجية الاستعارة قائمة على مفهوم الادعاء، فالاستعارة ليست حركة في الألفاظ، وإنما هي حركة في المعاني والدلالات، وهي ليست بديعاً، بل هي طريقة من طرق الإثبات الذي يقوم على الادعاء.⁴

وهذا التّصوّر الجديد للاستعارة ظهر معارضاً للتّصور اللفظي البديعي للاستعارة، وكان عبد القاهر الجرجاني من أشدّ المدافعين عن هذا التّصوّر الجديد، فالاستعارة عنده هي «ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان.»⁵ من هنا تعني حجاجية الاستعارة فعاليتها في التأثير على الأذهان والأفهام، وتعني «نوعاً خاصاً من الاستدلال العقلاني ومن الفضائل المعرفية والإدراكية البعيدة عن الإلغاز والتعمية»⁶.

وإذا كان الجرجاني من خلال مفهوم الادعاء يبدو أكثر عقلانية في معالجته للاستعارة، فإنّه في الواقع يقدّم تصوّراً بلاغياً لا يفهم هذه المعالجة إلا بالجمع بين العقلي والنّفسي، فعندما تقول: "رأيت أسداً"، فإنك -على حدّ تعبير الجرجاني- «أفدت بهذه الاستعارة ما لولاها لم يحصل لك، وهو المبالغة في وصف المقصود بالشجاعة، وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وبأسه وشدّته»⁷.

لقد تفتّن الجرجاني إلى أنّ الطرق التي تسلكها الاستعارة لا نهائية ومتشعبة، والتأثيرات التي تملكها غير محصورة، فهي «أمدّ ميداناً، وأشدّ افتتاناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعةً وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم وأسحر سحراً، وأملأ بكلّ ما يملأ صدرًا، ويمتّع عقلاً، ويؤنس نفساً، ويوفر أنساً»⁸.

يمكن أن نستخلص أهم مزايا الاستعارة من خلال هذا القول، فهي: الامتداد، الافتتان، الجريان، الحسن، السعة، العمق، التشعب، التفنن، السحر، الاستحواد على الصدر، إمتاع العقل، مؤانسة النفس، أنها تحيل على الشعري والجمالي، والفكري والعقلي، والنفسي والانفعالي، فهي تجمع بين قطبين حاجيين أساسيين، هما العقل والنفس، فإمتاع العقل ودغدغة الفؤاد أدعى إلى الإقناع.

وإذا كان الجرجاني هو صاحب الفكرة الأصل والتيه يرجع الفضل في النظرية الخاصة بحاجية الاستعارة، فإن من الباحثين من اشتغل بهذه النظرية وطورها حسب ما توفّر من تقدّم في علوم اللغة والفلسفة، فأدى توفّر الآلة ودقّة المنهج إلى الوصول إلى نتائج مذهلة في عالم الاستعارة، ومن أبرز الأمثلة على هذا ما اشتغل به طه عبدالرحمان في كتاباته القاطعة بالحجة والصارمة في اتباع المنهج.

ومن خلال طرحه لحاجية الاستعارة الذي بناه على أصول جرجانية خالصة، يتضح لنا بجلاء ما وصل إليه الجرجاني في هذه القضية، وسنوسّع القول في الفكر (الاستعاري الطاهائي) الذي يعدّ أدقّ ما كتب عن هذه القضية في عصرنا الحاضر، وبخاصة ما أضفاه عليه من صبغة فلسفية دقيقة.

2-2- دور الجامع في تحقيق حاجية الاستعارة عند السكاكي:

يرى السكاكي أنّ الخطاب برمّته يجب أن تتوفّر فيه شروط كثيرة لتتأكد العلاقات بين أجزاءه، وانطلق من تقسيم هذه العلاقات إلى علاقات ظاهرة وغير ظاهرة؛ فتمثّل الظاهرة أساساً في التركيب النحوي والذي يعتبر العطف أبرز وسائله⁹، يضاف إلى هذا اتّحاد معاني الخبر الوارد في الخطاب سواءً في صورته الظاهرة الأوّلية، أو من خلال تأويل الاختلاف الحاصل بينها إلى ما يحقق هذا الوصل والاتّحاد¹⁰، «وهذه الخاصية هي التي تتجلّى فيها قضية الأفعال الكلامية»¹¹، ممّا يظهر أسبقية الفكر العربي في كثير من المفاهيم الحديثة التي انتهى إليها الفكر العربي والغربي على حدّ سواء، أمّا عن العلاقات غير الظاهرة فتمثّل فيما يسميه السكاكي (الجامع) الذي لا سبيل إلى تحقّقه إلّا بإشراك المتلقّي في الخطاب عن طريق إعمال عقله واستفزاز خياله، وأنواع الجامع ثلاثة، فالنوعان الأوّلان يشترك جميع الناس في كيفية فهمهما، وهما:¹²

1- الجامع العقليّ: ويكون عن طريق:

- الاتّحاد في التّصور،

- التّماتل في التّصور؛

- التّضايّف، كالسّبب والمسبّب.

2- الجامع الوهميّ ويكون عن طريق:

- شبه التّماتل بين المخبر عنه؛

- التّضاد: كالسّود والبياض؛

- شبه التّضاد: كالسماء والأرض، والأول والثّاني.

في هذين النوعين يبرز دور المتلقّي غاية البروز، فعليه أن يسعى إلى إدراك هذه العلاقات عن طريق إعمال عقله وتحريك فكره، فإذا ذكر السّبب سعى إلى إيجاد المسبّب، وإذا غابت العلّة وجدها عن طريق التّفكّر في المعلول، وهكذا في التّماتل وشبهه وكذا في التّضاد، فعلى المتلقّي أن يملأ فراغ الخطاب عن طريق إيجاد وجه التّماتل أو شبهه بين الشّيئين أو الأشياء، أمّا في الجمع بين الأضداد فهو أيسر الأمور على المتلقّي لأنّ «الضّد أقرب خطوراً بالبال مع الضّد»¹³.

أمّا عن النوع الثّالث؛ وهو الجامع الخياليّ: فيرى السّكاكي أنّ النّاس يختلفون في إدراكه وتصوّره على اختلاف ثقافتهم وطريق تعلّمهم وأشكال مهّتهم ونوع نشاطهم، فالقمر يراه السّلاحيّ ترساً والصّائغ يصوّره سبيكة من الإبريز والمعلّم يشكّله رغيفاً أحمر يناله من بيت ذي مروءة¹⁴.

يتّضح في هذا النوع من الجامع أنّ المعّتبّر فيه هو نوعيّة المتلقّي، لنصل في الأخير إلى أنّ الجامع بصفة عامّة -ومن منظور السّكاكي- يقوم على المتلقّي بدرجة كبيرة حتّى تتحقّق سلامة العلاقات بين وحدات الخطاب، وكذا الدّلالة العامّة التي تنطوي تحت هذه العلاقات التي ينشئها المرسل ويحقّقها المتلقّي.

من خلال ما سبق نستطيع إجراء هذه العلاقات على الاستعارة التي يقيم المرسل من خلالها علاقة فريدة بين المستعار له والمستعار منه، فيسعى المتلقّي إلى إقامة العلاقة بين المتناقضين وإيجاد الجامع بين المتباعدين، فكم درج الشّعراء على تشبيهه الجواد بالبحر والغيث، والشّجاع بالأسد، والمشرق البيهّي الطّلع بالشمس والبدر، في استعارات متنوّعة لا تدرك معانيها إلّا بتحريك آلة الفهم التي تتدخّل فيها النّقافة المشتركة بين المرسل والمتلقّي لينفكّ لغز الخروج عن العالم الواقعي إلى عالم الخيال الذي صنّعه الاستعارة.

لقد سجّل الشّعراء العربيّ كثيراً من العلاقات الفريدة التي أقامها الشّعراء بصفة خاصّة عن طريق الاستعارة في جمعهم بين المادّي والمعنويّ والحيّ والجماد والعاقل وغير العاقل، فيترك الشّاعر للمتلقّي كميّة الرّبط بين كلّ تلك المتباعدات، فيصبح غريباً في عالم هذا الخطاب، ولا يزيل هذه الغربة إلّا عن طريق فكّ رموز هذه العلاقات الغريبة، ليكون نصّاً جديداً له فيه نصيب من الجهد الفكريّ والعناء العقليّ ليعتبر في النّهاية شريكاً في إنتاج الخطاب، ومن أبرز الأمثلة على هذا ما ساقه السّكاكي في إطار التّمثيل للجامع الوهميّ:

ثلاثة تُشرقُ الدّنيا ببهجّتها شمسُ الضّحى وأبو إسحاقَ والقمرُ

في هذا البيت يجمع الشاعر بين ثلاثة أشياء؛ شيئان متقاربات وشيء شديد البعد عنهما، فالشمس والقمر متقاربان من حيث الخلق والصفات والشكل، إلا أن الإنسان (أبا إسحاق) مختلف عنهما تمام الاختلاف، ورغم ذلك سعى الشاعر إلى إنشاء علاقة بينه وبين ما هو بعيد عنه، ليجعل المتلقي في حيرة من أمره وصعوبة في فهمه، فيلجأ إلى استعراض أوصاف تلك الأشياء ليصل إلى مراد الشاعر، فنرى المتلقي وكأنه يرسم في مخيلته هذا النموذج الذي اقترحه محمد خطابي وتصرفنا فيه حسب ما يقتضيه البحث وترتضيه قواعد الجمع السابقة:15

- الشمس: جماد - مصدر ضوء - تظهر في النهار، وهذه صورة معهودة لدى المتلقي؛
- القمر: جماد - مصدر ضوء - يظهر في الليل، هذه أيضاً صورة معلومة الدلالة لدى المتلقي؛
- أبو إسحاق: حي - إنسان - مصدر ضوء (في نظر الشاعر) - دائم الظهور، هنا يخرق الشاعر أفق المتلقي.

إن العلاقة بين الشمس والقمر معروفة لدى المتلقي، وهي أنهما مصدران للنور والإضاءة منذ الأزل لا يختلف في ذلك الأعمى والبصير، والجاهل والعالم، فكيف لأبي إسحاق أن ينضم إليهما؟ لا شك أن لغة الشعراء من أرقى النماذج وأحسن الأمثلة، لذا لا يمكن أن يخلو البيت من فائدة، وسر هذه الفائدة (في الشطر الأول من البيت، وهو كلمة الإشراق، فلا يتحقق إشراق الدنيا إلا بوجه ضيء وطلعة بهية ومحياً حسن، ليصبح الممدوح مزاحماً للشمس والقمر في نورهما)¹⁶، بل ويفوقهما في ظهورهما وزوالهما، فالشمس لا تظهر إلا في النهار والقمر لا يبدو إلا في الليل، أما أبو إسحاق فهو يضيء في الرمانين على حدّ سواء، وهكذا في سائر الاستعارات.

إذا أتى السكّافي بهذا المثال على الجامع الوهمي فإنّ الجامع الخيالي هو الأنموذج الفريد الذي تتجلى فيه الاستعارة على اختلاف في البيئات وتتوّج في الثقافات، على اعتبار أن الاستعارة هي لبّ العملية التخيلية من لدن أرسطو إلى اليوم.

والحقيقة أننا لم نأخذ السكّافي أنموذجاً لأنه أتى في الاستعارة بما لم يسبق إليه، فهو في غالب حديثه عنها إنما هو مقلد لمن سبقوه، وبخاصّة عبد القاهر الجرجاني الذي انتهج نهجه في جعل مفهوم الاستعارة يقوم على الادّعاء، أي ادّعاء صفة من صفات المستعار منه للمستعار له. ولكن الذي دعانا إلى التماس الصفة الحجاجية للاستعارة لديه هو قضية الجامع، فالسكّافي يشدّد على ضرورة تحديد الجامع بين الأشياء الواردة في الخطاب، وهذا هو الذي يجعلنا نحقق أصلاً هاماً من أصول النظرية الحجاجية المعاصرة، هو الدّعوة التي يوجّهها المرسل للمتلقي داعياً إياه لتعاقد ضمنّي يكمل الخطاب ويحقق الفهم

المقصود من طرفه، ولا يتأتى كل هذا إلا بسعي المتلقي لتحديد الجامع الذي به يستقيم الكلام وينسجم الخطاب ويتحقق التواصل.

3-1- حاجية الاستعارة في الدراسات المعاصرة:

لقد أدى التطور السريع في علوم اللغة إلى تداخل كبير بين اختصاصاتها من جهة، وتداخل بينها وبين علوم أخرى من جهة ثانية، وأدى هذا كله إلى سيل من النظريات ووابلٍ من العلوم، خاصة ما يتعلق ببعض المعارف القديمة التي عادت إليها عقول المتأخرين لتستخرج منها ما تطويه من مواهب و ما تحويه من طاقات، ولعلّ البلاغة من أوفر هذه العلوم حظاً وأعظمها قدراً، حيث عاد الدرس اللغوي عودة لا نظير لها إلى مختلف المفاهيم البلاغية القديمة، مستعملاً في ذلك ما انتهت إليه بعض العلوم والمعارف من نظريات ونتائج، وما العودة المنطقية والتأويلية والتداولية والدلالية والعرفانية إلى البلاغة إلا دليل واضح وبيان صارخ على وعي الفلسفة بقيمة الفنون البلاغية والتي على رأسها الاستعارة، هاته التي صارت بحق نقطة محيرة لدى كثير من الدارسين، وبخاصة عندما اكتشفت طاقاتها الحجاجية، ومكوناتها الإبداعية وأسرارها التأثيرية، وفيما يلي حصر للقول على التحليل الفلسفي المعاصر للاستعارة، باعتبار الفلسفة أصل كل جهد لسانی معاصر.

3- الفلسفة وحجاجية الاستعارة:

الفلسفة والبلاغة بصفة عامة علمان عريقان وقديمان قدم التفكير الإنساني، ولطالما قام التّحاور بينهما، إذ لا مفرّ للبلاغة من الفلسفة، ولا يمكن للفلسفة أن تكون خالصة من كل شكل بلاغي، فلا يمكن للخطاب الفلسفي بحال أن يخلص من التوسّل بالبلاغة. ولقد ظلت الفلسفة في حاجة دائماً إلى دعم بلاغي يشحن قاموسها ويفعل تجاوزيتها والبلاغة هي أصل الفلسفة وغايتها، فهي من أسسها واستكملها¹⁷، وتظهر الحاجة أشدّ الظهور عندما سعى الفلاسفة إلى تجديد الخطاب الفلسفي، «والبحث عن شكل لغوي يضع حداً لهيمنة اللغة الميتافيزيقية، ويزيد من رصيد القاموس المفاهيمي للخطاب الفلسفي الذي يتناسب مع النسق التصوري الباحث عن التجاوز والتجديد والنقد»¹⁸، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تظهر قيمة البلاغة في الخطاب الفلسفي عندما فرق فلاسفة اللغة بين اللغة الصورية/البرهانية واللغة الطبيعية/الاستدلالية، وحددوا خصائص كل منهما؛ فاللغة البرهانية/الصورية تختصّ بكونها:¹⁹

- تستبعد كل إحالة على موضوع الألفاظ والعبارات.
- متواطؤ على ألفاظها وتعابيرها من لدن البرهانيين.
- قطعية؛ وذلك بامتناع التشكيك في النتائج المتوصل إليها.

ومن هنا تظهر اللغة الصورية لغة صارمة دقيقة ومحصورة على طائفة معينة من المتحاورين الذي يتفقون عليها ويسلمون لنتائجها.

وفي المقابل نجد اللغة الطبيعية/الاستدلالية أكثر انفتاحاً وطواعية؛ ذلك أنها:²⁰

- لغة الظاهر والمضمر، والمنطوق والمفهوم. وبالتالي قابلة للتأويل وتعدّد الفهم.
- تستمد قوتها من مستعملها؛ ويتفاوتون في ذلك تفاوتاً كبيراً.
- تتأثر بمختلف السياقات والظروف المحيطة بالحدث الكلامي.

وتستمد اللغة الطبيعية مرونتها وانفتاحها من مكوناتها وظواهرها التي تعدّ من مسلماتها، ونقصد بذلك البنى التحوية التي لا تحصى، وكذا المشترك والمترادف، وفنون البلاغة المختلفة.

وفي خضمّ العودة الكبيرة إلى اللغة الطبيعية واستكناه طاقاتها الفلسفية اصطدم الفلاسفة مع مفهوم بلاغي، يحوي من الطاقات الفلسفية والإمكانات الحجاجية ما يجعله أساساً في كلّ خطاب إنساني، وهذا المفهوم هو الاستعارة، التي لطالما اعتبرت فائضاً لغوياً وزخرفاً لفظياً، «وهي في الحقيقة ضرورة لغوية من صميم منطق اللغة الطبيعية، وفي الخطاب الفلسفي تُكوّن موضعاً حجاجياً، من خلاله يستطيع هذا الخطاب إيجاد معانٍ جديدة وأماكن أخرى يستثمر فيها حواراته، ويطور بها مفاهيمه.»²¹

إن الاستعارة كمجاز وتخيل ليست انحرافاً تصوّرياً وانزياحاً عن مطلب الحقيقة، كما هي مطلوبة بالعقل، بل هي من إنجاز العقل نفسه، وهي في مقابل الحقيقة، فما كان طريقاً في أحدهما من لغة أو عقل فهو في طريق الآخر.²²

لقد وعت الفلسفة أهمية الاستعارة، فهي الوساطة في عقلنة الخيال، «فليست الاستعارة مجرد مجاز يحيل إلى فضاء تخيلي في اللغة، بل هي عملية استبدال وتحويل داخل الوعي نفسه، وأما البيان فسلوك انزياحي للغة من خلال الاستعارة وداخل اللغة نفسها مقصده الفهم والتبيين، فهو بذلك بلاغة لبلوغه مقاصد الإفهام والإبلاغ، ففيه شرح وتفسير وتأويل وفق نموذج الغموض من أجل الوضوح، والالتباس من أجل البيان، واللغز من أجل الحقيقة»²³، من أجل هذا أصبح موقع الاستعارة في الخطاب الفلسفي ضرورياً، وهذا من أجل الفهم، فإذا قمنا باستبدال مضمون الاستعارة فإننا نقع في حالة من سوء الفهم، فالاستعارة إنّما هي تمثيل مركّب من التخيل والتصوير، وكلّما كان التمثيل "حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقرّ وبيانه أبهّر"²⁴، وإذا تقرّر أنّ الاستعارة تمثيل فهي إذاً برهان وسلطان وبيان.

ويمكن تفسير استدلالية الاستعارة بأنّها تقدّم مثلاً على فكرة فترسم لها أفقاً هو طريقٌ إلى الاقتناع و استدخالٌ لعالم ممكن ومحتمل، أمّا تفسير سلطانها فلأنّها تهيمن على أفق الانتظار لدى المخاطب، وهذا

كله يدعم قوة الاستعارة في جعل التجربة منسجمة، وبهذا المعنى يمكن للاستعارات أن تكون نبوءات تضمن تحققها بنفسها.²⁵

ومن خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى ثلاثة مستويات تحقق حاجية الاستعارة؛ وهي:

- الاستدلال الذي يتضمن مثلاً يوضح الفكرة؛
- السلطة التي توجه أفق المخاطب وتحكمه؛
- البيان الذي به يتحقق الإفهام والإبلاغ.

ومن الثابت في العقول أن الفهم الناتج عن لغز الاستعارة أكثر رسوخاً، من الفهم الجاهز الناتج عن اللغة العادية، كما أن من عادة الحقيقة الثوري وراء الغموض والالتباس الذي يعدّ من الخصائص الأساسية للغة، فليس لنا لتحقيق هذا إلا الاستعارة التي تجمع بين الحقيقة المتوارية واللغة الملتبسة.

لا يمكن إنكار أسبقية طه عبد الرحمان في مجال النظرية الحاجية للاستعارة، ويمكن اعتباره النموذج الأمثل للفكر العربي المعاصر، لذا سوف نتخذة عينة من الدراسات العربية المعاصرة.

3-2- الاستعارة والحجاج عند طه عبد الرحمان:

لقد أقرّ طه عبد الرحمان أن الاهتمام بالحجاج قد تجدد بتجدد الدراسات الخطابية، ولم تقتصر الدراسات الحاجية على النظرة الضيقة للحجاج، والتي لطالما اعتبرته لا يجاوز عملية استدلالية وبرهانية، تقوم على حشد الأدلة والبراهين على قضية معينة، في حين أنّ الحجاج لا يقوم على مجرد العلاقة الاستدلالية بين جانبيين اثنين، وإنما يتعداه إلى انطوائه على قدر من الالتباس في الوظيفة²⁶، هذا الالتباس الذي عدّه «من مسلمات الخطاب الطبيعي»²⁷، كما أكد أنه «مطلوب في الحجاج»²⁸.

بني الفكر الاستعاري الطاهائي على أسس جرجانية خالصة، إلا أنّ صاحبه طوره وألقى بثقل معارفه عليه، فجاء نهاية لكثير من الدراسات الفلسفية حول الاستعارة، وأول ما ركّز عليه طه عبد الرحمان في حديثه عن المجاز تمّ الاستعارة خاصية الالتباس، لأنّ خاصية الالتباس في الخطاب الطبيعي، إنّما تتجلى في المجاز الجامع بين معنيين متقابلين هما: العبارة والإشارة، فالمعنى الأول حقيقي، والمعنى الثاني قيمي أو مجازي وهذا الجمع هو عين الالتباس المطلوب في الحجاج، ومن هنا يظهر أنّ المجاز هو الأصل في الحجاج²⁹.

ويعتبر طه عبد الرحمان أنّ نموذج «العلاقة المجازية هو العلاقة الاستعارية، فالاستعارة هي أهم علاقات المجاز، فهي إذن أدلّ ضرورية على ماهية الحجاج»³⁰، ومن خلال هذا التركيب الذي أفضى به إلى إدراك الأهمية البالغة للاستعارة، اعتبر أنّ «الأسلوب الاستعاري أقدر الأساليب التعبيرية على إمداد الخطاب بقوة التفرّع والتكاثر، فهو أشدها توغلاً في العمل بالآليات التشبيهية التي هي عماد

الاستدلال الطبيعي (...)، هذا الاستدلال الذي من خلال الاستعارة لا يورث المتكلم القدرة على تكثير عباراته فحسب، بل يورثه القدرة العجيبة على تكثير ذواته الخطابية، لهذا بلغت الاستعارة مرتبة لا تدركها عبارة غيرها، كائنة ما كانت.³¹ من هنا توجه إلى الغوص في تخومها واستخراج ما فيها من خلفيات فلسفية وطاقات حجاجية. ولا يمكن الدخول في فكر طه عبد الرحمان الاستعاري دون النظر في الأصول الجرجانية التي يقر طه عبد الرحمان أنه وجد فيها منابت النظرية ومعالمها الأولى فأخذ منها منطلقاته.

لقد جعل طه عبد الرحمان الإنتاج البلاغي للجرجاني يتميز بخاصيتين هما:³²

- "أنه إنتاج جداليّ: فعبد القاهر لم يأل جهداً في الاعتراض على مقولات بيانية مشهورة، وفي دفع أساليب بديعية سائدة عند أسلافه من نقاد البلاغة؛ وخير دليل على ذلك كثرة دوران العبارات الجدلية على لسانه مثل: (إن قلتم...قلنا)، (فإن قيل...قيل)، (ما هو إلا كذا وكذا)، و(كيف لا يكون كذلك مع أنه كذا وكذا؟).
- أنه إنتاج تأسيسيّ: فقد تولّى إنشاء مقولات وأدوات للنقد البلاغي لم يسبق إليها، واستحق بذلك أن يُعتبر مؤسس علم البلاغة العربية".

يعتبر طه عبد الرحمان أنّ السبب في تنبّه الجرجاني لحجاجية الاستعارة إنّما هو نابع من قوله بالادّعاء الذي يقوم على المبادئ التالية:³³

- مبدأ ترجيح المطابقة، ومقتضاه أنّ الاستعارة ليست في التشبيه بقدر ما هي في المطابقة، أي أنّ المستعار منه والمستعار له يبلغ التشابه بينهما درجةً ينتقي معها الاختلاف ويصيران شيئاً واحداً، وبحسب هذا المقتضى يكزن القول الاستعاري ملتبساً؛
- مبدأ ترجيح المعنى، فالقول الاستعاري ليس في اللفظ بقدر ما هو في المعنى، فمدار فهم الاستعارة ليس على المعنى المأخوذ مباشرة من اللفظ، وإنّما على معنى ثانٍ يتولّد في النفس بطريق المعنى الأصلي، وهكذا فالمقتضى المعنوي للادّعاء هو أنّ القول الاستعاري يستند إلى بنية استدلالية؛
- مبدأ ترجيح النظم، ومقتضاه أنّ الاستعارة ليست في الكلمة بقدر ما هي في التركيب، فالكلام متعلّق بعبئه ببعض، ومرتّب بعبئه على بعض بوجه مخصوص، ولا يستقيم إحكام هذا التعلّق وضبط هذا الترتيب إلاّ بتوحيّ أمرين، أولهما مقتضيات العقل: فالنظم ليس مجرد توالي الألفاظ في عملية النطق، وإنّما هو تناسق دلالاتها فيما بينها تناسقاً يستوفي شرائط التعليل العقلي؛ والثاني قوانين النحو: وهي النظر في أسباب التفاضل التعبيري والتبليغي للجمل.

وبهذه المقومات يتضح أنّ القول الاستعاري عند الجرجاني، تجتمع فيه أوصاف ثلاثة هي: أنّه تركيب خبري، وأتّه قابل للأخذ على جهة الحقيقة، وأتّه مشتمل على بنية تدلّلية، وكلّ قول هذه أوصافه يعدّ في سياق الجدل الذي نهجه الجرجاني بمنزلة (دعوى)، كما يعدّ صاحبه (مدّعياً)، ويعدّ عمله (ادّعاءً)، وهذا الادّعاء هو مناط الاستعارة.³⁴

إنّ مفهوم الادّعاء الذي قال به الجرجاني وتنبّه له طه عبد الرّحمان، لم يقف على حقيقة مدلوله وبالغ أهمّيته من اشتغلوا بإنتاج عبد القاهر الجرجاني على كثرة عددهم، وتتوّع مناهجهم، وتفاوت مواقفهم. إنّ جعل الاستعارة تقوم على هذا المفهوم يعدّ نقطة التّحول في فهم حقيقة الاستعارة وإدراك كنهها ومعرفة فعاليتها.

يدور الجرجاني بين ادّعاءين اثنين هما: ادّعاء إثبات الصّفة المشتركة (الجامع) للمستعار له، وإثبات دليل هذه الصّفة، أي دخول المستعار له في المستعار منه، فكلّ عاقل يعلم أنّ إثبات الصّفة بإثبات دليلها، أمّا دليل الادّعاء الأوّل فهو المستعار منه نفسه، إذ تلزم عنه هذه الصّفة لزوماً، كقولنا «(رأيت أسداً)، فواجب أن تكون له الشّجاعة»³⁵.

يرى طه عبد الرّحمان أنّه إذا كانت حاجيّة الاستعارة عند الجرجاني تقوم على مفهوم الادّعاء، فإنّ هذا الأخير يحتاج إلى مفهوم آخر يعضّده ويكمّله، ويقوّي لبنات نظرية حاجيّة للاستعارة، هذا المفهوم هو (التّعارض)، هذا المبدأ الذي أشار إليه الجرجاني إشارة عابرة، ولم يهتمّ به اهتمامه بمبدأ الادّعاء، وهنا يأسف طه عبد الرّحمان لعدم تركيز الجرجاني على مبدأ التّعارض الذي لو جعله في مقام الادّعاء «وحلّ آليات التّداخل بينهما لاستكمل بحقّ عناصر النّظرية الحاجيّة للاستعارة التي يعدّ بحقّ واضع أصولها ورائد مجهولها»³⁶.

ووفاءً من طه عبد الرّحمان لهذا العلم سعى إلى التّصريح بما لمّح إليه الجرجاني أولاً، ثمّ إلى استكمال عناصر هذه النّظرية ثانياً، ولم يتحقّق له هذا إلاّ عن طريق التّركيز على مبدأ المقاربة التّعارضيّة للاستعارة الذي يبيّنه على الافتراضات التّالية:³⁷

- القول الاستعاري قول حواريّ، وحواريّته صفة ذاتية له؛

- القول الاستعاري قول حاجي، وحاجيّته من الصّنف التّفاعلي؛

- القول الاستعاري قول عمليّ، وصفته العمليّة تلازم ظاهره البياني والتّخييلي.

«من خصائص استعاريّة اللّغة أنّ المعنى الحقيقي والمعنى المجازي يتلازمان في التّعبير أو يتعاندان فيه»³⁸، ويستمد القول الاستعاري حواريّته من كونه يتألّف من هذين المستويين، ولكلّ من هذين المستويين مقام خاصّ به، وبما أنّ المعنى الحقيقي (ظاهر غير مراد) أو (ظاهر مؤوّل)، والمعنى

المجازي (مضمر مراد) أو (مضمر مبلّغ)، جاز أن نميّز في المقام الحقيقي بين (حال الإظهار) و (حال التأويل)، وفي المقام المجازي بين (حال الإضمار) و (حال التبليغ). ومن هنا فإنّ الدّوات التي تشترك في بناء القول الاستعاري أربع لكلّ منها وظيفته؛ وهذه الدّوات هي: المُظهِر، المؤوّل، المُضْمِر، المبلّغ، ويتّخذ المتكلّم الواحد كلّ هذه الدّوات مظاهر لوجوده في القول الاستعاري يتقلّب بينها، قائماً بكلّ أدوارها الخطابية في آن واحد³⁹.

أمّا عن حاجيّة القول الاستعاري فقد ذهب فيه طه عبد الرّحمان مذهباً بعيداً، لا يمكن إدراكه إلاّ بامتلاك الآلة المنطقية، والتّباهة الفكرية، وتجدر الإشارة إلى أنّ فكر طه عبد الرّحمان الاستعاري لا بدّ أن يفرد ببحوث خاصّة لإدراك قيمته، وفهم مقتضاه، لأنّه أظهر من سلامة اللّغة ودقّة المنهج واستقامة الفكر وصرامة التّحليل والتّداول ما ليس له نظير في عصره، ونحن ها هنا نريد أن نفتح العقول على هذا الإنتاج اللّامع، ونثير الأرقام حول هذا الفكر السّاطع.

إنّ القول الاستعاري يستمدّ حاجيته من تداخل آليّتي الادّعاء والاعتراض اللّتين تميّزان الحجاج، وينبغي إذ ذاك أن نميّز بين شروط كلّ منهما، والتي قرّرها مفكرنا كالتّالي:⁴⁰

- من شروط الادّعاء أن يكون المدّعي معتقداً صدق دعواه، وأن تكون له بيّنات عليها يعتقد صحتها وصدق القضايا التي تتركّب منها هذه البيّنات، كما له الحقّ في أن يطالب محاوره بأن يصدّق دعواه، ويقتنع بما يقدّمه من أدلّة عليها؛
- من شروط الاعتراض أن يرد على دعوى سابقة، وأن يطالب المعترض المدّعي بإثبات دعواه، و أن لا يسلم له إلاّ عند تمام اقتناعه بصحّة هذا الإثبات.

رأينا أنّ من ذوات المستعير (الذّات المظهِرة)، والوظيفة الحجاجية لهذه الذّات هي أنّها تدّعي وجود المعنى الحقيقي للجملة، أي أنّها تدّعي المطابقة بين المستعار له والمستعار منه؛ أمّا (الذّات المؤوّل) للمستعير فيقوم دورها الحجاجي في الاعتراض على وجود المعنى الحقيقي للجملة، بما أنّ المعنى المؤوّل هو أولى بالخفاء من المعنى المضمر، أي يقوم هذا الدور في إنكار المطابقة بين المستعار له والمستعار منه. ليصبح المتكلّم ذاتاً متعارضة في مرتبة الحقيقة، ويكتمل التّعارض في القول الاستعاري بجعل المتكلّم ذاتاً متعارضة في مرتبة المجاز، ولا يتحقّق هذا إلاّ بإثبات التّعارض بين (الذّات المضمر) و(الذّات المبلّغة)، وهذا محتوم الحصول في القول الاستعاري، إذ الأولى تدّعي المباينة بين المستعار له والمستعار منه، والثّانية تقتضي إنكار المباينة بينهما.⁴¹

ويتبين من خلال هذا التفصيل أنّ المستعير يحقّق الانتقال بين المستوى الحقيقي والمستوى المجازي، مترجماً ألوان التّعاضات في القول الاستعاري، لنخلص في الأخير إلى أنّ المستعير بسلك طرقاً حجاجية ظاهرة التناقض، لا نحسّ فيها مع ذلك تعدياً لحدود المعقول الطبيعي.⁴²

وفي الأخير يصير المستعير (قادراً على أن يتقلّب في أوضاع خطابية كثيرة، مضافاً على قوله ألواناً شتى من الدلالة تختلف باختلاف تقلّبات هذه الأوضاع، وكلّ وضع منها يجعل للمستعير ذاتاً خاصة، فتكثر نواته الخطابية وإن كانت ذاته العينية واحدة، ليصير المستعير متوحداً بعينه متعدداً بقوله).⁴³

ومما يحقّق حجاجية الاستعارة، هو كونها أبلغ وجوه تقيد اللغة بمقام الكلام، وهذا يعدّ سبباً كافياً لجعل الاستعارة تدخل في سياق التّواصل الخطابي، الذي يهدف إلى تغيير في الأنساق الاعتقادية والقصدية والتّقييمية للتّاطقين ودفعهم إلى الانتهاض إلى العمل⁴⁴، وهو الخاصية الأخيرة من خواص الخطاب الحجاجي.

والجانب المهمّ في الاستعارة هو اتكاؤها على المستعار منه، واعتباره المثال الأسمى والدليل الأفضل، إذ عادة ما يرتبط المستعار منه بنسق من القيم العليا، التي تجعل الاستعارة أدعى من الحقيقة في تحريك همم المستمعين إلى الاقتناع بمضمونها والعمل بفحواها.⁴⁵

من خلال ما قدّمنا من فكر طه عبد الرّحمان الاستعاري، بإيجاز شديد يتبين وعيه الكامل بما جاء به عبد القاهر الجرجاني، أو أشار إليه، كيف لا وهو يعتبره بحقّ صاحب نظرية (حجاجية الاستعارة)، وهذا ليس غريباً عن طه عبد الرّحمن، إذ يُعدّ من القلائل الذي لم يقطعوا الصّلة بماضيهم، بل نسبوا الفضل كلّهم إليه، وراحوا يبنون كلّ مفهوم عليه، وهذا سرّ نبوغه وعنوان تفوّقه، فجاءت أعماله أصلها ثابت وفرعها في السّماء، ومن المؤسف أن لا نرى اهتماماً خاصاً بفكره الذي يعدّ بحقّ حلقة مهمة في تاريخ اللغة العربية بصفة عامّة، وفلسفة اللغة بصفة خاصّة.

وختاماً ندرك القيمة الحقيقية للاستعارة في سائر الخطابات، إذ يكتسب الخطاب بوجودها قدرة على تكثير عباراته، وكذا التّجديد في الأدلّة والشّواهد السّائدة في تقويم الأحداث والسلوك، ممّا يجعل المخاطب يقبل على الخطاب سماعاً واقتناعاً وإذعاناً، ومن ثمّ انتهاضاً إلى العمل، ومن هنا تُدكّ كلّ الصّيحات التي جعلت الغاية القصوى من الاستعارة التّوسّل بالتّخييل، وتكلف الحسن، ودغدغة الشّعور. فهي شكل لغويّ أتاحتها اللغة الطبيعيّة لمستعملها لما ضاقت ألفاظها عن المعاني، وهذا البحث المختصر يفتح آفاقاً واسعة لدراسة الاستعارة وغيرها من فنون البلاغة في ضوء ما وصل إليه الدرس اللساني المعاصر بمختلف توجهاته.

Abstract:

Rhetorical art of great importance in the speeches of various kinds; because of their severe impact on souls and minds regardless of her senses and varied standings, and that's what I realized cash and modern language studies, especially deliberative, but also to contemporary philosophy; back the arts Various rhetorical devices Pilgrimage with distinction, for the foundations of the mentality and logical justifications intact, undisputed master researcher in that metaphor is one of the most important species rhetoric that attracted enigmatic minds whether common or Interpretive or mysticism or philosophers of language. If anything, this proves that the figurative rhetoric of semantic density and power of touch in terms of mentality. And we're having an aspect of study of metaphor is one task the periorbital energies on Arab thought, to explore the Arab contribution to the study of metaphor in her philosophical deliberative rooted in heritage, from al jurjani who bias rhetorical idea in periorbital In General, particular metaphor that is based on the concept of claim, which is in itself a term of reference to the controversy in an era of common aljurjani. Shoebox full of either trying to have lending Pilgrimage dimension has through the omnibus case, a mental bond that combines both sides of metaphor, and it shows the recipient fill voids, which makes him a partner in building the speech involved however in the communication process.

As for the effort that the Arab language philosophers contributed contemporaries in case of philosophical Pilgrims of metaphor that was wider than the limit; the linguistic Renaissance in Arab world lean heavily on Arabic rhetoric and its concepts and forms, especially philosophical efforts And, as a natural language classification detection and demonstrative on the power granted by the rhetorical art of natural language as a natural inference language philosophers, counted and measured the speaker wished foretell deliberative invoke creative aesthetic way, announcing a way of thinking and approach Understand the phenomena, and the best proof that attend the rhetorical forms in philosophical discourses of different types, demonstrating the need for philosophical discourse to the rhetoric of getting stronger at the same time acquires a beautiful as long as Gabe, complete theory when Moroccan philosopher Taha Abderrahmane, through Drew him borrowing and interpreted logically adopt the look jerjanip and scientifically platform originally to prove at last that Arabs especially in theory Pilgrimage metaphor have their origins and their obvious ripe.

الهوامش:

- 1- الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري"، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط/، 2010، ج3، ص 45.
- 2- ينظر: المرجع نفسه، ص 60.
- 3- ينظر: أحمد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، منشأة المعارف، الإسكندرية- مصر، ط/، 1999، ص ص 82-83.
- 4- ينظر: أحمد أبو زيد، الاستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة، العدد4، ماي، 1991، ص ص 46-47.
- 5- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 20.
- 6- أحمد الصاوي، مفهوم الاستعارة، ص 90.

- 7- المصدر السابق، ص32.
- 8- الجرجاني، المصدر السابق، ص40.
- 9- ينظر: محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987، ص 109.
- 10- ينظر: المصدر نفسه، ص 118.
- 11- محمد خطّابي، لسانيات النَّص - مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ص 118-119.
- 12- ينظر: المرجع نفسه، ص ص 120.
- 13- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 110.
- 14- ينظر: المصدر نفسه، ص 111.
- 15- ينظر: محمد خطّابي، لسانيات النَّص، ص 123.
- 16- المرجع نفسه، ص 123-124، بتصرّف.
- 17- عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص136، بتصرّف
- 18- المرجع نفسه، ص154.
- 19- حسان الباهي، منطق اللّغة، بحث في المفارقات، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000، ص138.
- 20- المرجع نفسه، ص 138-139.
- 21- المرجع نفسه، ص155.
- 22- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ص 229-230.
- 23- عمارة ناصر، فلسفة البلاغة، ص160.
- 24- المصدر السابق، ص69.
- 25- ينظر: جورج لاكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار طوبقال، المغرب، ط1، 1996، ص 159.
- 26- ينظر: طه عبد الرّحمان، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998، ص ص 229-230.
- 27- طه عبد الرّحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000، ص99.
- 28- المرجع السابق، ص231.
- 29- ينظر: طه عبد الرّحمان، اللسان والميزان، ص ص 231-232.
- 30- المرجع نفسه، ص232.
- 31- طه عبد الرّحمان، اللسان والميزان، ص295، بتصرّف.
- 32- المرجع نفسه، ص304.
- 33- ينظر: طه عبد الرّحمان، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، مجلّة المناظرة، العدد4 ، ماي، 1991، ص 60-62.
- 34- ينظر: المرجع نفسه ، ص63.

- 35- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ص 110-111.
- 36- طه عبد الرّحمان، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، ص ص 66.
- 37- ينظر: طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان، ص 310.
- 38- طه عبد الرّحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 49.
- 39- ينظر: المرجع السابق ، ص 310-311.
- 40- ينظر: طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان، ص 311.
- 41- ينظر: المرجع نفسه، ص ن.
- 42- ينظر: طه عبد الرّحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ص 47-48.
- 43- المرجع السابق، ص 234. بتصرّف
- 44- ينظر: طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان، ص 312.
- 45- ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

أ - المصادر والمراجع:

- 1- أحمد الصّاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللّغويين والنقاد والبلاغيين، منشأة المعارف، الإسكندرية- مصر، ط/، 1999.
- 2- جورج لاكوف، مارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار طوبقال، المغرب، ط1.
- 3- الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري"، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط/، 2010، ج 3.
- 4- حسان الباهي، منطق اللّغة، بحث في المفارقات، المركز الثّقافي العربيّ، المغرب، ط1، 2000
- 5- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،
- 6- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،
- 7- عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
- 8- طه عبد الرّحمان، اللسان والميزان، المركز الثّقافي العربيّ، المغرب، ط1، 1998
- 9- طه عبد الرّحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربيّ، المغرب، ط2، 2000.
- 10- محمّد بن علي السكّاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط2، 1987
- 11- محمّد خطّابي، لسانيات النّص - مدخل إلى انسجام الخطاب،

ب - المجالات العلميّة:

- 1- مجلّة المناظرة، العدد 4 ، ماي، 1991
- 2- مجلّة الاداب واللغات، جامعة برج بوعريّيج، العدد 5، ديسمبر 2006.

في نقد النحو العربي - بحث في النشأة والتطور -

د/ عزالدين عماري

جامعة محمد بوضياف / المسيلة

azzeddine1974@gmail.com

الملخص:

نشأ النحو العربي وتطور، ولقد صاحب هذه النشأة وهذا التطور انتقادات كثيرة وجهت إليه، سواء ما تعلق منها بالأصول التي قام عليها، أو ما تعلق بكثرة قواعده وتفرعاته منذ نشأته إلى يومنا هذا. وإذا اتسمت هذه الانتقادات بكونها عفوية وبريئة في بداياتها الأولى؛ ذلك أنها تشكل ردة فعل طبيعية لكل ما هو جديد، فإنها لم تكن كذلك حينما رافقت ظهور علم اللغة الحديث، كعلم جديد له أصوله ومناهجه، وسلك النقاد في ذلك اتجاهين مختلفين:

- **الاتجاه الأول:** اجتهد أصحابه في قراءة التراث النحوي، وعملوا على إعادة بنائه وفق ما يتطلبه علم اللغة الحديث في منهجه الوصفي، مؤكدين في ذلك على التزامهم بالموضوعية والعلمية.
- **الاتجاه الثاني:** حاول أصحابه جاهدين وبكل الوسائل إصاق مختلف أنواع التهم بالنحو العربي بدعوى الموضوعية والعلمية كذلك.

والذي يعنينا في هذا المقام هو الاتجاه الأول، ومنه فسيقوم البحث على تتبع المواقف النقدية التي مست النموذج النحوي العربي من أول نشأته إلى العصر الحديث، على أن نمهد للموضوع بالحديث عن نشأة الدرس النحوي العربي.

الكلمات المفتاحية:

النحو العربي، الأعراب، الشعراء، تهذيب النحو، ابن مضاء، المنهج الوصفي، المحدثون.

Summary :

Since its inception and development, the Arabic grammar has attracted many criticisms, whether it is related to the fundamentals it is based on or to its many rules

If these criticisms were spontaneous and innocent in their early beginnings, because they constitute a natural reaction to everything that is new, they were not when accompanied by the emergence of modern linguistics, as a new science with its origins and methods, and critics went in two different directions :

-The first trend: the owners worked hard to read the grammatical heritage, and worked to reconstruct it as required by modern linguistics in its descriptive method, stressing the commitment to objectivity and scientific.

The second trend: The owners tried hard and by all means to stick to the various types of charges in the Arab world on the grounds of objectivity and scientific as well.

What concerns us in this regard is the first direction, from which the research will follow the monetary attitudes that touched the Arabic grammatical form from its inception to the modern era, to prepare the subject by talking about the emergence of the Arabic grammar lesson

key words :

Arabic grammar, poets, grammatical grammar, Iben diaa, descriptive approach, modernists

01- نبذة عن نشأة الدرس النحوي العربي:

لقد حاول اللغويون العرب إزالة ذلك الغموض الذي ساد نشأة النحو العربي بعد الإسلام أو التنبيه إليه بشيء من الدقة، ذلك الذي يعود من ناحية إلى الخلط بين المراحل المتعاقبة التي تم فيها التفكير بوضع هذا العلم انطلاقاً من إبداء الملاحظات النقدية ثم الإشارات الوصفية لعلامات الإعراب، إذ إن النحو العربي و قبل أن يصل إلى مرحلة النضج قد مرّ بمراحل تطويرية كبيرة، فما بين نشأة النحو وكتاب سيبويه يزيد على المائة عام¹.

ومن ناحية أخرى، فإن تضارب الروايات واختلافها في إسناد الوقائع التي دعت إلى إبداء الملاحظات الأولى لم تحدد بوضوح معالم وضع النحو، فقد كان الحديث عن أهم الأسباب التي دعت إلى التفكير في وضع القواعد النحوية الوصفية الأولى، و من ذلك اللحن الذي بدأ قليلاً غير ذي خطر تمثل فقط في أسنة بعض الأعراب ممن شذ عن كلام العرب الفصيح والذي سرعان ما أخذ في التفشي حتى مس النص القرآني نفسه، هذا، بالإضافة إلى محاولة فهم النص القرآني، و « ما وجد في القرن الأول من تأملات نحوية* أو محاولات لدراسة بعض المشاكل اللغوية كان الحافز إليه إسلامياً، ولم يقصد لذاته وإنما لاعتباره خادماً للنص القرآني...»².

وإذا كان من الدارسين من يرى بأن النحو لم يكن في بداية الأمر صناعة علمية، ولم يوضع دفعة واحدة وفي زمن واحد، بل إن تلك الملاحظات النقدية التي تتمثل في إصلاح الخطأ وإبداء الصواب، قد ساهمت بعد ذلك في التفكير بوضع تصور عام لقواعد اللغة العربية انطلاقاً من المحاولات الوصفية التي أبداهها أبو الأسود الدؤلي وتلاميذه، والتي وصفوا من خلالها وسموا بعض المصطلحات وعللوا لبعض القواعد، والتي كانت سبباً في ازدهار البحث في النحو واللغة³. ومن يرى بأن ملاحظات أبي الأسود

الدولي الصوتية واعتماده على النطق وتسجيل الملاحظة، كانت أول بادرة سجل من خلالها مفهوم الإعراب وميز بين الحركات فيما بينها، ثم بين الحركات الأصول والفروع.

فإن منهم من يعرض للروايات التي تجمع على إسناد وضع النحو لأبي الأسود، ويرى بأن هذه الروايات لم تحدد بوجه الدقة نشأة النحو الأولى، كما يرى أن عمل أبي الأسود لا يتعدى أن يكون وضع النقط الذي يحرر به حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم وهو ما يسمى برسم العربية، وسبب ذلك خلطا جعل الرواة يعتقدون فيما بعد أن أبا الأسود في رسم العربية إنما هو رسم إعراب القرآن عن طريق نقط أواخر الكلمات فيه⁴.

وبعد أبي الأسود الدولي اشتهر نحاة آخرون منهم: أبو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر النخعي، وأبو عمر بن العلاء، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد عد ابن أبي إسحاق « من أوائل النحاة الذين تصدوا لهذا العلم وشاركه تلميذه أبو عمر بن العلاء، غير أن التلميذ خالف أستاذه بحكم معرفته الواسعة بالمادة اللغوية وطبيعة كلام العرب، ففي الوقت الذي كان الحضرمي يتشدد فيه في إجراء القياس على كل استعمال و يهمل أو يخطئ ما عداه كان أبو عمر بن العلاء يقيس على الأشيع والأكثر في كلام العرب وما خالف ذلك لا يهدره ولا يخطئ قائله، وإنما كان يعترف به كاستعمال من استعملات أبناء اللغة ينبغي احترامه»⁵.

ولما جاء الخليل كان النحو العربي على موعد مع رجل فريد من نوعه، فهو فضلا عن كونه عربيا متزودا بالمادة اللغوية الكافية قد شافه الأعراب وأخذ عنهم، فهو يمتاز بعقل رياضي متزن وذكاء حاد، « على يديه خلق النحو سويا كامل الأصول والفروع، ... وهو الذي رفع القواعد والأركان بما وضع من مصطلحات وضبط من قواعد، وأن النظرية اللغوية التي أقام عليها " سيبويه " كتابه هي من وضع الخليل وأعني بذلك نظرية العامل والمصطلحات التي دارت حولها»⁶.

وكان من الطبيعي بعد الخطوة الجبارة التي خطاها الخليل في وضع القواعد وترتيب العلل، وبعد مرحلة التأليف التي ابتدأت بكتاب سيبويه أن يؤلف النحاة في أصول النحو بعدما توفر لهم المناخ الفكري المناسب، وهذا العلم يبحث في أدلة النحو وليس في قواعده، يقول السيوطي (ت 911 هـ): « أصول النحو علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته، وكيفية الاستدلال بها، ...»⁷ وهذه الأصول عند النحاة القدامى على قدر من الاختلاف والتسمية: سماع وإجماع وقياس واستصحاب حال، وأول من كتب فيها هو "ابن السراج (ت 316هـ)"، « و ليس معنى وجود أول مؤلف مشهور في هذا الموضوع في القرن الثالث الهجري، " أصول ابن السراج " أن تلك الأفكار لم تكن موجودة من قبل، بل

كانت موجودة في صورتها العملية في دراسات النحاة وآرائهم، لكن لم توضع للبحث بطريقة مباشرة إلا بعد فترة كافية من بداية النحو ونموه⁸.

02- بدايات النقد الأولى:

قبل أن نتكلم في هذه البدايات، علينا أن نميز أولاً بين مفهومين أساسيين يتعلقان بالعادة اللغوية من جهة وباللغة من جهة أخرى:

الأولى باعتبارها نشاطاً مألوفاً لدى مجتمع معين، وضمن مجتمعات متقاربة في اللغة الواحدة من جهة الأداء اللغوي كاللهجات العربية، فهي أداء فعلي تظهر فيه بعض الفروق الصوتية والصرفية، وهي ليست فروقاً أساسية مادام أنها تتعلق بلهجة معينة من هذه اللهجات.

والثانية باعتبارها ظاهرة اجتماعية ثقافية وقومية يتم بها التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد مهما تعددت النشاطات الفعلية لها.

إن العادات اللغوية نعيها ونفهمها ولا يمكن أن نسيطر عليها في الحالات التعبيرية العادية لأن هذا مرده إلى الطبع في العادات اللسانية، ولا أدل على ذلك من اختلاف القراءات القرآنية، الذي هو ليس اختلاف تغاير⁹، بل هو اختلاف في الأداء النطقي المتوارث، ويمس جانب التواصل النطقي فقط.

إن تصنيف المظاهر الصوتية لبعض لغات القبائل كنعنة تميم وكشكشة أهل اليمن وغيرها، والتعليل لكل ما يتصل بالخطابات اللهجية والعادات اللسانية، كل ذلك يمثل بدايات النقد الأولى في مستوياتها البريئة.

ويمكن أن نسجل في بدايات النقد الأولى موقفين اثنين، يتعلق الأول بنقد الأعراب فيما ذهبوا إليه في خطاباتهم، وتعليل الأعراب أنفسهم لمنطقهم بالعلل التعليمية التي كانت راسخة فيهم بالطبع، ويتعلق الثاني بالصدامات بين الشعراء والنحاة، وكذلك توجيه أشعار الجاهليين الذين يمثلون مرحلة من مراحل تطور اللغة.

أ- نقد الأعراب:

تشير الروايات على كثرتها وتنوعها إلى جانب مهم من الجوانب الإيجابية في لغتنا العربية، هذا الذي يتمثل في وجود الأداءات المختلفة التي قام بها الأعراب بكل طلاقة من جهة، ومن جهة أخرى تلك التعليقات البديهية لهذه الاختلافات، ومن ذلك أن أبا عمر بن العلاء سمع أعرابياً، يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها، فقال له: أتقول: جاءته كتابي؟ فقال: نعم، أليست بصحيفة؟¹⁰، و هذا التعليل هو من حمل الإعراب على المعنى، ونظيره في القرآن الكريم قول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾¹¹.

و حمل الإعراب على المعنى كثير في كلام العرب وأشعارهم، ولربما لو سألت الأعرابي عن العلة النحوية أو الإعراب أو الحمل، لما ردّ جوابا، ومثال ذلك الأعرابي الذي أنشد " نحن بني علقمة الأخيار "، فسأله الأصمعي عن سبب نصبه " بني "، فأنكر الأعرابي أن يكون قد نصبه¹²، فهو لا يعرف مصطلح النصب، هذا فضلا عن باب الاختصاص، وإن كانت العلة قائمة في نفسه وقد تمكن منها طبعه، ومما يؤكد تمكن الطبع من الأعراب، أنه « سئل أحد من تميم يوما، كيف يقول: "ضربت أخوك"، فقال: أقول " ضربت أخاك "، فأدير - أي الكلام - على الرفع، فأبى، وقال: لا أقول " أخوك أبدا "، فقيل له كيف تقول: " ضربني أخوك "؟، فرفع، فقيل له: ألست تزعم أنك لا تقول " أخوك " أبدا، فقال: أي شيء هذا، اختلفت جهتا الكلام»¹³. ولا بد أن الكلام عند هذا الأعرابي استعمال وعادة لغوية ولسانية على الرغم من أن جهات الكلام عنده من هذا القبيل، أي الأداء لكنه يعرف ما الفاعل وما المفعول.

ومن الملاحظات الدلالية النقدية الهامة في ذلك العصر المتقدم، تلك التي قدمها ابن عباس لعلي بن طالب - رضي الله عنهما-، حيث « يروى أن أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - عندما قرأ ﴿ وَ نَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْكَ. قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُتُونَ ﴾ 14 بالترخيم " ترخيم مالك "، أنكر عليه ابن عباس، فقال علي: هذا ترخيم في النداء، فقال ابن عباس: ما أشغل أهل النار في النار عن الترخيم، فقال علي: صدقت»¹⁵.

إن ابن عباس لم ينكر على علي بن طالب القراءة لذاتها، وإنما أنكر عليه الاستعمال اللغوي الذي رآه غير مناسب، وذلك لما عرف عن ابن عباس ببحته في المسائل اللغوية، كون العرب أمة حكيمة في تعليلها سليمة الطبع في نطقها.

ب - نقد الشعراء:

الشعر ديوان العرب، وهو من المصادر التي ركز عليها اللغويون في جمع المادة اللغوية وفي الاحتجاج بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولما كان الشاعر يعرض نفسه في المواسم ويقصد الملوك والخلفاء، ويسجل الوقائع الفردية والجماعية فهو أكثر عرضة للنقد من غيره.

وكان سلطان النقد أو بالأحرى سلطان النحو التقييدي قد اشتد على الشعراء بعد أن جرد ابن أبي إسحاق القياس وأخذ ينتبع أخطاء الشعراء، أو ما يراه بقياسه أنه خاطئ « وهكذا كانت كل الظروف مهيأة لوضع أساس علم النحو وضعا صحيحا، ومن هنا انطلق ابن أبي إسحاق ينتبع الشعراء ويرد عليهم أخطاءهم»¹⁶، ومن أكثر الشعراء تعرضا لانتقاداته الفرزدق، حيث تروي المصادر نشوب خصومة شديدة بينه وبين أبي إسحاق الذي عاب عليه أنه رفع " مجلف " في قوله:

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلفاً.

فكان ردّ الفرزدق وهو غاضب عليه من شدة تتبعه له، أن قال: على ما يسوؤك وينوؤك، علي أن أقول وعليكم أن تتأولوا¹⁷، ولعل مقولة الفرزدق هذه تترجم بعدا نقديا من حيث إن التأويل قد يكون في بعض معانيه الانفتاح على تجربة الشاعر الفنية، ومحاولة فهمها، ذلك أن الشاعر منقف يعي مختلف الأداءات الكلامية ويحتاج إلى بلوغ مستويات عالية ورفيعة في قوله.

على أن شعراء الجاهلية والفحول منهم لم يسلموا من تتبع النحويين، وتكثر الأمثلة في هذا المجال، ومن ذلك حينما يقول النابغة الذبياني:

فبتّ كأني ساورتنى ضئيلة من الرّقش في أنيابها السّم ناعغ

ينتقد عيسى بن عمر قوله " نافع " ويقول بأن محلها النصب أي " ناعفا " .

وتوجيه النحويين لم يكن دائما مصيبا، فتوجيه الشعراء لمعانيهم غالبا ما تحكمه الفطرة السليمة من جهة والعادات اللسانية التي عهدوها من جهة أخرى، ومن ذلك تتبع الحضرمي للفرزدق، فقد سأله يوما، كيف ينشد هذا البيت:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألأباب ما تفعل الخمر

فقال الفرزدق " فعولان "، فرد ابن أبي إسحاق: ما كان عليك لو قلت " فعولين "، فقال الفرزدق: لو شئت أن أسبح لسبحت، ونهض ولم يعرف أحد مراده¹⁸. وتوجيه البيت على أن " كان " تامة بينما كان ابن أبي إسحاق يعملها وهو خطأ.

والشواهد الشعرية والنثرية بالنسبة لانتقادات الأعراب والشعراء كثيرة في كتب النحو والأدب لا يتسع المجال لذكرها كلها.

إن هذه البدايات النقدية الأولى عند الأعراب من جهة وعند الشعراء من جهة أخرى، تعطينا فكرتين هامتين للموقف النقدي الأول؛ تتمثل الأولى في نقد الأعراب أنفسهم لهؤلاء النحويين، والتعليل لكل منهم بالعلل التي قامت في نفوسهم وتمكنت منها طباعهم، وتتمثل الثانية في بداية التقعيد النحوي وتسجيل الملاحظات على العادات اللسانية - ولا سيما النحوية - كإهمال الإعراب وغيره، وقد بدأ الشعراء يتحفظون من هذا الموقف ويتلاءمون مع موقف النحاة.

03- محاولات تهذيب النحو عند القدماء:

الظاهر أن النحو وحتى زمن الخليل على الأقل لم يكن الجدل فيه قائما، وحتى الصراع بين النحاة البصريين والكوفيين لم يعرف بدايته بعد، على أن من جاء بعد الخليل وسيبويه عقّدوا المسائل، « ولذا ارتفعت مع نهاية القرن الثاني الهجري تقريبا أصوات تطالب بتيسير النحو، أخذت تظهر أحيانا في صورة آراء وتعليقات لبعض علماء اللغة والنحو ذكرها النحاة مثل قول أبي علي الفارسي عن معاصره أبي

الحسن الرماني: " إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء... »¹⁹، وهذا التعليق هو إلى الامتعاظ أقرب إليه من النقد.

وقد ضاق طلاب النحو بهذه الطريقة الجافة، « فظهرت دعوات متعددة على طول تاريخ النحو العربي، منها ما يدعو إلى تهذيب النحو وإصلاحه، ومنها ما يدعو إلى تركه والتخلي عنه بالكليّة »²⁰، وقد انتقد عبد القاهر الجرجاني أصحاب هذه الدعوات جميعاً، حين قال: « وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم، وأشبهه بأن يكون صدا عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه. ذلك لأنهم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها »²¹.

فأما أصحاب الرأي الأول المتمثل في تهذيب النحو وتيسيره فظهرت دعواتهم من خلال كتبهم والتي جاءت ميسرة تلبّي حاجات المتعلمين، ومنها: مقدمة في النحو منسوبة إلى خلف الأحمر، ومختصر في النحو للكسائي، ومختصر آخر للجرمي، وثالث لأبي موسى الحامض، ورابع للزجاج، وهذه المؤلفات وما يشبهها لم تقترب من أصول التفكير النحوي أو النظرية النحوية، وإنما اتجهت إلى التطبيق والتعليم والاختصار²².

وأما أصحاب الرأي الثاني فإنهم لم يكتفوا بتقديم الكتب الميسرة المختصرة، وإنما اقتربوا أو حاولوا الاقتراب من الأصول وذلك بما قدموه من مقترحات لإصلاح النحو ونقد مناهج النحاة ومن أقدم من تصدى لذلك ابن ولاد المصري وأبو العلاء المعري، وابن حزم، وابن مضاء... وإذا كان ابن ولاد المصري يرى بأنه لا يصح الطعن على العربي أو رميه باللحن أو تقديم القياس النظري على المادة اللغوية المسموعة، وهاجم التأويل والتقدير في النحو، وادعاء الحذف والإضمار، وإذا ما استثنينا أبا العلاء الذي تمثلت ثورته في تسديد معظم سهامه إلى طريقة التأويل أيضاً، والتعسف في تخريج كثير من الشواهد، فإن ابن حزم قد هاجم علل النحو ورأى بفسادها كلها، لا يرجع منها شيء إلى الحقيقة²³.

إن ما سبق ذكره من آراء يظهر لنا وأنه يمس بالأساس العلل النحوية، غير أن التعمق أكثر في ذلك يبين بأنهم لا يهاجمون العلل كلها ولا يرفضون القياس جميعه، ذلك أن العلل تنقسم إلى علل تعليمية وقياسية، وإلى أخرى جدلية نظرية، والعلل التعليمية لم يكن لأحد أن يطعن فيها، « فهي التي يتوصل بها إلى معرفة كلام العرب، لأننا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها لفظاً، وإنما سمعنا بعضه فقسنا عليه نظيره... »²⁴.

إن وجود آراء نقدية مختلفة في كيفية التعليل والتعديد قد ساهم في تطوير النحو وسلامته إلى حد بعيد، فذكاء ابن أبي إسحاق ونظرته العقلية كان يحد منها سعة أبي عمرو بن العلاء ومعرفته بكلام

العرب، أما الخليل بن أحمد وسيبويه فكانت تعليلتهما من التعليلات التعليمية، وأما القياسية فالواضح أنهما أرادا بها مجرد التمثيل، وإن كانت إشارات سيبويه الكثيرة والمبعثرة في كتابه منها قد سببت خطأ لمن احتج بها بعد ذلك.

04- موقف ابن مضاء القرظي (512 هـ/592 هـ):

ابن مضاء هو صاحب كتاب " الرد على النحاة " **، ولقد أثار كتابه هذا ضجة كبيرة، باعتباره عند كثير من اللغويين المحدثين يحمل أصول نظرية جديدة، وأنه المحاولة الوحيدة التي تتصل بمبدأ التيسير والإصلاح ومناقشة الأصول والمبادئ النظرية التي وضعتها البصرة²⁵، و ابن مضاء في حقيقة الأمر امتداد للجانب الثائر الذي يقدم انتقادات للنحو العربي، فهو قد طالب بهدم بعض أبواب النحو، ودعا إلى النظر لظاهر الكلام دون تقدير أو تأويل أو البحث عن علة العلة، ذلك أنه « لا يرفض العلة كلها كما فعل الظاهريون وكما زعم النحاة المحدثون في العصر الحاضر، بل أقر العلة الأولى لفائدتها التعليمية... ثم يمضي فيقسم العلة إلى ثلاثة أقسام، قسم مقطوع به - أي العلة التعليمية - وقسم فيه إقناع وقسم مقطوع بفساده»²⁶.

إن نظرة متفحصة لبعض ما كتب عن ابن مضاء، تجعلنا نسجل النقاط التالية:

أ- لقد رفض ابن مضاء فلسفة العامل وتحكم العلامة الإعرابية بالتأويل والتقدير، ولم يرفض العامل نفسه، ولم يقدم أصول نظرية جديدة كما ادعى بعض اللغويين الغربيين واعتبروا آراء ابن مضاء منطلقاً صحيحاً للوصف اللغوي عند العرب²⁷.

ب- رفض ابن مضاء القياس بالعلل الثواني و الثالث، وأقر العلة الأولى، بل إنه عرف العلة بتقسيمها²⁸.

ج- رفض القياس العقلي، كما رفض كذلك قياس التمارين غير العملية بما فيها من تراكيب مختلفة بعيدة عن الاستعمال العربي العادي، فضلا عن النصوص الأدبية الراقية وأشار إلى الإشكال في كثرة الضمائر والتقديم والتأخير مما يدعو إلى التشويش²⁹.

د- دعا إلى إسقاط المواضيع التي لا علاقة لها بالنحو، ولا فائدة تؤدي إليها وذلك كالاختلاف في ما هو الضمير في " أنت " أهو النون أم التاء أم الكلمة كلها.

هـ- دعا كذلك إلى إسقاط الكثير من أبواب النحو، أو المسائل التي يعتبرها النحاة المتأخرون وعلماء اللغة من المحدثين غير عملية، وذلك بسبب تفريع المسائل وتشقيقها مثل أبواب الاشتغال والتنازع. وقد اصطدم ابن مضاء بنصوص لا مجال لإنكارها في بابي الاشتغال والتنازع، في مثل قول الله تعالى: ﴿ قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾³⁰، فكلا من العاملين " آتوني " و " أفرغ " يطلبان المعمول " قطرا "، على

أن ابن مضاء ليس قصده إلى إلغاء النص في ذاته، وإنما يقصد تأويل الأعمال والاشتغال والاختلاف فيهما³¹.

ونستطيع القول أن موقف ابن مضاء بالنسبة لما تقدم من مواقف نحوية سابقة يعتبر تطوراً ذا أهمية للموقف النقدي، وهو يكتسب هذه الأهمية من الناحية الزمنية باعتبار أن ابن مضاء من النحاة المتأخرين، أي من نحاة القرن السادس الهجري، بالإضافة إلى الأهمية التي يكتسبها من الناحية الفكرية في طرح القضايا التي باتت تشغل طلاب النحو في الزمن المتقدم.

05- تهذيب النحو عند المحدثين:

مع ظهور دعوات التيسير والإصلاح للنحو العربي قديماً مع اختلاف في حدة النغمة ومعالجة الموضوع، وبعد الضجة التي أثارها آراء ابن مضاء القرطبي، أصبحت دعوات إصلاح النحو العربي أو تهذيبه وتجديده في العصر الحديث مصدراً لإلهام وتوجيه محاولات الإصلاح التي بدأت مبكراً، وقد بدأت هذه المحاولات على شكل إصلاح أو تيسير في التأليف النحوي دون الاقتراب من الأصول النظرية والمنهجية³².

وما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام، تلك الظروف المجتمعة والتي تقدمت هذا العصر، وما رافقها من تغيرات في الحياة الفكرية والاقتصادية ساهمت في بلورة قرار خطير في حق النحو العربي يتمثل صراحة في إلغاء قواعد اللغة العربية.

وهذه الظروف تتمثل في المرحلة التي آلت إليها علوم اللغة عامة والنحو خاصة من جفاف وتكرار وغموض في التأليف والتدريس معاً، فكانت القواعد النحوية تصنف في منظومات شعرية تتيّف عن الألف أو تزيد، « وقد مر زمن سيطر فيه تدريس قواعد اللغة العربية بواسطة ألفية ابن مالك، وقد كانت النتيجة أن الطلاب كانوا يحفظون الكتاب غيباً دون أن يقنوا كتابة اللغة ويحسنوا قراءتها »³³.

كانت دروس النحو قد استقرت في الأزهر محصورة في المتون والشروح، وكانت قيمة كل مؤلف نحوي تتركز في إحاطته واشتماله على تفاصيل الخلاف بين النحاة³⁴، كما كان هؤلاء في عصر الضعف وإلى عهد قريب يرون في التعمية والتعقيد ونظم الألفيات فيما يسمى بالشعر التعليمي قيمة في التطور، فلما كانت حملة " نابليون " على مصر، كانت الصدمة قوية على العرب والمتعلمين منهم بالأخص، وكانت الهزيمة فكرية وروحية أكثر منها عسكرية، وكان من نتائج ذلك أن تتكروا للغتهم ونحوهم وطرق عيشهم، فإذا أضيف إلى ذلك كله الرحلات العلمية صوب فرنسا فإن السخط يكون تاماً على طريقة النحاة القداماء دون استثناء.

كانت محاولة الميسرين في بداية الأمر تتركز على تأليف الكتب المختصرة، ولكن أهميتها تكمن في الأسلوب العلمي الذي تعالج به طرح الموضوعات النحوية، فقد جاءت المحاولة الأولى لعرض النحو العربي عرضاً حديثاً بعيداً عن الشروح والمتون على يد " رفاة الطهطاوي " الذي ألف أول كتاب يعرض للنحو عرضاً مختلفاً، فكان على نمط مؤلفات الفرنسيين، وخرج فيه على طريقة معاصريه من علماء الأزهر، والمقصود هو تخليص الكتب النحوية من العبارات الغامضة والاختلافات النحوية والشروح الجزئية وإعادة صياغتها بأسلوب سهل وواضح، وقد ألف بنفس الطريقة كتب كثيرة، منها: النحو الوافي، النحو الواضح، النحو الميسر، وغيرها، وهذا النوع من التأليف لم يخرج فيه عن إطار النظرية النحوية التقليدية، وقد ظل متديفاً حتى يومنا هذا رغم ما قدم من ملاحظات قديماً وحديثاً³⁵.

وفي سياق الحديث عن محاولات التيسير التي ابتدأت برفاة الطهطاوي، وجملة من ألف على طريقته، فإنه لا بد من الحديث عن حركة أخرى ظهرت وهي تتعلق بإحياء النحو، « و قد بدأت أولى محاولات الإحياء هذه بظهور كتاب " إحياء النحو " للأستاذ إبراهيم مصطفى عام 1937 الذي حرك قضية إصلاح النحو وتيسيره بشدة، والذي لا شك فيه أن صاحب " إحياء النحو " قد استفاد كثيراً من آراء الفراء وابن مضاء القرطبي فيما ذهب إليه من حمل المبنى على المعنى أو إلغاء نظرية العامل³⁶.

وفي خضم هذه الحركات الإصلاحية والإحيائية، نشأ تيار آخر ارتبط بها، يتمثل في النظر إلى اللغة العربية وعلاقتها بالحضارة الحديثة، ويتمثل هذا التيار في الدعوة إلى تطوير اللغة الفصحى أحياناً، أو اصطناع العامية بدلاً منها أحياناً أخرى، أو إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية و يمثل هذا التيار سلامة موسى ومحمد كامل حسين³⁷.

وفي نهاية البحث، وبعد كل ما تم ذكره، نخلص إلى ما يلي:

- إن النحو كان في بدايته وصفاً لكلام العرب في تركيبه المؤلف من خلال إبداء الملاحظات، وتطور بتعليقه نتيجة تطور النضج العقلي حتى وضعت القواعد ورتبت العلل بعيداً عن التقليد وكانت أصوله عربية في تنظيرها تدل عليه.

- الملاحظات النقدية عند كل من الأعراب والشعراء وتأملاتهم النحوية كثيرة مبثوثة في كتب النحو واللغة، وهي تشهد بأن العرب لم تكتف فقط بفصاحة القول ولا بتقديم الانتقاد فحسب، وإنما هي قد ركزت على التعليل لكل موقف نقدي.

- صيحات التذمر عند القدماء سواء ما تعلق منها بالتهذيب أو الإصلاح تبدوا وكأنها قد مست العلل النحوية، لكن الحقيقة أنهم لا يهاجمون العلل كلها ولا يرفضون القياس جميعه، ومثال ذلك العلل التعليمية التي لم يكن لأحد أن يطعن فيها.

- إن عمل ابن مضاء القرطبي من خلال كتابه " الرد على النحاة " وآرائه المبتوثة فيه يتمثل في عنصرين هامين لم تستطع المحاولات السابقة لإصلاح النحو أو تيسيره وتهذيبه أن تصل إليهما:
- تبدو أهمية العنصر الأول في الطريقة العلمية وفي المنهج الذي اتخذته في مهاجمة النحاة وأصول النحو العربي بصفة خاصة من حيث الدراسة النحوية ووصف نصوص اللغة.
- وتبدو أهمية الثاني في الجرأة المميزة في الدعوة إلى إلغاء أبواب كاملة من النحو معللا ذلك بالأمثلة والشواهد، حيث أصاب في بعض ما دعا إليه، وتراجع بنفس الشجاعة وباقتناع أيضا عن بعض ادعاءاته، بينما كانت المحاولات السابقة لدعوته لا تمثل سوى تذمرا ومطالبة للتيسير أو إلغاء النحو بدون مبرر، وبعضها الآخر اختار طريق الاختصار فيما ألفوه من كتب ذات طابع تعليمي مع شيء من الاختلاف في التوبيخ.
- تركزت أبحاث الإصلاحيين المحدثين على إيجاد نحو على الأقل خال من الاختلافات والجزئيات وبطريقة مختصرة وسهلة، لكن الإحيائيين وإن حاول كل فريق منهم أن يصل بالنحو إلى نظرية جديدة، فقد اختلفوا في وجهات النظر.

Abstract

Since its inception and development, the Arabic grammar has attracted many criticisms, whether it is related to the fundamentals it is based on or to its many rules

If these criticisms were spontaneous and innocent in their early beginnings, because they constitute a natural reaction to everything that is new, they were not when accompanied by the emergence of modern linguistics, as a new science with its origins and methods, and critics went in two different directions:

-The first trend: the owners worked hard to read the grammatical heritage, and worked to reconstruct it as required by modern linguistics in its descriptive method, stressing the commitment to objectivity and scientific.

The second trend: The owners tried hard and by all means to stick to the various types of charges in the Arab world on the grounds of objectivity and scientific as well.

What concerns us in this regard is the first direction, from which the research will follow the monetary attitudes that touched the Arabic grammatical form from its inception to the modern era, to prepare the subject by talking about the emergence of the Arabic grammar lesson, This is done by preparing the topic by talking about the emergence of the Arabic grammatical lesson at Abu al-Aswad al-Dawali, al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi and Sebwayeh, others of the grammarians, and then following the beginnings of the first criticism, where we record two positions, the first relates to criticism of the Arabics, and the second relates to clashes between poets and The second is the reform of grammar and critique of the curriculum of the grammarians, and then we are exposed to the position of the son of a

lighted man. Drought Is the author of the book "The Answer to the Beggars", since many modern linguists have the only attempt to relate to the principle of facilitation and reform. We are also exposed to attempts to improve the grammar of the modernists, these attempts that began with the Revaa ahtawi, and a thousand in his way, - "Revaa Tahtawi," which was the first book to display a different way, where he was the style of French literature, and went out in the way of his contemporaries of scientists Al-Azhar - which began in the form of reform or facilitate in the composition of grammar without approaching the theoretical and methodological assets, and it was initially focused on the writing of short books, and its importance lies in the scientific method in which the introduction of grammatical subjects. We also refer to the movement of revival of the grammar that emerged with the emergence of the book "revival of grammar" of Ibrahim Mustafa, who raised the issue of reform of grammar and greatly facilitated, taking advantage of the views of fur and son lit the Qurtubi in the transfer of the building of the meaning or cancel the theory of the worker, To the current represented by the safety of Moses, which calls for the development of the classical language or the synthesis of colloquial instead of or to replace the Latin letters replace the Arabic letters, so that the search in the latter to record the most important results.

key words:

Arabic grammar, poets, grammatical grammar, Iben diaa, descriptive approach, modernists,

الهوامش:

- 1 - ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط: 08، 2003، ص: 79
* من ذلك ما يتعلق بتأنيث المذكر، كتأنيث الكتاب في قول الأعرابي: " فلان لغوب جاءت كتابي فاحتقرها "، ومن ذلك أيضا تأنيث الفعل المسند إلى جمع التكسير في قولنا: " جاءت الرجال ".
- 2 - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 79.
- 3 - ينظر: بكري عبد الكريم، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص: 52.
- 4 - ينظر: حلمي خليل، من تاريخ النحو العربي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995م، ص: 18، 19.
- 5 - حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي: دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، 1995م، ص: 21.
- 6 - حلمي خليل، من تاريخ النحو العربي، ص: 31، 32.
- 7 - جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: عبد الحكيم عطية، دار البيروني، ط: 02، 2006، ص: 21.
- 8 - محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، دار عالم الكتاب، القاهرة، ص: 05.

- 9 - ينظر: الحسين بن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق: عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت، ج:01، ص: 23.
- 10 - ينظر: بكري عبد الكريم، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص: 43.
- 11 - البقرة، الآية: 275.
- 12 - ينظر: عبد الجليل مرتاض، العربية بين الطبع والتطبيع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1993م، ص: 07.
- 13 - المرجع نفسه، نفس الصفحة.
- 14- الزخرف، الآية: 77.
- 15 - ينظر: بكري عبد الكريم، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص: 45.
- 16 - حلمي خليل، من تاريخ النحو العربي، ص: 22 .
- 17 - ينظر: أبو عبد الله محمد المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1999م، ص: 141.
- 18 - ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 91.
- 19 - حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص: 49، 50.
- 20 - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 152.
- 21 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:05، 2004م، ص: 28.
- 22 - ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص: 124، 125.
- 23 - ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 157، 158، 159.
- 24 - بكري عبد الكريم، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص: 49.
- ** - نشر الكتاب لأول مرة على يد " شوقي ضيف " عام 1947.
- 25 - ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص: 55.
- 26 - بكري عبد الكريم، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص: 72.
- 27 - ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص: 55.
- 28 - ينظر: بكري عبد الكريم، ابن مضاء و موقفه من أصول النحو العربي، ص: 72.
- 29 - ينظر: محمد عيد، أصول النحو العربي، ص: 83 وما بعدها.
- 30 - الكهف، الآية: 96.
- 31 - ينظر: بكري عبد الكريم، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص: 150.
- 32 - ينظر: ممدوح عبد الرحمان الرمالي، العربية والوظائف النحوية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د ط، 1996م، ص: 13.
- 33 - أحمد مختار عضاضة، التربية العلمية و التطبيقية، مؤسسة الشرق الأوسط، لبنان، ط:03،

1962م، ص:280.

34 - ينظر: ممدوح عبد الرحمان الرمالي، العربية الوظائف النحوية، ص:13.

35 - ينظر: المرجع نفسه، ص:14.

36 - حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص: 61.

37 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 84.

خلاف النحاة في أسلوب الشرط جمعاً ودراسةً

د/ محمد إبراهيم محمد بخيت

جامعة المدينة العالمية بماليزيا

ملخص البحث:

اتسع الخلاف عند علماء النحو في الطبقة الثانية من علماء البصرة، وقد كان لهذا الاختلاف أسباب، منها: طبيعة اللغة العربية، والاختلاف المنهجي، والتنافس بين العلماء، ومن أكثر الأسباب التي أثارت الخلافات بين العلماء، الدوافع المادية والأطماع الشخصية، والعصبية للبلد، ومما اختلف فيه النحاة أسلوب الشرط، وقد دار الخلاف بينهم في أربع وسبعين مسألة تتعلق به، جمعتها، ورأيت أن أقوم ببيان الخلاف في بعضها، واشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، ففي التمهيد ذكرت التعريف بمفهوم الخلاف النحوي في اللغة والاصطلاح، ونشأته وتطوره، وأسبابه، والتعريف بأسلوب الشرط، وأما المبحث الأول: وعنوانه: مسائل الخلاف بين النحاة في أسلوب الشرط، فقد اشتمل على بيان لمسائل الخلاف في أسلوب الشرط والإحالة على مواضعها بكتب التراث، وعددها، وأما المبحث الثاني: وعنوانه: دراسة بعض مسائل الخلاف بين النحاة في أسلوب الشرط، فقد اشتمل على خمسة مطالب هي بعض مسائل الخلاف السابقة، ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ثم أتبعتها بفهرس للمراجع، وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، إذ أن المنهج الوصفي يقوم على أساس دراسة اللغة وتحديد خصائصها، ووصف طبيعتها وصفاً دقيقاً، والمنهج التحليلي الذي يهتم بتحليل النصوص النحوية والأقوال، وتكمن إشكالية البحث في الاطلاع على الكثير من كتب الخلاف النحوي، وكتب التراث؛ لاستخراج جل ما اختلف فيه النحاة في أسلوب الشرط، وترجع أهمية هذا البحث في كونه يلقي الضوء على مسائل الخلاف في أسلوب الشرط، وجمعها في دراسة واحدة، ويهدف البحث إلى: جمع ودراسة جميع مسائل الخلاف النحوي المتعلقة بباب الشرط، وذلك بالرجوع إلى كتب التراث النحوي، وأظهر البحث نتائج منها: أولاً: يُظهرُ البحثُ بعض الآثار الإيجابية للخلاف النحوي التي منها: التوسع في القواعد، والتوسع في جواز بعض المسائل، والتوسع في جواز بعض التراكمات، وإضافة بعض الأدوات في الدراسات النحوية،

وجواز تعدد وجوه الأعراب ، والتوسع في تعدد الأقوال في أي القرآن الكريم. ثانيًا : أن (كيف) يجازى بها معنى لا عملاً، وهو قول الخليل . ثالثًا : أنّ العامل في (إذا) ما في جوابها من فعل أو شبهه ، و(إذا) مضافة إلى الجملة؛ لأنها ملازمة للإضافة.

الكلمات الدلالية: الخلاف لغة واصطلاحًا ، أسباب الخلاف ، أسلوب الشرط.

The scholars' disagreement on the topic of the Conditional style, collected and studies , by Dr. Mohamed Ibrahim Mohamed Bekheet, Associate professor in the department of Arabic language, Faculty of Languages, Al-Madinah International University in Malaysia

Abstract:

The points of disagreement between Arabic grammarians started to widen in the second generation of the Basra scholars .this disagreement had its reasons ,including the nature of Arabic language ,the methodological difference and competition between scholars .also among the reasons that caused the biggest disagreement were material motives ,personal desires and chauvinism .among the points of disagreement was the Conditional style .the disagreement focused on seventy four questions under consideration which related to it I gathered them and I think about showing the disagreement in some of them .this research includes the introduction ,preface ,two studies .in the preface I mentioned the definition of disagreement in Arabic term or phrase ,its establishment and development ,its reasons and the definition of the Conditional style it includes the points of disagreement in the Conditional style and referring its topics to heritage books and its numbers The second study and its title :studying some disagreement points among the grammarians in the Conditional style. this includes FIVE demands that considered some of the previous points of disagreement ,then conclusion and it has the most important results which I discovered through the research ,then based it on reference index. in this research I depend on the descriptive analysis methodology the descriptive methodology is based on studying a language, determining its characteristics and describing its nature accurately. The analysis methodology is concerned with analyzing grammatical texts and sayings. The problem with the research lied in the need to consult many books about grammatical dispute and heritage books to extract the greatest points of dispute between grammarians in the topic of (the Conditional style). The importance of this research lies in it addressing the points of dispute in the topic of (the Conditional style) and collecting them in a single paper. The research aimed to collect and study all the points of dispute in the topic of (the Conditional style), a goal achieved by referring to Arabic grammar heritage books. The research has reached several conclusions, including the firstly :the research shows some positive effects of the disagreement in grammar following which included :expanding in structures ,expanding in accepting some matters ,expanding in accepting some structures ,adding some tools in grammatical studies ,accepting multi expressions and expanding in multi sayings in the holy Quran Secondly:how is done with it meaning not work, this is ELKHALIL SAID, thirdly, the benefit of conditional if which its

answer from verb and phrasal verb, and additional to a sentence because its attachment for additioning.

Keywords: dispute in language and terminology, reasons of dispute, Conditional style

المقدمة:

بدأ الخلاف يتسع عند علماء النحو في الطبقة الثانية من علماء البصرة، فقد كان علماء هذه الطبقة أوفر حظاً في هذا الشأن ممن سبقهم من علماء الطبقة الأولى، حيث ازدادت المباحث لديهم ، ونشأت حركة النقاش بينهم ، وأضافوا كثيراً من القواعد ، ولم يقتصر الخلاف بين النحاة إلى انتقاد بعضهم بعضاً ، وإنما توسع ليشمل الشعراء والقراء ، ولم يتوقفوا عند معاصريهم وإنما امتد ليشمل شعراء العصر الجاهلي والمخضرمين، ومتقدمي القراء ، وقد وصل الأمر إلى أن فرض النحاة أنفسهم على معاصريهم من الشعراء، وبعد أن كان الخلاف هادئاً في عهد الخليل بن أحمد، وأبي جعفر الرؤاسي ، اشتد بين الكسائي وسيبويه ، وأول مظهر من مظاهر الخلاف بين المدرستين ما كان من أمر مناظرة سيبويه والكسائي بحضرة يحيى بن خالد البرمكي في المسألة الزنبورية⁽¹⁾، ومناظرة الكسائي مع الأصمعي بحضرة الرشيد في رفع (رئمان) ونصبها وجرها من قول أفنون التغلبي⁽²⁾ ، وهذه المناظرات لا تعدو أن تكون مظهرًا من مظاهر التنافس بين العلماء ؛ للوصول إلى الرزق ، أو بلوغ المنزلة عند السلطان ، فالخلاف بدأ مبكرًا ، لكنه لم يتخذ شكل العصبية المذهبية إلا عند المتأخرين ، وقد كان لهذا الاختلاف أسبابه، وأكثر هذه الأسباب التي أثارت الخلافات بين العلماء، الدوافع المادية والأطماع الشخصية، والعصبية للبلد، ومنها: طبيعة اللغة العربية، والاختلاف المنهجي بين المدرستين ، والتنافس بين العلماء، ومما اختلف فيه النحاة بابًا من أبواب النحو الهامة هو باب الضمير، وفيه اختلف النحاة اختلافًا واسعًا في مسائل تتعلق بأسلوب الشرط ، وقد دار الخلاف فيه بين النحويين في أربع وسبعين مسألة، جمعتها، ورأيت أن أقوم ببيان الخلاف في بعضها.

أهمية البحث : ترجع أهمية هذا البحث في كونه يلقي الضوء على مسائل الخلاف في أسلوب الشرط ، وجمعها في دراسة واحدة .

كما يهتم هذا البحث بإظهار اتجاه يقوم على دراسة الخلاف الموضوعي في النحو العربي ، بجمع مسائل الخلاف المتعلقة بباب أو جزئية واحدة في مؤلف خاص ، ومن المؤلفات التي اهتمت بهذا المنحى:

1. بشائر عبد الله علاونة ، الخلافات النحوية واختيارات أبي حيان في المنصوبات في كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب - رسالة ماجستير - جامعة اليرموك.
 2. الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين في باب المرفوعات والتي سكت عنها الأنباري في الإنصاف من خلال كتاب ارتشاف الضرب لأبي حيان .
 - 3.الخلاف النحوي في باب التنازع جمعاً ودراسة،العدد الثاني والعشرين، مجلة مجمع جامعة المدينة العالمية .
- إشكالية البحث: تكمن إشكالية البحث في الاطلاع على الكثير من كتب الخلاف النحوي ، وكتب التراث ؛ لاستخراج جل ما اختلف فيه النحاة في مسائل أسلوب الشرط.
- أهداف البحث: يهدف البحث إلى:جمع ودراسة جُلّ مسائل الخلاف النحوي المتعلقة بأسلوب الشرط ، وذلك بالرجوع إلى كتب التراث النحوي .
- أسئلة الدراسة: تدور وتتمحور أسئلة هذه الدراسة في التساؤلات التالية:

1 - ما مسائل الخلاف بين النحويين في أسلوب الشرط ؟

2 - هل أضاف خلاف النحويين في أسلوب الشرط جديداً في الدرس النحوي ؟

المصطلحات والمفاهيم : يسهم البحث في بيان :

أولاً: مفهوم الخلاف أو المخالفة، فالخلاف معناه في اللغة :المضادة ،واصطلاحاً : هو أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله وقوله، ويعبر بالخلاف عموماً لإرادة المسائل المختلف فيها على وجوهها المتعددة .

ثانياً: أسلوب الشرط : وهو وقوع الشيء لوقوع غيره⁽³⁾، أو هو تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني⁽⁴⁾ .

حدود البحث: هذا البحث لا حدود له زمانية أو مكانية ، وله حدود موضوعية حيث تركز هذه الدراسة على دراسة مسائل الخلاف المتعلقة بأسلوب الشرط على النحو الذي تظهره الدراسة .

منهج البحث : اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي،والمنهج التاريخي إذ أن المنهج الوصفي يقوم على أساس دراسة اللغة وتحديد خصائصها، ووصف طبيعتها وصفاً دقيقاً ، والمنهج

التحليلي الذي يهتم بتحليل النصوص النحوية والأقوال، والمنهج التاريخي الذي يقوم على تتبع الظاهرة في مرحلة زمنية معينة .

أدوات البحث : تمثلت أدوات البحث ومنهجيته في النقاط التالية :

أولاً: جمع جُلِّ مسائل الخلاف النحوي المتعلقة بأسلوب الشرط ، وذلك بالرجوع إلى كتب التراث النحوي .

ثانياً: دراسة بعض مسائل الخلاف النحوي المتعلقة بأسلوب الشرط.

ثالثاً: التمهيد للمسألة المذكورة بمقدمة تعين على فهمها.

رابعاً: الاستدلال بالشواهد القرآنية والشعرية والنثرية على المسألة موضع الدراسة ، مع بيان موضع

الشاهد واللغة في البيت الشعري .

خامساً: وثقت النصوص والآراء ، وذلك بالرجوع إلى مؤلفات أصحابها، أو إلى أمهات الكتب النحوية .

سادساً: سرد آراء النحويين في المسألة وأدلة كل فريق مع الرد على أدلة الفريق الضعيف مستنداً في

ذلك على أقوال النحويين ، وبما استدلووا به من شواهد قرآنية ، وشعرية ، ونثرية ، وعلل نحوية .

سابعاً: ضبط الشواهد الشعرية ضبطاً تاماً معتمداً في ذلك على كتب الشواهد كالخزانة ، وغيرها .

ثامناً: استخرجت مسائل الخلاف في أسلوب الشرط من خلال الاطلاع على الكثير من كتب النحو

التراثية ؛ وذلك بهدف جمع كل ما ذكره النحاة من مسائل تتعلق بهذا الباب .

تاسعاً: ذكرت المعلومات كاملة عن المصادر والمراجع في نهاية البحث في ثبت المراجع والمصادر .

الدراسات السابقة : لا توجد رسالة أو بحث علمي تناول هذه المسائل مجتمعة بالبحث والدراسة من قبل،

إلا أن بعض هذه المسائل قد تناولتها بعض كتب النحو ، وقد اعتبرت هذه الكتب من مراجع الدراسة ،

وقد استفدت من عرضها وأحلت عليها أثناء الدراسة ، ومن هذه الكتب:

1 - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، الأنباري، أبو البركات محمد بن القاسم أبو

بكر، تح: حسن حمد ، ط 1 (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1418هـ . 1998 م).

2- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين للعكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، تح/ د. عبد

الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط1 (دم: دار الغرب الإسلامي، 1406هـ ، 1986م).

3. ما فات الإنصاف من مسائل الخلاف - فتحي بيومي حمودة - رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة ، دار العلوم.
4. مسائل الخلاف التصريفية بين البصريين والكوفيين جمعٌ ودراسة لعبد الله بن منور الجميلي - رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية.
- إجراءات البحث وهيكله: اشتمل هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين ، وخاتمة ، وتوصيات ، وفهرس للمراجع .
- فأما المقدمة فذكرت فيها: أهمية البحث وأهدافه ، وإشكاليته ، ومنهجه ، والدراسات السابقة ، وأدوات البحث وهيكله ، وأما التمهيد فاشتمل على التعريف بمفهوم الخلاف النحوي في اللغة والاصطلاح ، ونشأته وتطوره ، وأسبابه ، والتعريف بأسلوب الشرط وأدواته .
- وأما المبحث الأول: وعنوانه : مسائل الخلاف بين النحاة في أسلوب الشرط ، فقد اشتمل على سردٍ لمسائل الخلاف في أسلوب الشرط والإحالة على مواضعها بكتب التراث .
- وأما المبحث الثاني: وعنوانه: دراسة بعض مسائل الخلاف بين النحاة في أسلوب الشرط ، واشتمل على عدة مطالب :
- المطلب الأول: مسألة : الجزم بكيف . المطلب الثاني: مسألة: الخلاف في العامل في إذا .
- المطلب الثالث: مسألة الخلاف في العامل في جواب الشرط.
- المطلب الرابع: مسألة الخلاف في (لما) ، أهي حرف أم ظرف ؟
- المطلب الخامس: مسألة الخلاف في (لو) إذا أشريت معنى التمني ، أهي قسم برأسها أم هي الشرطية ؟
- ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ، ثم أتبعها بفهرس للمراجع .
- التمهيد: مفهوم الخلاف النحوي:
- الخلاف لغة :معناه : المخالفة(5) ، قال تعالى(قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ(6)) ، أي :مخالفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (7) ، والخلاف معناه :المضادة ، وقد خالفه مخالفةً وخلافًا (8)، والخلاف ضد الموافقة ، وخالف خلافًا ومخالفةً ضد وافقه .

الخلاف في الاصطلاح :لا يختلف مدلول الخلاف في الاصطلاح عنه في اللغة، فمعانيه تدور حول الاختلاف والمخالفة ، والخلاف : هو أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله وقوله(9) ، ويعبر بالخلاف عموماً لإرادة المسائل المختلف فيها على وجوهها المتعددة(10) .

الخلاف : نشأته وتطوره ، وأسبابه : أولاً: الخلاف : نشأته وتطوره:

ملاحح الخلاف النحوي بدأت تتسع عند علماء الطبقة الثانية من علماء البصرة ، ومنهم :عبد الله بن أبي إسحاق ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر، فقد كان علماء هذه الطبقة أوفر حظاً في هذا الشأن ممن سبقهم من علماء الطبقة الأولى، فقد ازدادت المباحث لديهم ، وأضافوا كثيراً من القواعد، ونشأت حركة النقاش بينهم ، فعبد الله بن أبي إسحاق كان أول من نشط للقياس وأعمل فكره فيه ، وخرّج عليه مسائل كثيرة ، وافقه عليه عيسى بن عمر ، وخالفهما بعض معاصريهم ، فانفسح ميدان القول في هذا العلم(11) ، فلم يقتصر الخلاف بين النحاة إلى انتقاد بعضهم بعضاً ، وإنما توسع ليشمل القراء والشعراء ، ولم يتوقفوا عند معاصريهم وإنما امتد ليشمل متقدمي القراء وشعراء العصر الجاهلي ، والمخضرمين ، وقد وصل الأمر إلى أن فرض النحاة أنفسهم على معاصريهم من الشعراء(12) ، والذي أعطى النحاة هذه السطوة والمكانة هو سعيهم إلى حفظ اللغة وسلامة القرآن بعد أن بدأ الضعف يتطرق إلى اللغة ، وبعد أن فشا اللحن بين الأقدمين اعتقد النحاة أن العربي يجوز عليه الخطأ ويصدر عنه الغريب ، فهم لذلك جديرون بأن ينظروا فيما قالت العرب ، وأن يتجهوا إلى أفصحها لساناً وأقواها بياناً(13) ، فظهرت عند نحاة هذه الطبقة ، ولاسيما عند عبد الله بن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ظاهرة الطعن على العرب(14)، وعدم التسليم بكل ما تقوله العرب، وإن العرب يجوز عليهم الخطأ ، وما فعله نحاة الطبقة الثانية البصرية من تغليط للشعراء دفع متأخري النحاة إلى تخطئة من يحتج بشعره من الجاهليين ، فقد نقل السيوطي في المزهري عن علماء اللغة والنحو أقوالاً كثيرة لنحاة ولغويين أجازوا لأنفسهم تغليط الشعراء(15).

أما الموقف الذي اتخذته النحاة من القراء ، فلم يختلف كثيراً عن موقفهم من الشعراء ، فكما لم يسلم الشعراء من تغليط النحاة وتخطئتهم ، كذلك لم يسلم القراء، فقد ضعف النحاة قراءة بعضهم ، واتهموا بعضهم بالجهل بأصول العربية (16)،فالنحاة قد نقدوا القراء وضعفوا قراءاتهم واتهموهم بالجهل بأصول العربية كما فعلوا مع ابن عامر مقرئ أهل الشام وحمزة بن حبيب الزيات مقرئ أهل الكوفة،ونافع مقرئ

أهل المدينة ، مع العلم بأن القراء لا يعملون بشيء من حروف القرآن على الأغلب والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل ، فإذا ثبتت عندهم رواية قبلوها، ولم يحل دون قبولها خروجها على القياس ، ومنافاتها لحكم الأغلب ؛ وذلك لأن القراءة عندهم سنة متبعة ، والإسناد هو محور القبول والرفض ، فما صح منه قبلوه ، ولو تعارض مع مقاييس النحاة ، وما لم يصح رفضوه ولو وافق أصولهم(17) .

وبعد أن استمر الخلاف هادئاً إلى عهد الخليل في البصرة ، والرؤاسي في الكوفة ، اشتد بين الكسائي وسيبويه ، وأول مظهر من مظاهر الخلاف بين المدرستين ما كان من أمر مناظرة سيبويه والكسائي بحضرة يحيى بن خالد البرمكي في المسألة الزنبورية(18) ، ومناظرة الكسائي مع الأصمعي بحضرة الرشيد في رفع (رئمان) ونصبها وجراها من قول أفنون التغلبي(19) ، وهذه المناظرات لا تعدو أن تكون مظهرًا من مظاهر التنافس بين العلماء؛ للوصول إلى الرزق أو بلوغ المنزلة عند السلطان ، فقد جاء سيبويه من البصرة؛ ليحل في بلاط الخلافة سيدا للعلماء ، وبهذا يفقد الكسائي ما يشغله في قلوب ذوي الأمر ، فالخلاف إذن بدأ مبكراً ، لكنه لم يتخذ شكل العصبية المذهبية إلا عند المتأخرين ، وذلك عندما أصبح كتاب سيبويه الأساس الذي يقوم عليه الخلاف ، فهو قد ضمنه كثيرا من المؤاخذات النحوية ، فقد غلط فيه عيسى بن عمر ويونس والخليل ، واتهم بعض العرب بالوهم في بعض الأساليب التي رويت وبذلك فتح سيبويه باب المؤاخذات النحوية واسعاً على مصراعيه ، ولم ينج كتابه نفسه من تخطئة النحويين ، فقد نظر فيه الأخفش ، وكان يعلق عليه تارة ويخطئ تارة وتارة يستدرك ، وكذلك فعل الكسائي والقراء والمازني وغيرهم ، فجميعهم قرأوا الكتاب وعنوا به وعلقوا عليه ، وكانوا يختلفون مع صاحبه في بعض المسائل(20) ثم جاء المبرد فجمع هذه التعليقات وزاد عليها شيئاً في كتاب سماه (مسائل الغلط) ثم دار الخلاف في هذه التعليقات فألفت الردود والكتب ، واشتد الخلاف واتخذ إطار المذهبية بعد التقاء المذهبيين في بغداد فظهر نحاة متعصبون انقسموا على أنفسهم ثعلب (ت291هـ) وتلاميذه، والمبرد (ت285هـ) وتلاميذه ، واشتد الأمر كثيرا بمجيء السيرافي(ت368هـ) وأبي علي الفارسي(ت377هـ) ، والرماني (ت384هـ) ، إذ اتخذ الخلاف شكلاً من أشكال الجدل والمنطق والفقہ .

ثانياً: أسباب الخلاف النحوي: إن أسباب الخلاف بين النحاة كثيرة ، وهي مثار خلاف بين الباحثين قديماً وحديثاً ، ولكن يمكن إرجاع أسباب الخلاف النحوي إلى الآتي :

أ . طبيعة اللغة العربية التي تمتاز بالاتساع وغزارة الألفاظ ؛ لأنها تنتشر في أراض مترامية الأطراف ، في قبائل تفصل بينهم الحواجز الطبيعية ، فتكون لكل منهم لغته الخاصة ، حتى يكاد بعضهم لا يميز لغة الآخرين حتى قيل: (ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا) (21) .

ب . طبيعة النحو العربي التي تقوم على الاجتهاد والتعليل تجعل النحوي يجتهد آراء نحوية ينفرد بها ، مما يؤدي إلى تباين وجهات نظر النحاة في التعليل والاجتهاد ؛ لأن الاجتهاد يقوده إلى طرح العلل والظواهر النحوية لتعزيز الرأي الذي يراه ، ومن الطبيعي أن يجتهد النحوي بقدر ما يمتلك من حس لغوي ونفاد ذهني ، تمليه عليه ثقافته اللغوية واجتهاده الشخصي(22) .

ج . الاختلاف المنهجي : اتخذ الكوفيون منهجًا يختلف كثيرًا عن منهج البصريين ، فإذا كان منهج أهل البصرة أساسه القياس على الكثير ، ونبذ القليل النادر والتأويل ، فإن الكوفيين اعتمدوا على السماع العام قليلا كان أم كثيرا ، ومن هنا زاد البعد بين الفريقين ، وهذا الاختلاف المنهجي تمثل في النزعة العقلية ، والفلسفية لدى بعض النحاة ، أو الاهتمام بالسماع وتغليبه على النزعة العقلية لدى بعضهم الآخر ، وتأثر بعضهم بالعلوم الأجنبية ، أو الإسلامية مما ساعد على طبع درسهم النحوي بطابع وسمات مميزة(23) .

د . التنافس بين العلماء: سعى علماء المصرين البصرة والكوفة إلى إظهار مقدرتهم العلمية ، بغية كسب جاه علمي أو مالي مما أدى إلى ظهور آراء متباينة ، كل رأي منها يعبر عن شخصية صاحبه ، وقد أسهم الخلفاء والأمراء في إثارة التنافس بين العلماء ، فكانت أغلب المناقشات على أيديهم ، فحكموا في كثير منها ، فنصروا وخذلوا ، ورفعوا وخفضوا ، فكان لذلك أثره في زج العلماء بأنفسهم في هذا التنافس الذي كان يأمل كل واحد فيه أن يكون المجلي(24)

هـ . الدوافع المادية والأطماع الشخصية ، والعصبية للبلد ، من أكثر الأسباب التي أثارت الخلافات بين العلماء ، ولونت الخلاف بشيء من العنف(25) .

ثالثا: التعريف بأسلوب الشرط: مصطلح الشرط: هو وقوع الشيء لوقوع غيره(26)، وجاء في التعريفات: الشرط: تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني(27) ، وكلمة الشرط تتطلب جملتين يلزم من وجود مضمون أولاهما فرضا حصول مضمون الثانية، فأدوات الشرط كلمات وضعت لتدل على التعلق بين جملتين، والحكم بسببية أولاهما ومسببية الثانية(28).

أقسام أدوات الشرط: ثلاثة أقسام: القسم الأول: أدوات الشرط الجازمة، وهي: إن، وإذما، ومتى، وأيان، وأين، وأتى، وحيثما، ومن، وما، ومهما، وأي. والقسم الثاني: أدوات الشرط غير الجازمة، وهي: لولا، ولوما، ولما، وكلما، وأما.

والقسم الثالث: أدوات الشرط التي اختلفت في عملها الجزم، وهي: إذا، وكيف، ولو. المبحث الأول: مسائل الخلاف النحوي في أسلوب الشرط، وفيه أربع وسبعون مسألة خلافية:

1. الخلاف في (لما)، أ هي بسيطة أم مركبة؟ (29)

2. الخلاف في (لم) و(لما)، هل يصرفان لفظ الماضي إلى المضارع دون معناه؟ (30)

3. الخلاف فيما أفادته (لما) في النفي (31). 4 - الخلاف في جواز الفصل بين (لم) ومعمولها بالشرط (32).

5- الخلاف في (إنما)، أ هي حرف أم ظرف زمان؟ (33) 6. الخلاف في جواز الجزم بـ(إنما) في الكلام (34).

7. الخلاف في جواز رفع ما بعد (إن) حملاً لها على (لو) (35). 8 . الخلاف في (مهما)، أ هي بسيطة أم مركبة؟ (36)

9. الخلاف في (مهما)، أ هي اسم أم حرف؟ (36)

10. الخلاف في جواز خروج (مهما) من الشرط إلى الاستفهام (37).

11. الخلاف في جواز دخول حرف الجر على (مهما) (38). 12. الخلاف في وقوع (ما) و(مهما) ظرفي زمان (39).

13. الخلاف في (مهم) هل هي من الجوازم؟ (40)

14. الخلاف في جواز إهمال (متى) حملاً لها على (إذا) (41).

15. الخلاف في جواز جعل (متى) حرف جر بمعنى (من) (42). 16 . الخلاف في جواز الجزم بـ(أيان) (43).

17. الخلاف في جواز الجزم بـ(إذا) في الاختيار إذا زيدت بعدها (ما) (44).

18. الخلاف في جواز مجيء (إذا) زائدة (45). 19. الخلاف في جواز المجازاة بـ(كيف). (46)

20. الخلاف في جواز إضمار (كان) بعد (من) (47).

21. الخلاف في جواز الفصل بين (من) والفعل بالعطف عليها وبالتأكيد (48).
22. الخلاف في جواز تقديم الاسم على إضمار الفعل قبله ، والتفسير بعده مع غير (إن) من الأدوات ضرورة (49) .
23. الخلاف في الرابط بين جملة الجواب وجملة الشرط ، أ هو (إذا) أم على إضمار (الفاء) . (50)
24. الخلاف في جواز جزم الفعل المضارع إذا كان الشرط ماضياً . (51)
25. الخلاف في رفع الجواب إذا كان مضارعاً والشرط ماضياً . (52)
26. الخلاف في الجازم لفعل الشرط . (53) 27. الخلاف في الجازم لفعل لجواب . (54)
28. الخلاف في جواز تقديم معمول فعل الجواب على الأداة . (55)
29. الخلاف في جواز تقديم فعل الجواب على الشرط . (56)
30. الخلاف في جواز حذف جواب الشرط إذا كان فعل الشرط مستقبلاً قياساً على المعنى . (57)
31. الخلاف في جواز الجزم إذا أضيف إلى (من) و(ما) و(أي) ظرف زمان . (58)
32. الخلاف في جواز الجزم ب(من) بعد الهمزة (59) . 33. الخلاف في جواز أن تكون جملة الشرط والجزاء خبراً لاسم الشرط (60) . 34. الخلاف في حذف فعل الشرط ، هل يشترط فيه تعويض (لا) من الفعل المحذوف؟ (61)
35. الخلاف في جواز حذف جواب الشرط أو الشرط وحده بعد غير (إن) . (62)
36. الخلاف في الجواب إذا توالى شرطان فصاعداً من غير عطف (63) . 37. الخلاف في شرط الجزم ب(إن) و(حيث) (64) .
38. الخلاف في جواز زيادة (ما) بعد (إن) و(أين) و(متى) و(أيان) و(كيف) . (65)
39. الخلاف في جواز أن يكون فعل الشرط مضارعاً وفعل الجواب ماضياً في الاختيار . (66)
40. الخلاف في استقبال الشرط والجزاء في (كان) إذا كانت شرطاً . (67)
41. الخلاف في جواز أن يكون الفعل الماضي لفظاً ومعنى مصحوباً ب(الفاء) و(قد) أو (بالفاء) وحدها وهو جواب الشرط (68) . 42. الخلاف في جواز مجيء (إن) بمعنى (إن) (69) .
43. الخلاف في جواز مجيء (إن) بمعنى (إذا) (70) .
44. الخلاف في الشرط الذي لا يقتضي التكرار لو انفرد وربط بالفاعل ما يقتضي التكرار وأمكن تكراره وكان مناسباً (71) . 45. الخلاف في الشرط غير المناسب إذا كان مربوطاً ب(الفاء) أ يقتضي التكرار أم لا يقتضي (72) .

46. الخلاف في (كلما) التي تقتضي التكرار⁽⁷³⁾ . 47 . الخلاف في العامل في جواب الشرط⁽⁷⁴⁾.
48. الخلاف في (أما) ، أهي حرف بسيط أم حرف إخبار أم حرف جزاء ؟⁽⁷⁵⁾
49. الخلاف في جواب (أما) إذا فصل بالشرط بينها وبين معمولها⁽⁷⁶⁾ .
- 50 - الخلاف في شروط عمل ما بعد (الفاء) بما قبلها⁽⁷⁷⁾ .
- 51 - الخلاف في جواز إعمال (أما) في الأسماء الصريحة⁽⁷⁸⁾ .
- 52 - الخلاف في (لو) إذا أشربت معنى التمني ، أهي قسم برأسها أم هي الشرطية؟⁽⁷⁹⁾
- 53 - الخلاف في (لما) ، أهي حرف أم ظرف ؟⁽⁸⁰⁾.
- 54 - الخلاف في جواز اقتران جواب (لما) الماضي بـ(الفاء) أو بجملة اسمية مقرونة بـ(الفاء) أو بمضارع⁽⁸¹⁾.
- 55 - الخلاف في (الواو) في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ ﴾⁽⁸²⁾ .
- 56 - الخلاف في جواز أن تأتي (لو) بمعنى (إن)⁽⁸³⁾ . 57 . الخلاف في دلالة (لو)⁽⁸⁴⁾.
58. الخلاف في عمل (لو) إذا دخلت على المستقبل⁽⁸⁵⁾. 59. الخلاف في جواز أن يلي (لو) فعل مضم⁽⁸⁶⁾ .
60. الخلاف في جواز أن تأتي بعد (لو) جملة اسمية من مبتدأ وخبر⁽⁸⁷⁾.
61. الخلاف في جواب (لو) في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ ﴾⁽⁸⁸⁾ .
62. الخلاف في جواز أن يأتي جواب (لو) بـ(الفاء)⁽⁸⁹⁾. 63. الخلاف في جواب (لو) إذا أشربت معنى التمني⁽⁹⁰⁾.
64. الخلاف في (اللام) في جواب (لولا) (91) . 65. الخلاف في جواز تقديم جواب (لولا) عليها⁽⁹²⁾.

66- الخلاف في جواز أن تأتي (لولا) بمعنى (ما) النافية (93) . 67. - الخلاف في جواز وقوع (إذا) مفعولاً به⁽⁹⁴⁾ 68 . - الخلاف في العامل في (إذا).⁽⁹⁵⁾ 69 . الخلاف في جواز جر (إذا) بـ(حتى).⁽⁹⁶⁾

70. الخلاف في جواز وقوع (إذا) مبتدأ.⁽⁹⁷⁾ 71- الخلاف في (الفاء) الداخلة على (إذا).⁽⁹⁸⁾

72. الخلاف في جواز مجيء الجملة الفعلية بعد (إذا).⁽⁹⁹⁾

73 . الخلاف في جواز حذف (بين) بعد (ما).⁽¹⁰⁰⁾

74- الخلاف في جواز تفرغ (لما) بعد (أن) وقد تقدمها (ما علمت)⁽¹⁰¹⁾ .
المبحث الثاني:دراسة بعض مسائل أسلوب الشرط ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مسألة : الجزم بكيف⁽¹⁰²⁾ : ذكر النحويون لـ(كيف) استعمالات ثلاثة :

أحدها : الاستفهام ، فيستقهم بها عن الحال ،وهي ظرف عند سيويوه ، واسم مبهم عند الأخفش ، والسيرافي ، وصححه ابن يعيش⁽¹⁰³⁾ ، ويترتب على هذا الخلاف أمور :
الأول أن موضعها عند سيويوه نصب دائماً،وعندهما رفع مع المبتدأ نصب مع غيره .
الثاني : أن تقديرها عند سيويوه في أي حال ، أو على أي حال ، وعندهما تقديرهما في نحو : (كيف زيد؟ أصبح زيد؟) ، ونحوه : (كيف جاء زيد؟ أراكباً زيد؟) ، ونحوه .

الثالث أن الجواب المطابق عند سيويوه أن يقال : (على خير) ، ونحوه فإن أوجب على المعنى دون اللفظ قيل : (صحيح ، أو سقيم) ، وعندهما على العكس⁽¹⁰⁴⁾ .

الثاني : من الاستعمالات العطف نقله ابن هشام في المغني⁽¹⁰⁵⁾ عن عيسى بن موهب قال : " ذكره في كتاب العلل ، وأنشد عليه قول الشاعر :

إذا قلَّ مالُ المرءِ لانتَ فئاتُهُ وهانَ على الأدنى فكيفَ الأبعدِ⁽¹⁰⁶⁾

قال : وهذا خطأ لاقترانها بالفاء ، وإنما هي هنا اسم مرفوع المحل على الخبرية ، ثم يحتمل أن (الأبعد) مجرور بإضافة مبتدأ

محذوف أي : (فكيف حال الأبعد) ، فحذف المبتدأ على حد قراءة ابن جمان⁽¹⁰⁷⁾ : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾⁽¹⁰⁸⁾ ، أو بتقدير : (فكيف الهوان على الأبعد) ، فحذف المبتدأ ، والجار ، أو بالعطف بالفاء ، ثم أقحمت (كيف) بين العاطف ، والمعطوف لإفادة الأولوية بالحكم " .⁽¹⁰⁹⁾

الثالث : المجازة ، وقد اختلف النحويون في إفادة (كيف) المجازة معنى ، وعملاً .

قال ابن الضائع: " زعم الكوفيون ⁽¹¹⁰⁾ أن (كيف) يجازى بها , فيجزم الفعل بها , وزعم الخليل ⁽¹¹¹⁾ أن الجزم بها قبيح " ⁽¹¹²⁾.

وقد اختلف النحويون في المجازة بـ (كيف) على ثلاثة أقوال :

الأول : ذهب الكوفيون إلى : أن (كيف) يجازى بها كما يجازى بـ(متى ما) , و(أينما) , وما أشبههما من كلمات المجازة , قال الفراء (113): " إذا رأيت حروف الاستفهام قد وصلت بـ(ما) مثل قوله : أينما , ومتى ما , وأي ما , وحيث ما , وكيف ما , و «أَيًّا مَا تَدْعُوا» (114) كانت جزء , ولم تكن استفهاماً , فإذا لم توصل بـ(ما) كان الأغلب عليها الاستفهام , وجاز فيها الجزء , فإذا كانت جزء جزمت الفعلين , وإلى هذا ذهب قطرب(115) من البصريين قال في (كيف) معنى الشرط : " ألا ترى أنك إذا قلت : (كيف يكن أكن) , فمعناه على أي حال يكون أكون عليه " (116) .

واحتج الكوفيون بالقياس وبالسمع : فأما القياس فإن (كيف) مشابهة لكلمات المجازة في الاستفهام , فهي سؤال عن الحال كما أن (أين) سؤال عن المكان , و(متى) سؤال عن الزمان . وأيضاً فإن معناها معنى كلمات المجازة , فمعنى (كيفما تكن أكن) : (في أي حال تكن أكن) , كما أن معنى(أينما تكن أكن) : (في أي مكان تكن أكن) , ومعنى(متى ما تكن أكن) : (في أي وقت تكن أكن) , ولهذا قال الخليل مخرجها مخرج الجزء , وإن لم يقل أنها من حروف الجزء , فلما شابته (كيف) ما يجازى به في الاستفهام , ومعنى المجازة فوجب أن يجازى بها , فإن قيل : إنما لم يجز المجازة بها ؛ لأنها لا تتحقق بها ؛ لأنه إذا قيل : (كيف تقم أقم) , فقد ضمنت له أن تكون على أحواله كلها , وذلك متعذر , ومردود بالإجماع على جواز : (كيف تكون أكون) , وكان ينبغي ألا يجوز مثله , فلما جاز بالإجماع دل على صحة ما ذهبنا إليه ⁽¹¹⁷⁾ .

وأما السماع فمنه ما جاء في فصيح الكلام قال تعالى : «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» ⁽¹¹⁸⁾ , وقال تعالى : «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ» ⁽¹¹⁹⁾ , وقال تعالى : «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ» ⁽¹²⁰⁾ , وجوابهما في ذلك كله محذوف ؛ دلالة ما قبله عليه ⁽¹²¹⁾

والثاني : ذهب بعض النحويين ⁽¹²²⁾ إلى : أن (كيف) لا تجزم إذا أفادت معنى المجازة إلا إذا انضمت إليها (ما) الزائدة , وهو ظاهر عبارة ابن آجروم ⁽¹²³⁾ قال في مقدمته المسماة بمتن الأجرومية : " والجواز ثمانية عشرة , فعد منها (كيفما) " .

والقول الأخير : ذهب جمهور البصريين ⁽¹²⁴⁾ إلى : أن (كيف) لا يجازى بها .

قال سيبويه : " وسألت الخليل عن قوله (كيف تصنع أصنع) , فقال : هي مستكرهة , وليست من حروف الجزء , ومخرجها على الجزء ؛ لأن معناها (على أي حال تكن أكن) , واختلف في تفسيره ,

فأكثرهم على أن سيبويه ، وجمهور البصريين يجيزون المجازة بها معنى لا عملاً⁽¹²⁵⁾ ، وبعضهم على أن المجازة بها من قبيل الشاذ ، ولا تجوز في سعة الكلام⁽¹²⁶⁾ .

وهو ظاهر عبارة السيوطي قال : " ولا يجازي بـ(كيف) ، وقال سيبويه ، وكثير يجازي بها معنى لا عملاً " ⁽¹²⁷⁾ .

واحتج الجمهور لصحة مذهبهم : بأنه لو جوزي بـ(كيف) لعرف ذلك بالسمع ، وبالقياس لا وجه إلى الأول ، فإنه لا يثبت فيه سماع ، ولا وجه للثاني من خمسة أوجه :

أحدها : أن معنى أدوات الشرط تعليق فعل بفعل ، و(كيف) لو علقت لعلقت حال الفعل ، أو المفعول بحال أخرى ، والفعل يمكن الوقوف عليه ؛ لظهوره ، والحال لا يمكن ذلك فيها لخفائها .

الثاني : أن من الأحوال ما لا يدخل تحت الاختيار ، فلا يصح أن يعلق عليها حال ألا ترى أنه لو قال : (كيف تذهب أذهب) ، فذهب مكرهاً ، أو مغموماً لم يصح تكلف ذلك في جواب الشرط ، ومثل ذلك لو كان فعلاً لم يصح المجازة به كقولك : (إن مت مت) ⁽¹²⁸⁾ .

الثالث : أنها نقصت عن سائر أخواتها ؛ لأن جوابها لا يكون إلا نكرة ؛ لأنها سؤال عن حال ، والحال لا يكون إلا نكرة ، وسائر أخواتها تارة تجاب بالمعرفة ، وتارة تجاب بالنكرة ، فلما قصرت عن أحد الأمرين ضعفت عن تصريفها في مواضع نظائرها من المجازة . ⁽¹²⁹⁾

الرابع : إنما لم يجز المجازة بها ؛ لأنها لا يجوز الإخبار عنها ، ولا يعود إليها ضمير كما يكون ذلك في (من ، وما ، وأي ، ومهما) ، فلما قصرت في ذلك عن نظائرها ضعفت عن تصريفها في مواضع نظائرها من المجازة .

الخامس : أن الأصل في الجزاء أن يكون بالحرف إلا أن يضطر إلى استعمال الأسماء ، ولا ضرورة ههنا تلجئ إلى المجازة بها ، فينبغي أن لا يجازى بها ؛ لأنها وجدنا (آيا) تغني عنها ألا ترى أن القائل إذا قال : (في أي حال تكن أكن) ، فهو في المعنى بمنزلة : (كيف تكن أكن) .

قال ابن الأنباري : " غير أن هذا الوجه عندي ضعيف ؛ لأن (آيا) كما تتضمن الأحوال تتضمن الزمان ، والمكان ، وغير ذلك ، فكان ينبغي أن يستغني بها عن (متى ، ما ، أينما) ، وغيرها من كلمات المجازة ، فلما لم يستغنوا بها عنها دل على ضعف هذا التعليل " ⁽¹³⁰⁾ .

وقد رد الجمهور على ما ذهب إليه الكوفيون فقالوا: فأما قولهم : إن (كيف) أشبهت كلمات المجازة في الاستفهام ، وإن معناها كمعنى كلمات المجازة ، فلا يستقيم لهم ؛ لأن (كيف) لو أريد بها المجازة ، فقيل : (كيف تكن أكن) ؛ لضمن المتكلم المخاطب أن يكون على أحواله ، وصفاته كلها ، وأحوال الشخص كثيرة يتعذر أن يكون المجازي عليها كلها ؛ لأنه يتعذر أن يتفق شخصان في جميع أحوالهما بل ربما كان كثير من الأحوال لا يدخل تحت الإمكان كالصحة ، والسقم ، والضعف إلى غير ذلك ، فإن أحدهما لو

كان سقيماً ، والآخر صحيحاً ، أو ضعيفاً ، والآخر قوياً لما كان يمكن السقيم أن يجعل نفسه صحيحاً ، ولا الضعيف أن يجعل نفسه قوياً ، فأما (متى ما) ، و(أينما) ، فإنه تتحقق المجازة بهما ، فإذا قيل : (أينما تكن أكن) ، فقد ضمن المتكلم للمخاطب متى كان في بعض الأماكن أن يكون أيضاً في ذلك المكان ، ولا يتعذر ، وكذلك إذا قيل : (متى تذهب أذهب) ضمن له في أي زمان ذهب أن يذهب معه ، وهذا أيضاً غير متعذر بخلاف (كيف) ، فإنه يتعذر أن يكون المجازى على جميع أحوال المجازى وصفاته كلها ؛ لكثرتها ، وتنوعها (131) نعم إلا أن يقترن بالكلام قرينة تخلص الوصف الذي التزم إلى تساويه فيه مثل : (كيفما يكن من قام أكن) . (132)

وأما قولهم : إن هذا يلزم البصريين في تجويزهم (كيف تكون أكون) بالرفع ؛ لأن ظاهر هذا يقتضي ما منعه ، فمردود بالفرق بينهما ، فإن الفعل إذا رفع بعد (كيف) ، فتقدير الكلام قد خرج على حال علمها المجازى ، فانصرف اللفظ إليها ، فلذلك صحيح الكلام ، ولم يمكن هذا التقدير في الجزم بها على المجازة ؛ لأن الأصل في الجزاء ألا يكون معلوماً ؛ لأن الأصل في الجزاء أن يكون بـ(إن) ، فإذا قيل : (إن قمت قمت) ، فوقت القيام غير معلوم ، فلما كان الأصل في الجزاء أن يكون غير معلوم امتنع أن تقدر (كيف) في الجزاء واقعة على حال معلومة ؛ لأنها تخرج من الإبهام ، وتباين أصل كلمات الجزاء ، فلذلك لم يجز الجزم بها على تقدير حال معلومة. (133)

ترجيح الباحث: يبدو لي أن (كيف) يجازى بها معنى لا عملاً، وهو قول الخليل ، وأما ما ذهب إليه الكوفيون فمردود عليه .

المطلب الثاني: الخلاف في العامل في إذا: اختلف النحاة في هذه المسألة على قولين :

الأول : مذهب الجمهور (134) ، ونُسب إلى أكثر النحاة (135) ، أنّ العامل في (إذا) ما في جوابها من فعل أو شبهه ، و(إذا) مضافة إلى الجملة ؛ لأنها ملازمة للإضافة .

الثاني : مذهب بعض النحاة ونُسب إلى المحققين (136) ، أنّ العامل في (إذا) شرطها ، أي إنّ (إذا) معمولة لفعل الشرط بعدها .

وردّ عليهم بأنّ المضاف إليه لا يعمل في المضاف ، وضَعَفَ هذا الرد بأنّ (إذا) عند أصحاب هذا المذهب غير مضافة (137).

وردّ ابن هشام على مذهب الجمهور وضَعَفَه بأمر عدة هي (138):

أولاً : إنّ الشرط والجزاء جملتان والرابط بينهما هو الأداة وتصير هاتان الجملتان . على قولهم . جملة واحدة ؛ لأنّ الظرف عندهم من جملة الجواب والمعمول قد دخل في جملة عاملة .

ثانياً : أنّ ما قالوه يمتنع في قول زهير :

بدا لي أنني لستُ مُدْرِكُ ما مَضَى ولا سابقاً شيئاً إذا كانَ جَانِئاً (139)

لأنّ جواب (إذا) في هذا البيت محذوف ، وتقديره : إذا كان جائئاً فلا أسبقه ، ولا يجوز أن يُقال : لا أسبقُ شيئاً وقت مجيئه ؛ لأنّ الشيء عادة ما يسبق قبل مجيئه .

ثالثاً : أنه يلزم على قول الجمهور في قول القائل : إذا جئتني اليوم أكرمتك غداً ، أن يعمل (أكرمتك) في ظرفين متضادين وهذا باطل بالدليل العقلي ؛ لأنّ الحدث الواحد لا يمكن أن يقع بتمامه في زمانين وفي القصد ، إذ إنّ المراد في هذا القول أن الإكرام يقع في الغد لا في اليوم .

رابعاً : مما ينقض رأي الجمهور أيضاً ، أنّ الجواب ورد مقروناً ب(إذا) الفجائية نحو قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾⁽¹⁴⁰⁾، وورد أيضاً بالحرف الناسخ نحو : إذا جئتني اليوم فإني أكرمك ، وكل من (إذا) الفجائية ، والناسخ لا يعمل ما بعده بما قبله .

أما أبو حيان فقد اختار المذهب الثاني بقوله : " وهو الذي نختار " ⁽¹⁴¹⁾ ولم يبين سبب مخالفته للجمهور ، إلا أنّ المرادي نقل عنه أنه ضعف رأي الجمهور ووصفه بالفساد من عدة وجوه : " الأول : أنّ إذا الفجائية قد تقع جواباً ل(إذا) الشرطية وما بعد (إذا) لا يعمل فيما قبلها .

الثاني : اقتران جوابها بالفاء وما بعد (فاء) الجزاء لا يعمل فيما قبلها .

الثالث : أنّ جوابها جاء منفياً ب(ما) ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ ﴾ وما بعد (ما) النافية لا يعمل فيما قبلها .

الرابع : اختلاف وقتي الشرط والجواب في بعض المواضع نحو : إذا جئتني غداً أجيئك بعد غد " ⁽¹⁴²⁾ .

ترجيح الباحث: يبدو أنّ الراجح في هذه المسألة ما اختاره أبو حيان وابن هشام لما ذكروه من حجج تؤكّد صحة ما ذهبوا إليه

المطلب الثالث: مسألة الخلاف في العامل في جواب الشرط:

اختلف النحاة في هذه المسألة على خمسة أقوال :

الأوّل : مذهب المحققين من البصريين⁽¹⁴³⁾ ، ونسبه أبو البركات الأنباري إلى أكثر نحاة البصرة⁽¹⁴⁴⁾، أنّ الجازم لفعل الجواب هو الأداة⁽¹⁴⁵⁾ ، وإلى هذا ذهب السيرافي⁽¹⁴⁶⁾ ، وذكر أبو حيان أنّ السيرافي نسب هذا الرأي إلى سيبويه ، والناظر في قول سيبويه الآتي يلاحظ غير ذلك .

وحجة من ذهب إلى هذا الرأي أنّ الأداة قد عملت في الجواب كما عملت في الشرط ، وأنها تقتضيهما كما تعمل (كان) و(ظنّ) و(إنّ) في المبتدأ والخبر .

الثاني : مذهب سيبويه ، أنّ فعل الشرط مجزوم بالأداة والجواب مجزوم بفعل الشرط إذ يقول : " واعلم أنّ حروف الجزاء تجزم الأفعال وينجزم الجواب بما قبله " ⁽¹⁴⁷⁾ ، وإلى هذا ذهب الأخفش⁽¹⁴⁸⁾ ، وحجتهم في ذلك أنّ الأداة ضعيفة في العمل في الفعلين ، والشرط طالب للجزاء فليس من الغريب أن يعمل فيه ، وضعف هذا الرأي أبو البركات الأنباري وردّ عليه⁽¹⁴⁹⁾ . واختار هذا المذهب ابن مالك⁽¹⁵⁰⁾ .

الثالث : أنّ العامل في الجواب ، هو الأداة وفعل الشرط معاً⁽¹⁵¹⁾، وذكر أبو حيان أنّ هذا القول نُسب إلى سيبويه⁽¹⁵²⁾، وقد مرّ قول سيبويه وأنه لم يقل بهذا الرأي ، وذكر أيضاً أنّ هذا القول نُسب إلى الخليل، ونسبه إليه الرضي⁽¹⁵³⁾ ، وقد كان دقيقاً فيما نقله عن الخليل إذ إنّ ما نقله سيبويه عنه قوله : " وزعم الخليل أنّك إذا قلت : أتأتني فأنتك انجزمت بـ(أن تأتني) كما تنجزم إذا كانت جواباً للأمر حيث قلت : أتنتي آنك"⁽¹⁵⁴⁾ ، ونقل أبو حيان وابن عقيل أنّ هذا القول نُسب إلى الأخفش⁽¹⁵⁵⁾ .

الرابع : مذهب الكوفيين⁽¹⁵⁶⁾ ، أنّ العامل في جواب الشرط هو الجوار كما جرّ قوله تعالى : (وَأَرْجُلَكُمْ) من قوله تعالى : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ في قراءة⁽¹⁵⁷⁾ مَنْ جَرَّ (أرجلكم) .

الخامس : مذهب المازني⁽¹⁵⁸⁾ ، أنّ جواب الشرط مبني وفعل الشرط معرب ونُسب إليه قوله : إنّ فعل الشرط والجواب مبنيان⁽¹⁵⁹⁾ .

ويبدو أنّ الراجح ما ذهب إليه ورجّحه أبو حيان في المذهب الأول بقوله : " والمختار أنّ الأداة هي الجازمة لفعل الجواب وهو مذهب المحققين من البصريين " ⁽¹⁶⁰⁾ .

المطلب الرابع: مسألة الخلاف في (لما) ، أهي حرف أم ظرف ؟
اختلف النحاة في هذه المسألة على قولين :

الأول : مذهب سيبويه ، أنّ (لما) حرف ، وترتبط جملة بأخرى ربطاً سببياً وهي عنده : " للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره " ⁽¹⁶¹⁾، وقال أبو حيان : " الذي تلقيناه من أفواه الشيوخ حرف وجوب لوجوب " ⁽¹⁶²⁾ وتابع سيبويه في ذلك ابن مالك واستدل له بقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِمَا ظَلَمُوا ﴾ ⁽¹⁶³⁾ ، فالمراد من الآية الكريمة أنّ الهلاك جاء بسبب الظلم ، لا أنّ الهلاك حدث حين الظلم ؛ لأنّ الظلم متقدم على الإنذار والإنذار متقدم على الإهلاك ، لذلك فإنّ اسميتها فيها شك أما حرفيتها فهي مؤكدة وظاهرة لدالاتها على الشرط فهي تقتضي وجوباً لوجوب ، كاقْتِضَاءِ (لو) امتناعاً لامتناع ، والحكم على الظاهر هو الأرجح ⁽¹⁶⁴⁾ .

الثاني : مذهب ابن السراج والفارسي وابن جني⁽¹⁶⁵⁾ ، أنها ظرف زمان بمعنى (حين) وحثتهم في ذلك أنّ (لما) أصلها (لم) فلما دخلت عليها (ما) افتترقت عن (لم) ، كما أنّ (لو) عندما دخلت عليها (لا) صار لها معنى آخر، فوجب بدخول (ما) عليها أنّ تفترق عن (لم) ، لذلك فهي تدخل على الفعل الماضي ويحذف جوابها نحو : قاربت المدينة ولما أدخلها ، وهذا الفعل لو ظهر لجزم ، وهذا لا يحدث مع (لم) ، فهي عندما دخلت عليها (ما) تُوسّع فيها ، فجُعِلت ظرفاً وإنّ وليها فعل ماضٍ .
واحتج الفارسي لما ذهب إليه بقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ ⁽¹⁶⁶⁾ .
أما أبو حيان فقد رجّح مذهب سيبويه بقوله " والصحيح مذهب سيبويه " ⁽¹⁶⁷⁾ .

ويبدو أنّ الراجح في هذه المسألة ما ذهب إليه سيبويه ؛ لأنه يجوز " أن يقال : لما أكرمتي أمس أكرمتك اليوم ؛ لأنها إذا فُذرت ظرفاً كان عاملها الجواب ، والواقع في اليوم لا يكون في أمس " (168).
 هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فإنّ (لما) لا يمكن أن تكون ظرفاً بمعنى (حين) بدليل أن " (حين) تاريخ يُعلم به وقت مجيئه ، ومجيئه بـ(لما جئت) بعده كما ذكر سيبويه " (169) في قولنا : لما جئت جئت .

المطلب الخامس : مسألة الخلاف في (لو) إذا أشرت معنى التمني ، أ هي قسم برأسها أم هي الشرطية ؟

اختلف النحاة في هذه المسألة على قولين :

الأول : مذهب ابن الضائع وأبو مروان بن هشام الحضرمي (ت550هـ) (170) ، أنّ (لو) إذا أشرت معنى التمني فهي حينئذ قسم برأسها ، وهي لا جواب لها كجواب (لو) الامتناعية ؛ لأنها لا تحتاج إليه ، ويجوز أن يكون لها جواب مقترن بـ(الفاء) نحو قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ (171) .
 الثاني : مذهب أبي حيان (172) ، أنّ (لو) هذه هي الامتناعية أشرت معنى التمني والمعنى في قوله تعالى السابق : " أنهم تمنوا الرجوع إلى الدنيا حتى يطيعوا الله ويتبرؤا منهم في الآخرة إذا حشروا جميعاً مثل ما يتبرأ المتبرئون أولاً منهم " (173).

ويجوز أن يقترن جوابها بـ(الفاء) ومما ورد به السماع مجيء جوابها بـ(اللام).

فَلَوْ نُبِشَ الْمُقَابِرُ عَنْ كُلِّبٍ فَيُخْبِرَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زَيْرٍ
 بيوم الشَّعْثَمِينَ لَقَرَّ عَيْنًا وَكَيْفَ لِقَاءٍ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ (174) .

ويبدو أنّ الراجح ما ذهب إليه أبو حيان ؛ لأنّ التمني دخل معنى الجملة ولم يدخل على (لو) ، وبقيت (لو) هي الامتناعية بدليل أنه لا يمكن حذف جوابها ؛ لأنه لو حذف لبقيت الجملة قاصرة ، وكذلك فإنهم عندما تمنوا الرجوع إلى الدنيا فإنّ هذا التمني بالرجوع سيقترن بفعل آخر يكون مختلفاً عما عملوه في الدنيا من عمل سبب دخولهم في النار .

الخاتمة:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد :

فإننا في نهاية هذا البحث نستطيع أن نقف على مجموعة من النتائج أهمها:

أولاً: للخلاف النحوي أسباب عديدة دعت إليه منها: طبيعة اللغة العربية ، والاختلاف المنهجي ، والتنافس بين العلماء.

ثانياً: يظهر البحث بعض الآثار الإيجابية للخلاف النحوي التي منها: التوسع في القواعد، والتوسع في جواز بعض المسائل ، والتوسع في جواز بعض التراكيب ، وإضافة بعض الأدوات في الدراسات النحوية، وجواز تعدد وجوه الأعراب .

ثالثاً :. أن (كيف) يجازى بها معنى لا عملاً، وهو قول الخليل .

رابعاً : أن العامل في (إذا) ما في جوابها من فعل أو شبهه ، و(إذا) مضافة إلى الجملة؛ لأنها ملازمة للإضافة .

خامساً: أن الأداة هي الجازمة لفعل الجواب وهو مذهب المحققين من البصريين .

سادساً : أن (لما) حرف ، وتربط جملة بأخرى ربطاً سببياً .

سابعاً : أن (لو) إذا أشربت معنى التمني ، هي الشرطية وليست قسماً برأسها ؛ لأن التمني دخل معنى الجملة ولم يدخل على (لو) وهو مذهب أبي حيان .

التوصيات : الاهتمام بدراسة الخلاف النحوي الموضوعي من خلال مطالعة كتب التراث النحوي مما يؤدي إلى الوقوف على أوجه إعرابية جديدة يحمل عليها الكلام ، ولئليّ الباحثون بما تناثر من مسائل متعددة في الموضوع الواحد ، وإفرادها بالتأليف .

الهوامش:

- (1) الزجاجي ، عبد الرحمن ، مجالس العلماء ، ص 9 .
- (2) قوله ، أم كيف ينفُغ ما تُعطي العلوقُ به رُثمانٍ أنفٍ إذا ما ضُنُّ باللبنِ السابق ، المجلس السابع عشر ، ص 35 .
- (3) الميرد ، المقتضب، ج2، ص46.
- (4) الجرجاني ت (816 هـ)، علي بن محمد، كتاب التعريفات، ص125-126.
- (5) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ج 9، ص 86 ، الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج 6، ص 102 .
- (6) سورة التوبة من الآية 81 .
- (7) الجوهرى ، إسماعيل بن حماد، معجم الصحاح ، ج4، ص1357. قال اللحياني ، "سررت بمقعدي خلاف أصحابي، أي ، مخالفهم" ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج9، ص 86 ، والزبيدي ، تاج العروس ، ج 6، ص 102 .
- (8) ابن منظور ، لسان العرب ، ج9، ص 90.
- (9) الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، ص 294.

- (10) قد يصل عدد وجوه المسألة الواحدة ، فيما رواه الشوكاني في كتاب (نيل الأوطار) نقلا عن الذهبي في إحدى رواياته إلى ستين وجها . الشوكاني ، محمد بن علي ، مقدمة نيل الأوطار ، ج1،ص 5.
- (11) الطنطاوي ، الشيخ محمد ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 28 . 29 .
- (12) المخزومي ، مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص 37 ، و ما دار بين الخليل بن أحمد ، ومحمد بن مناذر الشاعر فقد قال له الخليل، "إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي ، وأنا سكان السفينة ، إن قرضتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتكم" ، الأصفهاني، أبي الفرج ، الأغاني ، ج 18،ص 190 .
- (13) السيد، عبد الرحمن ،مدرسة البصرة النحوية، ص 146 .
- (14) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج 1،ص 16 ، والزبيدي ، محمد بن الحسن ، طبقات النحويين واللغويين ، ص 26.
- (15) عقد في كتابه ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها بابا لمعرفة أغلاط العرب ، ج 2،ص 494 .
- (16) فعلوا ذلك مع ابن عامر مقرئ أهل الشام ،وحمزة بن حبيب الزيات أحد قراء أهل الكوفة، ونافع مقرئ أهل المدينة ، فعدوا قراءة ابن عامر (وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ) سورة الأنعام من الآية 137 ، قراءة ضعيفة وقد وهم فيها القارئ، وإنما دعا ابن عامر إلى ذلك أنه رأى في مصاحف أهل الشام (شركائهم) بالياء ،ومصاحف أهل الحجاز والعراق (شركاؤهم) بالواو فدل على صحة ما ذهبوا إليه . المخزومي ،مدرسة الكوفة ،ص 50، السيد ،عبد الرحمن ،مدرسة البصرة ، ص 231 ، و تفصيل هذه المسألة عند، الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 2،ص 427 . 436 .
- (17) المخزومي ، مدرسة الكوفة ،ص 50 .
- (18) الزجاجي ، مجالس العلماء ، المجلس الثاني ، ص 9 .
- (19) السابق ، المجلس السابع عشر ،ص 35 .وأفنون، ج (000 - نحو 60 ق هـ = 000 - نحو 564 م) هو صريم بن معشر بن ذهل بن تميم، من بني تغلب، ج شاعر، جاهلي ، يمانى الأصل، مات في بادية الشام ، لقب بأفنون لقوله في أبيات (إن للشبان أفنونا) ، الزركلي، خير الدين بن محمود ، الأعلام ، ج3، ص 204.
- (20) الأنباري ، عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص 143 .
- (21) الجمحي، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء،ج1،ص 11 . السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، ج 1،ص 396 . العزاوي ،فائزة علي ،الخلاف النحوي في كتب معاني القرآن للفراء والأخفش والزجاج، ص4.
- (22) المرجع السابق ،ص 5 .
- (23) منديل ، حسن ،الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة ، ص 9 .
- (24) الطنطاوي ، نشأة النحو ،ص 38 .

- (25) السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص 4، السيوطي، عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ترجمة ثعلب، ج 1، ص 397 .
- (26) المقتضب، الميرد، ج 2، ص 46.
- (27) علي بن محمد، الجرجاني ت (816 هـ)، كتاب التعريفات، ص 125-126.
- (28) ابن مالك، شرح التسهيل، ج 2، ص 550.
- (29) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1859، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 313 .
- (30) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1859 .
- (31) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1859، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 313 .
- (32) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1860، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 315 .
- (33) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1862، شرح الكافية الشافية، ج 3، ص 1622، الجني الداني، 99، مغني اللبيب، ج 1، ص 120، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 321 .
- (34) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1862، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 318 .
- (35) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1863، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 320 .
- (36) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1863، شرح التسهيل، ج 3، ص 388-389، الجني الداني، 611 .
- 612، السيوطي، همع الهوامع، ج 4، ص 316 .
- (37) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1863، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 318 .
- (38) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1863، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 319 .
- (39) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1864، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 320 .
- (40) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1864، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 318 .
- (41) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1864 .
- (42) السابق، الصفحة نفسها، السيوطي، همع الهوامع، ج 4، ص 320 .
- (43) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1864 .
- (44) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1865، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 317 .
- (45) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1866، السيوطي، الهمع، ج 4، ص 321 .
- (46) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1866 .
- (47) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج 4، ص 1868، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج 2، ص 643 م 91، شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، ج 2، ص 195-196، شرح التسهيل، ج 3، ص 390، ائتلاف النصر، 156 م 22، السيوطي، همع الهوامع، ج 4، ص 321 .

- (48) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1869 .
- (49) السابق، الصفحة نفسها ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4 ، ص 326 .
- (50) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1869 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4 ، ص 325 .
- (51) أبو حيان، ارتشاف الضرب، 4، ص 1871، السيوطي ، همع ، 4 ، ص 328 . 329 .
- (52) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1876 ، السيوطي ، همع ، 4 ، ص 330 .
- (53) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1876 ، السيوطي ، همع ، 4 ، ص 330 .
- (54) أبو حيان ، ارتشاف الضرب، 4 ، ص 1877 ، السيوطي ، همع ، 4 ، ص 331 .
- (55) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1877 . 1878 ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 2 ، ص 602 م 84 ، شرح التسهيل ، 3 ، ص 397 . 398 ، ائتلاف النصره ، 128 م 14 ، شرح التصريح ، 2 ، ص 248 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4 ، ص 331 . 332 .
- (56) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1877 . 1878 ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 2 ، ص 683 م 87 ، ائتلاف النصره ، 130 م 17 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4 ، ص 332 .
- (57) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1879 ، شرح التسهيل ، 3 ، ص 403 ، شفاء العليل ، 3 ، ص 960 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4 ، ص 393 .
- (58) أبو حيان، ارتشاف الضرب، 4، ص 1879، السيوطي، همع الهوامع، 4، ص 334 .
- (59) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1880 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4 ، ص 334 .
- (60) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1880 ، السيوطي ، همع ، 4 ، ص 335 .
- (61) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1881 .
- (62) السابق، الصفحة نفسها ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4 ، ص 336 .
- (63) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1884 ، السيوطي ، همع ، 4 ، ص 336 .
- (64) أبو حيان، ارتشاف الضرب، 4، ص 1885، السيوطي ، همع ، 4 ، ص 337 .
- (65) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1886 .
- (66) السابق، الصفحة نفسها ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4 ، ص 341 .
- (67) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1886 . 1887 ، شرح الكافية الشافية ، 3 ، ص 1587 .
- (68) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1887 ، الأصول في النحو ، 2 ، ص 190 ، شرح التسهيل ، 3 ، ص 409 ، شفاء العليل ، 3 ، ص 967 .
- (69) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4 ، ص 1887 ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 2 ، ص 632 م 88 ، شرح التسهيل ، 3 ، ص 409 ، ائتلاف النصره ، 154 م 19 .

- (70) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1887 .
- (71) السابق، الصفحة نفسها ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4، ص 320 .
- (72) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1888 . 1889 .
- (73) السابق، الصفحة نفسها .
- (74) السابق، 4، ص 18889 . 1990 .
- (75) السابق، 4، ص 1877 ، المساعد على تسهيل الفوائد ، 3، ص 152 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4، ص 331 . الإنصاف في مسائل الخلاف ، 2، ص 602 . شرح الرضي على الكافية ، 4، ص 96 .
- (76) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1893 ، السيوطي ، الهمع ، 4، ص 354 .
- (77) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1894 .
- (78) السابق، 4، ص 1895 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4، ص 359 .
- (79) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1896 ، السيوطي، الهمع ، 4، ص 359 .
- (80) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1903 ، مغني اللبيب ، 1، ص 352 .
- (81) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1896 . 1897 ، شفاء العليل ، 3، ص 971 . 972 .
- (82) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1897 .
- (83) السابق، الصفحة نفسها ، وقوله تعالى من سورة يوسف من الآية 15 .
- (84) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1898 .
- (85) السابق، الصفحة نفسها ، شرح التصريح ، 2، ص 257 .
- (86) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1899 .
- (87) السابق، الصفحة نفسها ، السيوطي ، همع الهوامع ، 4، ص 347 . 348 .
- (88) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1899 . 1900 .
- (89) السابق، 4، ص 1902 ، قوله تعالى في سورة البقرة ، من الآية 103 .
- (90) السابق، الصفحة نفسها .
- (91) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1903 . 1904 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 3، ص 350 . 351 .
- (92) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 4، ص 1905 .
- (93) السابق ، 4، ص 1906 .
- (94) السابق، 5، ص 2371 .
- (95) السابق ، 3، ص 1408 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 3، ص 172 .

- (96) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 3، ص 1411 ، الجنى الداني ، 369 ، مغني اللبيب ، 1، ص 120 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 3، ص 181 .
- (97) أبو حيان، ارتشاف الضرب،3، ص 1411 ،السيوطي، همع الهوامع، 3، ص 179 .
- (98) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ،ج 3، ص 1412 .
- (99) السابق ، ج3، ص 1413 .
- (100) السابق ،ج 3، ص 1414 ، السيوطي ، همع الهوامع ،ج 3، ص 180 . 181 .
- (101) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ،ج 3، ص 1444 .
- (102) السابق ، ج3، ص 1503 . 1504 .
- (103) ينظر في هذه المسألة ، الكتاب ، ج3، ص 60 ،معاني القرآن للفراء1، ص 85 ، الإنصاف، ج2، ص 91م643 ، اللباب 2، ص 62 ، شرح الجمل الكبير 2، ص 196 ، شرح الكافية للرضي، ج 2، ص 116 ، الارتشاف ج2، ص 551 ، المغني ج1، ص 173 ، انتلاف النصره، ص 156 فصل الحرف م22 ، الأشموني، ج4، ص 14 ، همع2، ص 58 . أبو حيان ، ارتشاف الضرب ،ج 4، ص 1868 ، شرح التسهيل ،ج 3، ص 390 ،انتلاف النصره ، ص 156 م 22 ،السيوطي ، همع الهوامع ،ج 4، ص 321.
- (104) الكتاب، ج4، ص 233 قال السيرافي في شرحه الكتاب، ج 5، ص 194 ق ، " وللقائل أن يقول إذا كان معنى (كيف) على كل حال ،فلم لا يقول ، (على كيف زيدا) ؟ كما يقول ، (على أي حال زيد) ، و(في أي مكان زيد) ؟ ، فالجواب أن (كيف) اسم زيد كأننا قلنا ، (أصحيح زيد أم مريض أعاقل أم أحمق) ، ونسب الرضي في شرح الكافية، ج 2، ص 117 إلى سيبويه القول بأن (كيف اسم مبهم)، وإلى الأخفش القول، (بأنها ظرف وهو سهو) . شرح المفصل لابن يعيش، ج4، ص 109 ، المغني 1، ص 174 .
- (105) ابن هشام ، مغني اللبيب، ج 1، ص 174 .
- (106) السابق ،ج1، ص 175 .
- (107) البيت من الطويل ، ولم أقف على قائله . وقد ورد في ، المغني، ج 1، ص 174 ، همع، ج2، ص 138 ، شرح شواهد المغني، ج2، ص 557 ، الدرر، ج2، ص 458 ، المعجم المفصل، ج2، ص 405 .
- (108) قال أبو الفتح في المحتسب1، ص 281 ، " وجه جواز ذلك على عزته ، وقلة نظيره أنه لما قال ، (تريدون عرض الدنيا) ، فجرى ذكر العرض فصار كأنه أعاده ثانياً ، فقال ، (عرض الآخرة) ، ولا ينكر نحو ذلك ، وقد وردت هذه القراءة في المطولات من كتب النحو ، الأشموني2، ص 273 ، التصريح2، ص 56 .
- (109) سورة الأنفال من الآية 67 .
- (110) كل هذه التخريجات لا تبعد عن شطط ، ومخالفة ، ففي الأول ، حذف المضاف ، وإبقاء عمله في المضاف إليه ، وهو شاذ ، ولم يتحقق شرطه . وفي الثاني ، حذف الجار ، وإبقاء عمله ، وهو شاذ كذلك ، وفي الثالث ، زيادة (كيف) مع

تقريرهم أن الأسماء لا تزداد ألا يصح أن تكون الرواية ، وهان على الأذنين كيف الأباعير وعلى ذلك يسلم للرجل تصورهما عاطفة.

- (111) اللباب ، ج2، ص 62 ، شرح الكافية للرضي2، ص 117 ، ائتلاف النصره، ص 156 فصل الحرف م 22.
- (112) الكتاب، ج3، ص 60 .
- (113) شرح الجمل لابن الضائع، ج1، ص 662 .
- (114) معاني القرآن للفراء، ج1، ص 85 .
- (115) ينظر: الارتشاف، ج2، ص 551 ، الأشموني، ج4، ص 14 ، الهمع، ج2، ص 58.
- (116) شرح الجمل الكبير، ج 2، ص 196 .
- (117) الإنصاف، ج2، ص 91م643 .
- (118) السابق ، الصفحة نفسها .
- (119) سورة المائدة من الآية 64 .
- (120) سورة آل عمران من الآية 6 .
- (121) سورة الروم من الآية 48 .
- (122) مغني اللبيب، ج1، ص 173 .
- (123) السابق ، ج1، ص 173 ، الأشموني، ج4، ص 14 ، الهمع، ج 2، ص 58 .
- (124) متن الأجرومية، ص 14 .
- (125) ينظر : الإنصاف، ج2، ص 91م643 ، اللباب، ج2، ص 62 ، ائتلاف النصره، ص 156 فصل الحرفم22 .
- (126) الكتاب3، ص 60 .
- (127) الارتشاف، ج2، ص 551 ، المغني، ج 1، ص 173 ، الأشموني، ج4، ص 14 .
- (128) شرح الكافية، ج2، ص 117 .
- (129) همع الهوامع ، ج 2، ص 58 .
- (130) العكبري ، اللباب، ج 2، ص 62 .
- (131) ابن الأنباري ، الإنصاف، ج2، ص 91م645 .
- (132) شرح الجمل الكبير، ج2، ص 197 .
- (133) الإنصاف، ج2، ص 91م645 ، اللباب2، ص 64 .
- (134) شرح الجمل لابن الضائع، ج1، ص 694 .
- (135) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 3، ص 1411 ، الجنى الداني ، 369 ، السيوطي ، همع الهوامع ، 3، ص 181.

- (136) ابن هشام ، مغني اللبيب ، 1، ص 130 .
- (137) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 3، ص 1411 ، الجنى الداني ، 369 ، ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 1، ص 130 .
- (138) ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 1، ص 130 .
- (139) السابق، ص 130 . 131 .
- (140) شعر زهير بن أبي سلمى ، 169 .
- (141) سورة الروم ، من الآية 25 .
- (142) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، 3، ص 1411 .
- (143) الجنى الداني ، 369 . 370 ، وآية الكريمة بسورة الجاثية ، من الآية 25 .
- (144) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1877 ، المساعد على تسهيل الفوائد ، ج 3، ص 152 ، السيوطي ، همع الهوامع ، ج 4، ص 331 .
- (145) الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 2، ص 602 .
- (146) شرح الرضي على الكافية ، ج 4، ص 96 .
- (147) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1877 .
- (148) سيبويه ، الكتاب ، ج 3، ص 62 .
- (149) معاني القرآن للأخفش ، ج 1، ص 276 ، شرح الرضي على الكافية ، 4، ص 96 .
- (150) الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 2، ص 608 .
- (151) شرح التسهيل ، ج 3، ص 398 ، السيوطي ، همع الهوامع ، ج 4، ص 331 .
- (152) الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 3، ص 398 ، شرح التسهيل ، ج 3، ص 398 ، أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1877 .
- (153) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1877 .
- (154) شرح الرضي على الكافية ، ج 4، ص 96 .
- (155) سيبويه ، الكتاب ، ج 3، ص 63 .
- (156) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1877 ، المساعد على تسهيل الفوائد ، ج 3، ص 153 ، ولم أقف على رأي الأخفش في كتابه معاني القرآن .
- (157) الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 2، ص 602 ، أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1877 .
- (158) إتحاف فضلاء البشر ، ص 251 .

- (159) الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 2، ص 602 ، الصفوة الصفية في شرح الدرر الألفية ، ج 1، ص 189 ،
انتلاف النصر ، 128 ، السيوطي ، همع الهوامع ، ج 4، ص 332 .
- (160) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1877 ، المساعد على تسهيل الفوائد ، ج 3، ص 152 ، السيوطي ،
همع الهوامع ، ج 4، ص 332 .
- (161) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1877 .
- (162) سيبويه ، الكتاب ، ج 4، ص 243 .
- (163) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1896 ، و مغني اللبيب ، ج 1، ص 369 .
- (164) سورة الكهف ، من الآية 59 .
- (165) شرح التسهيل ، ج 3، ص 417 ، شرح الكافية الشافية ، ج 3، ص 1643 .
- (166) الأصول في النحو ، ج 2، ص 157 ، والبغديات ، 315 . 316 ، وأبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص
1897 ، ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 1، ص 369 ، السيوطي ، همع الهوامع ، ج 3، ص 219 . 220 .
- (167) سورة آل عمران ، من الآية 142 .
- (168) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1896 .
- (169) ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 1، ص 369 .
- (170) رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح ، 100 .
- (171) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1903 ، البحر المحيط ، ج 1، ص 647 . 648 ، مغني اللبيب ، ج
1، ص 352 ، السيوطي ، همع الهوامع ، ج 4، ص 35 ، وأبو مروان هو ، عبيد الله بن عمر بن هشام أبو محمد وأبو
مروان الحضرمي الأشبيلي ، ألف ، الإفصاح في اختصار المصباح و شرح الدرر ، بغية الوعاة ، ص 1154 .
- (172) سورة البقرة ، من الآية 167 .
- (173) أبو حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1903 ، البحر المحيط ، ج 1، ص 647 . 648 .
- (174) البحر المحيط ، ج 1، ص 647 .
- (175) البيتان من الوافر للمهلل بن ربيعة. الشاهد: قوله: "لقر" حيث إن جواب لو قد جاء باللام بعد جوابها (فيخبر).
- (176) وقد وردا عند : أبي حيان ، ارتشاف الضرب ، ج 4، ص 1904 ، البحر المحيط ، ج 1، ص 647 ، تذكرة النحاة
، 72 ، مغني اللبيب ، ج 1، ص 352 ، خزنة الأدب ، ج 11، ص 305 .

فهرس المراجع:

- القرآن الكريم .

- الأزهرى ، خالد ، التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ، وبهامشه حاشية الشيخ يس ، د. ط (مصر، دار
إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، د . ت).

- الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط 2 (بيروت، دار الفكر، د.ت.).
- الأشموني، محمد بن علي، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك بحاشية الصبان، د. ط (مصر، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.).
- الأنباري، محمد بن القاسم أبو بكر، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: حسن حمد، ط 1 (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ. 1998م).
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط (القاهرة، دار الفكر العربي، 1998م).
- البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، مراجعة: مصطفى السقا، د ط (القاهرة، الناشر: دار الكتاب العربي، 1969م).
- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر؛ تقديم عبد الحكيم راضي، د. ط (القاهرة، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، نشر: 2001م).
- ابن جني، أبي الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، د. ط (بيروت، عالم الكتب، د.ت.).
- سر صناعة الإعراب، تحقيق الدكتور حسن هنداي، ط (1) (دمشق، دار القلم، 1405هـ).
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحلیم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي، ط (2) (إستانبول، دار سزكين للطباعة والنشر، 1406هـ).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، معجم الصحاح، اعنتي به خليل مأمون شيحا، د. ط (بيروت، دار المعرفة، نشر: 2012م).
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، ارتشاف الضرب، تح: د. رجب عثمان محمد، راجعه: د. رمضان عبد التواب، ط 1 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1428هـ - 1998م).
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، د. ط (بيروت، نشر: دار الكتب العلمية، 1999م).
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيناتي، د. ط (بيروت، دار المعرفة، 1998م).
- الرضي، محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، تح/ أحمد السيد أحمد، د. ط (مصر: المكتبة التوفيقية، د.ت.).
- الزبيدي، محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط (القاهرة، دار المعارف، 1984م).
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيد محمد محمود، د. ط (بيروت، دار الكتب العلمية، 2012م).

- الزبيدي ، عبد اللطيف بن أبي بكر ، انتلاف النصره في اختلاف الكوفة والبصرة ، تحقيق د/ طارق الجنابي ، ط1 (بيروت، نشر عالم الكتب ، د ت) .
- الرَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي، ط (1) (بيروت، عالم الكتب، 1408هـ).
- الزجاجي ، عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي، مجالس العلماء ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط 2(القاهرة ، دار الرفاعي بالرياض الناشر : مكتبة الخانجي ، 1403 هـ - 1983 م) .
- الزركلي، خير الدين بن محمود ، الأعلام ، ط 6 (لبنان ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1984م).
- ابن السَّراج ، الأصول في النَّحو، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتليّ، ط (3) (بيروت، مؤسسة الرّسالة، 1408هـ).
- السَّليبيّ، محمّد بن عيسى ، شفاء العليل في إيضاح التَّسهيل، تحقيق الدكتور الشَّريف عبد الله عليّ الحسيني، ط (1) (مكة المكرمة، مكتبة الفيصلية، 1406هـ).
- السفاقي، إبراهيم بن محمد، المجيد في إعراب القرآن المجيد ، المحقق: حاتم صالح الضامن ، د ط (مصر ، ط/ الضامن، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، د ت) .
- السَّمين الحلبي، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، ط (1) (دمشق، دار القلم، 1406هـ) .
- سيويوه، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب، تح: عبد السلام هارون ، ط 2 (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م)
- السيد ، عبد الرحمن ، مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطورها، د . ط (القاهرة : دار المعارف، نشر: 1968م) .
- السيرافي ، الحسن بن عبد الله، أخبار النحويين البصريين، د . ط (القاهرة :نشر: مكتبة الثقافة الدينية، 2007م) .
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ترجمة ثعلب ، تحقيق: علي محمد عمر، د . ط (القاهرة : مكتبة الخانجي، 2005م) .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ضبطه وصححه فؤاد علي منصور، د . ط (بيروت ،نشر: دار الكتب العلمية، 2009م)، ج 2، ص 494 .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح/ د. عبد الحميد هندواوي ، د. ط (مصر: القاهرة، المكتبة التوفيقية ، د . ت) .
- السيرافي ، أبي سعيد ، شرح كتاب سيويوه ، تحقيق د: رمضان عبد التواب، د. ط (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م).
- ابن الشجري ، أمالي ابن الشَّجريّ، تحقيق الدكتور محمود الطَّنَّاحيّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط (1) 1413هـ.
- الشوكاني ، محمد بن علي ، مقدمة نيل الأوطار ، تقديم وتعريف وهبه الزحيلي ، اعتنى به محمد عبدالعظيم، محمد محمد تامر، د. ط (القاهرة ،نشر: دار ابن الهيثم، 2004م) .
- الطنطاوي، الشيخ محمد ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط1(مصر، دار المنار، 1412هـ - 1991م) .

- ابن عصفور، علي بن مؤمن ، شرح جمل الزجاجي ، تح: فواز الشعار ، ط1 (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ، 1419هـ - 1998م).
- العكبري، عبد الله بن الحسين أبو البقاء ، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، تح/ د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط1 (د. م : دار الغرب الإسلامي، 1406 هـ ، 1986م).
- التبيان في إعراب القرآن ، المحقق: علي محمد البجاوي ، د ط (مصر ، الناشر: عيسى البابي الحلبي ، د ت).
- اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، تحقيق غازي مختار طليمات والدكتور عبد الإله نبهان، دار الفكر، دمشق، ط (1) 1416 هـ.
- ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن، المساعد على تسهيل الفوائد شرح ابن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك ، تحقيق/ أ . محمد كامل بركات ، د. ط (د. م: دار المدني ، 1405 هـ . 1984م) .
- علي بن محمد، الجرجاني ت (816 هـ)، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1403 هـ - 1983م.
- الفراء ، يحيى بن زياد ، معاني القرآن ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي نجار ، عبدالفتاح إسماعيل شلبي، د ط (مصر ، دار المصرية للتأليف والترجمة، د ت) .
- الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، شرح وتصحيح عبد الله بن إسماعيل الصّاوي، ط (1) (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ، 1354 هـ) .
- القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط2 (القاهرة ، الناشر : دار الكتب المصرية، 1384 هـ - 1964 م) .
- القيسي ، مكي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، ط2 (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1405 هـ) .
- ابن مالك ، محمد بن عبد الله، شرح التسهيل ، تح: محمد عبد القادر عطا ، طارق فتحي السيد ، ط1 (بيروت : لبنان ، دار الكتب العلمية ، 1422 هـ . 2001م) .
- شرح الكافية الشافية، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود ، ط 1 (بيروت لبنان : دار الكتب العلمية ، 1420 هـ - 2000م).
- المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف، تحقيق : د. زكي مبارك ، ط1 (القاهرة : مصطفى الحلبي ، 1937 م) .
- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، د ط (القاهرة ، نشر: دار الكتب المصرية، 2013م) .
- المخزومي ، مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د . ط (أبو ظبي، نشر: المجمع الثقافي ، 2002م).

- المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله ، أبو محمد بدر الدين ،توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: أ. د. / عبد الرحمن علي سليمان، ط1 (القاهرة : الناشر: دار الفكر العربي، 1428هـ - 2008م) ، شرح التسهيل ، تح: محمد عبد النبي ، ط1(مصر، مكتبة الإيمان، 1427هـ . 2006م) .
- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، د . ط (القاهرة ،نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2014م).
- الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط (القاهرة، مكتبة عيسى البابي الحلبي، 1978م) .
- النَّحَّاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل ، معاني القرآن الكريم ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، ط1(مكة المكرمة، جامعة أم القرى ، د ت) .
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف ، أوضح المسالك ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 5(بيروت، دار الجيل ، 1399هـ - 1979م) .
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تحقيق /الأستاذ الشيخ: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط1(مصر: الإدارة العامة للجامع الأزهر ، د . ت) .
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، د . ط (بيروت : نشر، دار السلام، 2014م) .
- ابن يعيش ، الحسن بن محمد ، شرح المفصل، تح/ أ. أحمد السيد أحمد ، ط1(مصر: المكتبة التوفيقية، د . ت) ..

قراءة في مناهج الجيل الثاني (كتاب السنة الأولى متوسط أنموذجا)

د/ لعويجي أحمد

جامعة محمد بوضياف - المسيلة-

الملخص:

من باب المراجعة والبحث عن الذات، وسعيا إلى التجديد؛ جاءت قراءتي إيمانا منّي من أننا نسعى جميعا للمحافظة على الشخصية الوطنية؛ من خلال مضمون الثقافة وما يمكن أن يحتويه من قيم وأبعاد تربط المتعلم بماضيه وحاضره، وتُعدّه في كيانه وشخصيته لُغده؛ باعتباره حاملا لهذه الثقافة، وعليه يتوقف استمرارها وتجديدها.

Sommaire:

Looking for the self and trying to evaluate it, and for the sake of renewing and because I believe that we all look to preserve national identity through the components of our culture and what it would contain from values dimensions that would lint the researcher to his past and present. It would also prepare him to to the future through addressing his inner and personality. For the researcher is the one who would protect culture and its continuity and renewal is based on his actions.

مقدمة: لقد كانت التربية ولا تزال من العوامل الأساسية التي تعمل على بناء الشخصية الوطنية، والداعم الأول للحفاظ على مقومات هذه الشخصية، وعناصر الهوية الوطنية(الدين واللغة والوطن والتاريخ والثقافة) فهي: « وسيلة الجماعة للإبقاء على نفسها ثقافيا والمحافظة على كيانها وطنيا وقوميا والمقصود بالتربية هنا هو التربية بمعناها الخاص، وهو ما يتم في المدرسة ويقع على المواطن وهو لا يزال صغيرا.»¹؛ فدور التربية والتّعليم إنما هو تكوين الشخصية الوطنية، وغرس الروح الوطنية في نفوس المتعلمين، وترسيخ عناصر الهوية الوطنية خصوص وأنّ المجتمع الجزائري يعيش كبقية مجتمعات العالم الثالث تحديات متداخلة تفرضها الثورة الرقمية والمعلوماتية، في هذا العصر الذي يعرف تفجرا معرفيا غير مسبوق، ضمن نظام العولمة الذي لا يراعي الخصوصيات؛ فالمجتمع إذن يقف وجها لوجه أمام حتمية

الدفاع عن هويته وثقافته وقيمه؛ مما يجعله ملزماً ببناء مناهج تعليمية تسير هذه التطورات الحاصلة في العالم من حوله، وتعمل على بناء جيل محصن يواجه هذه التحديات بثبات وعزم، وله القدرة على المقاومة ثقافياً؛ خصوصاً ونحن ندرك أن هذا الجيل يختلف عن الأجيال الماضية؛ فهو يمتلك من آليات الذكاء ما لم يكن متوفرًا لغيره من الأجيال السابقة؛² وبالتالي فهو « يتوزع بين الهوية والتفتح، بين الثبات والتغيير، بين ثنائية الأصالة والمعاصرة.»³

ومن هذا المنطلق؛ هل الإصلاحات (التعديلات) الجديدة التي مسّت مناهج الإصلاح التي اعتمدت عام 2004/2003 قادرة على تحقيق النتائج المرجوة؟ وهل محتويات هذه المناهج منتقاة بشكل يجعلها تبني أجيالا تواجه الصعاب والتحديات المفروضة في عالم تقلصت أبعاده الجغرافية؟ أي: هل هذه المحتويات كفيلة بأن تحافظ على عناصر الهوية الوطنية في ظلّ نظام العولمة المتوحش؟

مهام المدرسة ودورها في العملية التعليمية: تسعى المدرسة ومنذ انطلاقتها الأولى إلى غاية سامية وهدف منشود يتمثل في التربية والتعليم، «ولكونها ترتبط بمسار مستمر يتولد منه منتج دائم البناء والهدم وفي اتصال بعالم دائم التطور، فإنها تحيل إلى مكون مزدوج أخلاقي وفكري، ففي التعليم يتوجه المدرّس إلى المتعلم، وفي التربية يُقصد الفرد ويعمل على تكوينه، وعندما تعمل على هذا المسار المزدوج: التربية والتعليم، فإنّ الشخص متعلم يتلقّى وفرد يبني في آن واحد.»⁴ فالتعليم يعمل على الحفاظ على التراث الثقافي للمجتمع، وترسيخ لغة الجماعة وتعليم تاريخها وآدابها وعلومها إلى الناشئة يغرس فيها حبّ التراث والاعتزاز بتاريخ وثقافة هذه الأمة، بالإضافة إلى أنّ التعليم يعمل على لحمة المجتمع، ويدفع إلى التماسك الاجتماعي. كما تلعب التربية دورا بارزا في غرس الروح الوطنية في نفوس الناشئة والمتعلمين؛ فتعرفهم بوطنهم، وفي نظمه وقوانينه (السياسية والاقتصادية والاجتماعية...) وعاداته وتقاليده... وتعمل التربية على رسم أنواع العلاقات التي تربط الفرد ببقية أفراد المجتمع (القريب منهم والبعيد)، وعلاقته بالمحيط الذي يعيش فيه (الحي أو القرية أو البيئة أو الوطن) وكذلك علاقته بالعالم الخارجي الذي يحيط به.

أهداف المدرسة الجزائرية في المجال التربوي: تسعى المدرسة الجزائرية في مجال التربية إلى تحقيق جملة من الأهداف يمكن أن نوجزها في الآتي:

- ترسيخ الشخصية الجزائرية وبالتالي ترسيخ وحدة الأمة بترقية وحفظ القيم المتصلة بالإسلام والعروبة والأمازيغية؛
- التكوين على المواطنة من خلال تعليم ثقافة الديمقراطية (أفضل ضامن للانسجام الاجتماعي والوحدة الوطنية)؛
- التفتح والاندماج في الحركة التطورية العالمية؛
- تأكيد مبدأ ديمقراطية التعليم.⁵

التعريف بالكتاب المدرسي للسنة الأولى متوسط - الجيل الجديد -

يعتبر الكتاب المدرسي من الأدوات والوسائل البالغة الأهمية الخاصة بالعملية التعليمية، إذ يستعين به المتعلم في بناء معارفه وتعلماته المختلفة، واكتساب مهاراته، وتنمية قدراته؛ فيعتمد عليه في البيت لبناء مداركه ومعارفه الأولى، والتمكّن في القسم لبناء المهارات بتوجيه من المشرف على العملية التعليمية (المعلم)، كما يمكن استغلاله في انجاز بعض التمارين التطبيقية في نهاية كل بناء معرفي معين، ثم بعد ذلك الاستفادة منه مرة أخرى بالبيت في مختلف الوظائف المنزلية التي يُكفّف المتعلم بإنجازها؛ لتثبيت المعارف التي سبق وأن تعلمها في القسم. كما يعتمد عليه في القسم برفقة أستاذه وزملائه؛ لتحسين القراءة وتحسين الفهم وتكملته تحت إشراف أستاذه.

ويشتمل الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط على ثمانية مقاطع تربوية مختلفة موزعة

على مجالات متنوعة:

- الحياة العائلية؛
- حب الوطن؛
- عظماء الإنسانية؛
- الأخلاق والمجتمع؛
- العلم والاكتشافات العلمية؛
- الأعياد؛
- الطبيعة؛
- الصحة والرياضة.

«هذه المقاطع تحمل دلالات بالنسبة للمتعلم من صميم واقعه المعيش، وموحية بقيم أسرية ووطنية وإنسانية وأخلاقية واجتماعية... هي كفيلة وقادرة على إحداث التواصل والتفاعل والانفعال؛ فيحدث التفكير وتحسن اللغة والتعبير ويحدث الذوق السليم والإبداع، وتتفجر القرائح والمواهب.»⁶

كل مقطع من مقاطع هذا الكتاب يتكون من أربعة ميادين:

1- ميدان فهم المنطوق؛ ويهدف إلى صقل حاسة السمع واستعمال اللغة السليمة على المستوى الشفوي؛

2- ميدان فهم المكتوب (1) قراءة مشروحة بهدف إكساب المهارات القرائية، والفهم والدراسة والمناقشة؛ لإثراء الرصيد اللغوي وإعمال الفكر، واكتساب أفكار وقيم وسلوكيات وموارد معرفية من خلال مناقشة ظواهر لغوية؛

3- ميدان فهم المكتوب (2) ويعنى بالنص الأدبي من خلال تناول الظواهر الفنية والأساليب البلاغية؛ فيحصل الذوق الفني والأدبي؛

4- ميدان إنتاج المكتوب وفيه يتطرق إلى أنماط أو تقنيات تعبيرية ، ويتدرب عليها كتابيا بلغة سليمة، وصولا إلى إنتاج نصوص يدمج فيها الموارد في نهاية المقطع، من خلال وضعيات إدماجية.⁷

قراءة في الكتاب (كتاب السنة الأولى من التعليم المتوسط):

قراءة في العنوان (عنوان النص): بدا لي أن تكون بداية الدراسة من العنوان لاعتبارات عدة، منها:

- علامة لغوية تتقدم النص وتعلوه، فتألفت انتباه القارئ، وتدعوه إلى القراءة والتأمل؛ مما يتيح له طرح أسئلة على نفسه تتعلق بما هو آت، انطلاقا من ترسبات الماضي، ويصنع لنفسه أفقا للتوقع؛

- أول عنصر يفتتح به النص؛ فهو بهذا نقطة الانطلاقة الطبيعية للنص، أي: هو النواة التي يمكن أن يتولد منها النص؛ فهو بهذا يعدّ مظهرا من مظاهر البوح والإعلان عن خبايا النص؛

- يحدد اسم النص ويشير إلى جنسه، ويعمل على جذب القارئ وتشويقه من أجل قراءته؛

- يعبر عن مدلولات النص، فهو المدخل إلى أغواره العميقة قصد استنطاقها وتأويلها؛

- يعدّ نصًا موازيًا وضروريًا في تشكيل الدلالة.

• ورد العنوان (ماما)⁸ في المقطع الأول

ما علاقة (ماما) باللغة العربية؟ وما علاقتها بالمحيط - محيط التلميذ-؟ العربية غنية عن هذا الاستخدام، فالعربية إذا كانت في حاجة إلى تعريب؛ تلجأ إلى تعريب الألفاظ التي هي في حاجة إليها، فهي في غنى عن تعريب لفظة يوجد مقابلات لها في اللغة العربية مذ عرفت. بل نحن في حاجة إلى تعريب ألفاظ الحضارة المستحدثة، نحو ما ورد في الكتاب المدرسي ك: سي-دي، الفاييس بوك، تويتر، ماي سبيس، يوتوب...⁹

أما إذا ربطوا حضور هذه الكلمة (ماما) بالمحيط؛ فالواقع يقول أن:

- في منطقة الحضنة ينادي الحضنيّ أمه، بقوله: (أمّه)؛
- وفي الغرب الجزائري ينادي ابن الجهة الغربية أمه، بقوله: "ما...ما" وبعد وصوله سنّ معينة يناديها: "الشيبيانية"؛
- في الجنوب الغربي والصحراء ينادي الصحراوي أمه، بقوله: "أمّه وأبّه" وبعد وصوله سنّ معينة يناديها: "الوالدة"؛
- وفي منطقة الشرق، ينادي الشاوي أمه، بقوله: "نانة"
- وفي منطقة القبائل، ينادي القبائلي أمه بقوله: "يّمّي"

فهذا محيطنا وهذا مجتمعنا؛ فمتى كان المحيط بعد نهاية عصر الفصاحة مصدرا للغة العربية؟ هذا إذا كانت عربية، فما بالكم إذا كانت هذه اللفظة متداولة لدى العموم (دخيلة على العامية أو بعبارة أخرى تدخل في إطار التهجين اللغوي).

مع العلم أنهم يقولون في تقديم الكتاب: «يعد كتابنا بابا فسيحا يشرع أمام المتعلم ليلج من خلاله إلى حقول اللغة العربية المترامية الأطراف، فيشف عن قواعدها وكنوزها وأساليب تعبيرها، ويأخذ نصيبا منها ويمارسها ويوظفها بكيفية سليمة حسنة بدءًا من المستوى الشفاهي وصولًا إلى المستوى الكتابي».¹⁰

فالمترامية الأطراف لا تحتاج إلى الاقتراض من لغات أفرق منها مادة؛ وليتهم أدخلوا عليها ما تحتاجه من ألفاظ الحضارة. أما وأن نعزّب ألفاظها مقابلات بالعربية فيه كثير من الاستهتار لمن يضع منهاجا لتعليم العربية في الأصل، ثم يدسّ فيه ما يسيء لهذه اللغة.

ألا تعلم الهيئة الواضحة للمنهاج ومؤلفي الكتاب أنّ المادة الثالثة من الدستور الجزائري المعدل سنة 2016، تقول: «اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية»¹¹ وبموجب هذا «يُحدث لدى رئيس الجمهورية مجلس أعلى للغة العربية، يكلف ... على الخصوص بالعمل على ازدهار اللغة العربية، وتعميم استعمالها في الميادين العلمية والتكنولوجية...»¹².

ثم أن صاحبة النص (مي زيادة) عنونته بـ: (بكاء الطفل) والنص يوحي بأن الغرض منه هو إظهار الوسيلة التي يستخدمها الطفل لدعوة أمه ولاستعطافها، وليس الهدف منه هو الحديث عن الأم أو مناداتها؛ وبالتالي فإن صاحب النص أدرى بما يصلح كعنوان لموضوعه، ونحن بدورنا إذا أردنا استغلال نص وتوجيهه لخدمة مصالح معينة يجب أن يكون هذا الاستغلال علمي بحت، وأن نتصرف بحكمة، ودون أن نمسّ بغرض المؤلف.

• المقطع الأول، النص الثامن، تحت عنوان (بشراك يا دعد)¹³

إن الغموض الذي يكتنف هذا العنوان في شقه (دعد) مدعاة للتساؤل، ألم نذكر في البداية أن العنوان هو:

- مظهر من مظاهر البوح والإعلان عن خبايا النص؛
- الذي يجذب القارئ ويشوقه إلى قراءة النص؛
- المعبر عن مدلولات النص، وهو المدخل إلى أغواره العميقة قصد استنطاقها وتأويلها؛
- النص الموازي والضروري في تشكيل الدلالة.

صحيح أن هذا الاسم تراثي ولكنه غير مستخدم في محيط التلميذ؛ ثم هل أعلنت هذه الكلمة عن خبايا النص عند التلميذ أم أثارت التساؤلات وشتت الذهن في سبيل البحث عن معناها؟ وهل عبّرت عن مدلولات النص؟ وهل استنطقت أغواره وأولتها؟ وهل أسهمت في تشكيل الدلالة؟ أليس من مبادئ بناء

المناهج (المقروئية) أي: توخي البساطة والوضوح والدقة؛ فأين الدقة؟ وأين البساطة؟ وأين الوضوح؟ فالعنوان يبعث على التشويش الداخلي لدى المتعلم أكثر من كشفه لمدلولات النص.

والدليل على أنه غامض أرفق بتمهيد توضيحي، يشير إلى (دعد:ب: هي) ، فهل يدركها تلميذ السنة الأولى متوسط؟

• المقطع الثالث، النص الرابع تحت عنوان (عمر ورسول كسرى)¹⁴

من المعلوم أنه من الغايات السامية التي تنشدها المدرسة الجزائرية: ترسيخ الشخصية الجزائرية؛ وبالتالي ترسيخ وحدة الأمة؛ بترقية وحفظ القيم المتصلة بالإسلام والعروبة والأمازيغية؛ فهل من هذه القيم ما يدعو إلى عدم إنزال الناس منازلهم؟ لِمَ لا يبدو أثر ذلك في ما نعلمه لأبنائنا؟

ألم يرض الله عن عمر من فوق سبع سماوات؟ فلماذا إذن نبخل عليه ولا نجلُّه ونقدِّره حق قدره؟ فيثبَّ أبناؤنا على ذلك، ونغرس فيهم القيم الإسلامية ونحفظها لتصل إلى الأجيال القادمة كما هي لا يعتربها تحويل ولا تبديل.

وفي نفس المقطع عنونوا ب:- الرازي طبيبا عظيما - ابن الهيثم العبقرى العربى - جميلة بوحيرد صدقة الصحراء وأسطورة القرن العشرين - فانز فانون أو الضمير المهتاج، وغيرها... إذ أضافوا إلى هذه الأسماء ما يصورها في أذهان المتعلمين بأنها ذات شأن وقيمة، ولها من العظمة ما لها، في حين أن الرجل الثالث في الدولة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق، الرجل الذي أعزَّ الله به الإسلام، والذي حقق الله على يديه العدالة في أسمى معانيها، وفُتحت على يديه القدس... نشير إليه ب:(عمر) فقط.

• المقطع السادس، النص الوارد تحت عنوان: (مولد محمد)¹⁵

أين نحن من قول المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:8و9]؟ والذي يقول فيه محمد علي الصابوني: «إنا أرسلناك يا محمد شاهدا على الخلق يوم القيامة ومبشرا للمؤمنين بالجنة، ومنذرا للكافرين من عذاب النار ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي أرسلنا الرسول لتؤمنوا أيها الناس بربكم ورسولكم حق الإيمان، إيماننا عن

اعتقاد ويقين لا يخالطه شك ولا ارتياب ﴿ وَتُعزُّرُوهُ ﴾ أي تفخموه وتعظموه ﴿ وَتُوقِّرُوهُ ﴾ أي تحترموا وتجلّوا أمره مع التعظيم والتكريم، والضمير فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم.¹⁶ فأين هو التوقير؟ وأين هو الإجلال والتعظيم والتبجيل والتقدير في هذا العنوان؟

2- قراءة في بعض النصوص:

مثمًا هو مصرح به في تقديم الكتاب أنه « ينطوي على نصوص متنوعة وثرية تمثل قيمة مضافة إلى المتن الأدبي العربي عامة والجزائري خاصة، وقادرة على الارتقاء بمستوى تلاميذ السنة الأولى من التعليم المتوسط وخادمة للغة العربية ومواردها الفكرية والمعرفية والمنهجية والدوقية والجمالية»¹⁷ إذا سلمنا أن هذه النصوص قد تحقق فعلاً ما هو معلن عنه بالارتقاء بمستوى تلاميذنا إلى مستوى معين في الفكر واللغة والمعرفة والمنهجية والجمال؛ فهل يمكن أن يرتقي ابن هذا الوطن من خلال نصوص مستوردة وغير منقحة بالقدر الكافي رغم التصرف في معظمها؟ وهل ثقافة المشرقي وغيرهم ممن نقل عنهم، ومحيطه الاجتماعي، وبيئته هي نفسها ثقافة ومحيط وبيئة الطالب الجزائري؟

أنا لا أدعو إلى الانغلاق على الذات، والاستغناء عن تجارب الآخرين، بقدر ما أدعو إلى مراعاة الخصوصية الجزائرية؛ فنحسن اختيار الموضوعات التي تخدم المجتمع في هويته وتنمي ثقافته، وتسهم في بناء شخصيته.

* ففي النص الأول من المقطع الأول، تحت عنوان: (ابنتي)¹⁸ لإبراهيم عبد القادر المازني، نقرأ: "ألثم خدك" و: "شعرك الأثيث المرسل على ظهرك" و" رقة شفتيك" و: "وفي قلبي جوى من قربك المعطر بمثل أنفاس الروض الأثف" و" ألمح شفتيك الرقيقتان تختلجان... " و" عينيك النجلوين"

فهل ابن السنة الأولى متوسط في حاجة لمثل هذه الألفاظ ليحسن عربيتة ويتمكن منها؟ ألا توجد بدائل؟ هل يستطيع أحدنا في الجزائر أن يخاطب ابنته بمثل هذه الألفاظ؟

* وفي النص المعنون ب: (سرّ العظمة)¹⁹ لتوفيق الحكيم يقول فيه: « ينبغي لمن أراد أن يعلم سرّ عظمة محمد " أن يتخيل رجلا وحيدا فقيرا...».

أين التبجيل والتقدير؟ كيف نقبل أن يوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر وهو الذي أغناه ربه عن خلقه أجمعين، وخَلد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 8] أي: أغناه بما يسره له سبحانه من سُبل التجارة، ثم هل يمكن أن نتصور ما يمكن أن يرسمه التلميذ من صور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال سماعه لهذه الكلمة؟ وهل يمكن أن يكون وحيدا من أحاطه الله بعنايته وحفظه؟

وقال أيضا في موضع آخر: «... ينقل العقيدة التي في قلبه إلى قلوب الناس جميعا، وهنا كان النصر الأخير». هل نقلت العقيدة التي كانت في قلب رسول الله إلى قلوب الناس جميعا فعلا مثلما قال الكاتب؟ هل أسلم الناس جميعا في ذلك الزمن؟ ثم ما المقصود بقوله: «... وهنا كان النصر الأخير». التوقف على (النصر الأخير) كنهاية للنص يحتاج إلى توضيح؛ لأنه هكذا يفتح باب التساؤل، هل كان هذا هو النصر الذي لم ينتصر بعده الإسلام إلى اليوم؟ أم هو النصر الأخير الذي دُحِضَ به الباطل، فلن تقوم له قائمة بعده على الأرض إلى يوم الدين؟ وإن كان هذا المعنى الأخير مستبعدا؛ لعدم وجود ما يدلّ عليه في النص.

3- الصور التوضيحية:

كل صور المرأة في نصوص الكتاب تصور المرأة في البيت (الأم) أو خارجه (المرأة الرمز) مكشوفة الشعر، أما عن (المرأة المشاركة في العمل التطوعي)²⁰ فترتدي سروال الجينز، وتضع قبعة بيضاء على رأسها، وشعرها مرسل على كتفيها؛ مما يوحي أن المرأة في مجتمعنا غير ملتزمة بشريعة ربها، وأنها تلبس على الطريقة الأوروبية.

كما أن المشهد الذي يبدو وكأنه مشهد لحملة تطوعية يظهر فيه طفلا يشارك في هذه الحملة ويلبس قميصا لونه أبيض كبقية الأعضاء المشاركين في الحملة، ولكن للأسف هذا القميص يحمل شعارا بأحرفه لاتينية²¹، أكل هذا شغفا باللغات اللاتينية أم هو استهتار بمشاعر العرب والمسلمين في هذا البلد المفدى؟ فهل عجزت اللغة العربية أن تعبر عن شعار لحملة تطوعية.

أيضا صورة الطائفة في نص (آثار الرحلات الجوية الطويلة على الإنسان)²² نصفها العلوي ابيض، والسفلي أزرق، والخط الذي هو أسفل النوافذ الزجاجية الأمامية لغرفة القيادة حمراء اللون، فهل هذه صدف

أيضا؟ ثم الرحلة من نيويورك إلى باريس، ولماذا لا تكون الرحلة من نيويورك إلى الجزائر مثلا، فالجزائر وباريس على نفس الخط. (توضيح ما يمكن أن يحدث من تغيرات فيزيولوجية مؤثرة على المسافر).

صورة الأبنية الريفية في نص (بين الريف والمدينة)²³ لصاحبه صالح ساسة، هي نمط لمباني ريفية غربية بامتياز ولا علاقة لها بالريف الجزائري.

صورة الأمير في نص (مريض الوهم)²⁴ لصاحبه محمود العقاد، تُبين أن الأمير يرتدي زياً رومانيا، فهل يا ترى عاش ابن سينا في العهد الروماني حتى يداوي هذا الأمير لأنه هو الطبيب المعالج لهذه الحالة؟ أم أنّ الأمراء العرب في عهد ابن سينا لم تكن شخصية تعبر عن ذواتهم وعن كياناتهم؛ وهم من عايشوا الفترة الذهبية للحضارة العربية الإسلامية..

4- الظواهر اللغوية:

في الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط ما يقارب 60 ظاهرة لغوية، منها: 27 ظاهرة نحوية وصرفية، أي: تقريبا ما يعادل 50% من مجموع الظواهر اللغوية، وهذا في تقديري كثير على التلميذ في هذا المستوى. فإذا كنا نشكو من عزوف التلاميذ ونفورهم من الدرس النحوي، فكيف ننقل كاهل التلميذ بهذا الكم الهائل من الدروس؟ ونأمر المعلم بتنفيذ هذا البرنامج، ونحاسبه على ذلك في نهاية كل موسم دراسي، أي: بمعنى آخر نأمره بحشو عقل التلميذ بمجموعة من القواعد النحوية والصرفية، حتى أصبحت هذه المادة هدفا في حد ذاتها، والتلميذ لا حول له ولا قوة؛ فبعد شرح الدرس والانتقال إلى سواه، ينساه.

فالقضية ليست قضية قواعد نحوية وصرفية يستوعبها الطالب وكفى، بل رأس الأمر كلّهُ هو التوظيف والاستعمال، على الأقل في محيطه المدرسي: مع معلمه، وزملائه، في بحثه العلمي... وهذا أمر غائب تماما والحقيقة:

إِذَا ضَبَّعَتْ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ أَبَتْ أَعْجَازُهُ إِلَّا الْتَوَاءَ

أي: إذا فُقد فقه البداية، يَخيب المسعى في فَهْم النهاية.²⁵

خاتمة: "لكل عمل إذا ما تم نقصان" مثلما يقال؛ والحقيقة أن واضعي المنهاج جدّوا واجتهدوا ما بلغه جهودهم، لتقديم بناء منسجم من حيث القيم الوطنية والتاريخية والدينية واللغوية؛ فجاءت هذه المضامين

لتحقيق أهداف مقصودة، سخرت لتحقيقها إمكانات بشرية ووسائل هائلة؛ وذلك لجعل المدرسة قادرة على الاستشراق، وتجنيب الوسائل لبناء مواطن الغد، وتمكين المجتمع من آليات اكتساب الثقافة بأنواعها؛ العلمية والتكنولوجية والفنية. وكان لزاما علينا كباحثين ودارسين أن نسهم بما يمكن أن يحمل الإضافة وينفع المجتمع؛ فجاءت هذه الدراسة محاولة مني لسدّ بعض ما أراه ثغرات؛ فيزداد هذا العمل ثراء وتنظيما وانسجاما؛ ما يسهم في رفع التحديات التي يفرضها نظام العولمة على مجتمعاتنا، ونتمكن من التحكم في التكنولوجيا واستغلالها بما يخدم مصلحة هذا الوطن.

Abstract:

Looking for the self and trying to evaluate it, and for the sake of renewing and because I believe that we all look to preserve national identity through the components of our culture and what it would contain from values dimensions that would lint the researcher to his past and present. It would also prepare him to to the future through addressing his inner and personality. For the researcher is the one who would protect culture and its continuity and renewal is based on his actions.

Education is also one of the means to preserve the cultural identity of the citizen, to build his identity and national identity, and to consolidate the elements of his national identity in light of the challenges faced by society (globalization, information and digital revolution ...). In this regard, those responsible for the preparation of educational curricula must take into account Algerian privacy and select the contents of the curricula to make them more productive in building a generation capable of facing difficulties and challenges in a world whose geographic dimensions have been reduced. Because education refers to a dual intellectual and moral component; in addition to preserving the cultural heritage of society, and consolidating the language of the community on the one hand, and push to social cohesion through the implantation of the national spirit on the other hand; working to draw all kinds of relations to the individual with members of society, Outside world.

الهوامش:

- 1 - تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ط2، الجزائر: 1989، ديوان المطبوعات الجامعية، ص355.
- 2 - ينظر: صالح بلعيد، محاضرات في التربويات والإسلاميات، الجزائر: 2015، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ص10.
- 3 - المرجع نفسه، ص11.
- 4 - اللجنة الوطنية لبناء المناهج، الدليل المنهجي لإعداد المناهج، ص6.

- 5 - اللجنة الوطنية لبناء المناهج، الدليل المنهجي لإعداد المناهج ، ص6.
- 6 - محمود كحوال ومحمد بو مشاط، دليل الأستاذ(اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط-) موفم للنشر، ص 23.
- 7 - ينظر: محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط، الجزائر: 2016، موفم للنشر، ص5- ينظر: محمود كحوال ومحمد بو مشاط، دليل الأستاذ(اللغة العربية - السنة الأولى من التعليم المتوسط-) موفم للنشر، ص 23.
- 8 - محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط، الجزائر: 2016، موفم للنشر، ص24.
- 9 - ينظر: محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط.
- 10 - المرجع نفسه، ص5.
- 11 - الدستور الجزائري، المادة (03) والمعدل بالقانون رقم:16-01 المؤرخ في: 2016/03/06
- 12 - المرجع نفسه
- 13 - محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط ، ص46.
- 14 - محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط، ص58.
- 15 - محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط، ص118.
- 16 - محمد علي الصابون، صفوة التفاسير، ط5، قسنطينة:1990، دار الضياء، ج3، ص219.
- 17 - محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط، ص5.
- 18 - المرجع نفسه، ص12.
- 19 - محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط، ص52.
- 20 - محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط، ص70.
- 21 - المرجع نفسه ص70.
- 22 - المرجع نفسه، ص100.
- 23 - المرجع نفسه، ص136.
- 24 - محمود كحوال ومحمد بو مشاط، الكتاب المدرسي للسنة الأولى من التعليم المتوسط، ص160.
- 25 - ينظر: إنطوان طعمة وآخرون، تعلّمية اللغة العربية، ط1، بيروت: 2006، دار النهضة العربية، ج1، ص125.

استدعاء الشخصيات الإسلامية في قصيدة "تقرير سري جداً" لنزار قباني

د/ عبد القادر بعداني. د/ إسماعيل زغودة

جامعة حسينية بن بوعلي الشلف.

ملخص:

إن حاضرننا ومستقبلنا مرتبطن باماضينا، وما فيه من أمجاد، لهذا أصبح الرمز وتوظيف الشخصيات التراثية سمة بارزة عند الشعراء، ومن بينهم شعر نزار قباني، وتشهد كتاباته الشعرية التي انتقد فيها الطغاة والفاستدين سياسيا واقتصاديا أنه كان عميق القراءة للتراث، ويجيد استغلال عناصره في النص مما يعطيه فضاء شعريا واسعا بالإشارات والدلالات. استعمل الشاعر نزار قباني الرمز بمختلف أنواعه من تاريخي، ديني، شعبي، تراثي، وسنحاول في هذه الدراسة أن نضع يدي على أسباب استعمال الشاعر لتوظيف التراث في الصورة الشعرية وفي بناء القصيدة النزارية.

الكلمات المفتاحية: نزار قباني، الشخصيات التراثية، الرمز.

Sommaire:

Notre présent et notre future dépendent de notre passé avec toutes ses gloires. Pour cela, le symbole et l'utilisation des fameux et anciens personnages sont devenu un caractère apparent chez les poètes. Et parmi eux Nezar Qabani que ces poèmes témoignent de la virulence de ces critiques envers les corrompus et les tyrans politiquement et économiquement, et qui prouve en outre sa lecture profonde du patrimoine, ce qui lui a permis d'exploiter ces éléments dans son texte pour rendre une atmosphère pleine de sens et de significations. Ce poète a su utiliser le symbole dans toute sa diversité que ce soit historique, ou religieux, ou populaire, ou même ancien.

Et nous allons à travers cette étude essayer de connaître les raisons qui ont poussé ce poète à l'utilisation du patrimoine dans son image poétique et dans son œuvre artistique.

Mots clés : Nezar Qabani – personnages anciens – le symbole

الشاعر نزار قباني الذي ارتبط اسمه بالمرأة من أكثر الشخصيات العربية دفاعاً عن القضايا العربية وعن المظلومين والمضطهدين، وهو من أكثر الشعراء توظيفاً للتراث ببعديه التاريخي والفكري، بهدف أداء دور أساسي في إنتاج الشعرية سواء كانت الشخصيات تتشابه في موقفها مع الموقف الحاضر، أم كانت بينهما علاقة ندية، ليعبر بها عن رؤياه المعاصرة¹. وذلك لأن حاضراً ومستقبلاً مرتبطاً بماضينا، وما فيه من أمجاد، لهذا أصبح الرمز وتوظيف الشخصيات التراثية سمة بارزة في شعر نزار قباني، وهذه إشارة واضحة إلى أنه كان عميق القراءة للتراث، ويجيد استغلال عناصره في النص مما يعطيه فضاء شعرياً واسعاً بالإشارات والدلالات.

استعمل الشاعر نزار قباني الرمز بمختلف أنواعه من تاريخي، ديني، شعبي، تراثي وسنحاول في هذه الدراسة أن نضع يدي على أسباب استعمال الشاعر لتوظيف التراث في الصورة الشعرية وفي بناء القصيدة النزارية.

عمد نزار قباني لاستدعاء الشخصيات التراثية، وخاصة التاريخية، من أجل نقد الواقع المعاش، وهجاء أصحاب القرار لتردي أوضاعنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية.

تعتبر شخصية الصحابة أكثر شخصيات التراث انتشاراً في شعر نزار قباني الثورية، وتعد شخصية أبي بكر الصديق وعمر وعثمان أكثر الشخصيات التاريخية الإسلامية دلالة على الشهامة العربية ولها تأثير خاص على الوجدان العربي.

استثمر الشاعر هذه الشخصيات الإسلامية ليسقط عليها دلالات سياسية، فشخصية أبي بكر وعثمان ترمزان إلى واقع العالم العربي الذي يتخبط في المحن والأحزان وتتساقط مدنه الواحدة تلو الأخرى، مثل القدس وبغداد في أيدي الأمريكان.

في هذه القصيدة نجد شخصية أبي بكر وعثمان غائبة في مجتمعنا الذي أصبح مسئولوه عبارة عن هياكل عظمية لا يمثلون شيئاً ينفع المجتمع، يقول نزار قباني:

لم يبق فيهم لا أبو بكر.. ولا عثمان..

جميعهم هياكل عظمية في متحف الزمان..

تساقط الفرسان عن سروجهم..

وأعلنت دويلة الخصيان..

واعتقل المؤذنون في بيوتهم..

وألغى الأذان..

جميعهم تضخمت أنثاؤهم..

وأصبحوا نسوان..

جميعهم يأتيهم الحيض، ومشغولون بالحمل

وبالرضاعة.²..

ويهجو مسئولو المجتمع العربي فيشبههم بالمرأة التي لا تقدر على قتال الأعداء ولا تستطيع الدفاع عن شرفها وكرامتها.

وأن رجالها ذبحوا خيولهم وباعوا سيوفهم وقدموا نساءهم هدية لقائد الرومان كرمز للخسة والندالة . وأن الأرض العربية التي كانت تدعى بلاد الشام وقت العزة والكرامة، أصبحت اليوم تسمى: يهودستان وهو توظيف جيد فيه إبداع في صنع مفردات اللغة وتوظيفها، حيث مزج بين العربية والكردية ليولد لنا كلمة جديدة وهي يهودستان أي دولة اليهود.

ويرسم الشاعر لنا طريق الخلاص عن طريق العودة إلى إحياء عصر الفروسية وقوة السيف، ويرى في السيف والحصان الخلاص لنا مما نحن فيه" ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة".

ومن يمعن النظر في شعر نزار قباني يصل إلى أن النص الأدبي يشكّل المحور الأساسي في تضمينات الشاعر وأنه يأخذ من ديوان العرب تجاربهم وأفكارهم وأحاسيسهم على امتداد العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، وكذلك يأخذ من نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. من ذلك قوله حين قال منتقدا القادة العرب:

ملوكها يقرفصون فوق رقبة الشعوب بالوراثة

ويفتنون أعين الأطفال بالوراثة

ويكرهون الورق الأبيض، والمداد، والأقلام بالوراثة

وأول البنود في دستورها:

يقضي بأن تلغى غريزة الكلام في الإنسان

الله ... يا زمان³ ...

وفي هذا نقد واضح لسادة الأمة حين تخلّوا عن واجبهم وأتاحوا الفرصة لأراذل الناس كي يتحكّموا في رقاب المواطنين متضمنا في ذلك بيت المتنبي عندما غضب على سادة مصر بسماحهم للعبيد بقيادة الأحرار

قائلا:

نامت نواطير مصر عن ثعالبها *** وقد بشمن فما تفنى العناقيد⁴

والثعالب هنا كل منافق مراوغ الذي انتفخ بطنه من نهب ثروات الأمة.

برع نزار قباني في توظيف الأنماط التعبيرية التراثية توظيفا يخدم الدلالة العامة المعبرة عن رؤيته الشعرية المعاصرة وعن فكره الرافض لواقع الأمة العربية المتهالك. فهو حين يعبر عن الضعف الذي أصابنا يلجأ إلى توظيف الرموز التراثية الدالة على القوة يقول:

لم يبق في دفاتر التاريخ

لا سيف ولا حصان

جميعهم قد تركوا نعالهم

وهزّبوا أموالهم

وخلفوا وراءهم اطفالهم

وانسحبوا الى مقاهي الموت والنسيان

جميعهم تخنثوا...

تكحلوا...

تعطروا...

تمايلوا أغصان خيزران

حتى تظن خالدا ... سوزان

ومريما .. مروان

الله ... يا زمان⁵...

في هذه القصيدة نجد الشاعر يستعين بأبي بكر وعثمان لأنهما من الصحابة الأخيار ومن الخلفاء الراشدين الذين بنوا دولة العدل والمساواة، ووظفهما هنا في قصيدته بحثاً عن الكرامة والحرية التي فقدها المجتمع العربي، ولاسترجاع السيادة العربية الضائعة.

ويلاًجأ الشاعر إلى رمز الأذان للتعبير عن الهوية والأرض، وأننا أمة لا تعادي التراث المخالف لديانتنا، المسيحي أو اليهودي، حيث يقول:

واعنقل المؤذنون في بيوتهم..

وألغي الأذان..

كما يلاًجأ إلى رمز الديك لدعوتنا لليقظة والتجديد والأخذ بأسباب القوة يقول:

والديك كي يصيح يحتاج إلى قرار

ويهجو المجتمع العربي فيشبهه بالمرأة التي لا تقدر بحسب تكوينها المخالف لتكوين الرجل، على قتال الأعداء والدفاع عن شرفها وكرامتها. وأن رجالها ذبحوا خيولهم وباعوا سيوفهم وقدموا نساءهم هدية لقائد الرومان كرمز للخسة والندالة.

ويسافر بنا نزار عبر العصور والأزمان موظفا الشخصيات التاريخية ليعث فينا الأمل وروح المقاومة، بفضل التمسك بالقيم العربية الإسلامية والتعاليم الدينية، ممثلاً في دول الممانعة التي تتصدى للعدو صباح مساء، فيقول:

جميعهم موتى ... ولم يبق سوى لبنان

يلبس في كل صباح كفنأ

ويشعل الجنوب إصراراً وحنفوان

جميعهم قد دخلوا جحورهم

واستمعوا بالمسك، والنساء، والريحان

جميعهم مدجن، مروض، منافق، مزدوج .. جبان

ووحده لبنان
يصفع أمريكا بلا هوادة
ويشعل المياه والشيطان
في حين ألف حاكم مؤمرك
يأخذها بالصدر والأحضان
هل ممكن أن يعقد الإنسان صلحا دائما مع الهوان؟
الله ... يا زمان⁶ ..

وفي تعبيره عن سخطه لحكام العرب واضطهادهم للمواطن، يقدم نقدا لاذعا لكل الحكام وأنهم يمارسون القهر والإذلال لمواطنيهم، وفي المقابل الخضوع والإذعان لأبناء الرومان، يقول على لسان المواطن العربي:

هل تعرفون من أنا
مواطن يسكن في دولة (قمعستان)
وهذه الدولة ليست نكتة مصرية
او صورة منقولة عن كتب البديع والبيان
فأرض (قمعستان) جاء ذكرها
في معجم البلدان ...
وأن من أهم صادراتها
حقائب جلدية
مصنوعة من جسد الانسان
الله ... يا زمان⁷ ...

وقمعستان مركبة تركيبيا إضافيا، بين كلمتين عربية وهي قمع وكردية وهي ستان، وتعني الكلمة دولة القمع، ويقصد بها دول العالم العربي مجتمعة. وكدلالة على قمة القمع والاضطهاد الذي وصلت إليه الدول العربية أنها تصدر حقائب جلدية مصنوعة من جسد الإنسان.

والشخصية التراثية في شعر نزار قباني تحتفظ بخصائصها ومميزاتها العربية الإسلامية، من عدل وشهامة وشجاعة ووفاء للعهود المنجزة، بخلاف الشخصية المعاصرة التي أصبحت تحمل بين طياتها تناقضات بين هذه الملامح، بين الظلم والعدل وبين طمس الهوية العربية والتضحية من أجل إثباتها. كل هذا عبّر عنه نزار قباني حين ذكر رجالا من الصحابة ولم يجد اليوم من يشبههم أو يجد صفة من صفاتهم، عندما قال:

لم يبق في دفاتر التاريخ
لا سيف ولا حصان
جميعهم قد تركوا نعالهم
وهزّبوا أموالهم
وخلفوا وراءهم أطفالهم
وانسحبوا الى مقاهي الموت والنسيان
جميعهم تخنثوا...
تكحلوا...
تعطروا...
تمايلوا أغصان خيزران
حتى تظن خالدا ... سوزان
ومريما .. مروان
الله ... يا زمان⁸...

وكتأثر الشعراء المعاصرين بالاتجاهات الغربية، تأثر نزار بمأساة الشخصيات المنبوذة التي ارتكبت أخطاء مع الله تعالى فحلت عليها اللعنة إلى يوم الدين، من ذلك توظيفه لشخصية الشيطان توظيفا مغايرا لما ذهب إليه أدباء الغرب حيث احتضنوا تمرد هذه الشخصيات كتعبير عن النزعة إلى الحرية، مثل ما صنع الشاعر الانجليزي ملتون في الفردوس المقدس.⁹ بينما الشاعر نزار لا يتعاطف مع الشيطان، بل يعتبره مصدر الشر إذ يقول:

هل تعرفون الآن ما دولة (قمعستان)؟

تلك التي أَلْفَهَا .. لَحْنَهَا ..

أخرجها الشيطان ...

هل تعرفون هذه الدولة العجيبة؟

حيث دخول المرء للمرحاض يحتاج إلى قرار

والشمس كي تطلع تحتاج إلى قرار

والديك كي يصيح يحتاج إلى قرار

ورغبة الزوجين في الإنجاب

تحتاج إلى قرار

وشعر من أحبها

يمنعه الشرطي أن يطير في الريح

بلا قرار¹⁰ ..

فهذا الشر بمختلف أنواعه الذي ارتكبه الحكام كله بإيعاز من الشيطان، من دكتاتورية ومنع للحريات العامة والشخصية.

فعالية التكرار عند نزار في تقرير سري جدا.

استعمل نزار التكرار في قصيدته "تقرير سري جدا" ليحقق إيقاعا موسيقيا ويصبح المقطع مفتوحا للتأويل والتطبيق في تشكيل موقفه وتصويره، ولإظهار حالته النفسية والشعورية ويمزج بين نفسه ونفسية المتلقي في جو بهيج.¹¹ كثر الحرف والعبارة والمقطع، فقد وظف تكرار الحرف بشكل واضح مما يعطينا دلالات نفسية كالانفعال والقلق والتوتر الذي يعيشه الشاعر، قصد تأكيد المعنى عند المتلقي مما يضيف على النص لمسة جمالية تتناسب وحس الشاعر، كما أنها تحمل معاني ودلالات قوية. من ذلك قوله:

هل ممكن ان يعقد الانسان صلحا دائما مع الهوان؟

هل تعرفون من أنا

هل تطلبون نبذة صغيرة عن أرض (قمعستان

هل تعرفون من أنا؟

هل تعرفون الآن ما دولة (قمعستان)؟

هل تعرفون هذه الدولة العجيبة؟

حيث كرر حرف الاستفهام "هل" ست مرات ليؤكد حضوره الدائم لهذا الوطن، وأنه يعيشه بكل آماله وأحلامه، وأنت حين تقرأ له تشعر بالحزن والأسى لما آلت إليه الأمة العربية من ظلم واستبداد، كما يقوم تكرار الحرف هنا بدور الرابط اللغوي الذي وُلد ترابطا في الجمل وتكوينها تكوينا بنويا متماسكا في النسق داخل بنية النص الشعري¹².

تكرار الكلمة

يشكل تكرار الكلمة عند نزار قباني ظاهرة بارزة في شعره لتأكيد الذات وحضورها في بعض المقاطع التي تتطلب التكرار حين تكون النفس الشاعرية متأزمة وحزينة، وذلك لبعث الدلالة بإيقاع موسيقي جميل، والتكرار بنوعيه الاسم أو الفعل لا بد أن يكون فنيا موقظا للمشاعر وقويا للمعنى ومؤكدا لها، يلجأ إليه الشاعر لبناء قصيدته ويكون محور ارتكاز القصيدة ومنبع ثقلها الفني وتكاملها الإيحائي، يقول:

جميعهم هياكل عظمية في متحف الزمان..

جميعهم تضخمت أنداؤهم..

جميعهم يأتهم الحيض، ومشغولون بالحمل

جميعهم قد ذبحوا خيولهم..

جميعهم قد ذبحوا خيولهم..

جميعهم تخنثوا...

جميعهم تخنثوا...

جميعهم قد دخلوا جحورهم

جميعهم مدجن، مروض، منافق، مزدوج .. جبان

فالشاعر كرر هنا "جميعهم" تسع مرات إيماناً منه أن الكل مسئول عن تدهور حالة الأمة، ونلاحظ أنّ كلمة جميع المكررة لها تأثير كبير في الكشف عن خفايا الشاعر النفسية التي تتأجج نارا وحرنا وأسى على ما آل إليه العالم العربي، كما ولدت نغما موسيقيا أساسيا ساهم في بناء النص الشعري.¹³

تكرار الجملة

تكرار الجملة أن يعيد الشاعر الجملة بطريقة فنية فيها إحياء وفاعلية للتأثير على المتلقي، وفيها ربط للمقاطع الشعرية لتشكيل صورة كاملة لتقوية الدلالة، وعمق درجتها الإيحائية والإيقاعية في النص الشعري، وفيه قيمة جمالية رابطة تتمثل في تحقيق تماسك القصيدة وتلاحمها ونغمها الإيقاعي المنسجم.¹⁴ من ذلك قوله:

هل تعرفون من أنا " في المقطع 4"

مواطن يسكن في دولة قمعستان

هل تعرفون من أنا" في المقطع 6"

مواطن يسكن في دولة قمعستان

جميعهم قد ذبحوا خيولهم..

جميعهم قد ذبحوا خيولهم..

جميعهم تخنثوا... " في المقطع 2"

تكللوا...

تعطروا...

تمايلوا أغصان خيزران

جميعهم تخنثوا... " في المقطع 3"

يلبس في كل صباح كفنًا

ويشعل الجنوب إصراراً وعنفوان

هم جميعهم قد ذبحوا خيولهم " في المقطع 01

وارتهنوا سيوفهم..

وقدموا نساءهم هدية لقائد الرومان..

"

جميعهم قد ذبحوا خيولهم " في المقطع 2"

وهربوا أموالهم

وخلفوا وراءهم اطفالهم

وانسحبوا الى مقاهي الموت والنسيان

نخلص إلى أن شاعرنا يعود عند اشتداد المحن، إلى مبادئه وثورته على الظلم والفساد والدكتاتورية السياسية بكل ما يملك، لنصرة الحق والعدل، ويستحضر الشخصيات الإسلامية أبي بكر وعثمان، هذين الشخصيتين العظيمتين الراضيتين للعادات البالية والظلم والاضطهاد، فشخصية أبي بكر وعثمان دلالة على سعة اطلاع نزار وسعة خياله وصدوره، وأنه لجأ إلى التراث ليخفف عن نفسه ما يعيشه مجتمعه من ظلم واستبداد.

المصادر والمراجع:

- 01- فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين، عصام شرتج،
- 02- الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث، ترماني خلود
- 03- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الجيار مدحت، 1995، دار المعارف مصر.
- 04- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د علي عشري وليد، 1997، دار الفكر العربي القاهرة0
- 05- الديوان، المتنبى ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1983
- 06- الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ط 3، دار الفكر العربي، القاهرة 1978،
- 07- <https://www.aldiwan.net/poem6376.html>

الإحالات:

- 1- ينظر: الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ط 3، دار الفكر العربي، القاهرة 1978، ص: 225.
- 2 - <https://www.aldiwan.net/poem6376.html>
- 3 - <https://www.aldiwan.net/poem6376.html>
- 4 - الديوان، المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1983، ص: 507
- 5 - <https://www.aldiwan.net/poem6376.html>
- 6 - <https://www.aldiwan.net/poem6376.html>
- 7 - <https://www.aldiwan.net/poem6376.html>
- 8 - <https://www.aldiwan.net/poem6376.html>
- 9- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د علي عشري وليد، 1997، دار الفكر العربي القاهرة، ص: 98.
- 10 - <https://www.aldiwan.net/poem6376.html>
- 11 - ينظر: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الجيار مدحت، 1995، دار المعارف مصر، ص: 47.
- 12 - الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث، ترماني خلود، 2004، ص: 306.
- 13 - ينظر: فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين، عصام شرحت،
- 14 - نفس المصدر

ظاهرة الإدغام في تفسير "أضواء البيان"

لحمد الأمين الشنقيطي.

د/ جلول دواجي عبد القادر

جامعة حسبية بن بوعلي بالشلف

dawajiaek@gmail.com

المخلص:

اهتم القراء بالقرآن الكريم اهتماما كبيرا، وفصلوا في الظواهر الخاصة به، كالإمالة والوقف وغيرها، ومنها أيضا الإدغام، هذا المصطلح الذي ظهر في كتبهم لتوضيح المواضع التي يجوز فيها ويمتنع، وتوصلوا إلى إبراز أن الإدغام ظاهرة من ظواهر التشكيل الصوتي، وتتمثل في أداء صوتي مفاده إدخال صوت في مجاوره حتى يكون صوتاً واحداً مشدداً. وذكروا أسبابه وقسموه أقساماً وأنواعاً وحددوا له شروطاً.

وراح العلماء القدامى والمحدثون يفصلون في هذه الظاهرة من زمن الخليل إلى يومنا هذا، ولعل من العلماء الذين أشاروا إليها في العصر الحديث محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان)، ودلل على ذلك بالأمثلة والشواهد القرآنية ومن التراث العربي. وهذا ما تفصل فيه هذه الورقة البحثية.

Abstract

Scholars gave to Holy Quran a big importance in their researches and sought deeply for its linguistic phenomena, like Imala (pronouncing the sound A), alwakf (the stop) and Idgham (the assimilation of a one letter into another). The term Idgham appeared in their books to clarify the positions where it is permitted and where it is prevented. Scholars came up with a result that Idgham is a phenomenon of sound configuration; they also mentioned the reasons after it, divided it into types and put conditions for it.

Since old scholars like El Khalil, until modern ones, idgham was a subject of study; Mohammed El Amine Alshanquiti is a scholar from the modern century who mentioned it in

his explanatory book *Adhwaa El Bayan* "lights of clarification", he demonstrated it using proofs from *Quran* and Arabic heritage. All these issues are to be detailed in this paper.

Keywords: *Idgham - linguistic phenomenon - Adhwaa El Bayan - El Shankiti.*

1- الدرس الصوتي في التراث العربي:

ارتبط الدرس الصوتي منذ نشأته بالقرآن الكريم، لأنه كلام الله الذي اكب المسلمون من العرب وغير العرب لقراءته وتدبر معانيه وتعلمه وتعليمه دافعا لهم إلى دراسة لغته، والبحث عن أسرارها، وخصائصها ووضع قواعد تحفظها من اللحن والغلط خاصة لما دخل الأعاجم للإسلام، ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية "وأخذ اللحن يتسرب إلى الألسنة بعد أن كان اللسان العربي عندهم صحيحا محروسا لا يتداخله الخل ولا يتطرق إليه الزلل إلى أن فُتحت الأمصار، وخالط العرب غير جنسهم ... فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن"¹، ولذلك فقد حظي الجانب الصوتي باهتمام خاص من قبل الدارسين العرب القدامى على اختلاف توجهاتهم العلمية منهم القراء، ومنهم النحاة، ومنهم علماء الأصول ومنهم الفلاسفة.² هذا ما نجده ماثورا في بطون كتبهم لارتباط المبحث الصوتي الوثيق بما عالجوا من قضايا نحوية وصرفية ودلالية وبلاغية لها أصرة بالنص القرآني.

يتفق العلماء والدارسون على أن بدايات الدرس الصوتي العربي كانت مرتبطة بالقرآن الكريم ارتباطا مباشرا، وتنسب أول محاولة صوتية إلى أبي الأسود الدؤلي (ت68هـ) الذي وضع رموزا تقي من الوقوع في أخطاء نطقية أثناء قراءة القرآن الكريم، فيروى أنه سمع قارئا يقرأ "أن الله بريء من المشركين ورسوله" بكسر لام رسوله، فاستدعى كاتبًا وقال له: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن رأيتني كسرت شفتي فانقط نقطة تحت الحرف، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا سمعتني أتبع ذلك بشيء من الغنة فضع النقطة نقطتين»³.

ومن هنا فإن بداية الدراسة الصوتية العربية كانت وصفية، تعتمد على الملاحظة والسماع، ومعنى هذا أن الدراسات الصوتية العربية من المباحث التي نجح فيها العرب نجاحا كبيرا، خاصة من حيث المنهج المعتمد في دراستهم للأصوات، فهم اعتمدوا على الملاحظة الذاتية للظواهر الصوتية⁴.

ليأتي بعد أبي الأسود الدؤلي نصر بن عاصم (ت98هـ) ويرتب الحروف العربية وينقطها، ويكون بهذا العمل الجليل قد قدم للمسلمين عامة عملاً، يبعدهم عن اللبس في قراءة الحروف، وتتجلى أهمية عمله في الجمع بين الصوت وصورة الحرف، فأعجم المصحف ومن ثم تعويض نقط أبي الأسود الدؤلي بصورة صغيرة للحرف، فكانت الضمة واوا صغيرة، والكسرة ياء صغيرة، والفتحة ألفاً صغيرة⁵.

وجاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) وهو من أبرز علماء القرن الثاني للهجرة الذين قدّموا أعمالاً قيّمة في مجال الدراسات اللغوية وخاصة الصوتية منها أهمّها تحديد أوزان الشعر وبحوره وتصنيف معجم (العين) الذي حاول فيه استيفاء كلام العرب.

فكان أن انفرد في حقبة تاريخية مبكرة جداً من عمر الحضارة العربية الإسلامية برؤية واعية وعميقة لطبيعة الأصوات اللغوية، الأمر الذي جعله يخرج إلى الوجود أول معجم عربي ... رتّب مواده على مخارج الأصوات، ولذلك وُسم بالعين نسبة إلى أول صوت حلقي حسب ترتيب الأصوات عند الخليل.⁶

ومن أحسن ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما نجده عند الخليل من وصف للجهاز الصوتي، وهو الحلق والفم إلى الشفتين وتقسيمه إياه إلى مناطق ومدارج يختص كلٌّ منها بحرف أو مجموعة حروف، وأشار إليه من ذوق الحروف لبيان حقيقة المخرج، فقد هدي بذكائه المتفوق في ذلك إلى مقاييس صحيحة أقرّ كثيراً منها علماء الأصوات المحدثون.⁷

وتجلت براعة الخليل في الأبجدية الصوتية التي وضعها وفق ترتيب مخارج الأصوات، انطلاقاً من الأعماق في جهاز النطق وصولاً إلى مخرج الشفتين فقال: "العين والحاء والهاء والغين حلقيه، نسبة إلى الحلق والقاف والكاف لهويتان نسبة إلى اللهاة، وهكذا يستطرد في تصنيفه للأصوات حسب مخارجها حتى ينهاها بقوله والياء و الواو والألف والهمزة هوائية نسبة إلى الهواء في مجراه"⁸، وقد قسم الأصوات إلى نوعين حروف وحركات، الحروف الصالح وحروف العلة باستثناء الهمزة قال: "في العربية تسعة و عشرون حرفاً صالحاً لها أحياء و مدارج و أربعة هوائية وهي: الياء و الواو والألف اللينة والهمزة، لأنها هوائية في الهواء لا يتعلق بها شيء"⁹، وقد حقق الخليل هذه النتائج معتمداً على منهج قائم على الملاحظة و التجريب فاهتدى إلى مخارج الأصوات، قال الليث: "وإنما كان الخليل ذواقه إياها (يقصد الأصوات) أنه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف، نحو أب، أت، أح، أع، أغ فوجد العين أدخل الحروف في الحلق"¹⁰.

يتفق الدارسون أن هذه الطريقة منفردة في تحديد الأصوات و الوقوف على مخارجها، ومن أحسن ما عرض له الخليل في دراسة الأصوات ما نجد من وصف للجهاز الصوتي، وهو الحلق والفم إلى الشفتين، وتقسيمه إياه إلى مناطق ومدارج يختص كل منها بصوت أو مجموعة أصوات، وما أشار إليه من ذوق لبيان حقيقة المخرج، وما ذكره يرتبط أساساً بعملية إنتاج الأصوات وقد سار في استنباط مخارج أصوات العربية سيرا استقرائياً ابتداءً من أقصى الحلق، فالهلق مروراً بالفم فالأسنان وانتهاءً بالشفتين، وهذا يدل على ذوق حسي فريد و صبر و قدرة على الاستنتاج حتى توصل إلى ما توصل إليه إبداعاً

وابتكاره، دون الاستعانة بأي جهاز علمي، إذ لا جهاز آنذاك، وهو ما لم يثبتته العلم التشريحي الحديث بكل أجهزته الدقيقة ومختبراته الضخمة خلافاً له، فيما يبدو يسيرا¹¹.

إن الخليل في نوقه الصوتي قلب أصوات العربية فوضعها ضمن مخارج صوتية معينة بحسب مدارج مقدرة من أقصى الحلق حتى إطباق الشفة في الميم، وقد صنف هذه المخارج فجعلها عشرة وهي كالاتي:

1/ع-ح-ه-خ-غ.

2/ق-ك.

3/ج-ش-ض.

4/ص-س-ز.

5/ط-د-ت.

6/ظ-ث-ذ.

7/ز-ل-ن.

8/ف-ب-م.

9/و-ا-ي

10/الهزمة¹².

وجاء سيبويه وواصل مسيرة أستاذه الخليل، وقد انطلق في دراسته للأصوات العربية من منطلق صوتي بحت، وهو أثر تجاوز الحروف المتماثلة والمتقاربة والمتجانسة في عملية الإدغام، وقد تحدّث عن الإبدال والمضارعة في الصوامت، كما تحدّث عن الاتباع والإمالة في الحركات (المصوتات) وكان ما كتبه سيبويه عن مخارج الأصوات العربية وصفاتها هو الأساس الذي اعتمد عليه جلّ الباحثين والعلماء العرب فيما بعد¹³.

وكان من إبداعات هذا العالم الفذّ تقسيمه للحروف العربية إلى حروف أصول وحروف فروع، وهذا يتّفق إلى حدّ كبير مع حديث الصوتيين المحدثين عن الوحدات الصوتية والصور الصوتية¹⁴.

وكان "كتاب سيبويه حافلاً بوقفات عديدة تعد أدق تصنيفاً وأوفى دراسة لمخارج الأصوات وصفاتها، فقد ذكر ستة عشر مخرجا صوتيا وفصل الحديث فيها، مخالفاً الخليل في عملية ترتيب الأصوات فغير رتبة اللام والراء والنون "فرق بين الحروف الأصول والفروع كما فرق بين الفروع من حيث الاستعمال مشيراً بذلك إلى ما يعرف الآن بالفرق بين الوحدة الصوتية الأساسية والصورة الصوتية وهو ما يعبر عنه علم الأصوات الحديث بالفونيم والألفون على التوالي"¹⁵، وتحدث عن كيفية حدوث الأصوات ذاكرة صفاتها من مجهور ومهموس وشديد ورخو ما بين الشديد والرخو والمكرر والمحرف والغنة و المنفتحة و المطبقة

..... وفي ذلك يقول: "فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، فهذه حال المجهورة في الحلق و الفم ...، وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"¹⁶، وبضيف: "ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه...ومنها الرخوة...أجريت فيها الصوت"¹⁷.

وأما أبو الفتح عثمان بن جني (ت292هـ) والذي أخذت الدراسة الصوتية في القرن الرابع على يديه مرحلة الاستقلال بما كتبه في كتابه "سر الصناعة" من بحوث صوتية لم يكتف فيها بجمع آراء سابقيه، وإنما كانت له في هذا الكتاب كما في غيره، إضافات وتوضيحات وشروح، جعلته المصدر الوافي لمن يريد معرفة التفكير الصوتي عند العرب، كما أشار إلى ذلك الأب هنري فليش¹⁸.

ومنه كان ابن جني أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل، ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته، الذي استوفى فيه الكلام على حروف العربية، مخارجها، صفاتها، وأحوالها، وما يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف، والحرف بين الحرف والحركة، والحروف الفروع المستحسنة والمستقبحة، ومزج الحروف وتنافرها، إلى غير ذلك من مباحث بؤاته المقام الأول في هذا الفن، فعُدَّ بحق رائد الدراسات الصوتية¹⁹، وهو يقرّ ذلك إذ يقول: «وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع، ومن وجد قولاً قاله، والله يعين على الصواب بقدرته»²⁰.

كانت لابن جني بذلك ملاحظات علمية قيمة أبرزها تشبيهه جهاز النطق الإنساني بالناي ويتضح ذلك في قوله: "وقد شبه بعضهم الحلق والفم بالناي فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس سانجاً كما يجري الصوت في الأنف غفلاً بغير صنعة فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة و نظير ذلك أيضا العود"²¹، وكذلك عالج ابن جني علاقة الصوت بالدلالة موضحاً ذلك في قوله: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ... وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها ويحتذونها عليها ... من ذلك قولهم (خضم وقضم) فالخضم لأكل الرطب كاللبطيخ، والقضم لليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك ... فاختراروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"²².

هذا غيض من فيض حول الدرس الصوتي عند الأقدمين، ومن أهم الظواهر الصوتية التي فصل فيها علماء العربية عصرئذ والتي لها علاقة وشيجة بالنص القرآني نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

الوقف والابتداء-الجهر والهمس-المماثلة والمشاكله-النبر والهمز- الفصل والوصل- والادغام....وهذا الأخير هو جوهر هذه الورقة البحثية.

2- تعريف الإدغام لغة واصطلاحاً:

الإدغام لغة هو مصدر الفعل أدغم، ومعناه الإدخال وأصله من قولهم: أدغمت اللجام في الفرس إذا أدخلته فيه²³، والدغمة اسم من إدغامك حرفاً في حرف²⁴.

وعرفه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت175هـ) بقوله: "اعلم أن الراء في اقشعر واسبكر هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى، والتشديد علامة الإدغام"²⁵.

كما يعرف العلامة ابن الجزري(ت.833هـ): "الإدغام لغة الإدخال يقال أدغمت اللجام في فم الفرس أدخلته فيه".

وذكر ابن منظور (ت. 711 هـ) في معجمه (لسان العرب) في مادة (دغ م) ما يلي: "دغم الغيث الأرض يدغمها، وأدغمها إذا غشيها وقهرها... ، والإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدواب، وأدغم الفرس اللجام في فيه: وأدغم اللجام في فمه كذلك قال الأزهري: وإدغام الحرف مأخوذ من هذا، والإدغام إدخال الحرف يقال أدغمت الحرف وأدغمته على وزن أفعلته"²⁶.

واصطلاحاً: فقد عني علماء العرب القدامى بمصطلح الإدغام للدلالة على ظاهرة لغوية معينة، وجعلوها منطلق لدراسات صوتية، فتقاربت الآراء فيما بينهم إلا أن كل واحد منهم عرّفه بتعريف معين: فالإدغام عند ابن البادش هو التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً²⁷، يرتفع اللسان عندهما ارتفاعاً واحدة²⁸ من غير أن تفصل بينهما حركة أو وقف،²⁹ ويعرفه ابن جني بأنه "تقريب صوت من صوت"³⁰، وفي تعريف لابن الحاجب يقول: "هو أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل ويكون في المثليين والمتقاربين"³¹.

ويقول سيبويه (ت 180هـ): "أحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواء إذا كانا منفصلين، أن تتوالى إلى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعداً، ألا ترى أن بنات الخمسة، وما كانت عدته خمسة لا تتوالى حروفها متحركة استتقالاً للمتكررات مع هذه العدة، ولا بد من ساكن، وقد تتوالى الأربعة متحركة في مثل: علبط، ولا يكون ذلك في غير المحذوف"³².

و"مما يدل على أن الإدغام فيما ذكرت لك أحسن أنه لا تتوالى في تأليف الشعر خمسة أحرف متحركة، وذلك نحو قولك: جَعَلَ لَكَ وَفَعَلَ لَبِيدٌ، و البيان في كل هذا عربي جيد حجازي"³³.

أما أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي(ت.377هـ) فيقول: "إن اتصل حرف ساكن بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيرفع اللسان عنهما ارتفاعاً واحدة، وذلك في قولك: عدّ - فرّ -

عضّ، والحرفان المثلان إذا التقيا في كلمة واحدة كانا على ضربين أحدهما أن يراد بالكلمة الإلحاق، والأخرى أن يراد به ذلك وتحدث هذه الظاهرة في أحد أنواع الإدغام وهو إدغام المثلين".

أما عند ابن يعيش (ت.646هـ): "فيصيران الحرفان لشدة اتصالهما كحرف واحد يرفع اللسان بهما رفعة واحدة شديدة".³⁴

كما اهتم القراء بالقرآن الكريم اهتماما كبيرا، وفصلوا في الظواهر الصوتية المتعلقة به، كالإمالة والوقف وغيرهما، ومنها أيضا الإدغام، هذا المصطلح الذي ظهر في كتبهم لتوضيح المواضع التي يجوز فيها ويمتنع، ومن هؤلاء: ابن الباذش (ت.540هـ)³⁵ كما أسلفنا الذي يعرفه بقوله: "الإدغام أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان بالحرفين ارتفاعا واحدة"³⁶.

ويحمل هذا المصطلح عند علماء القراءات معنيين: "أحدهما إدخال حرف في حرف بمعنى أنك أدخلته فيه فصار لفظه لفظ الثاني، على معنى المماثلة والمشاركة...، وأما المعنى الثاني فإنه ليس بإدخال حرف في حرف بل الحرفان ملفوظ ما طلبا للتخفيف إذا كان اعتماد اللسان على موضع ارتفاعه عنه وعوده إليه بعينه، ثم ارتفاعه عنه مستقلا حتى شبه ذلك بخطو المقيد، فإذا ارتفع اللسان عن الحرفين مع دفعة واحدة صار اللفظ حينئذ بحرف واحد مشدد نحو: البرّ والضّرّ و"اضرب بعصاك".³⁷

واستعمل الرعيني (ت.476هـ)³⁸ هذا المصطلح مقترنا بمصطلح آخر وهو الإظهار عند حديثه عن إدغام دال (قد) حيث يقول: "اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف وهي: الجيم، والشين، والصاد، والسين، والزاي، والطاء، والصاد، والذال"³⁹.

أما القباقي (ت.849هـ)⁴⁰ فكان من بين القراء الذين قسموا الإدغام إلى كبير وصغير، فالصغير "ما كان الحرف الأول منه ساكنا...والكبير وهو ما كان الأول من المثلين أو المتجانسين أو المتقاربين متحركا"⁴¹.

وإذا كان الإدغام الكبير عند القباقي هو تحريك أول المثلين أو المتقاربين فإن البعض من يقول بتحريكهما معا، إذ "الكبير هو أن يتحرك الحرفان معا المدغم والمدغم فيه"⁴².

وإنما سمي هذا الإدغام بالكبير "لكثرة العمل فيه، وهو تسكين الحرف أولا ثم إدغامه ثانيا"⁴³ يعني أن الإدغام يمر بمرحلتين: مرحلة تسكين الحرف ثم مرحلة الإدغام، لذلك سمي بالكبير، بعكس الصغير الذي "يكون المدغم ساكنا والمدغم فيه متحركا"⁴⁴، ثم إنه سمي صغيرا "لقلة العمل فيه، وهو الإدغام فقط"⁴⁵.

فالإدغام الصغير فيه مرحلة الإدغام فقط فلا يحتاج إلى عمل أكثر مقارنة مع الإدغام الكبير فسمي صغيرا، ومصطلح الإظهار هو ضد الإدغام، وهو أصل له "لأنه لا يحتاج إلى سبب في وجوده بخلاف الإدغام، فإنه يحتاج إلى سبب"⁴⁶.

فوجود المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين يستدعي الإدغام ونعني "بالمتماثلين ما تماثلا مخرجا وصفة، وبالمتجانسين ما تماثلا مخرجا واختلافا صفة، وبالمتقاربين ما تقاربا مخرجا أو صفة"⁴⁷. إضافة إلى تقسيم القراء للإدغام إلى كبير وصغير، ينقسم - أيضا - إلى كامل وناقص، فالكامل ما ذهب فيه الحرف وصفته فلا يبقى منه أثر، والناقص ما ذهب الحرف وبقيت صفته⁴⁸. ففي حالة الإدغام الكامل "يتجرد فيها صوت من كل خصائصه ليفنى في غيره فناء تاما"⁴⁹. بخلاف الحالة التي يقع فيها الإدغام الناقص، فيفندل صوت في غيره فناء جزئيا.

وفي هذا السياق يقول ابن النحاس (ت. 698 هـ) في حديثه عن اللام والراء وإدغامهما: "حقيقة الإدغام إن نقلت الحرف الأول إلى لفظ الثاني فتدغمه فيه... ونحن إذا قلنا: من لك، ومن راشد، وأدغمتنا النون في اللام، والراء بقلبها راء ولاما، فأبي غنة في اللام والراء حتى تكون هنا، وإنما الأحسن في مثل هذا أن يسمى إخفاء إذا بقيت الغنة وإدغاما إذا لم تبقى"⁵⁰، ويريد ابن النحاس أن يبين أن الإخفاء يرادف الإدغام الناقص، والإدغام الحقيقي يرادف الإدغام الكامل أو التام.

واختلفت الأبحاث و الدراسات عند علماء العربية غير أنهم خصصوا لكل ظاهرة دراسة معينة، وذلك اعتماداً على ما قال سيبويه (ت. 180 هـ) في دراسته للحروف، وقد توصلوا إلى إبراز أن الإدغام من ظواهر التشكيل الصوتي، وتتمثل في أداء صوتي مفاده صوت في مجاوره حتى يكون صوتاً واحداً مشدداً، واتفقوا على أن الصوتين المدغمين هما بمثابة الصوت الواحد.... لذا نسمع جرس الصوت واحداً لكنه مضعف يمتد زمن النطق به أكثر من اعتماده الصوت لو نطق مفرداً.⁵¹

كما أن درجة توتر أعضاء النطق في الحروف المشددة بحرفين أننا نقلب إلى حرفين في تصاريف الكلمة المختلفة فالدال في مد نراه بدالين في : مددت-لم يمدد-المديد...⁵²

أما إذا أدغمتا حرفين متقاربين من حيث المخرج أو الصفة فإننا نقلب أحد المتقاربين إلى جنس الآخر المدغم فيه ثم ندغم فنقول: تطير و تدرأ إذا أردنا إدغام التاء في الطاء و الدال : اطيّر وادراً فنقلب التاء حرفاً من جنس ما بعدها، وتسكن بسبب الإدغام ثم تدغم فيها ونستهل بألف الوصل من أجل الابتداء بالساكن.

ثانياً - أسباب الإدغام: لظاهرة الادغام عدة أسباب منها:

1- التماثل: وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً وصفة أو أن يتحد الحرفان في الاسم والرسم كالباء والتاء، فإن اسمهما واحد وذاتهما في الرسم واحدة، ومثال ذلك: "اضرب بعصاك" وقد دخلوا فيما "ربحت تجارتهم" فيقول ابن الجزري في هذا:

ويا لصاحب ادغم حط وأشيا ب نسب *** بحك تذكرت انك جعل خلق حاو لا
بنحل قبل مع انه النجم مع ذهب *** كتاب بأيديهم و بالحق أولا.⁵³

2- التجانس: وهما الحرفان اللذان اتفقا مخرجًا واختلفا في بعض الصفات وقع في سبعة مواضع في آي القرآن الكريم وهي:

- التاء في الطاء مثل: "وَقَالَتْ طَائِفَةٌ".
- الطاء في التاء مثل: "أَحَطَّتْ"، "قَرَطَتْ".
- التاء في الدال مثل: "أَنْقَلَتِ دَعْوًا"، "أَجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا".
- الدال في التاء مثل: "تَوَاعَدْتُمْ"، "قَدْ تَبَيَّنَ".
- التاء في الذال مثل: "يُلْهَثُ ذَلِكَ".
- الذال في الظاء مثل: "إِذْ ظَلَمُوا"، "إِذْ ظَلَمْتُمْ".
- الياء في الميم مثل: "ارْكَبْ مَعَنَا"⁵⁴.

باختصار نقول: إن أول من أشار إلى الظاهرة الصوتية في التراث العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) كما أسلفنا⁵⁵، ومنذ ذلك الحين حازت هذه الظاهرة على اهتمام العلماء منهم سيبويه إذ جعلها مناط دراسته للأصوات العربية كلها، ونالت اهتمام النحاة الذين جاءوا بعده وكذا علماء القراءات، إذ أفردوا للإدغام بابا كبيرا ذكروا فيه تعريفه وشروطه وحروفه وأحكامه، وتوالى البحث حتى جاء علماء اللغة المحدثين وعالجوا الظاهرة معالجة علمية ومن هؤلاء إبراهيم أنيس وعبد الصبور شاهين وتمام حسان وغيرهم.⁵⁶

والإدغام نوعان: كبير وصغير، فأما الإدغام الكبير فهو أن يلتقي الحرف بمثله أو مقاربه وهما متحركان⁵⁷، وقد نسب هذا النوع إلى أبي عمرو بن العلاء⁵⁸، وأما الإدغام الصغير فهو أن يلتقي الحرف الساكن بمثله أو مقاربه المتحرك.⁵⁹

وهذه الظاهرة الصوتية تميز بها بعض الأقوام والقبائل التي تعد السرعة في الكلام من أهم خصائص لهجة أبنائها⁶⁰ مثل تميم وأسد وعبد القيس وبكر وائل وكعب ونمير.⁶¹

ولم يختلف المحدثون عن القدماء في تفسير هذه الظاهرة الصوتية، فالإدغام عندهم هو فناء الصوت الأول في الصوت الثاني بحيث ينطلق بالصوتين صوتا واحدا كالثاني،⁶² ومعنى فناء الأول هو مراد القدماء من مصطلح الإدغام.⁶³

3- الإدغام في تفسير (أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي):

وعرض الشيخ محمد الأمين الشنقيطي⁶⁴ أثناء حديثه عن القراءات لهذه الظاهرة، وهذه نماذج من مؤلفاته التي استقرأناها تبين جهوده في الظاهرة هذه ومواقفه منها.

أ- إدغام (إن) في (ما): توقف الشنقيطي عند آية (وإنما نرينك بعض الذي نعدهم) يونس: 46، فقال: "لم يأت في القرآن العظيم فعل المضارع بعد إن الشرطية المدغمة في ما المزيدة لتوكيد الشرط، إلا

مقترنا بنون التوكيد الثقيلة⁶⁵، والشاهد هنا هو إدغام (إن) الشرطية في (ما) المزيدة، وراح يعطي شواهد قرآنية وشعرية لتوضيح قوله، ومن الشواهد القرآنية يذكر قوله تعالى: (فإما نذهبن) الزخرف 41، وقوله تعالى: (فإما تتفنتهم) الأنفال 57، وقوله تعالى: (وإما تخافن) الأنفال 58، ومن الشعر يذكر شاهدين اثنين هما:

1- قول الشاعر: **فإما تريني ولي لمة** **فإن الحوادث أودى بها**

2- قول الآخر: **زعمت تماضر أنني إما أمت** **يسدد أبينوها الأصاغر خلتى**.⁶⁶

ب- قوله تعالى: (اتقى): يذكر الشيخ أن المتقي بالياء اسم فاعل الاتقاء وأصل مادة الاتقاء (وقي) ليف مفروق فاؤه، واو عينه قاف ولامه ياء فدخله تاء الافتعال فصارت وقي أو تقي فأبدلت الواو التي هي فاء الكلمة تاء للقاعدة المقررة في التصريف أن كل واو هي فاء الكلمة إذا دخلت عليها تاء الافتعال يجب إبدالها أعني الواو تاء، وإدغامها في تاء الافتعال نحو اتصل من الوصل، واتزن من الوزن واتحد من الوحدة واتقى من الوقاية⁶⁷، والشاهد هنا هو إدغام التاء المبدلة من الواو في تاء الافتعال فيصير الفعل: اتقى من وقي، واستشهد ببيت ابن مالك في الخلاصة يقول:

ذو اللين فاتا في افتعال أبدا **وشذ في ذي الهمز نحو انتكلا**

واستدل أيضا ببيتين من الشعر هما:

1- يقول نابغة ذبيان: **سقط النصف ولم ترد إسقاطه** **فتناولته واتقتنا باليد**.

2- يقول الشاعر: **فألقت قناعا دونه الشمس واتقت** **بأحسن موصولين كف ومعصم**.⁶⁸

ج- قوله تعالى: (تزاور): يقول الشنقيطي بأن قراءة هذه اللفظة تكون بثلاثة أوجه من القراءات السبعية: "قرأه ابن عامر الشامي (تَزَوَّر) بإسكان الزاي وإسقاط الألف وتشديد الراء على وزن (تَحْمَر).... وقرأ الكوفيون وهم عاصم وحمزة والكسائي بالزاي المخففة بعدها ألف، وعلى هذه القراءة فأصله (تتزاور) فحذفت منه إحدى التاءين" وقرأ نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري (تَزَاوَر) بتشديد الزاي بعدها ألف، وأصله (تتزاور) أدغمت فيه التاء مع الزاي، وعلى هاتين القراءتين: أعني قراءة حذف إحدى التاءين، وقراءة إدغامها في الزاي فهو من التزاور بمعنى الميل أيضا،⁶⁹ ويستدل الشيخ بالقراءة الأولى (تزور) يقول عنتره (فازور من وقع القنا)، كما استدل ببيت ابن مالك حيث يقول:

وما بتاعين ابتدى قد يقتصر **فيه على تا كتبين العبر**.⁷⁰

د- قوله تعالى: (لكنّا): يذكر الشنقيطي أن هذه اللفظة أصلها (لكن أنا) فحذفت همزة (أنا) وأدغمت نون (لكن) في نون (أنا) بعد حذف الهمزة، وقال بعضهم: نقلت حركة الهمزة إلى نون (لكن) فسقطت

الهمزة بنقل حركتها، ثم أدغمت النون في النون⁷¹، ويعطي الشنقيطي شواهد على صحة كلامه وورود اللفظة في كلام العرب فيقول: "ونظير ذلك من كلام العرب قول الشاعر:

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكنا إياك لم أقل،

أي (لكن أنا إياك لم أقل): وقول الآخر:

(لهنك من عسمية لوسمية على منوات كاذب من يقولها).

قال: أراد بقوله (لهنك) لله إنك،⁷² فالتشديد الواقع في (لكنا) هو نبر ناتج من الإدغام، وأول معنى أفاده معنى وظيفي يتعلق بالاقتصاد اللغوي، فعوضاً أن نقول (لكن أنا) كان من الممكن أن نقول (لكنا) مثل إطلاقنا للفظ (لكنا) على الجمع أي (لكن نحن)، وقد ورد هذا النمط اللساني المهم في أقوال العرب وأشعارهم، وقد أورد الشنقيطي مثالا على ذلك بما يدل دلالة قطعية على وعيهم بأهمية ذلك في إيراد الكلام، والقرآن قد نزل بلغة العرب معجزا لها، فمن الطبيعي أن يحمل في طياته تلك الأعراف اللغوية التي تواضع عليها عرب أهل الجزيرة من قبائل عرفت الفصاحة⁷³، يقول الشنقيطي موضحا هذا: "قرأ جماهير القراء في الوصل (لكن) بدون ألف بعد النون المشددة، وقرأ ابن عامر من السبعة (لكنا) بالألف في الوصل، ويروى ذلك عن عاصم ورواه المسيلي عن نافع، ورويس عن يعقوب، وانفق الجميع على إثبات الألف في الوقف، ومد نون (أنا) لغة تميم إن كان بعدها همزة، وقال أبو حيان في البحر: إن إثبات ألف (أنا) مطلقا في الوصل لغة بني تميم، وغيرها ما يثبتونه على الاضطرار، قال: فجاءت قراءة (لكنا) بإثبات الألف في الوصل على لغة تميم، ومن شواهد مد (أنا) قبل غير الهمزة قول الشاعر:

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميدا قد تذريرت السناما

وقول الأعشى: فكيف أنا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفي ذاك عارا"⁷⁴

هـ - قوله تعالى: (ننجي): هذا الفعل من قوله تعالى: (وكذلك ننجي المؤمنين)، الأنبياء 88، ويذكر الشيخ أنها تقرأ بعدة قراءات لا إشكال فيها، وإنما الإشكال في أن هذا الحرف كتبه الصحابة في المصاحف العثمانية بنون واحدة، فيقال كيف تقرأ بنونين وهي في المصاحف بنون واحدة؟ فيقول الشيخ: "أجاب العلماء عن هذا بأجوبة: منها ما ذكره بعض الأئمة وأشار إليه ابن هشام في باب الإدغام من توضيحه: أن الأصل في قراءة ابن عامر وشعبة (ننجي) بفتح النون الثانية مضارع (نجى) مضعفا فحذفت النون الثانية تخفيفا أو (ننجي) بسكونها مضارع (أنجى) وأدغمت النون في الجيم لاشتراكها في الجهر والانفتاح والتوسط بين القوة والضعف، كما أدغمت في (إجاصة) و(إجانة) بتشديد الجيم فيهما، أو الأصل (إجاصة) و(إجانة)، فأدغمت النون فيهما"⁷⁵.

وفيما يلي نماذج من هذا المبحث الذي تحدث عنه الشيخ في مؤلفاته، أقصد الإدغام، أحصيناها بعد استقراءنا لمؤلفات الشيخ الشنقيطي:

الجزء والصفحة	عنوان الكتاب	الشاهد
ج3/ ص 114	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- تبشرون
و. 115	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- يذكرون
ج3/ ص 173.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- تشاقون (اجتماع
ج3/ ص 196.		النونان وإدغامهما في بعضها)
ج4/ ص 119	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- (لما)
ج4/ 176 و	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- عصيا
182.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- النبي
ج4/ ص 180	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- تساقط
ج4/ ص 193.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- وريا
ج4/ ص 271.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- عصيا
ج4/ ص 331.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- السيئة
ج7/ ص 58.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- تشقق
ج7/ ص 433.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- ألا يسجدوا
ج6/ ص 266 و	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- أظاھر
268	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- تذكرون
ج6/ ص 335.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	- سيئة
ج5/ ص 555.		
ج5/ ص 557.		

Idgham in explaining the book “Adwaa El Bayan” by Mohammed El Shankiti

Abstract:

This research deals with an acoustic phenomenon in the system of language, a phenomenon slurring in coran, specially in the book (Adhwaa Al-Bayan fi Idhah Al-Coran Bi Al-Coran) for Mohammed El Amine Alshankiti, because of its effect on the rhythm of music and phonetic in coan, affecting the weight and rhythm, and works to create the implications of sensory and moral in coranic discours, so the choice of researchers to one of coran. A hanging man measuring. To find out citizen slurring and connotations in it. And slurring is a sound laws that infect voice changes in the building, leading to changes in meaning, the ancient Arabs have known this phenomenon like Al-Ibdal and Al-Ialal, and narrators through transactional phenomena in the Arabic language college similar partial, and these changes can study through texts coranics, and this study is part of these studies, which stands for acoustic changes in coran.

Slurring is a sonic phenomenon the purpose of which is to achieve proportionality and sound symmetry and thus the inclination towards the facilitation and mitigation of pronunciation. There exist different types of slurring. Which in turn vary according to the letters involved (the mutant or the merged letters). As for its function, it is worth mentioning that its sonic performance is undeniably related to its phonetic significance in coran didn't stry out of two cases: either as its name indicates; since sluring typically implies merging and mixing, or relating to the physiological characteristics of the phenomenon itself.

Scholars gave to Holy Quran a big importance in their researches and sought deeply for its linguistic phenomena, like Imala (pronouncing the sound A), Al-wakf (the stop) and Slurring (the assimilation of a one letter into another). The term Slurring appeared in their books to clarify the positions where it is permitted and where it is prevented. Scholars came up with a result that Slurring is a phenomenon of sound configuration; they also mentioned the reasons after it, divided it into types and put conditions for it.

Since old scholars like El Khalil Al-Farahidi, until modern ones, Slurring was a subject of study; Mohammed El Amine Alshankiti is a scholar from the modern century who mentioned it in his explanatory book Adhwaa El Bayan "lights of clarification", he demonstrated it using proofs from Quran and Arabic heritage. All these issues are to be detailed in this paper.

Keywords: *Slurring - Idgham - linguistic phenomenon - Adhwaa El Bayan - El Shankiti.*

الهوامش:

- 1 محي الدين بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح. طاهر زاوي ومحمود الطنهاجي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1963، ج1، ص05.
- 2 أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص61.
- 3 علي بن يوسف القفطي جمال الدين أبو الحسن، انباه الرواة على أنباه النحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ/1986م، ج1، ص40.
- 4 عصام نور الدين، مقالات ونقاشات في اللغة، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص85.
- 5 عبد العالم سالم مكرم، القرآن الكريم، وأثره في الدراسات النحوية، مؤسسة علي جراح الصباح، 1978، ط1، ص19.
- 6 أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص62.
- 7 أبو الفتح عثمان بن جني، مقدّمة في تحقيق سرّ صناعة الإعراب، تح. مصطفى السقا، الحلبي، القاهرة، مصر، 1954، ج1، ص13.
- 8 الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق، مهدي المخزومي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1988، ط1، ج2، ص58.
- 9 المرجع نفسه، ج2، ص57.
- 10 نفسه، ج1، ص47.
- 11 خليل إبراهيم العظيمة، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، 1982، ص11.
- 12 كجعوط فاطمة: إسهامات علماء اللغة في الدرس الصوتي العربي، مجلة مسارات مغاربية، جامعة الجلفة، عدد 01، جوان 2017م، ص150.
- 13 المرجع نفسه، ص150.
- 14 عبد الفتاح عبد الحلیم البركاوي، مقدّمة في علم الأصوات، درة الغواص، 2004، القاهرة، ط3، ص12.
- 15 كجعوط فاطمة: إسهامات علماء اللغة في الدرس الصوتي العربي، ص150.
- 16 سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج4، ص434.
- 17 المصدر نفسه، ج4، ص435.
- 18 كجعوط فاطمة: إسهامات علماء اللغة في الدرس الصوتي العربي، ص151.
- 19 أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، القاهرة، 1988، ط6، ص99.
- 20 أبو الفتح عثمان ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985، ج1، ص63.
- 21 ابن جني، سر صناعة الإعراب، م س، ص ص 14-16.

- ²² ابن جنى، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط4، 1990، ج2، ص ص 157-164.
- ²³ - ابن منظور، لسان العرب، ج12، دار صادر بيروت، ط1، ص 202 (مادة دغ م).
- ²⁴ - ابن يعيش موفق الدين: شرح المفصل، ج10، ص 121.
- ²⁵ - العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد 1980، ج2، ص: 54.
- ²⁶ - لسان العرب، ابن منظور، مادة دغم" دار صادر بيروت سنة 1992، ط1، ج1، ص:280.
- ²⁷ - شاهين عبد الصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1987، ص 127.
- ²⁸ - ابن الباذش أحمد بن علي (ت 540هـ): الإقناع في القراءات السبع، تحقيق عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، ج1، 1403هـ، ص 164.
- ²⁹ - المصدر نفسه: ج1، ص 164.
- ³⁰ - ابن جنى: الخصائص، ج2، ص 169.
- ³¹ - الأستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن) (ت 686هـ): شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، 1938م، ج3، ص 233 وما بعدها.
- ³² - الكتاب، سيبويه، تحقيق: محمد إبراهيم، الكبرى الأموية، بولاق 1317، ط1، ج1، ص:576.
- ³³ - المصدر نفسه، ج1، ص:576.
- ³⁴ - شرح المفصل، لابن يعيش، مكتبة عالم الكتب بيروت، و مكتبة المتنبى بالقاهرة، ج10، ص:121.
- ³⁵ - هو أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن الباذش ، ولد عام 491 هـ ولد ونشأ بغرناطة من بلاد الأندلس وتوفي سنة 540هـ، ينظر :إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي اليماني، شركة الطباعة العربية السعودية، ط1، 1986 ، ص.40
- ³⁷-المبهيغ في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي،136
- ³⁸ - هو أبو عبد الله محمد بن شريح بن يوسف الرعيني الاشبيلي، ولد عام (392) ، تفنن في عدة علوم كالقراءات والنحو والصرف، توفي سنة 476 هـ، ينظر :كشف الظنون، ج 2 ص 1379 :والكافي في القراءات السبع، الرعيني، تحقيق :أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2000 ،: 1، ص: 6، 7.
- ³⁹- الرعيني: الكافي في القراءات السبع، ص: 55.

- 40- هو محمد بن خليل بن أبي بكر بن محمد بن شمس الدين أبو عبد الله الحلبي الأصل، عرف بابن القباقي، ولد عام 777 انتفع كثير من الناس بعلمه، توفي سنة 849 هـ، ينظر: كشف الظنون، ج 2، ص: 1054.
- 41- إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر، القباقي، تحقيق: فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص: 101.
- 42- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، محمد سالم المحيسن، دار الجيل، بيروت، ج 2: ص 128.
- 43- المرجع نفسه، ج: 1، ص: 128.
- 44- نفسه، ج: 1، ص: 128.
- 45- نفسه، ج: 1، ص: 128.
- 46- نفسه، ج: 1، ص: 128.
- 47- إيضاح الرموز ومفتاح الجامع للقراءات الأربعة عشر، ص: 53.
- 48- ينظر: الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، ج: 1، ص: 128، وينظر: الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1999، ص: 151.
- 49- بحوث في اللسانيات، درس الصوتي العربي، المماثلة والمخالفة، ص: 77.
- 50- المرجع نفسه، ص: 77.
- 51- ما يذكره الكوفيون من الإدغام، أبو سعيد السيرافي، دار الشباب للطباعة و النشر، عمار قرفي، بابنة الجزائر، ص: 20.
- 52- المحيط في الأصوات العربية، محمد الأنطكي، دار الشروق، بيروت 1971، ج 3، ص: 123.
- 53- شرح السمنودي على متن الدرة للقراءات العشر، ابن الجزري، ص: 43.
- 54- ابن الجزري، شرح السمنودي على متن الدرة المتممة للقراءات العشر، ص: 43.
- 55- الفراهيدي الخليل بن أحمد: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، 1980، ج 2، ص 04.
- 56- أنجب غلام نبي بن غلام محمد: الإعلال والإبدال في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، مخطوط دكتوراه، كلية البنات، مكة المكرمة، 1410هـ/1980م، ج 2، ص 496.
- 57- سيبويه: الكتاب، ج 4، ص 435.
- 58- زهير غازي زاهر: أبو عمرو بن العلاء، جهوده في القراءة والنحو، جامعة البصرة، العراق، 1967، ص 80.
- 59- سيبويه: الكتاب، ج 4، ص 443.
- 60- الراجحي عبده: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف، مصر، 1969، ص 123.

61 - أنيس إبراهيم: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965، ط3، ص 73.

62 - أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 5، 1979، ص 187.

63 - عبد الله سليمان محمد أديب: التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات القرآنية في تفسير الزمخشري، مخطوط ماجيستر، جامعة الموصل، العراق، 1423هـ / 2002 م ص 36.

64 هو محمد الأمين، ولقبه آبا، ابن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد الطالب أوبك، وهذا من أولاد كرير بن الموفى بن يعقوب بن جاكب الأبر، جد القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجكنيين، ويعرفون بتجكانت، ويرجع نسب هذه القبيلة إلى حمير. ولد الشيخ محمد الأمين عام 1305هـ، عند ماء يسمى (تنبه) بمقاطعة (كيفا) من بلاد شنقيط التي تعرف اليوم بدولة موريتانيا الإسلامية.

حفظ الشيخ القرآن في بيت أخواله، على يد خاله عبد الله، وكان عمره عشر سنوات، تعلم بعد إجازته رسم المصحف العثماني عن ابن خاله سيدي محمد بن أحمد بن المختار، قرأ عليه التجويد بعدة روايات وعمره لم يتجاوز ست عشرة سنة، كما درس ضبط مافيه من متشابه في الرسم والتلاوة بحفظ أرجوزة (محمد بن بوجة) المشهورة في بيئتهم، وعكف بعدها في دراسة بعض المختصرات في الفقه المالكي كرجز ابن عاشر ودراسات أخرى في الأدب على زوجة خاله كالأجرومية وتمرينات ودروس في أنساب العرب وأيامهم والسيرة النبوية ونظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي وهو يزيد عن 500 بيت ونظم عمود النسب لنفس المؤلف.

درس الشنقيطي أيضا على الشيخ محمد بن الصالح مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي وهو المذهب السائد في البلاد كما درس عليه نصف ألفية ابن مالك في النحو، ثم أخذ بقية الفنون على مشايخ كثر في فنون مختلفة، وكلهم من الجكنيين.

فهناك علوم أخذها الشنقيطي عن العلماء كالنحو والصرف والأصول والبلاغة والتفسير والحديث، وعلوم أخرى حصلها بالمطالعة مثل المنطق وآداب البحث والمناظرة، وقد ألزمه بعض شيوخه بالقران أي أن يقرن بين كل فنيين حرصا على سرعة تحصيله.

اشتغل الشنقيطي بالتدريس والفتيا، واشتهر بالقضاء والتفريس فيه رغم وجود الحاكم الفرنسي إلا أن المواطنين كانوا عظيمي الثقة فيه فيأتونه للقضاء بينهم، ويفدون إليه من كل مكان يقض في كل شيء عدا الدماء والحدود لوجود قضاء خاص لهما.

خرج الشيخ لأداء فريضة الحج على نية العودة، وكان سفره برا، كتب فيها رحلة ضمنها مباحث جليل، وبعد وصوله إلى هناك تحددت نية بقائه، حيث كان يقول: "ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وتم له ذلك بأمر من الملك عبد العزيز، وعمل مدرسا بالمعهد العلمي بالرياض ثم بكلية الشريعة واللغة، بعدها تولى تدريس التفسير والأصول من 1371 إلى 1381هـ بعد افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة، كم كان يلقي

محاضرات بالمعهد العالي للقضاء، وكان على رأس بعثة الجامعة إلى عشر دول إفريقية بدأت بالسودان وانتهت بموطنه موريتانيا.

للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تأليف عديدة منها:

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؛

2. دفع إيهام الإضطراب عن آي الكتاب؛

3. منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز؛

4. مذكرة الأصول على روضة الناظر؛

5. آداب البحث والمناظرة؛

6. رحلة الحج إلى بيت الله الحرام؛

إضافة إلى مجموعة من المحاضرات ذات المواضيع المستقلة.

65 - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص 364.

66 - المصدر نفسه، ج2، ص 364.

67 - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 110 وما بعدها.

68 - المصدر نفسه، ج3، ص 111.

69 - نفسه، ج4، ص 30.

70 - نفسه، ج4، ص 30.

71 - نفسه، ج4، ص 81.

72 - المصدر السابق، ج4، ص 82.

73 - بولنوار سعد: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان الشنقيطي، تحديد المفاهيم النظرية، مخطوط دكتوراه،

جامعة ورقلة، 2011م/ 2012م، ص 123.

74 - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 82.

75 - المصدر نفسه، ج4، ص 519.

التوليدية التحويلية مرحلة التأسيس

د. الربيع بوجلال

جامعة محمد بوضياف المسيلة

boudjellal1967@gmail.com

المخلص:

قد بات معروفا في حقل اللسانيات أن المدرسة التاريخية، والتي يرجع فضل تثبيت قواعدها إلى وليام جونز الذي كان متأثرا بنظرية النشوء والارتقاء لداروين، ومهتما . لأسباب استعمارية. بالدراسة التاريخية للغات فهو يرى أن اللغة شبيهة بالكائنات الحية تنمو وتتطور، فالسنسكريتية مثلا ذات قرابة . و ليست بالمصادفة . باللغة اللاتينية والإغريقية، و الوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بين لغة الهنود واللغات الأوروبية يبرر صلات قرابتها بها ، وهو ما دفع بفقهاء اللغة المقارن لقطع أشواط في دراسة اللغات، وهكذا سيطر الدرس التاريخي (تعليميا أو تثقيفيا) ردحا من الزمن، ولكن نتائجه محدودة .

ثم كانت بعده البنيوية كمرحلة انتقلت بالبحث اللغوي من المرحلة التاريخية إلى الوصفية، لكنها ظلت تركز على الجانب الشكلي للغة. و أخذ بعض اللسانيين يضيق ذرعا بالطابع الوصفي الذي هيمن على دراسة اللغة خاصة بعد قناعة البنيويين بأن المعنى لا يمكن إخضاعه لنوع الدراسة الوصفية العلمية الدقيقة التي يمكن أن تخضع لها الأنظمة الظاهرة الأخرى ومع الإصرار على استبعاد المعنى استبعادا كليا، صار التحليل اللغوي من غير إشارة للمعنى، كمن يصف طريقة صنع السفن دون الإشارة إلى البحر .

وهكذا بدأت سلبيات النظرية السلوكية ل بلومفيلد (Bloomfield) تطفو إلى السطح، كما أدرك هاريس (Harris) نقائص المنهج التوزيعي بعد أن طوّر مفهوم الجملة النواة (الأصل) ومفهوم التركيب المحول، وهكذا تولدت الرغبة إلى تبني منهج عقلي في دراسة اللغة، استمد أصوله من الاتجاه العقلي عند الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت"، الذي رفض الوصف المحض للغة، و ربط بين اللغة والعقل، وتأثرا بفكرة ربط اللغة بالعقل عند المفكر الألماني همبولدت Humboldt الذي يرى أن اللغة "عمل العقل. واحتاج البحث في اللغة إلى مدرسة تغير من طبيعة الأبحاث في طبيعة اللغة وتوجهها وجهة مختلفة تماما فكانت مدرسة تشومسكي التي تجاوزت شكليات الوصف اللغوي إلى تفسيره وتحليله، وهو ما يؤكد الطبيعة العقلية لمادة الدراسة، وشكل هذا العبور والنظر إلى اللغة من زاوية مختلفة عن سابقتها البنيوية أعمق تحول عرفه الدرس اللساني الحديث. تبلورت بداياته في متن كتابه البنى التركيبية في عام 1957 الذي مثل تخطيطا أوليا بسيطا لنظرة واسعة الأبعاد .

وتأتي هذه المقالة لتعرّف بنظرية تشومسكي في مرحلتها التمهيدية الأولى التأسيسية، والتي زامنها نشر كتابه البنى التركيبية عام 1957.

الكلمات المفتاحية : التوليدية، التحويلية، الابداعية، الحدس، قواعد، بنى تركيبية

تمهيد:

رغم الزخم المعرفي الذي وصلنا عن البنيويين نتيجة سيطرت المدرسة البنيوية على الدرس اللساني، فقد أخذ بعض اللسانيين يضيق ذرعاً بالطابع الوصفي الذي هيمنَ على دراسة اللغة خاصة بعد قناعة البنيويين بأن المعنى لا يمكن إخضاعه لنوع الدراسة الوصفية العلمية الدقيقة التي يمكن أن تخضع لها الأنظمة الظاهرة الأخرى¹ ومع الإصرار على استبعاد المعنى استبعادا كلياً، صار التحليل اللغوي من غير إشارة للمعنى، كمن يصف طريقة صنع السفن دون الإشارة إلى البحر.²

وهكذا بدأت سلبيات النظرية السلوكية لـ بلومفيلد (Bloomfield) تطفو إلى السطح، كما أدرك هاريس (Harris) نقائص المنهج التوزيعي بعد أن طوّر مفهوم الجملة النواة (الأصل) ومفهوم التركيب المحول، ومنهما انطلق شومسكي؛³ لهذا يُقال إن "هاريس" الأب الحقيقي لعلم اللغة التحويلي، و"شومسكي" الأب الحقيقي لعلم اللغة التوليدي.⁴

من التحويل إلى التوليد:

بدأت فكرة التحويل تتبلور في بحوث هاريس بين 1952 و1957م، وعرّف التحويل بأنه عملية نحوية تغير ترتيب المكونات في داخل جملة ما، وبوسعها حذف عناصر أو إضافتها أو استبدالها.⁵ كما صار واضحاً أن المنهج البنيوي غير قادر على شرح العلاقات بين الجمل المشتركة في الشكل، والمختلفة اختلافاً جذرياً في المعنى، أو بعض الجمل التي تحتل معنيين مختلفين، ولا يميز الشكل الخارجي بينهما.⁶ وهكذا تولدت الرغبة إلى تبني منهج عقلي في دراسة اللغة، استمد أصوله من الاتجاه العقلي عند الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت" الذي رفض الوصف المحض للغة، و ربط بين اللغة والعقل، فهو يرى أن اللغة مميزة من ميزات الجنس البشري، وتعلمها لا يرتبط بذكاء الإنسان.⁷ كما يرى أن الحيوان آلة، ويمكن تفسير ما يصدر عنه تفسيراً آلياً، فالحيوان جسم مادي لأنه لا عقل له، ولا يتصرف واعياً، مثله مثل الأجسام المادية، وتركيب أعضائه شبيه بالساعة التي هي مجموع من القطع المعدنية، لكنها تحسب الوقت بأدق وأصدق مما نستطيعه نحن، ويركز ديكارت أن أهم فرق بين الإنسان والحيوان هو اللغة، فلا يوجد إنسان مهما يكن غيبياً يمكنه أن ينقل أفكاره، ولا يوجد حيوان مهما يكن كاملاً أن يفعل ذلك.⁸

وتأثراً بفكرة ربط اللغة بالعقل عند المفكر الألماني همبولدت Humboldt الذي يرى أن اللغة "عمل العقل" ولأنها كذلك فإن هناك عوامل تكمن تحتها وهي ليست "على السطح" وهو ما سماه "شكل اللغة"

ويتمظهر في شكلين: خارجي (آلي) وداخلي (عضوي) . والشكل الأخير هو الأهم ؛ لأنه الأساس في كل شيء، أو هو البنية العميقة لما يحدث بعد ذلك على السطح.⁹

كما كان تأثير النحو العبري والعربي واضحا وقد صرح باستفادته منهما فقال: "إن دارستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى، فقد كان والدي متخصصاً في النحو العبري والعربي في القرون الوسطى، وقد درست هذا النحو على يديه. وباعتباري طالباً في الجامعة فقد درست النحو العربي الحديث، كما درست النحو العربي في القرون الوسطى كذلك".¹⁰

وتأثر شومسكي كذلك بعلم النفس، وأشار في مؤلفاته الأخيرة إلى أن علم اللغة فرع من علم آخر أطلق عليه علم النفس الإدراكي، وكان ذلك في ثلاثة مؤلفات من مؤلفاته وهي:

"مظاهر النظرية النحوية"، "علم اللغة الديكارتي"، "اللغة والعقل". وأخذ يكرر في أهمية القواعد التحويلية في اكتشاف ودراسة تراكيب ونوازع العقل البشري¹¹ ومع التحول في مركز الاهتمام من اللغة المجسدة إلى اللغة المبنية داخليا¹² رفضت المدرسة الجديدة كثيرا من الأسس التي ارتضتها المدرسة البنيوية، من النواحي التالية:

- 1- فمن حيث الموضوع، كانت المدرسة البنيوية تتخذ من النصوص اللغوية موضوعا لدراساتها، على حين اتخذت المدرسة التحويلية من قدرة المتكلم على إنشاء الجمل التي لم يكن سمعها من قبل، موضوعا لها.
 - 2- ومن حيث أسلوب الدراسة والتحليل، كانت المدرسة البنيوية تعتمد على وسائل الاستكشاف، على حين يؤمن التوليديون بضرورة الحدس والتخمين، ثم إجراء الاختبار، لتقويم الفروض المتضاربة.
 - 3- ومن حيث الهدف، كان البنيويون يحاولون بدراساتهم القيام بتصنيف عناصر اللغات المدروسة، على حين جعل التوليديون تعيين القواعد النحوية الكامنة وراء بناء الجملة هدفا لهم. وهذا يعني الكشف عن وجود عدد غير متناه من الجمل في أية لغة، وتوضيح أي نوع من سلاسل الكلمات تشكل جملا، وأيها لا يشكل جملا. وكذلك وصف البنية النحوية لكل جملة.
 - 4- وعلى حين كان البنيويون يرون أن لكل لغة بنيته التي تنفرد بها، يرى التوليديون أن اللغات تتشابه على مستوى المقصود "العميق" من المعاني، ويحاولون الكشف عن هذه التشابهات الكلية.¹³
- بعد أن نشر شومسكي كتابه "البنى التركيبية" عام 1957 م، دخلت الدراسات اللغوية مرحلة جديدة، بما أثارته من انتقادات للمفاهيم التي كانت سائدة قبلها، وتمثل الصورة الأولية المبسطة للنحو التوليدي، وبها يبدأ التأريخ لظهور هذا النحو، وقد تضمن هذا الكتاب أهدافا كما احتوى قواعد غايتها إظهار المعنى في التحليل اللغوي والكيفية التي يتم بها إنتاجه.¹⁴ أما الأهداف فإن شومسكي يركز إجمالا على النقاط الآتية:

. الفطرة اللغوية : 15

إن النقطة الرئيسة في نظرية (شومسكي) ، والتي قادت تفكيره إلى ما تبعها من أفكار هي فكرة الفطرة اللغوية في ذهن الإنسان¹⁶، متخذاً من المقابلة بين الإنسان وغيره من الحيوانات ميداناً للتطبيق ، فهو يرى أن اللغة ميزة من ميزات الجنس البشري وأن تعلمها لا يرتبط بذكاء الإنسان¹⁷ . ومما جعل (شومسكي) يزداد تمسكاً بهذه الفكرة وتوكيداً لها في نظريته ، ما يراه في تدرج الطفل الصغير في الكلام وفي انتقاله إلى تعلم اللغة¹⁸

. الإبداعية :

تتجلى اللغة الإنسانية عبر مظهر استعمالها الإبداعي في القدرة الخاصة على التعبير عن أفكار متجددة، وعلى تفهم تعابير فكرية أيضاً متجددة.¹⁹ فالإبداعية لا تعني التقليد السلبي لقواعد اللغة، إنما هي توظيف تلك القواعد توظيفا خلاقا وابتكاريا، وبواسطة هذا الخلق يبتكر متكلم اللغة جملا لم ينطق بها من قبل، وتُسقط الإبداعية عن الإنسان صفة الآلية، كما تمثل القدرة على الإنتاج اللانهائي من الجمل، انطلاقا من العدد المحصور من القواعد الثابتة في ذهن المتكلم.²⁰

فالنظرية التوليدية التحويلية تتبنى على ما يمكن تسميته بلا نهائية اللغة، فاللغة تتكون من مجموعة أصوات، ومع ذلك فهي تنتج وتولد جملا لانهاية لها وهذا ما يبين طبيعة اللغة الخلاقة فعملية التوليد عملية إبداعية تميز الإنسان عن الحيوان والإبداعية نوعان:

- إبداعية تغير نظام اللغة، ومحلها التأدية، فكل الانحرافات الاجتماعية والنفسية (ضعف الذاكرة، التعب، الثقافة...) التي تتباين من فرد لآخر، قد تؤدي الى تغيير في ملكة هذا المتكلم.
- الإبداعية التي تحكمها القواعد وتوجهها ومجالها الملكة. وهي التي تسمح لنا بتوليد اللانهائي من النهائي بفضل الطاقة الترددية لقواعدها.²¹

. الحدس :

يستطيع متكلم اللغة أن يفهم لغته و يدلي أيضا بمعلومات على الجمل الجديدة ،هل هي صحيحة في اللغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة .فالمدونة الكلامية لا يمكن أن تتضمن أمثلة جمل اللغة المتنوعة،و بدلاً منها نلجأ إلى الحدس اللغوي في الأحكام اللغوية التي باستطاعة متكلم اللغة أن يقرها. و هي التي تقود الباحث ألسني إلى وضع قواعد اللغة.²² "تسمي مقدرة متكلم اللغة على إعطاء المعلومات حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث من حيث أنها تُولف جملة صحيحة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة،بالحدس الخاص بمتكلم اللغة،وهذه الأحكام اللغوية التي باستطاعة متكلم اللغة إقرارها فيما يختص بجمل لغته،هي التي توفر،بالذات،المادة اللغوية التي تضع من خلالها القواعد،وذلك

لأن عملية مساءلة الحدس اللغوي الخاص بالمتكلم تتيح ملاحظة القضايا اللغوية واستنباط قواعد اللغة من خلالها²³

. القواعد الكلية: ²⁴

هي قواعد نظرية ذهنية كلية عالمية، وليست كما يرى السلوكيون أنها اكتساب يتم بالتقليد والمحاكاة والخرن.²⁵ تقوم بضبط الجمل المنتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة، تخضع لها الجمل التي يُنتجها المتكلم ويختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه.²⁶ وهذه القواعد الكلية موجودة في بنية الكلام العميقة وهي الأساس الذي تنفرع عنه اللغات الخاصة، وهي تحتوي على شروط صياغة قواعد اللغات، وعلى المبادئ التي تحدد تفسير قوانين هذه القواعد. والسبب الكامن وراء هذه القواعد الكلية، هو الافتراض بأن هناك لغة إنسانية واحدة والدليل الأول على ذلك، أن أي لغة تعبر عن معان وأفكار وعواطف، وهي أجزاء مشتركة بين بني البشر على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم، فالتركيب الباطني لأية لغة لا بد أن يحتوي على عناصر مشتركة بين كل اللغات. وهنا يبرز دور اللغوي في استنباط ذلك التركيب الباطني الذي يحتوي على العناصر المشتركة بين اللغات.

وأما الحجة الثانية فإنها متأتية من أن كل إنسان سويّ يولد ولديه الاستعداد ليتكلم أو يفهم أي لغة ما، وما أن يتعرض للغة ما مدة من الزمن حتى يصير أحد الناطقين بها، بل وبإمكانه تكوين جملا خاصة به، وفقا لقوانين يستنتجها بنفسه ليسيّطر على اللغة، وهذا ما يدعم وجود عناصر مشتركة بين جميع لغات بني الإنسان.

أما الدليل الثالث فتبرزه إمكانية ترجمة أي لغة في العالم إلى أية لغة أخرى، وهذا يدل على وجود نقاط رابطة وأوجه تشابه عديدة بين اللغات من حيث المعاني والمباني على السواء²⁷

إذاً فالقواعد الكلية هي التي تقوم بضبط الجمل بعد توليدها لتجعلها جملاً نحوية أو غير نحوية يدركها المتعلم والسامع المثالي في لغة معينة.²⁸

أما النماذج (القواعد) التي اقترحها تشومسكي فيمكن عدّها في أربع مراحل: أولاً: مرحلة البنى التركيبية (1957. 1965) ثانياً: مرحلة النظرية النموذجية (1965. 1972) ثالثاً: مرحلة النظرية الأنموذجية الموسعة (1972. 1981) رابعاً: مرحلة نظرية الو سائط والمبادئ وبرنامج الحد الأدنى الممتدة من 1981 ولحد الآن.

المرحلة الأولى (1957 . 1965)

لم تظهر ملامح النظرية التوليدية التحويلية على السطح دفعة واحدة، إنما مرت بمراحل عديدة بدأت بمرحلة التراكيب النحوية التي ظهرت مع ظهور أول كتاب لتشومسكي (البنى التركيبية) *، كان التأكيد في هذه المرحلة منصبا على الوصول إلى درجة عالية من الجلاء والوضوح الشكليين؛ أي الدقة الصوغية في صياغة القواعد، ولهذا اهتمت بالخواص الرياضية لتلك الصياغة،²⁹ وعرض فيها تشومسكي في تحليل المعطيات اللغوية وتفسيرها ثلاثة نماذج رئيسة تتفاوت فيما بينها، من حيث القدرة على تقديم تفسير كاف للبنى النحوية وهي:

. نموذج القواعد النحوية المحدودة ، نموذج بنية العبارة، نموذج القواعد التحويلية. ثم فاضل بين هذه النماذج؛ ليصل في نهاية الأمر إلى أنسب الطرق، وهي الطريقة الأخيرة طريقة النحو التحويلي.³⁰

1: نموذج المواقع المحدودة:

تتسم أنماط التحليل للجملة اللغوية في هذا النموذج بالأولية والبساطة، وبإسقاط النماذج هي القواعد القادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل البسيطة بواسطة عدد محدود من القواعد المتكررة، التي تعمل خلال عدد محدود من المفردات، وهو يقوم على مبدأ أن الجمل تُولد عن طريق سلسلة من الاختيارات تبدأ من اليمين إلى اليسار (في العربية) وعند الانتهاء من الاختيار الأول فكل اختيار يليه يرتبط بالعناصر المختارة سابقا وهكذا يجري التركيب النحوي للجملة. ومثاله في العربية "هذا الرجل يكرم ضيفه" فإذا أردنا تغيير الجملة من حالة الأفراد إلى التثنية نجري اختيارات وتغييرات إجبارية لكي تحدث المطابقة في التذكير والتثنية بين المبتدأ والخبر، ومثله في الجمع المذكر /المؤنث... "هذان الرجلان يكرمان ضيفهما"³¹ إن هذا النوع من القواعد يُعتبر أضعف قواعد النحو التوليدي، و يرجع ضعفه لكون أن هذه الطريقة لا يمكنها توليد إلا عدد محدود من الجمل، و كونها كذلك قادرة على توليد جمل غير مقبولة أو غيار سليمة، و لذلك سميت بالقواعد النحوية المحدودة.

2: بنية العبارة:

ظهر "نموذج قواعد تركيب أركان الجملة" نتيجة للقصور الذي اتسم به النموذج الأول "القواعد النحوية المحدودة" ويتم تحلل العبارات والجمل في هذا النموذج بالعودة إلى مؤلفاتها المباشرة، وفي هذا التحليل لا بد من تحديد الكلمة من الناحية النحوية تحديدا دقيقا، وهي تتشابه عند المقارنة مع عمل الأقواس في الرياضيات³². فمثلا في المعادلة الآتية: ع(س + ص) نجد عملية الجمع لا بد أن تتم أولا قبل عملية الضرب التي تقوم بها بعد ذلك.

فإذا كان ع=2، وس=3، وص=4. فإن النتيجة تكون كالتالي: 2 × (4+3) = 7×2 = 14.

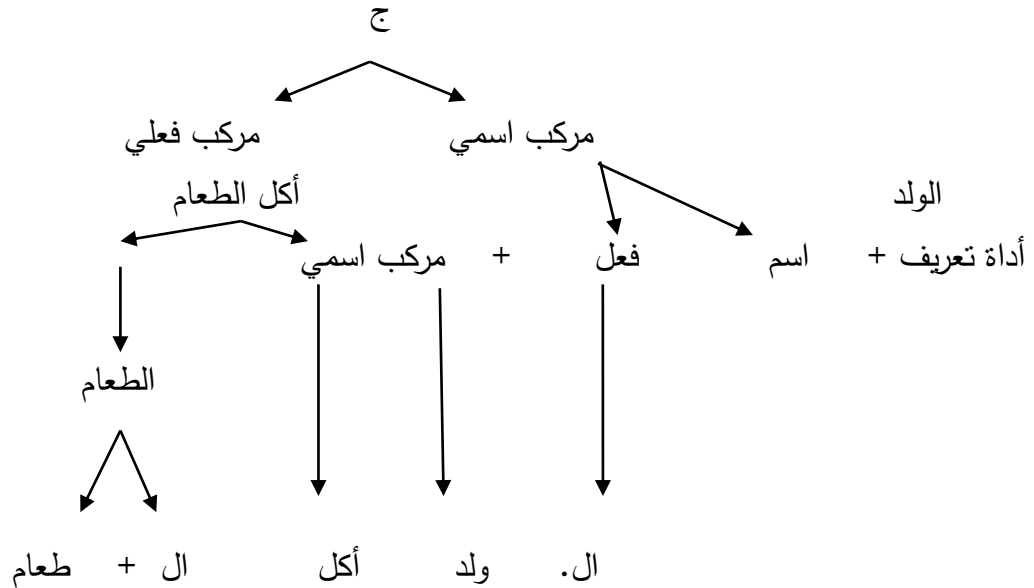
وفي الجملة تتم بالطريقة التالية: كتاب (المعلم الكبير) فكلمة الكبير صفة للمعلم. أما إذا كانت المعادلة على الصورة الآتية: ع × س + ص. فإن عملية الضرب تسبق عملية الجمع كما لو أنها على الشكل التالي:

$$10 = 4+6 = 4+ 3 \times 2$$

وفي الجملة تتم بالطريقة التالية: (كتاب المعلم) الكبير فكلمة الكبير صفة للكتاب. والفكرة الهامة التي أمدنا بها تشومسكي من خلال هذا النموذج تتجلى في "قواعد إعادة الكتابة". التي يصفها مازن الواعر³³ بأنها "مجموعة من القوانين التي تمكّن الباحث من أن يفرّع مبتدئاً بـ (ج) رمز أولي إلى مختلف عناصرها في مختلف مستوياتها حتى تتولّد الجمل" وهي مبينة بمثال "الولد أكل الطعام" كما يلي :

- 1 ← جملة (مركب اسمي (الولد) + مركب فعلي (أكل الطعام).
- 2 مركب اسمي (الولد) ← أداة تعريف (ال) + اسم (ولد).
- 3 مركب فعلي (أكل الطعام) فعل (أكل) + مركب اسمي (الطعام).
- 4 أداة التعريف ← ال.
- 5 الاسم ← (ولد، طعام)
- 6 فعل ← (أكل)

وأما تمثيلها عن طريق المشجر فهو كالتالي



كما يمكن تمثيل الجملة "الولد أكل الطعام" عن طريق الاشتقاق كما يلي:

1/ مركب اسمي + مركب فعلي (الولد) + (أكل الطعام).

2/ تعريف + اسم + مركب فعلي	(ال) + (اسم) + مركب فعلي
3/ ال + اسم + مركب فعلي.	ال + ولد + مركب فعلي
4/ ال + معلم + مركب فعلي.	ال + ولد + (أكل الطعام)
5/ ال + معلم + فعل + مركب اسمي.	ال + ولد + فعل + مركب اسمي
6/ ال + معلم + شرح + مركب اسمي.	ال + ولد + أكل + مركب اسمي
7/ ال + معلم + شرح + تعريف + اسم.	ال + ولد + أكل + تعريف + اسم
8/ ال + معلم + شرح + ال + اسم.	ال + ولد + أكل + ال + اسم
9/ ال + معلم + شرح + ال + درس.	ال + ولد + أكل + ال + طعام.

ومع هذا يبقى ضعف هذه القواعد يظهر في عدم قدرتها على توليد بعض الجمل التي تشترك فيما بينها بعلاقة متبادلة مثل الجمل المبنية للمعلوم والجمل المبنية للمجهول في اللغة الانجليزية³⁴. وعدم صلاحيته لوصف جميع اللغات، لارتباطه بالمبنى (الشكل) دون المعنى، فهذا النموذج يقف عاجزا عن تحليل بعض الجمل التي تحتمل أكثر من معنى أو ما يسمى بالجمل الغامضة. من أمثلة: "طلب المعلم من الطالب أن يخرج" أيخرج الطالب أم المعلم؟.

.ومثل "قابلت عشرين طالبا وطالبة" فهل قابل المتحدث عشرين أم هو واحد وعشرون؟. وهذا ما دعا تشومسكي إلى التفكير في نموذج له قدرة على وصف اللغات وصفا دقيقا، ويتجنب فيه مظاهر الضعف والقصور التي ظهرت في الطريقتين السابقتين، ليصل في نهاية الأمر إلى نموذج "النحو التحويلي" هو الذي يتيح لنا وصفاً ناجحاً لنظام القواعد اللغوية³⁵.

3:النحو التحويلي:

لقد ثبت لدى تشومسكي وأتباعه أن النموذجين السابقين لا يحققان أغراض الوصف اللغوي، فعمد إلى وضع نموذج ثالث، هو نموذج النحو التحويلي الذي يرى فيه دقة أكثر، ويعمل على التنسيق بين النموذجين السابقين، و له إمكانية استدراك النقائص. ويستند هذا النموذج في عمله إلى تحليل البنية العميقة للجملة؛ منطلقا من فكرة أن لكل مبنى خارجي مبنى داخلي عميق، ويتكون النموذج التحويلي من مجموعة من القواعد التحويلية، بالإضافة إلى مجموعة من القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة، حيث احتوي النموذج على عدد من الإضافات التفصيلية التي لا يحتوي عليها نموذج بنية العبارة، فهذا النموذج يتوسع في توظيف الرموز التي طرحها نموذج بنية العبارة. وذلك بالاهتمام بالعدد والزمن والأفعال التامة والناقصة وغير ذلك مما يحتاجه المحلل.³⁶ و قد جمع نموذج النحو التحويلي بين القواعد التحويلية : أ. الاختيارية التي يمكن تطبيقها أو عدم تطبيقها؛ بمعنى أن الجملة تكون صحيحة نحويًا بدونها كقواعد البناء للمجهول، وتقديم الفاعل على المفعول، والنفي والاستفهام،

ب . الإيجازية التي لا بد من تطبيقها، ولا تكون الجملة صحيحة نحوياً بدونها، كقواعد العدد التي تتم بها المطابقة بين الفعل والفاعل، المبتدأ والخبر، قواعد النوع التذكير والتأنيث، التي تتم المطابقة بها بين الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، والصفة والموصوف ... إلخ.

- | | |
|-------------------|-----------------------------------|
| 1/ الجملة | مركب اسمي + مركب فعلي. |
| 2/ المركب الفعل | فعل + مركب اسمي |
| 3/ المركب الاسمي | مركب اسمي مفرد. |
| | مركب اسمي مثنى. |
| | مركب اسمي جمع |
| 4/ مركب اسمي مفرد | أداة تعريف + اسم. |
| 5/ مركب اسمي مثنى | أداة تعريف + اسم + علامة التثنية |
| 6/ مركب اسمي جمع | أداة تعريف + اسم + علامة الجمع. |
| 7/ أداة تعريف | ال. |
| 8/ الاسم | رجل كرة ... إلخ. |
| 9/ الفعل | فعل مساعد + الفعل. |
| 10/ الفعل | حدث + زمن (ضرب حصل أكل...) |
| 11/ الفعل المساعد | كان. |
| 12/ زمن الفعل | مستقبل ماضي حالي. |
| 13/ صيغ الفعل | (قاتل ، اقتتل ، قتل، احضر ، أدخل |

هذه مجمل ما مرت به القواعد النحوية في نظرية الأبنية التركيبية. وقد تميّزت هذه المرحلة بوصفها المقاربة الأولية التي بُنيت عليها أسس التطورات في المقاربات النظرية، والمنهجية للمراحل التطورية التالية لها الخاتمة إن من إيجابيات النظرية التوليدية في مرحلتها الأولى إسهامها في تطوّر علم اللغة الحديث، فقد عبّر بواسطتها درس اللغوي من الاهتمام بوصف مظاهر السلوك اللغوي للمتحدثين إلى وصف نظام المعرفة العقليّ الذي يكمن وراء هذا السلوك. كما ربطت درس اللغوي بعلوم أخرى كالفلسفة والرياضيات. ومن سلبياتها أن نماذج التحليل اللغوي التي عرضها تشومسكي في كتابه (البنى التركيبية) كانت تهدف إلى تعيين القواعد الكامنة وراء بناء الجملة، معتبرة أنّ القواعد التركيبية ذات كيان مستقل؛ لهذا فضلت أن يُصاغ التركيب مستقلاً عن الدلالة واعتمدت كلياً على الشكل فهمشت الدلالة إلى حدّ كبير. ولكنها بهذا حملت فكرة نضجها وامتدادها الذي تداركه تشومسكي في المرحلة الثانية التي سيكون لنا حديث عنها في مقالة أخرى إن شاء الله.

Abstract:

It has become known in the field of linguistics that the historical school, whose bases are based on William Jones, who was influenced by the theory of evolution and Darwinism, and interested in colonial reasons for the historical study of languages, believes that language is similar to living organisms. By chance in Latin and Greek, and to identify the similarities and differences between the language of the Indians and the European languages justifies their affinity with them, which led the language of the comparative language to interrupt the study of languages, and thus dominated the historical lesson (educational or educational) time, and N the results are limited.

His structural dimension as a stage moved from linguistic to historical, but it continued to focus on the formal aspect of language. Some linguists are tired of the descriptive character that dominated the study of language, especially after the structuralists believed that the meaning can not be subjected to the kind of descriptive scientific study that can be subjected to other apparent systems and with the insistence on excluding the meaning altogether, linguistic analysis has become a reference to the meaning , As describing the method of making ships without reference to the sea.

Thus, the negatives of Bloomfield's theory of behavior began to surface, and Harris realized the shortcomings of the distributive approach after he developed the concept of the original sentence and the concept of transformative structure. Thus, the desire to adopt a mental approach in the study of language, derived its origins from The mental orientation of the French philosopher Rene Descartes, who rejected the pure description of language, the link between language and reason, influenced by the idea of linking the language with the mind of the German thinker Humboldt, who believes that the language "the work of reason. The search in language needs to change the nature of research In the nature of the language and orientation of a completely different destination was Chom School The linguistic structure of the study material, which reflects the rational nature of the subject of the study, and the form of this passage and the consideration of the language from a different perspective than its structural one, was the most profound transformation of the modern linguistic lesson. Simple for a wide-ranging view.

This article comes to know Chomsky's theory in its first founding stage, which was co-sponsored by the publication of his book Synthetic Structures in 1957.

Keywords: *obstetric, transformational, creative, intuition, rules, structural str*

الهوامش:

(1) نايف خرما ،اضواء على الدراسات اللغوية، سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1987،

رقم 09، ص:235.

(2) نفسه، ص:240

(3) ينظر : سعيد بوشنوقة،مدخل الى المدارس اللسانية ،ص:109.

(4) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1997، ص:188.

- (5) نفسه، ص: 188.
- (6) وذلك على نحو ما في الجملتين التاليتين: "صراخ المجرم لم يؤثر في الناس" و "عقاب المجرم لم يؤثر في الناس".
فالجملتان من حيث الشكل الخارجي، متشابهتان تماما في علاقة المفردات بعضها ببعض، وكذلك في علاقة المسند إليه والمسند. ومع ذلك فالمعنيان يختلفان اختلافا جذريا . وجملة: "كان عقاب علي صارما" مثلا، لا يتضح معناها تماما خارج السياق؛ إذ لا ندري إن كان "علي" هو الذي عاقب إنسانا آخر، أم أن إنسانا آخر هو الذي عاقب "علي".
ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1997، ص: 190. و سعيد بوشنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص: 109، و شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 51، 52.
- (7) ينظر : الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية العربية . النظرية الألسنية . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986 ، ص: 26، 27.
- (8) ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1979 ، ص: 119، 120، 121.
- (9) ينظر: نفسه، ص: 122.
- (10) إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان، المدرسة التوليدية التحويلية، ص: 7، يوم: 2017/02/23 الساعة: 13 زوالا
www.omu.edu.ly/articles/OMU%20Articles/pdf/Issue25/Issue25-22.pdf
- (11) جون يونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط1، 1985، ص: 207.
- (12) نوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر: محمد فتوح، دار الفكر العربي، ط1، 1992، ص: 119.
- (13) رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص: 187.
- (14) مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ع13، جانفي 2015، ص: 05.
- (15) ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط، 1984، ص 156، 158 .
- (16) ينظر: خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها . منهج وتطبيق . عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984، ص 55 .
- (17) ينظر : ميشال زكريا، النظرية الألسنية ، المرجع السابق، ص 26-27
- (18) ينظر : خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها ، المرجع السابق، ص: 55 .
- (19) ينظر : ميشال زكريا ، النظرية الألسنية ، المرجع السابق ، ص: 31.
- (20) ينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط2004، 1 ، ص: 47.
- 21- ينظر: نفسه، ص: 47-48 .
- (22) ينظر : خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها ، المرجع السابق، ص: 97 ،
- (23) ميشال زكريا، ميشال زكريا، النظرية الألسنية ، المرجع السابق، ص: 9.
- (24) ينظر : ميشال زكريا، النظرية الألسنية ، المرجع السابق، ص: 77، 78 .
- (25) ينظر: خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها ، المرجع السابق، ص، 56 ،

(26) ينظر: نفسه، ص، 56 ،

(27) محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص:14،13.

(28) ينظر : خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها ، المرجع السابق، ص: 56 .

• من أهم القضايا التي اضطلع بتناولها كتاب تشومسكي "البنى التركيبية" ما يلي:

1 - الدعوة إلى تغيير الأسس الفلسفية القائم عليها البحث اللغوي آنذاك ، فقد دعا تشومسكي إلى تحوّل النظر إلى اللغة كظاهرة سلوكية - ليس فيها إلا ما نجده في ظاهر الكلام ، وألا يجري تعلّمها مثل أيّ سلوكٍ آخر ، وأنّ الإنسان لا يولد صفحة بيضاء - إلى النظر إليها بوصفها نظام معرفي عقلي ، لا يكفي لمعرفته وصف ما يظهر منه ، بل يتعدّى ذلك إلى تفسير طبيعة اكتسابه ، واستخدامه ضمن ما تفرضه حدود العقل البشري عليه ، وعلى غيره من النظم المعرفية أولاً ، وضمن الصفات الخاصة بهذا النظام تحديداً ، وأنّ الإنسان لا يولد صفحة بيضاء - بالنسبة للغة على الأقل - بل يولد ولديه استعداد فطري موروث لاكتساب لغة بشريّة ، وبهذه الدعوة يكون تشومسكي هو أول من نادى بتخطي النظرية الوصفية البنوية ؛ التي كانت سائدة آنذاك على نحوٍ لم يكن مألوفاً ، أو حتى متوقّفاً في ذلك الوقت

2 - حدد تشومسكي في هذا الكتاب هدف النظرية اللغوية القادرة على التحليل ، والتفسير الصحيحين بقدرتها على تحليل مقدرة المتكلم ، أو كفايته اللغوية Competence على إنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل ، وتفهم إيّاها ؛ ومن ثمّ يتركز عمل اللغوي على صوغ القواعد القادرة على إنتاج اللغة مادة البحث .

(29) مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، ط1، 2002، ص:57.

(30) حمدان رضوان أبو عاصي، التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية، مج4، ع3، ص:129.

(31) ينظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، المرجع السابق، ص:103، 106.

(32) ينظر: نفسه، ص:117، 118.

(33) مازن الوعر، النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية، مجلة اللسانيات، العدد 6، 1982 ص 29.

(34) ينظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، المرجع السابق، ص:130.

(35) ينظر: خليل أحمد عمارة في نحو اللغة وتراكيبها ، المرجع السابق، ص:63، 64.

(36) ينظر: خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق ، ص:64.